
ذكرياتي
فاروق مصطفى رسول
الجلد الاول
تشرين الثاني ٢٠١٨

ذكرياتي

فاروق مصطفى رسول

ذكرياتي

فاروق مصطفى رسول

ترجمة: عبدالله طاهر البرزنجي
مراجعة: ماجد علاوي

الجلد الأول

الطبعة الأولى ٢٠١٨



من منشورات مؤسسة دواروژ
للثقافة والإعلام
تسلسل الكتاب (٢٧)

ذكرياتي

فاروق مصطفى رسول

| مذكرات

- ترجمة: عبدالله طاهر البرزنجي
- مراجعة: ماجد علاوي
- التصميم الداخلي: سيروان خليل
- تصميم الغلاف: گەنجە طارق
- تسلسل الكتاب: ٢٧
- عدد النسخ: ٢٠٠٠

| الطبعة الأولى ٢٠١٨
| مطبعة: الدار العربية للعلوم ناشرون - لبنان

الكتاب مُنح الرقم (١١٢٢) لعام (٢٠١٧) من قبل المديرية العامة للمكتبات العامة

مؤسسة دواروژ للإعلام

حصلت مؤسسة دواروژ للثقافة والإعلام على موافقة تأسيسها بالقرار الوزاري المرقم (١٧٧٤٣) الصادر في ٢٠١٥/٨/٢٤ من حكومة إقليم كوردستان العراق. إنها مشروع طويل الأمد وفعَّال، يسعى لصناعه الرأي العام ونشر الوعي الفكري ورفع مستوى الوعي الجمعي في الحياة العامة للمجتمع.

دواروژ بصفتها مشروع فكري وثقافي عام، تستهدف خدمةَ الفكر التقدمي الإنساني عبر قنوات الكتابة والترجمة والبحث العلمي في مجال المواضيع الفكرية والفلسفية والعمل الإعلامي المعاصر.

أخي القارئ الفاضل

لقد كان مشروع الترجمة والطبع ونشر روائع الكتب بسعر رمزي أمنية من أمنياتي الكبرى منذ زمن بعيد بغية توفير المصادر الثقافية والفكرية والعلمية للقارئ.

يسرنا إننا استطعنا في المدة القصيرة من عمر المؤسسة أن نضع أمام أيديكم وأنظاركم سلسلةً من الكتب النادرة والثمينة، وهي امتداد لمحاولاتنا السابقة في تسعينيات القرن المنصرم، وستكون دواروژ مشروعاً دؤوباً وطويل الأمد يرافقه التروي والدقة، ونأمل أن نسدي به وبتعاون الجميع خدمةً متواضعة إلى المكتبة الكوردية عن طريق انتقاء أجود الكتب وترجمة أغلب المصادر القيمة من اللغات الحية في العالم.

فاروق مصطفى رسول

مؤسس دواروژ الثقافية

١٢ تشرين الأول ٢٠١٦

الفهرست

الفصل الثاني

الفصل الثالث

بانوراما السِيّر والأحداث

إهداء

- إلى معلمي الأول ومرشدي.. والدي الحبيب، ملا مصطفى صفوت.
- شريكة حياتي ورفيقة عمري، بخشان مصطفى المفتي.
- أفلاذ كبدي، زينو، زَريا، زرنك، زنوير.

إيضاح

قبل سنوات، حاول صديق أن يكتب سيرة حياتي بدون علمي، ومن أجل ذلك أجرى مقابلات مع عدد من الأصدقاء والأشخاص الأعزاء، منهم من رحل عن الدنيا، ولحسن الحظ فإن هذه المقابلات باقية ومسجلة صوتياً.

محبة ووفاءً لهم، ولرفاقنا، ولأصدقائنا الآخرين أنشرها في هذا الكتاب.

فاروق

تنويه

منذ أن دوّن الفيلسوف، والقائد العسكري زينوفون، أواخر القرن الخامس قبل الميلاد، في كتابه (أناباسيس)، المشاهد والأحداث التي رآها بنفسه في الشرق، وواجهها أثناء عودة الحملة العسكرية المكونة من عشرة آلاف جندي، منذ ذلك الوقت أصبحت المذكرات والرحلات والذكريات مصدراً هاماً من مصادر كتابة التاريخ، ولحسن الحظ بدأت تلقى رواجاً عندنا وتستأثر باهتمام الكتاب ورجال السياسة.

لاشك في أن (الذكريات) تغدو في سن محددة أكبر وأثمن ثروة للإنسان، خاصة إذا لم تكن محصورة في أمور الحياة الشخصية فحسب، بل ارتبطت بالحياة العامة للمجتمع وشملت المجالات السياسية والاجتماعية.

أيها القارئ الفاضل،

في الحقيقة منذ زمن بعيد يطالبني أصدقائي ويقترحون أن أقوم بتدوين سيرتي وذكرياتي، من جانبي أعدُّ كتابتها شيئاً هاماً يجدي نفعاً، ليست لكونها ذكريات غالية عزيزة في أعماقي فحسب، بل يمكن أن تنفع كوثائق تاريخية، وخاصة لتوضيح الوضع السياسي والحياة السياسية الداخلية للحزب الشيوعي العراقي والصراعات المحتدمة القوية في السنوات التي لعبتُ فيها دوراً مشهوداً، وكنت مطلعاً، عن كثب، على مواضيع، ومسائلَ هامة، على صعيد كوردستان والعراق بشكل عام.

وكذلك تُحسب الذكريات المتنوعة لسنوات ١٩٦٨–١٩٧٥ أي تجارب الكفاح الثوري في كوردستان، ونضالي السري، والاختفاء في تلك السنين، جزءاً هاما من تجربة فرحي وسروري وخبرات حياتي، وكلها مبعث فخري، واعتزازي.

والدافع الثاني الكـامن وراء كتابـة هـذه الـذكريات هـو تبيـان القصـص الناجحـة في مجال عملي التجاري التي آمل أن تكون عاملا مساعداً يرشـد الجيـل الجديـد في بلـدي، ويُجسد لهم الرسالة التي تفيد وتؤكد أن الصمود والتواصـل برنـامج صـائب مـن أجـل التفوق في الحياة.

في هـذه السـيرة والـذكريات حاولـت سـردَ الأحـداث، والوقـائع بمنتهـى الأمانـة، والصدق، والدقة وفي الحدود الـتي أسـعفتني الـذاكرة والـذهن. وكـان شـعاري الأثـير في حدود ذكر الأسماء والجهات السياسية هو التأكيد والتركيز على السـمات والخصـائص الإيجابية على الأكثر.

فيا قارئي العزيز، ما تقرأه هنا يشكل الجزء الأول من مـذكراتي وسـيرتي، ويتلـوه الجزء الثاني عما قريب إن طالت الحياة، وأسعف العمر.

أتمنى أن يحقق هذا الكتاب الهدف المتوخى، والغاية المرجوة.

فاروق ملا مصطفى

بدلاً من المقدمة

فاروق ملا مصطفى

من مناضل ثوري مكافح

إلى مستثمر قدير وتقدمي وخَيِّر



حسين عارف

تعود صداقتي ومعرفتي بكاك فاروق إلى أكثر من نصف قرن، لم يتخللها طيلة تلك المدة أي انقطاع وتباعد. كنا متقاربين ومتحابين.

فاروق ملا مصطفى صفوت حاجي ملا رسول ديليـژة، شخصية ناجحة ومتفوقة في حياته. إن نجاحه نتيجة لجدارته ومواهبه، وهي صفات وخصائص شخصية متجذرة فيه، تربى عليها، ونمت وتطورت في دواخله. إنني أصنف تاريخ حياته إلى قسمين: القسم الأول يتمثل في كونه مناضلاً ثورياً مكافحاً من أجل القضاء على استغلال الإنسان من قبل الإنسان، وتحقيق السعادة والفرح والاطمئنان لكل إنسان يأتي إلى الدنيا، إلى أن يخرج منها، بمساواة وبدون أي تمييز مع غيره. وفي القسم الثاني يغدو فاروق مستثمراً قديراً، حديثاً، خيِّراً. في القسم الأول، ها هو وأنا طالبان

في مـرحلَتي الدراسـتيْن المتوسـطة والإعداديـة مـع الطلبـة الأعضـاء في إتحـاد الطلبـة العراقي العام (التنظيم المهني الطلابي للحزب الشيوعي)، نسافر للتنـزه إلى (جقـلاوه) قرب تانجرو، وهناك نبني جمهورية على وفق أفكارنا الخاصة، نتنزه ونصـبح حكمـاء جمهورية نتخيلها، ونأمل تحقيقها.

وهـا نحـن طالبـان في جامعـة بغـداد، وعضـوان في اللجنـة العليـا لجميـع تنظيمـات المدارس المتوسطة، والإعدادية، وجامعة بغداد، ومعنـا الراحـل (مهـدي الحـافظ) الـذي أصبح بعد سقوط صدام والبعث برلمانياً، فوزيراً للتخطيط.

ها أنذا في كلية الضـباط الاحتيـاط، وهـو عضـو المكتـب العسـكري للحـزب، يـأتي ويخبرني بأن أكون ورفاقي على أهبة الاستعداد لتوقع حـدوث انتفاضـة مسـلحة، بِنيَّـة السيطرة على الحكم في العراق.

وها نحن نجد نفسينا كادرين نشطين في صفوف الحـزب الشـيوعي (جنـاح القيـادة المركزية) بسبب تشابه وتقارب آرائنا.

وهــا نحــن بعــد اســتئناف ثــورة أيلــول في آذار ١٩٧٤، في وادي (بالَكـايتي)، هــو بصفته وكونه قياديا في (ق. م) وأنا بصفتي وكـوني عضـوا في الهيئـة الإداريـة لاتحـاد الأدباء، نتلاقى وتتواصل علاقتنا القديمة وتتجدد.

ها هو يعتزم مع أشـخاص وأطـراف سياسـية أخـرى مواصـلة الثـورة حـين انهـارت بسبب اتفاقية الجزائر المشؤومة في ٦ آذار فأقرّرُ معه البقاء والصـمود في الجبـل، لكـن المحاولة تبوء بالفشل والإخفاق.

وفي حدود الشق الثاني، انعكس فيـه تـأثير الشـق الأول منـذ البدايـة. حـين يتخلـى عن العمل الحزبي (العمل الحزبي وليس السياسة)، يسلك دربـاً ناجحـاً، ألا وهـو الـدرب الاقتصــادي. وبمهارتــه، وذكائــه، ومعرفتــه، وبكدحــه الشخصــي، وجهــده، يصــعد المرتفع، ويصل ذروة قابلياته، وإمكانياته في هـذا المجـال، فـلا يـودع ثرواتـه وأموالـه نقـداً في البنـوك، إنمـا يسـتثمرها في مشـاريع خدميـة حديثـة هامـة تحتاجهـا مدينتـه بخاصة وشعبه ووطنه على نحو عام. أنها مشاريع واضحة أمام أعـين النـاس، وليسـت

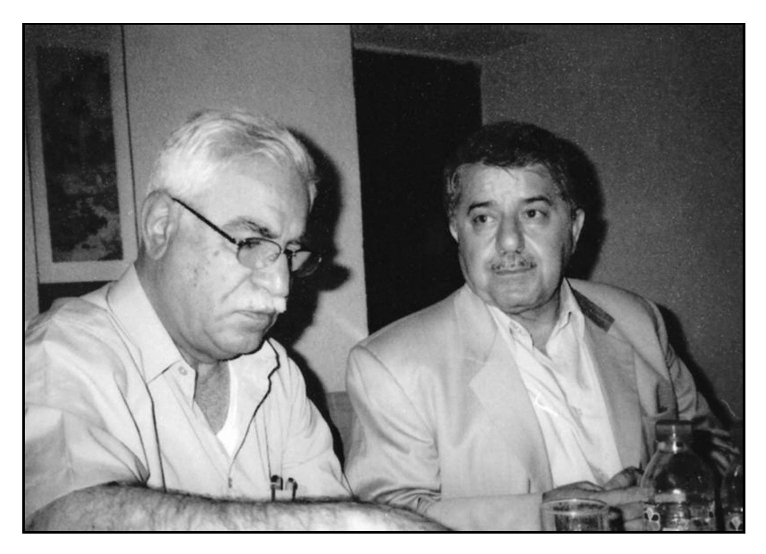
مخفية، مشاريع تزدهر وتتوسع يوماً بعد يوم، مشروع تربية الدواجن، ونصب المجازر الأوتوماتيكية، والمتنزهات السياحية، ومشروع الأسواق والعمارات الجميلة، و... إلى أن تبلغ مشاريع روائعه الثلاث: شركة موبايل آسياسيل، ومدينة فاروق الطبية، وفندق النجوم الخمس، فضلا عن مشاريع أخرى هامة يزركش بها المدينة كظاهرة حضارية من جانب، ويوفر فيها فرص العمل للآلاف، يخدمون آلاف العائلات، من جانب آخر. تبعاً لهذا يمكن القول إن مدينة السليمانية صارت في الوقت الملائم صنو مستثمرها، ورجلها الاقتصادي، الأخ فاروق ملا مصطفى.

من ناحية أخرى لابد من الإشارة إلى أنه سَمحٌ، نديُّ اليد وخَيِّر، فهو لا يحرم الناس الفقراء وذوي الدخل المحدود، والمنظمات، والجمعيات الخيرية من أمواله، بدءاً من عوائل شهداء حزبه القديم (الحزب الشيوعي العراقي)، ويحدد الرواتب لها، ثم يأتي على أقربائه المعدمين، مروراً بأصدقائه المقربين والبعيدين، والطلبة الفقراء في الجامعات، الذين يعينهم ولا يعرفهم، ثم ذوي الشهداء بشكل عام. ها هو في اجتماع يُعرَض في قنوات فضائيّة، ويضم الأثرياء ورجال الخير في كوردستان لجمع التبرعات، فنرى من يقدم خمسين مليون دينار، وآخر يقدم مائة مليون، وثالث خمسمائة مليون، وها هو فاروق يرفع صوته ويقول: مني ثلاثة مليارات دينار.

نعم، كان فاروق ملا مصطفى مناضلاً، وثائراً، ومكافحاً، وبالقدر نفسه فهو مستثمر قدير وتقدمي ومحب للخير، سَخيّ يستثمر أمواله لخدمة نفسه والناس. وفي هذه المناسبة أود الإشارة إلى حالة مماثلة. ففي خمسينيات وستينيات القرن المنصرم كان هناك مستثمر فرنسي عضو في الحزب الشيوعي الفرنسي، وكانت مؤسسات الإعلام تسمّيه (المليونير الأحمر).

أيمكننا نحن أن نسمّيَ فاروق الملا مصطفى المليونير الأحمر لكوردستان؟

سيرة إنسان حدد أهدافه السامية في الحياة وتابعها بنجاح



فاروق مصطفى رسول، ماجد علاوي

ماجد علاوي

لا أريد أن أتكلم عن فاروق كمناضل سياسي ترك بصمة وماض مشرفا في مسيرة حزبه وبلده، ولا عنه كرجل أعمال بلغ قمماً في النجاح لم يرتقيها غيره، فهذا امر قد رآه الكثير غيري من القاصي والداني، ولكني أود ان أشير إلى العوامل الاساسية التي صنعت هذا الصعود بعيدا عن التفسيرات المبتذلة عن الحظ والعلاقات.

إنـه الرؤيـة والموهبـة الاسـتثنائية في تحديـد الهـدف ومتابعتـه بإصـرار. لا اقصـد بالهـدف اي هـدف عشـوائي، ولكنـه الحـس المرهـف بتشـخيص الهـدف المركـزي والتوجه الاساسي في جملة متشابكة من الخيارات والآفاق، وهو مـا يصـطلح عليـه في السياسة والتـنظير بتحديـد الهـدف الاسـتراتيجي وإخضـاع كـل الخيـارات التكتيكيـة لتحقيقه. وقد تجلت هذه الموهبة في عمله السياسـي وفي عـالم "البـزنس"، وسـأذكر بعض المحطات الكاشفة.

محطات

محطة:

كان لقائي به لأول مرة أوائل عام ١٩٦٧ برفقة أخـي ابـراهيم عـلاوي في مستشـفى الراهبات في غرفة عارية من الأثـاث إلا سـرير كـان "متربعـا" فوقـه بعـد إجـراء عمليـة جراحية له. كان انطباعي الأول بعد أن تنـاقش مـع ابـراهيم في بضـعة مسـائل تخـص الوضع الملتهب والصراعات داخل الحزب في تلك المرحلة المتفجرة، إنني أمـام شـخص عملي ذو تصميم، واثق من نفسه يشيع روحـا مـن الثقـة، يحـدد الهـدف بوضـوح غـير غارق في تفاصيل الصورة.

محطة :

بعـدها بفـترة قصـيرة وفي السـنة نفسـها جمعتنـا عـدة اجتماعـات لمجموعـة كـوادر حزبية عرفت لاحقا بفريق الكادر، وكانت النقاشـات المحمومـة والسـجالات تـدور حـول أزمـة الحـزب الداخليـة والصـراعات وانتشـال الحـزب مـن التوجـه اليمـيني التصـفوي، وتبني الكفاح المسلح ومتطلبات الاعداد له وموقعه في سياسـة الحـزب. كـان المتحـدث الاول في كل اجتماع الرفيق نجم (ابراهيم علاوي) قائـد هـذه المجموعـة ويليـه مباشـرةً الشهيد خالد احمد زكي في التعليق وتوضـيح مـا يـدور في المنظمـات بحكـم شخصـيته ورصيده الفكري وعلاقاته الخارجية والداخليـة بمختلـف أطـراف الصـراع في الحـزب في ذلك الوقت، وعند فتح باب النقاش كان الرفيق صادق (الشهيد أمـين الخيـون) يحـاول جـر الفريـق إلى العمـل المسـلح "بمـا هـو عمـل مسـلح" وخـارج الأطـر السياسـية بمـا

يخرجه عن أساسيات المنظومة الفكرية لعملنا وحزبنا، مفترضاً قيادته المطلقة لذلك العمل فكريا وعمليا مستنداً إلى بيئة الاهوار التي نشأ فيها، وكان "الرفيق" فاروق المتصدي الاول له بقوة وبتسفيه طروحاته الفكرية المغامرة، وَشَبَّهَ أمين وما يدعو اليه ب "خوله بيزه" قاطع الطريق الشهير. تمسك فاروق بالهدف ألاساسي، لم يغرق في التكتيكي مقابل الاستراتيجي بلغة التنظير، وكان واجهة الصدام والقطيعة مع امين الخيون وخطه المغامر العدمي.

محطة :

بعد اتفاقية الجزائر التي عقدها صدام مع شاه ايران والنكسة التي تبعتها، حاول فاروق، باعتباره المسؤول الميداني الاول للقيادة المركزية في حينها، المستحيل لإقناع قيادة الثورة بالثبات على الهدف المركزي والاستمرار في متابعة الثورة بالاعتماد على الامكانيات الذاتية بدون الارتهان إلى العامل الخارجي. ولما فشل في مسعاه، كان الهدف الواضح له وكل ما عداه يخضع له إنقاذ ما يمكن إنقاذه وصيانة الامانة وتحمل كامل المسؤولية الشخصية نيابة عن كل رفاقه في الميدان مستغلا الظرف الذي كان يقيد الأجهزة الامنية عن الانفلات في بطشها، وكان عند حسن الظن وحمى الأمانة، فكان موضع احترام العدو قبل الصديق.

محطة :

كشفت ظروف الحياة اليومية الاعتيادية في أواسط السبعينيات عن تجل آخر لروحية تحديد الهدف ومتابعته بإصرار، وهذه المرة على الصعيد الشخصي وبعيدا عن الهم السياسي العام، فقد وجدت أنا والصديق فؤاد الامير عند زيارتنا لفاروق في السليمانية حوالي العام ١٩٧٦ ان "العاشق" فاروق غارق في معركة ضارية هدفها الفوز بالمرأة التي أحب، وانتصر رغم كل العراقيل التي كانت تثني أي انسان، لا يتحلى بتصميم مثل تصميمه، عن القتال وصولا إلى الهدف المرسوم.

محطة :

وقد واصل فاروق مشواره في الحياة العملية اليومية وعلى صعيد العمل المهني هذه الروحية نفسها، من وضوح رؤية الهدف الرئيسي ومتابعته. فقد كان يرى ما لا

نراه من الأهداف الاقتصادية الكبيرة، فهو الذي الح علينا وأقنعنا بالدخول للتنافس على إحدى اجازات مجازر الدواجن التي طرحت في أواسط الثمانينات بشكل محدود وتلاقفها المقربون من النظام ما عدا مجزرة السليمانية حيث كانت بعيدة عن طموحاتهم، وقد كان من بعد نظره انه تفاوض، وهو خالي الوفاض، مع الجهة المسؤولة في الدولة للحصول على الإجازات جميعا كصفقة واحدة وهي كانت ستكون صفقة هائلة بجميع المعايير، وكان ما يحركه، هو وضوح الرؤية بآفاق الهدف الاقتصادي الكبير وثقته بحدسه الصائب وبقدرته على التعامل الناجح مع التفاصيل اللاحقة في تدبير التمويل اللازم للمشروع، وللحقيقة فلم يكن لأي منا نحن اصدقاؤه وشركاؤه الثقة والجرأة على خوض مثل هذه المغامرة. وكان هو العامل المحرك لمشروع مجزرة دواجن بازيان من ألفه إلى يائه والذي كان أنجح وأفضل من أي مشروع من نوعه بجميع المعايير، وقد باشر فاروق وخطط لتوسعاته الهائلة التي اوقفتها تبعات مغامرة صدام في الكويت. كل ذلك في ظل أبشع الملاحقات اليومية والترهيب من الاجهزة الامنية.

محطة :

لقد كان فاروق من القلة النادرة التي عرضت حياتها لأسوء المخاطر بعدم مغادرته السليمانية مع النزوح العام عن المدينة أثناء الهجمة المعاكسة الشرسة التي شنتها قوات النظام المسعورة على المحافظات المنتفضة على صدام بعد إخراجه المهين من الكويت. وقد تحمل كل المخاطر، وكانت حياته وبيته على كف عفريت كل ذلك حفاظا على اموال شركاء مجزرة الدواجن المؤتمن عليها حيث خبأها في مكان أمين وبقي يراقبها ويحاميها لحين انكشاف الغمة.

محطة :

من الأمثلة المبهرة للرؤية البعيدة لدى فاروق استشرافه المبكر لآفاق الاقتصاد الجديد، اقتصاد الاتصالات وهو البعيد كل البعد عن هذا المجال من ناحية التأهيل الاكاديمي ومن ناحية مجمل نشاطاته الاقتصادية السابقة. لقد التقط بحدسه المرهف

أحد أهم مكونات اقتصاد العالم الرقمي الجديد –قطاع الاتصالات– منذ منتصف التسعينيات والعراق غارق في الحصار القاتل ولا يربطه رابط بما يجري من ثورة اتصالات في العالم. ووجه كل جهده وإمكانياته المادية وقدراته التفاوضية وصبها في هذا المجال، وبنى قاعدة –على تواضعها في حينه– مكنته من ان يكون اهم المؤهلين للمنافسة عند بدء دخول العراق للاقتصاد الرقمي بعد سقوط النظام في ٢٠٠٣، محققا النجاح تلو النجاح. وبمثل هذه الرؤية خاض المعركة المستحيلة للحصول على اجازة رخصة اسياسيل الاخيرة حيث وصلت قيمتها إلى ١,٢٥٠ مليار دولار، اي اضعاف قيمتها التقديرية، وحيث عجز عملاق مالي وإقتصادي مثل شركة اوراسكوم بخبراتها المحلية والعالمية وأموالها عن الاستمرار في المنافسة، ولم يكن فاروق يملك في حينها ولو جزءاً بسيطا من هذا المبلغ، لكنه كان يرى رؤية العين آفاق هذا النشاط وأنه بعد أن يضع الإجازة في "جيبه" فلن تكون هناك عقبات تمويلية لا يستطيع التغلب عليها، "فمن عنده دجاجة فإن الآخرين يقرضونه البيض"... وقد فعلها.

كل هذه الموهبة كانت مقترنة بسمات وشمائل جوهرية جعلت هذا النجاح يتكامل ويسير بإتجاه بَنَّاء وذي أثر في الحياة الممتدة بماضيها ومستقبلها. ففيما يخص الماضي حرص في صعوده على تفقد رفاقه القريبين والأبعدين وعوائلهم في سعي دؤوب لتأمين حياتهم كجزء من عائلته الكبيرة ووفاء لتضحياتهم. وفيما يخص المستقبل فقد حرص على توجيه نجاحه الاقتصادي إلى بناء اقتصاد مدينته وبلده كوردستان في جملة مشاريع انتاجية عملاقة شملت كافة المجالات الصناعية والصحية والاجتماعية والتربوية والطاقة والمواصلات ضاربا المثل الحسن لرجل الأعمال غير المنقطع عن هموم ومصالح وطنه، بالعكس من توجه الغالبية العظمى من أصحاب الأموال في تكديس واستثمار الثروات في البلدان والبنوك الخارجية.

مزيدا من النجاح في دروب البناء ورسم وتثبيت اسمك في تاريخ بناء بلدك، مناضلا سياسيا في فتوتك وشبابك وبانيا لامعا في فترة نضوجك... وتحية لك من أخ وصديق ورفيق درب.

فاروق ملا مصطفى
ظاهرة اجتماعية واقتصادية وليس شخصية مهمة وحسب..



الدكتور ديار عبدالقادر أحمد

إن تعريف كاك فاروق كمستثمر أو صاحب رأسمال كبير فحسب خطأ وغبن وإجحاف أيضا بحقه. انطلق في هذا المجال من نقطة الصفر خالي الوفاض معتمداً على القروض ولم يرث عن آبائه شيئاً يعينه. لم تكن الثروة في نظره ولديه غاية قط، بل كان يهمه، كرجل تقدمي، أن يستورد إلى كوردستان والعراق أفكاراً ومشاريع حديثة. ولم يكن قط مع الرأسمالية ولن يكون. وكشخص ينتفع من الفكر الذرائعي خدمةً للتقدم وسعادة المجتمع والفرد، وناضل من أجله.

إن أجمل تعريف يليق بالأخ فاروق في نظري هو (Game changer) وللأسف لا يوجد في الكوردية مفهوم مقارب أو مرادف له، ويعني في اللغة الإنكليزية الشخص الذي يشترك في لعبة ثم يُحور أسس ومبادئ وقوانين اللعبة ويخترع لها قوانين

وأسساً جديدة متوخياً تطوير اللعبة نفسها. وقد سار على هذا المنوال في السياسة والنشاط الاجتماعي والعمل الإداري وفي مضمار الاستثمار أيضاً.

بدأ بمشروع تربية الدواجن، وأنشأ في السليمانية أول وأنجح مجزرة دواجن على صعيد العراق. دخل شبكة خطوط الهواتف بحقيبة VSAT في الطابق الأرضي لبناية (علي نَمَلي) وفيما بعد ولأول مرة في تاريخ العراق أسس أكبر وأضخم شركة لأجهزة الموبايل (الهاتف النقال)، ثم اقتحم المجال الصناعي وأعاد تأسيس معمل طاسلوجة للسمنت، وأسس من جديد معملين آخرين للسمنت يُعدان في الوقت الراهن من أحسن المعامل في العراق، علاوة على معامل صناعية أخرى في مجالات مختلفة.

شرع في بناء الفنادق، فأنجز أجمل وأعلى فندق في العراق في مدينة السليمانية وسماه (شاري جوان) مدينة السحر والجمال، ويقصد بها مدينة السليمانية لا غيرها.

وفي مجال الخدمات الطبية شَيَّد وأنجز أرقى وأكبر مستشفى في العراق، وينهمك في الوقت الحاضر في تأسيس جامعة طبية تستوعب وتضم المرافق والمعدّات الطبية كافة.

لو قيَّمنا هذه المشاريع بمنطق رأسمالي أو استثماري لَكَان يتحتم عليه ألاّ ينجزها في العراق وكوردستان، لأن إقامتها في أماكن أخرى خارج العراق تدر عليه أرباحاً مضاعفة هائلة جداً. طبقا لما طرحتُ فإنه ليس مستثمراً بل هو قدوة ورائد اجتماعي وسياسي ذرائعي في الدرجة الأولى. إن ريادته وتفوقه في العمل تكملان سياسة ذرائعية عملية في الدرجة الأولى، وترجحان نجاح خططه في كل شيء، حتى لو كانت خططه تلحق به أضراراً وخسائر مالية، لذا بذل جهوداً متواصلة ليساعد المئات من الجيل الشاب، يعلمهم كيف يطورون مواهبهم وقابلياتهم في إطار جماعي، كي يكونوا قادة ومرشدي المستقبل. ويقل نظيره في مضمار دعم النساء، ليس في العراق فحسب، بل على مستوى المنطقة.

عرفت كاكه فاروق ملا مصطفى منذ نعومة أظفاري، في طفولتي حينما كان يزور بيتنا وبيتَ عمي في شهربان، تصورته شخصاً عصبياً وغاضباً يرهبني لقاؤه، كان

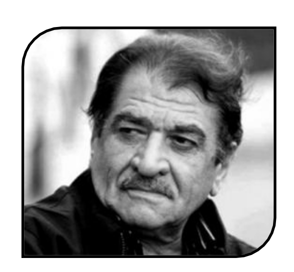
لا يروق لي مجيئه في بعض الأحيان إلى بيتنا ! كان والدي وعمي يحبانه ويحيطانه بالتقدير، ويذكران اسمه بابن العم (كان ابن عم والدي). عُدت أوقاتُ زياراته إلينا عيداً لدى عمي ووالدي، وكان المجلس يُعقَدُ بفرح. رغب في سماع صوت والدي الذي أشنف سمعه بأغانيه العذبة. رَوى لي والدي أن صوته سحر عمه ملا مصطفى (والد فاروق) وكلما رأه قال له "هيا يا عزيزي قاله (أي قادر) غنّ لي مقاماً".

كانت أمي تقول: عندما كان والدك نزيل السجن بسبب مواقفه الشيوعية، كان فاروق طالباً في بغداد وكان يتردد إلينا ويدعمنا مالياً. وعلمتُ فيما بعد أنه يعمل يومياً بعد انتهاء دوامه في الجامعة.

بعد عودتنا إلى السليمانية عام ١٩٨٤ كنت أراه مراراً في الأعياد والمناسبات العائلية. وفي أواخر عام ١٩٩٦ وبعد إصابته بجلطة قلبية اقتربت منه أكثر كوني طالباً في الكلية الطبية وأمضيت معظم أوقاتي في غرفته ببيته أسهر على صحته ليلاً ونهاراً. منذ عام ٢٠٠٢ بدأت بالعمل لديه عن طريق أخي كريم الذي كان يعمل لديه. منذ تلك السنة وأنا معه في حله وترحاله – أدين له بما اكتسبتُ من المعلومات والمهارات في العمل.

غيَّر تأثيره مجرى حياتي. لم أجده قط ضعيفاً منهاراً واهناً، ولم يركع أو يستسلم لتأثيرات المرض والمشاكل الأخرى. قوي للغاية، شخصية متماسكة معنوياً وجسدياً. إنْ وجِدَتْ نقطة ضعف لديه فإنها تكمن في حبه الجم وعشقه مدينة السليمانية، يهوى السليمانية بدرجة لو بقي في خارجها أكثر من أسبوع لَمَرِض، ولا يتعافى إلا بعد عودته إليها. إن ما تركه والدي فيَّ من تأثير لا يقارن بأي شيء آخر، علمني كل شيء، لكنه أوصاني وهو يحتضر على فراش الموت "اعتنِ بفاروق وأبنائه وكن في خدمته على الدوام".

فاروق ملا مصطفى
في نظر بعض أقاربه وأصدقائه



الشاعر شيركو بيكەس

• فاروق أحد أصدقاء طفولتي.. كنا أطفالا في أعمار متقاربة، أكبر أو أصغر بعام أو عامين، عدا اثنين أو ثلاثة منا. كنا نتجمع بعد دوام المدرسة ونتلهى حتى حلول المساء باللعب والتقافز، وكنا جميعاً نلبس دشداشات مخططة.

• أما مشاكسة فاروق فحطمت الرقمَ القياسي. برع فاروق في لعبة لتحطيم (الشروب) الموضوع داخل صينية، وبز أقرانه على الدوام، كان يربح إلى حد ودرجة أن بائع (الشروب)[1] كان يخرج من اللعبة صفر اليدين.

• كلما أردنا أن نسكت فاروقاً ونفحمه لكي لا يبزنا انتحلنا عذراً قائلين له سنذهب إلى والدك ونشتكي عليك. لم يكن يخشى سوى من والده.

---

[1] شروب: حلاوة صغيرة مدورة حمراء كانت توضع فوق صينية مليئة بالطحين، كان الباعة الصغار يبيعونها في الأزقة، بخاصة في ستينيات وسبعينيات القرن المنصرم. (المترجم)

• باع حذاءً له بعانتين (عملة عراقية قديمة) لصبي، ثم أعطاني فلساً. حتى في ذلك الوقت كان يملك عقلاً تجارياً. وفي الصيف، أثناء موسم نضوج القِثاء كنا نبتاع قثاءة كبيرة من السوق ونضعها على صينية ونبيعها.. كلما بعنا حزتين منها اقتطعنا منها ثلاث شرائح لنأكلها، بالذات أنا.

• كان في حوزة أنور صفحة قديمة ومصفرة لجريدة، احتوت صورة رجل ذي شارب كث أسود، مدجج بالسلاح والرصاص، تام التسليح. قلنا له من هذا؟ قال: إنه الشيخ محمود شجاع للغاية، قتل ألف انكليزي! كنا نميل برؤوسنا على المنضدة. قال فاروق، تلك قصة رواها لي أبي ذات مرة.

• خلال تلك المدة وفي تلك السنين، كنت أخرج برفقة فاروق لننصرف للعب والشجار، إعتدنا أن نمزق ثيابنا ونوسخها في سرعة، كانت تلك نفقة باهظة لي ولوالدتي، وكذلك لذوي فاروق. أتذكر، زرتُ مرات بيتَ فاروق للتذاكر، أول مرة التقيت فيها والده المرحوم ملا مصطفى، مسد رأسي بيده وقال: كان والدك بيكه‌س وطنياً صادقا، بلا غش وخلل، فاهتمْ أنت بدروسك أيضاً لتكون مثله.

....



حَمَهَ رشيد غريب

• انشق الحزب الشيوعي العراقي إلى جناحين مختلفين. ضم جناح القيادة المركزية أغلب القياديين ومعظم أعضاء الحزب، كنا مع هذا الجناح. مثّل فاروق ملا مصطفى دوراً متميزاً في تلك الفترة. برز قيادياً، وكنت عضو اللجنة المحلية في السليمانية.

• رجل شجاع. يحب الفكاهة والمزاح والكلام المليح. يملك سحراً غريبا لجذب الناس وكسبهم. خصصنا وقتا خاصاً في اجتماعاتنا الحزبية لأحاديثه الحلوة. نال الأحترام والتقدير بين الناس والحزبيين.

• لا أحد يعرف مثلي كم كان فاروق يحب الدار التي ورثها عن والده.

• تخلو رؤاه وطبعه وسلوكه من التعالي والمباهاة وتقلب الهوى والنفس. هو هو لَمْ يتغير منذ رأيته وعرفته.. احتفظ بأصالته النفسية ومعدنه النقي، وبقي كما كان أيام رأيته بيشمركة وثورياً في قرية ناوكيلَكان.

• قَبلَ رحيلِ "قاله شيت": (وهو من مجانين السليمانية)– كان فاروق يذهب إليه ويحمله في سيارته يشتري له الخبز ويعطيه النقود ويبتاع له الثياب ويذهب به إلى الحمام ثم يعيده إلى السوق ـ رأيتُ لدى فاروق صوراً كثيرة التقطها مع أغلب مجانين المدنية.

• حسب علمي لديه قائمة بأسماء من يقدم إليهم العون.

....



عمر حسين

• بعد انتكاسة ١٩٧٥ عادَ كشاب مشحون بالخبرة. متمكن وجدي في العمل. دخل عالم المقاولات من مشاريع صغيرة كلفت أربعة آلاف أو عشرة آلاف دينار. أعانه صديقه العزيز (ماجد علاوي) شقيق (د. إبراهيم علاوي). كان ماجد ذا إمكانية مادية عالية فساعد فاروقاً فتيسر له بناء معمل بلوك وكسارة حجر.

• طلب مني أن أكون محاسباً في معمله (معمل الدواجن). فَلَم يسمح قلبي أن لا ألبي طلبه. وبدأنا معاً إلى أن صار المشروع من أهم المشاريع الناجحة في كوردستان، وأكثر جودة من بين مشاريع العراق كلها. فمُنحنا الشكر والتقدير.. كان المشروع قبلنا في حوزة آخرين أخفقوا في العمل.. دام عملنا حتى انتفاضة ربيع ١٩٩١.

• اقتحم فاروق غرفة قائد الفرقة الثامنة وقال له: إنك احتللتَ مشروع وأموال الحكومة، وعلينا نحن أن ندفع الأقساط المتبقية إلى الحكومة. فارتعب قائد الفرقة، لما آل إليه الوضع المزري لمشروع الدواجن بسبب تمركزهم هناك، لقد التَهم الجيشُ الدواجنَ كلها وكسروا ما في المشروع من البضائع والأدوات.

• أنا أفتخر بصداقتي معه. لا أنسى ما حييتُ رجولته وشهامته. لولا محبتنا وصفاء قلبينا وصداقتنا النقية واحترامنا المتبادل، لأصبحت واحدا ممن يتراصفون بصعوبة بالغة الآن أمام دائرة التقاعد لِتسلم الراتب التقاعدي الضئيل.

• فاروق رجل جريء، وصاحب قرارات صعبة، أنجز ما أراده في حياته ونجح فيه. من أكبر مجازفاته إدخال الموبايل إلى البلد في وقت مبكر وخطِر وحساس جداً.

• لَم يغير المالُ ولا أيَّ شيء آخر طبعه الإنساني. هو هو مثلما رأيته.. أشهد أنه أرسل عشرات الأحباب والأصدقاء إلى خارج العراق لتلقي العلاج. اشترى الدور لكثير من أصدقائه وخلانه.. وساعد المئات ممن يستحقون أو يعانون من شظف العيش.. ودفع أجور الدار لمئات ممن عجزوا عن دفع الأجور، أو اشترى الدور لهم.. سخي ومفتوح اليد للفقراء والمحتاجين وإن لم يعرفهم.

....



الصحافي أحمد ميره

• اذا كـان المـلا مصـطفى صـفوت (والـد فـاروق) هـو مـن نَقَـل حـافظ الشـيرازي وسعدي الشيرازي إلى اللغة الكوردية وعرفناهما مـن خـلال ترجمتـه، واذا كـان شـقيقه الدكتور عزالدين مصطفى رسول هو من عّرفنا على عبقرية الشاعر أحمـد خـاني، فـإن الأخ فاروق ملا مصطفى عَرفّنا على الموبايل وهو أكثـر الأجهـزة التكنولوجيـة أهميـة. لقد استطاع فاروق ملا مصطفى أن يوفر بواسطة جهـاز الموبايـل فرصـة متميـزة كـي تطل كوردستان على العالم الخارجي.

• لو أراد أحد أن يكتب بحثاً حول التنمية الاقتصـادية في كوردسـتان خاصـة بعـد الانتفاضة، لا يسعه، بدون أي شك، أن يغفل نشاطات الأخ فاروق.. ويصح هـذا القـول لدى المؤرخين أيضا.. إن كتابة التاريخ الاقتصادي بدون العروج علـى تجربـة: فـاروق ملا مصطفى ستكون بلا شك كتابة غير مكتملة.

الفصل الأول

مرحلة الطفولة والشباب

أسرتنا

في اليوم السادس من تموز عام ١٩٤١ حسب ما كتبه والدي، ولدتُ في الساعة العاشرة والنصف ظهرا حسب التوقيت العربي التي تعادل الساعة السادسة مساءً، في حي دَركَزين في مدينة السليمانية. والدي الملا مصطفى صفوت هو ابن الحاج الملا رسول ديليژەيي وهو ابن الملا محمد الملا شريف. في حينه انتقل الحاج الملا رسول إلى مدينة السليمانية وكان شيخاً مشهوراً وواعظاً وخليفة في سلوك الطريقة من خلفاء ومريدي الحاج كاك أحمد الشيخ.



فاروق ملا مصطفى، ملا مصطفى صفوت
كاني خان، ١٩٥٨/٣/١٣

كان والدي من جهة والدته (رعنا) حفيدة الشيخ عزيز وهو ابن الشيخ فتاح بن حمه خان، وحمه خان هو شقيق الشيخ مولانا خالد النقشبندي. دُفن الشيخ عزيز والشيخ فتاح في خانقاه الشيخ مولانا خالد في مدينة السليمانية. كان لوالدي تأثير كبير فيَّ، ابتداءً من تفتح وعيي وعلاقتي الوطيدة معه، وذلك بتقديم نصائحه الجميلة وإرشادي إلى التقرب من عالم القراءة والاستماع إلى أقواله وأحاديث المثقفين ورجال الدين المحيطين به. أراد أن يربيني على ذلك النهج التربوي

ويُعوِّدني في المجالس والمحافل العلمية على تلقي النصح والكلمة الطيبة. هذا الرجل العالم الذي أمضى حياته بالتدريس والكتابة وإرشاد الناس إلى القيم الحقيقية، كان جريئاً وذا كلام مسموع إلى درجة تعلمتُ منه يومياً أشياء جديدة. أما في المجال الديني، فكان منفتحاً إلى حد شُهِد ويُشهَد له بكونه مجدداً لم يؤمن بالأحجية وما كان يخالف التعاليم الإسلامية بصدد الطلاق وإصلاحه والعبث به. سخى جاد بماله رغم الدخل المحدود، وينصحنا أن نحب الآخرين ونبدأ في ذلك من أقربائنا.

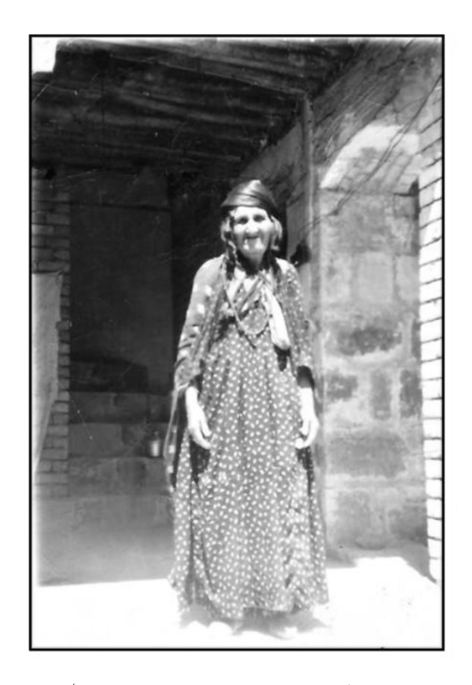
والدتي (جميلة صالح قادر) امرأة تمتلك قدراً عالياً من الود والعطف والشفقة تجاهي. امرأة تجهل القراءة والكتابة، بَيدَ أنها كانت تشبه امرأة متعلمة بسبب حياتها ورفقتها الطويلة مع والدي، كانت تنشغل بي وتحيطني برعايتها واهتمامها وكنت طفلاً لجوجاً وحركِا، لا أنسى ما حييت كيف كانت تسهر عليَّ وتقلل من حدة سخونتي في ليالٍ كثيرة حينما كانت الحمى تجتاح جسدي.

كانت من منطقة قَرَداغ، ووحيدة والدتها، فارق والدها الدنيا في وقت مبكر، وكان لها خالان (سعيد وقادر) فخدمت جدتي ثلاثتهم.

إضافة إلى مهامها مثل نساء الحي، كانت تحلب أبقارنا ومواشينا ومعزنا التي كانت ترعى مع قطعان أصحاب البيوت التي تربي الأغنام في حي سَركاريز. ففي الدار التي ولدتُ فيها كانت تمخض اللَّبنَ وتشتق منه اللبن والشنينة والزبد، والجبن من المتبقي. كنتُ آخر عنقود العائلة، أنا وشقيقي وثلاث أخوات كنا في كنف ورعاية والدينا. وكانت لنا أيضا أخت غير شقيق، أحببناها كثيراً وما زلنا نغمرها بالود والتقدير.

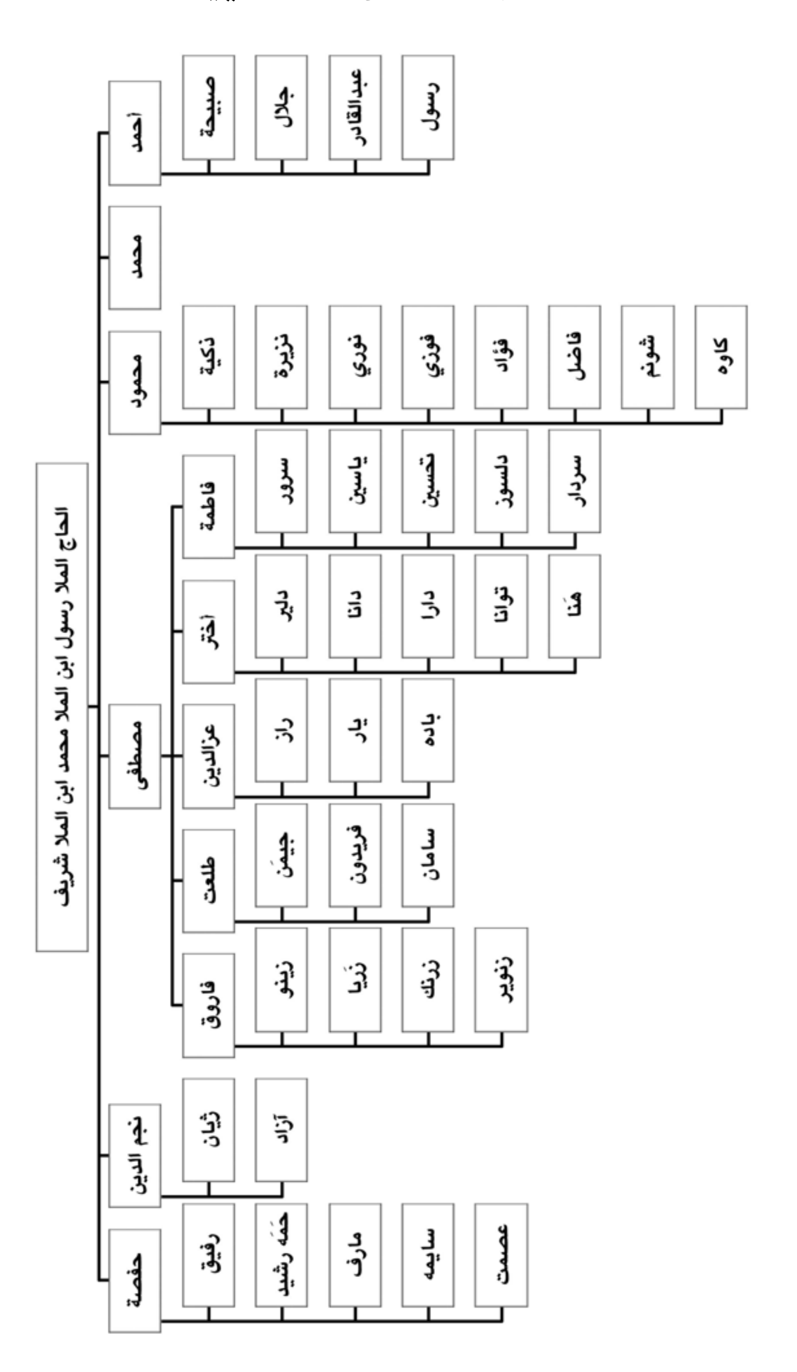
لا يمكن أن يفوتني الحديث عن والدة أمي (مريم صالح) إذ كنا ندعوها بـ(داده). ونزورها منذ الطفولة حتى رحيلها عن الدنيا، كانت تشنف أسماعنا بأحاديثها الممتعة ولم تستثنِ أحداً منا بهمزاتها وتعليقاتها الساخرة، كانت تذكر عيوبنا وتمزجها بكلام خفي و تُطلق على كل واحد منا اسماً خاصاً. عاشت (داده) مع خالي (أخ والدتي غير الشقيق) في دار رحبة، وكانت له بمثابة أم، وكنا نتزاور دائماً.

في اليوم ١٩٦٣/١٢/٩ حينما وافى الأجل والدي، تمرضت إثر ذلك فماتت حزنا عليه. في ذلك الوقت كانوا يقولون إن عمر جدتي يربو على ١٠٠ سنة. تمتعت بصحة عالية جداً إذ لم تستعمل الأدوية طوال حياتها. كانت بشرتها حمراء مع ميل إلى البياض. وعين شهلاء كانت تدعو أحدنا بـ(شينى)، وآخر بـ(بوره)، وثالثنا بـ(سەکەکە) أي الكلب، وعلانا بالغجري (قَرَج).. الخ.

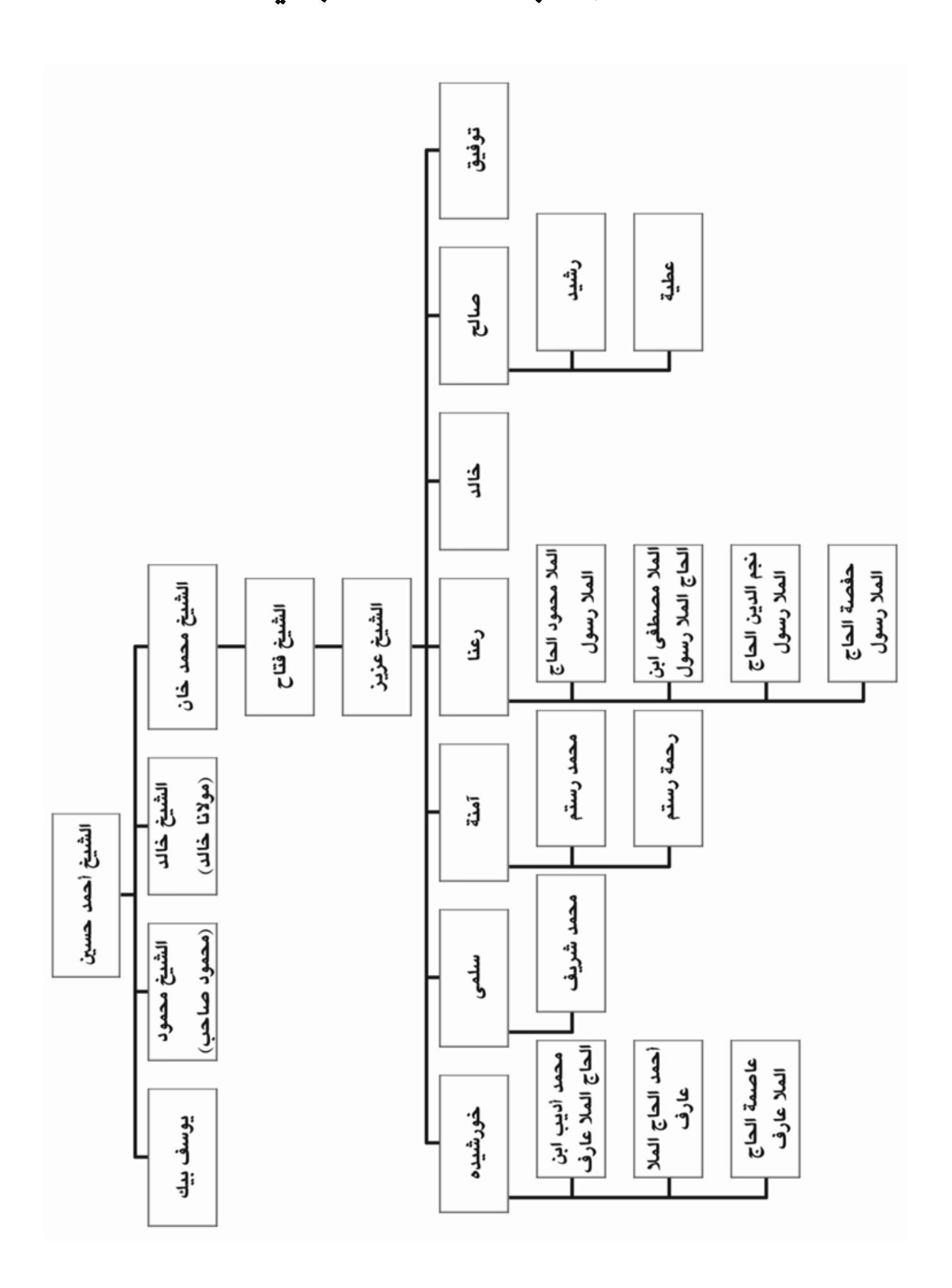


مريم صالح (داده) جدة فاروق ملا مصطفى من ابيه، ١٩٥٨

شجرة نسب أسرة الحاج ملا رسول ديليژه



حلة أسرتنا بمولانا خالد النقشبندي



بيت أبي...

بيت أبي، كل خطوة فيه لها معنى (المعمار المصري حسن فتحي)

ولدتُ في دار اشتملت على ثلاث غرف، قريبة من جامع الحاج الملا رسول ديليـژه وفيما بعد شملته المساحة المخصصة للشارع وأصبح الآن قسم منه فلكة نـالي. بعد وفاة الحاج الملا رسول ديليژه أصبح والـدي إماماً للجـامع المـذكور ومدرساً فيـه. لا أزال أتذكر، قبل أن أدخل المدرسة، قضينا في حـي دركـزين معظـم أوقاتنـا في اللعب مع أصدقائى. منذ ذلك الحين وحتى اجتيازنا مرحلة الإعدادية كنا نتجمـع أمـام دكـان (كاك كريم أسطا بستة) ليسرد لنا قصة وسيرة حياته، فكان يتحدث لنـا عـن حياتـه العسكرية وبطولاته في المباريات، أو يسخّر بعضنا للخدمة في المحل.

فيما مضى لم يكن حي دركزين كما يُرى اليوم، كان عبارة عـن شـارع طويـل يبـدأ من طريق قادم من اتجاه حلبجة ليصل إلى حي سركاريز ومـن هنـاك يميـل ليـؤدي إلى ساحة (أصحابَ سبي).

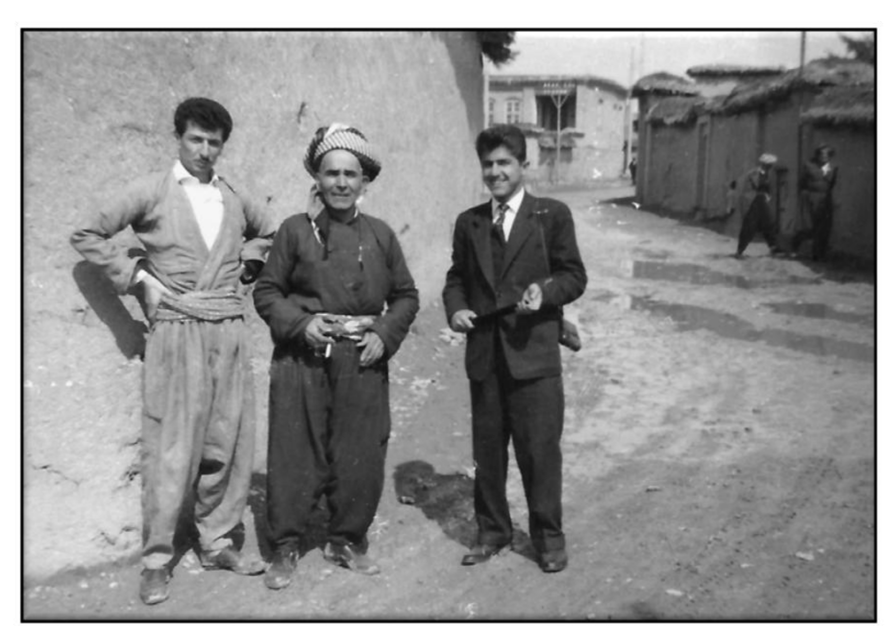
في تلك الأيام كانت حركة مُرور السيارات نادرة، بين فـترة وفـترة كنـا نـرى سـيارة، أو سـيارتين. ونفـرح بأشـياء ممتعـة صـغيرة في الحـي، أتـذكر عنـدما كانـت سـيارة البيكاب تأتي من هورامان إلى أسواق السـليمانية، وهـي محملـة بـالجوز، كنـا نلاحقهـا لنسقط مِن حملها حبات الجوز.

أما حركة السير التنقل بـين الأحيـاء والأزقـة فكانـت تـتم بعربـة يقودهـا حصـانان بدلاً من السيارات،. كان شخص أو أشخاص أو أفراد عائلة يركبون العربة وكـان سـعر الركـوب خمسـون فلسـاً علـى نحـو عـام. كـان الصـبيان ينتهـزون الفرصـة ويركبـون مؤخرة العربة الشائكة خفيـة عـن عـين الحـوذي الـذي كـان يحمـل بيـده سـوطاً مديـداً يرميه إلى الأمام ليحث به الحصانين، وبين حين وآخر يرميـه نحـو المـؤخرة ليفـرق بـه الصبيان ويطردهم.

استمرت صداقات الطفولة وتوطـدت في مرحلـة الدراسـة الابتدائيـة، وبقيـت صـلاتنا وطيدة حتى بعد ذلك. أتذكر منهم: فاروق شيخ محمد محوي، صـباح إبـراهيم سـنكر،

علي كاكه حَمَه، آزاد حَمَه ملا توفيق، عمر الحاج حسين، أنور اسطا أحمد حاجي سيف الله، جلال سنكر، علي صالح آغا، عبد الرحمن حاجي إبراهيم، نوزاد جلال أفندي، وكانوا يتزايدون، شكلنا شلة كاملة، نجلس ونذهب ونجيء معاً.

أتذكر، ذات مرة تشاجر أنور أسطا أحمد مع عمر حاجي حسين، كان أنور يحمل خنجراً بيده، وكنا نمسك أنور أسطا أحمد ونشده بقوة للحيلولة دون أن يطعن عمر حاجي حسين ويصيبه بجراح، غير أن عمر حاجي حسين كان يهتف ويصيح ويقول: دعوه، دعوه ليطعنني بخنجر خشبي! (لم نكن نعرف ان خنجره كان خشبيا)



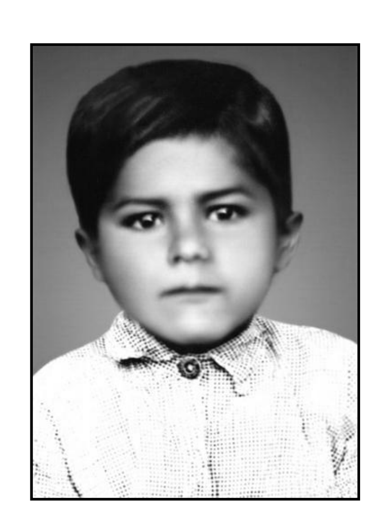
من اليمين: فاروق ملا مصطفى، كريم اسطا بسته، علي ملا عبدالله

حي دَركَزين، فلكة نالي، مقابل محل كريم اسطا بسته، ١٩٦١

بداية الدراسة

قبل أن تكتمل سني للقبول في المدرسة، دخلتُ كمستمع مدرسة (زهراء) الابتدائية للبنات، تخللتها ذكريات. ولفترة وجيزة أُدخِلتُ المدرسة التي خصصت لطلاب قضاء بنجوين النازحين إلى السليمانية بسبب الزلازل التي ضربت بنجوين، وَتَم فيما بعد تبديل اسمها إلى مدرسة (عبدالاله).

لا أنسى يومَ أكملت سنَ القبول في المدرسة، اصطحبني شقيقى الأكبر وذهبنا إلى محل صديقه المصور (رفيق محمود أفندي) فالتقط لي صورة فَقُبلتُ في الصف الأول في مدرسة الفيصلية وماتزال صور وملامح معلمي تلك السنة ومديرها وعدد كبير من طلاب صفي وباقي الصفوف ماثلة ومترسخة في ذهني وأمام عيني ومازلت حتى اليوم ملتزما مع بعضهم بوشائج الود والصداقة الحميمة.



فاروق ملا مصطفى
بدايات قبوله في المدرسة

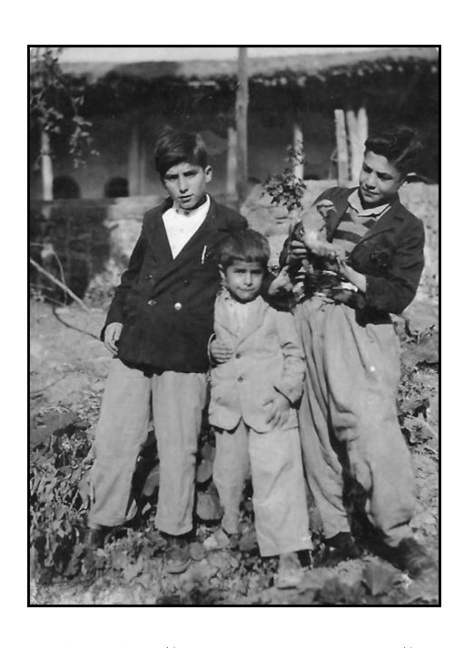
(الفيصلية) من أقدم المدارس الابتدائية في مدينة السليمانية[1].

دخلتُ العام ١٩٤٧ مدرسة الفيصلية، في تلك السنة كان الأستاذ (جلال محمد سيف الله) مدير المدرسة. سبقهُ بسنة الأستاذ (فؤاد رشيد بكر)، لكنه عُيِّنَ مشرفا تربويا في سَنَتي الدراسية الأولى من قبل (المعارف) التي تسمى الآن بمديرية التربية.

---

[1] تأسست هذه المدرسة في ١٩٣٣/١٠/١ باسم (الاولى) وفي العام ١٩٣٦ غيروا اسمها الى الفيصلية، وبقى اسمها على هذا النحو حتى ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨. (المؤلف)

كنت أدعو جلال أفندي بـ(كاكه جلال)[1] تقديراً مني لأواصر القرابة والصداقة المتينة بينه وبين والدي، ومع ذلك كان لا يغض الطرف عن مشاكستي ومشاكسة بعض أصدقائي من الطلبة، ففي تلك الحالات كان لا يحسب أي حساب لتلك القرابة. فعندما كان غضبه يفور كان لا يكف عن إشباع أصابعنا بالضرب الشديد، وفي الأكثر كان يصب جام غضبه عليّ وعلى أنور أسطا أحمد حاجي سيف الله ابن عمه بالذات، متوخيا في ذلك تأديب وتربية تلميذين مشاكسين يمتان إليه بصلة القربى!



من اليمين: رفيق محمود (رفيق الرسام)، فاروق ملا مصطفى، عزالدين مصطفى رسول، جامع الحاج ملا رسول، ١٩٤٧

ذات يوم ثارت ثائرته عليّ وعلى أنور، فقال: يخيل إليّ أن أميتكما أنتما الاثنين برصاصة واحدة فقال أنور: تقصد برصاصة ذلك المسدس المعطل الزناد؟ كان أنور يَدعي أنه على علم بأن كاكه جلال في حوزته في البيت مسدس مكسور الزناد!

وفي الصف الثاني، درسّنا الأستاذ محمد توفيق مادة اللغة العربية. اشتهر بـ (محمد حلاو) لأنه

---

[1] كاك أو كاكه كلمة كوردية تعني الأخ أو أخي. تُستعمل في النداء للتحبب واحترام المقابل المُنادى، حتى العربي العراقي يستعمل الكلمة بكثرة عندما يلتقي كورديا عراقيا. وتتكرر هذه الكلمة في هذا الكتاب بكثرة، آثرت عدم ترجمتها لأنها كلمة شائعة عند العراقيين جميعا. في السبعينيات التقيت أستاذا مصريا في جامعة السليمانية، قال لي: إنها كلمة محببة إلى نفسي لأنها تتقطر منها المحبة و الاحترام. (المترجم)

كان وحيد امه. كان رجلاً هادئاً ومطلعاً، راضياً جداً من تمكني في تلفظ وأداء اللغة العربية، ومع ذلك لم يمنحني درجة (١٠) قط بل إكتفى في كل مرة بمنحي تسع درجات. بعد انقضاء عشرات السنين عقدت الصدفةُ ميثاقَ القرابة بيننا، حينها أصبحت تلك الذكرى المتعلقة بالدرجة مبعث الاستهزاء والسخرية بيننا.

ودرسّنا في الصف الثالث معلم آخر مادة التأريخ اسمه عثمان أفندي، أي عثمان سعيد ملا عباس، ولي معه ذكريات. ومن معلمي الأستاذ حسين صالح آغا الذي كان رجلاً أريحيا مرحاً. بغية حثي وتشجيعي كان يناديني بـ(ابن الحي)، طابت ذكراهم جميعاً، هو الآخر كان طيبا وبارزاً في المدرسة. بدون أى إختبار رشحنى داود أفندي معلم الرياضة على مستوى المدرسة للاستعراض في لعبة (كرسي كرسي) إثر ذلك فزت بالمرتبة الأولى وحققتُ نجاحاً باهراً لمدرستنا.

أنني أبغي أن أسرد ذكريات تلك المرحلة كما هي، لأنها مرحلة مفعمة بذكريات ممتعة وملذة، خاصة سنوات المرحلة الابتدائية

كان الشاعر (شيركو بيكەس) من أصدقائي المحبين. تنطلق رحلة صداقتنا من المرحلة الدراسية الأولى، كما رواها هو مراراً في بعض ذكرياته، تعمقت علاقتنا، كنا من أصدقاء الحي، بعنا معاً الحلاوة والقِثاء وبقينا نصون تلك الصداقة النزيهة حتى فارق الحياة.

في العطلة الصيفية بين الصفين الثالث والرابع التحقنا أنا وشيركو بيكەس بحجرة (كتاتيب) الأستاذ الأديب (نجم الدين الملا)، درسنا في دار قديمة ذات طابقين، كائنة في (ساحة السراي) في الزقاق المجاور لـ(كاك حَمَه سعيد الخياط)، وتحل محلها الآن مكتبة السليمانية لصاحبها المرحوم كاك عمر.

ذات صباح مبكر، وقبل مجيء الطلاب اقترحتُ على شيركو فكرة مفادها أن نتسلق ذلك العمود السامق (لنعرف ماذا يفعل الأستاذ نجم الدين، حيث يقال إنه متزوج) صعدنا العمود وما إن وصلنا إلى حد رؤية الأيوان الأعلى حتى وجدناهما معاً هو وزوجته التي كانت تدعى (فاطمة) كانا للتو ينهضان من النوم، حين أبصرَنا استشاط غضباً فطاردنا نحو الزقاق ورشقنا بالسب والوعيد.

ولئلا يتـزاحم التلاميـذ علـى المغسـل والمرحـاض الموجـودين في الغرفـة الكائنـة في الطابق الأسفل، كان بإمكان التلميذ أن يصـل إليهمـا بعـد اجتيـاز عشـرين درجـة مـن درجات السُّلّم مسرعاً، بعد أن يعلق بحبل قطعـة مقـوى كُتـب علـى وجهيهـا (الـدخول، الخروج). علَّمَنا جميعا الالتـزام بالمعلومـة والملاحظـة الآتيـة، علـى التلميـذ الـذي يهـم بالذهاب إلى التواليت أن يُظهر الوجهَ المكتوب عليه (دخول) وحين يريـد الخـروج لابـد من إظهار الوجه المكتوب عليه (خروج)، كتب ذلك بخطه الواضـح والجميـل. ذات مـرة ذهب تلميذ إلى المرحاض وأظهر حسب الإرشادات وجهَ (الدخول)، فقمنا أنـا وشـيركو بقلب القطعة بشكل معكوس، وجاء آخر وذهب إلى المرحـاض وثبـت وجـه (الـدخول)، فوجد المرحاض مشغولا، وأعدنا الكرة وأظهرنـا الوجـه المعـاكس وأعـدناها لِمـن كـان يهم بالدخول. وما أن أتممنا اللعبة حتى تعإلى اللغـط والصـخب وازداد الزحـام. وحـين افتضحنا، جاء الأستاذ نجم الدين صـارخا علينـا بصـوته الـذكوري الأجـش وأمطَرَنـا بالسب وطَرَدنا شـر طـردة، فعـدنا بقلـوب مغمـورة بـالفرح والغبطـة إلى وسـط الأطفـال وساحة لعبة السلة وكرة القدم والعَدْوِ والألعاب الأخرى.

انتقالي إلى مدرسة الخالدية

كنا في الخامس الابتـدائي، ذات يـوم أردتُ أن أجتـاز بـاب المدرسـة فجـأة سـحبني (حَمَه دريز الفراش) أي (الفراش محمد الطويل) من يدي وقال لي "هيـا معـي، المـدير يريدك أنت" لما انتصبت أمام جلال أفندي المدير لاحظت أنه يريـد أن يلتـزم الهـدوء لكن عينيْه كانتا تتقدان شرراً "اجلـس" فجلسـتُ بـدوري ونزعـتُ علـى الفـور جـوربي وحذائي الذي بانتْ منه اثر تمزقه إصبع قدمي.

وكان ذلك إيذانا واشارة إلى الاستعداد لتلقي الضرب المبرح والفلقـة، لكـن جـلال أفنـدي قال لي في هدوء (لا تنزعهما) ثم سلمني مكتوباً تَضَمَنَ أمر نقلي إلى مدرسة الخالدية!

من جانب سـرني نقلـي إلى مدرسـة أخـرى، لكـن أشـياء أخـرى تبـادرت إلى ذهـني لتـثير لـواعجي! إن نقلـي يعـني تركـي جميـع الـذين صـادقتهم خمـس سـنين، أنـور

وشيركو وإسماعيل وكامل حاجي سعيد حلواجي وأكرم حاجي حملان ابن عمهم، وسوف أنضم إلى طلاب مدرسة جديدة لا أعرفهم.. حسناً لو ذهبتُ ترى بِمَ يعللون نقلي إلى الخالدية؟! وكيف أخبر والدي وماذا أقول له؟! تراءت أمام عيني صور أصدقائي في الفيصلية وودِنا واللعب في باحة وفِناء المدرسة.

كانت مدرسة الخالدية في دار المرحوم غني شالي جنوبي حي خانقاه باتجاه شيوي قازي (أي وادي القاضي)، لم تكن ذات مساحة كبيرة. حين وصلتُ مدرسة الخالدية دخلتُ أولاً غرفة يونس أفندي مدير المدرسة فقال لي "أنت ابن صديقنا الملا المصطفى ؟" فأدخل ذلك نوعاً من السكينة والفرح إلى قلبي فأجبتُ "نعم أفندم" فأجبته "يقول والدي إن مدرسة الخالدية في كل سنة تتفوق على جميع المدارس في امتحانات البكالوريا، وأنا الآن في المرحلة الخامسة فأريد أن استعد من الآن للمرحلة السادسة". فاستطاب المدير كلامي، لكنه بعد انقضاء يومين استدعاني قائلاً "لقد تبين لي أن المشاكسة وراء نقلك، فانزع حذاءك واستعد للضرب (بالفلقة)"، قلت "ليس الأمر على ما تظن يا حضرة المدير، لأن كاكه جلال مدير مدرستي السابقة من أقاربنا لكن ابنه كان يجيد الأعذار والحجج فتشاجرنا وضربنا بعضنا، فنقلني والده إلى هنا. أمهلني لأدوام أسبوعاً أو أسبوعين، لتعرف أنشيط ومجدّ أنا أم كسول؟ عاقل ومنتبه أم شقي؟" فتفضل قائلاً "كلامك طيب، ارجع الآن إلى صفك".

كان يونس أفندي تربوياً شهيراً، صادف أن كان أول امتحان شهري لنا في درس الجغرافيا، فمنحنى الأستاذ شيخ محمد سيد غفور درجه ممتازه فحصلتُ على ٨٩ درجة. طلبني المدير لأحضر في غرفته وقال لي "أحسنتَ، حقا كنتَ صادقا في كلامك".

بعد مضي يومين على هذا الحادث، زار جلال أفندي والدي، كان الوقت عصرا، وضعتُ أمامه الشاي، فأمسك يدي قائلاً "أَلَم تخبر والدك بأمر نقلك؟" فقال أبي "أي نقل، إلى أين وما السبب؟" حقاً إنني لم أتجاسر لأنقل الخبر إلى والدي. قال الأفندي " قبل أيام ضرب فاروق ابني نوزاد مرتين، في المدرسة ووقت العودة إلى

البيت، فَشجَ رأسه، ولم تسلم في الليل شبابيكنا من أثر مباغتاته وغاراته علينا، فارتأيت أن أنقله إلى الخالدية وهي من أرقى المدارس لئلا تزعلوا، وسأخبر يونس أفندي أن فاروقاً ابنك وقريبي كي يراعيه".

في بداية نقلي، حزّ افتراقي عن أصدقائي بشده في نفسي، غير أنني تآلفت في الصف السادس مع أصدقاء آخرين.

في المدرسة تعمقت صداقتي مع صديق الحي (سردار غني شالي)، ومازلنا صديقين أعزه كثيرا. وبدأت أواصر الصداقة تنمو بيني وبين المناضل الطيب (محمود كريم) في الصف السادس انتمينا معاً، إلى تنظيمات اتحاد الطلبة. سآتي على ذلك وأذكر استشهاده في العام ١٩٦٣.

وطرأت في مدرسة الخالدية تغييرات كثيرة على سلوكي وتصرفي، ابتعدتُ عن الشجار في الأزقة وتخليتُ عن المشاكسة، أمضيتُ معظم الأوقات مع محمود، كما كان شقيقي عز الدين، وشقيقه أحمد رفيقين في الحياة والدرب السياسي.

من أساتذة الخالدية الذين لا أنساهم أبدا، أذكر الأستاذ علي شيخ رشيد الذي كان مسؤولاً عن حانوت المدرسة، في كل يوم كانوا يعينون طالباً ليراقب الحانوت ويرتب أمور بيع الأكل والمشروبات الغازية (صودا، سيفون وعصير البرتقال..) والبقلاوه والقرطاسية وأشياء أخرى، مثل المبراة والممساح. كان سعر البقلاوه بعانة[١] (عملة أيام الإنتداب البريطاني) (أي أربعة فلوس). ذات يوم ناداني الأستاذ علي وعينني مراقباً للحانوت. وقتما دنا موعد تصفية الحسابات اليومية في نهاية الدرس السادس، أتذكر أنني كنت قد بعتُ في ذلك اليوم ٨١١ فلساً. فأمسك يدي وقادني نحو غرفة المدير يونس أفندي، فسأله المدير "ماذا جرى له، وأي ذنب ارتكبَ؟" فأجابه قائلاً "لا، لم يفعل شيئاً من هذا القبيل، أرى انه للمرة الأولى يحدث أن يظهر مراقب في الحانوت ويكون مورده اليومي معادلاً لِما يبيع، حتى أنه لَمْ يأكل البقلاوة المسموح بأكلها من قِبل المدرسة لمراقب الحانوت، ولم ينقص لديه فلس واحد!".

---

[١] آنه: عمله أيام الأنتداب البريطاني



من اليمين: فاروق ملا مصطفى، شَمال حكيم آغا، الأستاذ شيخ محمد سيد غفور، كمال غفور شالي - حديقة مدرسة الخالدية، ١٩٥٣

الأستاذ مصطفى حاجي قادر عربنجي من أحد أساتذتنا الآخرين الطيبين جعلني مراقبا على لعبة كرة المنضدة، ولايزال هو حيُ يرزق، ومع فارق العمر بيننا أعتز بصداقته. في الفترة الأخيرة روى لي "أن يونس أفندي في حينه كان يقول بيننا (هذا الطفل الصغير نُقل إلى مدرستنا مِن جراء المشاكسة)، وتقدمت في لعبة كرة المنضدة، لذا عينتك مراقباً لتنشغل في العطل وأوقات الاستراحة وَتُغيِّر أسلوب حياتك من النزق والمشاكسة إلى الهدوء والتروي والتعقل".

في المرحلة السادسة، كنتُ من القلائل الذين نجحوا واجتازوا المرحلة، بعكس السنوات السابقة تماماً. ففي ذلك العام لم يتجاوز في الدور الأول عدد الناجحين في اللغة العربية سبعة طلاب. في ذلك الزمن كنا نحفظ الإنشاء عن ظهر قلب وتوضع له أربعون درجة. القواعد والإملاء (٦٠) درجة. حُددت لنا (٣٣) قطعة أدبية في درس الإنشاء حفظتها كلها، لسوء الحظ لم يكن أي منها ضمن أسئلة الامتحان فحال ذلك دون نجاح معظمنا في الدور الأول، لكنني استطعتُ الإجابة والحصول على

درجة ممتازة، ومرد ذلك هو أن محيطي الثقافي في البيت وقف وراء تعلمي العربية على نحو جيد.

المرحلة الابتدائية فترة زمنية رائعة للصغار. الوضعية من ناحية العيش والتربية مختلفة الآن عما مضى، فيما مضى كان دخل ومورد الناس قليلاً. ففي السليمانية، كانت هناك دوائر حكومية قليلة كدائرة المعارف والانحصار (انحصار التبغ). لم تظهر وقتذاك معامل ومصانع متطورة في البلاد.

* * *

في تلك السنوات كانت مدينة السليمانية صغيرة قياساً بالوضع الحالي، كنا نذهب إلى المدرسة مشيا على الأقدام. أزياء عادية، معظم الناس من الطبقة الفقيرة. أغنياء قلائل جداً،كان آباء وأولياء الطلبة بشكل عام أصحاب دكاكين أو يعملون في التجارة أو الخياطة ونفر قليل منهم يعملون في سلك التعليم والدوائر الحكومية، نادراً ما ظهر بينهم مقاولون مثل المرحوم غني شالي، الأكثرية من الفقراء أو من ذوي الدخل المتوسط، إختلف أبناء الأثرياء عن أبناء الفقراء في الزي والملبس، في مدرسة الخالدية كان هنالك دوامان في اليوم (الأول صباحا والثاني بعد الظهر)، وكانت فترة الاستراحة بين الدرس الثاني والثالث أطول، يتخللها توزيع وجبة طعام، الخبز والحلاوة والبيض، على الطلبة الفقراء، كان مقدار الطعام قليلاً، قياساً إلى عدد الطلبة كما أصبح تحديد الطلبة الفقراء مبعث تذمر معظمنا وأدى ذلك إلى سوء العلاقة بين الطلبة.

اشتركتُ في بعض الاستعراضات الرياضية في المرحلة الابتدائية، في الفيصلية اشتركتُ في لعبة (كرسي كرسي)، كان لابد من أن تُختبرَ لتشترك، أتذكر قال داود أفندي "سيصبح فاروق منتخب الفيصلية في الكرسي كرسي دون أن يُختبر" وقد صدق ما قال.

قبل إعلان نتائج المباريات النهائية بقينا نحن (مدرسة الفيصلية) ومدرسة كويزه (گۆيژه) للفوز النهائي، أنا و(جمال عَبَه نازي) من مدرسة (كويژه) طيب

الله ذكره. بقينا أنا وهو ووصلنا النقطة النهائية، أراد جمال أن يجلس على الكرسي فسارعت إلى سحب الكرسي. اشتد الجدآل بين المحكمين على اختيار من يكون الفائز النهائي، فأنتخبتُ أنا، كان ذلك مكسبا كبيراً لي لأن الفائزين يُكن لهم الطلبة وأهل المدينة احتراماً فائقا، إذ كان الحضور لمشاهدة وإقامة المباريات الرياضية يعد بالمئات.

أهلي وأقاربي

لي أربعة أعمام: العم محمود والعم الملا أحمد والعم نجم الدين والعم محمد. فضلاً عن ذكرياتي مع أصدقائي الطلبة ليَ، ذكريات كثيرة مع أقاربي. عمي محمود كان رجلاً ذا كلام رقيق ويحفظ الأشعار، وكان أكبر من والدي، كان يفترض أن يتبوأ مكان ومركز جدي (الحاج الملا رسول) بدلاً من والدي، غير انه اختار التجارة والعمل الحر، وللأسف أخفق فيه ولَمْ يحالفه النجاح، كان لي رفقة طيبة مع أبنائه (نوري، فوزي، فؤاد) وزادت فيما بعد مع فاضل أصغرهم سناً، كنت وفوزي في صف واحد، وكان فؤاد يصغرنا بسنتين، وفاضل بسنوات، أما نوري فكان يكبرنا جميعاً. أمضيت الشطر الأكبر من طفولتي مع أبناء أعمامي وكبرنا معاً في حي واحد. انتقلوا إلى مكانين، في البدء كنتَ أتجه إليهم عبر رواق (برخانقاه) قريباً من جامع الشيخ مارف، وكانت مدرسة (زهراء) تقع في الجهة الأخرى، وبجوارهم منزل حَمَه شَمَيي – قربتنى الصداقة والجيره مع ابنيه، كنا نتزاور كثيراً مع أبناء أعمامي، خصوصاً في الليل، كنتُ أحيانا أبات ليلي في بيوتهم وبعد الظهر كنا نلعب مع ثلة من أصدقائنا الكرة الطائرة في الخرابة القريبة من منازلهم.

ربطت محبه متينه أفئدتنا، من بينهم المرحوم فؤاد، حتى مماته في العام ١٩٨٠ كا ن أكثرهم قرباً إلى، ترك موته أثراً كبيراً في نفسي، صورته ماثلة في ذهني وأمام عيني دوماً، ما إن أتذكره حتى يندفع معه يسر وعسر مِحَن الحياة وأيام نضالنا السياسي معاً.



من اليمين: د. عزالدين مصطفى رسول، ملا مصطفى صفوت، الحاج ملا أحمد ابن الحاج ملا رسول، فاروق ملا مصطفى، قادر ملا أحمد ابن الحاج ملا رسول، خانقين

إثر رحيل فؤاد واستشهاد ابن عمي (فاضل ملا محمود) الذي التحق مع الدكتور عبدالرحمن قاسملو بقافلة الشهداء عام ١٩٨٩، فقدتُ صديقين حميمين. كان فؤاد شاباً ديمقراطيا تقدمياً، بقي لحين مماته محتفظاً ببساطته حتى بعد أن أصبح مسؤول تنظيمات الاتحاد الوطني الكوردستاني في النمسا، تقدمى من حيث تفكيره ورؤاه السياسة، ورجل طيب المعشر وصادق في حياته الاجتماعية.

بدأت حياة أبناء أعمامي السياسية بانتمائهم بعد العام ١٩٥٨ إلى الحزب الديمقراطي الكوردستاني، لم يؤثر النضال واختلاف الانتماء السياسي سلباً في صداقتنا ورفقتنا ومازلت محتفظاً بودي الصادق مع ابناء أعمامي الآخرين الباقين على قيد الحياة، لاتزال الأواصر القوية قائمة ودائمة بيننا.

بعد عام ١٩٦٨ وانقلاب البعث وسيطرته على زمام الحكم، والذي سأتناوله لاحقا، أصبحت منازل نوري وفوزي ملاذا آمنا لي، اختفيت في بيتيهما بكثرة، وأحياناً آواني منزل والدهما وهكذا أمضيت أوقات كثيرة هناك. وكان مخبأ آخر لي في بيت صبيحة خان بنت عمي الملا أحمد. كانت أختاً مخلصة ليّ وأصبح الودّ والاحترام القائم بيننا مضرب المثل بين أبناء العائلة.

عمي الملا أحمد أكبر أعمامي، عاش في خانقين. كان إماماً ومدرساً وخطيباً في الجامع الكبير، أصبح مفتياً في خانقين منذ الفترة الأولى من ذهابه إلى هناك، وحتى وفاته كان يعتبر المرجعية الأولى للسنة. في هذه المدينة تعايش الشيعة والسنة، احتفظ عمي مفتي السنة وإمام الحسينية الشيعية بالأحترام المتبادل بينهما. حين توفي عمي شيَّعه كبار الشيعة حتى مثواه الأخير في السليمانية وأقاموا له مجلس الفاتحة والعزاء في حسينية خانقين.

كان لعمي الملا أحمد ابنان وبنت واحدة، ومات ابن آخر له وهو طفل يدعى (رسول).

يومَ قصفت طائرات الأنكليز مدينة السليمانية خلفت قنابل لم تتفجر، وحدث في حينه أن مدَّ كاك قادر الابن الأكبر لعمي في صغره يده إلى واحدة منها، فتفجرت وبترت إحدى يديه. نشأ منذ صغره واعياً وجسوراً، يندر أن ينشأ طفل لم يتلق تعليماً في المدرسة ثم يكبر ويغدو رجلاً كبيراً وقديراً في العلوم المختلفة، كالفيزياء والفلسفة والاقتصاد والأدب، قرض الشعر وذو صوت شجي عذب، كان يرسم رسومات وصوراً جميلة أخاذة ومذهلة.

كان شقيقه جلال يصغره بسنوات وكان مثالاً للصفاء والإخلاص ومحبوباً لدى أعضاء أسرة الحاج الملا رسول ديليژه، وافته المنية عام ٢٠٠٦. انتمى كلاهما إلى الحزب الشيوعي العراقي وصارا من مناضليه الأوفياء. ذاقا مرارة معتقلات بغداد والحلة ونقرة السلمان، علاوة على ذلك أمضى سنوات من عمره مكافحاً في جبال كوردستان. في ذلك الوقت كان جلال في قرية ديليژه وكان الوضع القاهر يقضي أن تكون وجبة الطعام عبارة عن الخبز الجاف والشنينة، يقال انه تندر ذات مرة وقال "نحن لا نشبع ولا يكفينا الخبز الجاف والشنينة، فنتناوله حتى نتعب" كانت صبيحة أختهم الوحيدة بمثابة الأخت الكبرى لنا جميعاً، امرأة جريئة وصامدة ومحترمة، تمرض ابنها فرياد ففارق الحياة، أما ابنها الثاني (هيوا) الذي كان طالباً في جامعة السليمانية أنذاك فقد استشهد في غارة جوية بقنابل النابالم ألقتها طائرات عراقية عام ١٩٧٤ على مدينة (قلعة دزه).

أما عمي الأخر نجم الدين الذي اختار لقب (ن. آري) لنفسه في الكتابة، فقد كان رجلاً علمانياً يقرض الشعر. توظف في دائرة الزراعة وأمضى حياته الوظيفية متنقلاً بين مدن السليمانية وكركوك ومدن أخرى. لم يتبق له من أطفاله الثمانية سوى (زيان) و (آزاد). كان آزاد يكبرني بسنة. كان عزيزاً على قلبي، لدينا رصيد سنوات مديدة زاخرة بالصداقة المتينة، لكنه ويا للأسف مات وهو شاب، أما (زيان) فقد وافاها الأجل لاحقاً. في زياراتي إلى كركوك كنت أمكثُ لفترة طويلة مدفوعا بمحبتي وودي لهم، خصوصاً محبتي الكثيرة لوالدهم الذي كان مثقفاً وشاعرا. ولم تكن الوالدة بالنسبة إلينا زوجة عم وحسب بل كانت تعاملنا معاملة عمة مشفقة طافحة بالعطف والحنان. والآن حينما أعود إلى كركوك تنثال في ذهني صور تلك الأحياء التي حوت بيتهم، حيث منطقة يسمونها (جايى) وتقابلها (قورية) في الجهة المقابلة. أقاموا لفترة في (القلعة)، وكان لنا في حينه بضعة أصدقاء تُركمان في كركوك، كنا نمضي معهم أياماً طويلة.

أما عمي محمد فقد وافته المنية في عز شبابه.

من أصدقائي الآخرين من بين أقاربي، أذكر أبناء (ملا رضا) وشقيقه كاك أحمد اللذين كانا مِن أبناء عمات والدي، كنا نحسبه عماً، وبعد أن رحل والدي عن الدنيا، ظلا من أقرب المقربين إلينا. بضعة من أبناء كاكه رضا كانوا أترابي، لاأزال احتفظ بعلاقتي مع ابنه الحاج فتاح. سكن حاجي فتاح وشيركو وبضع من أخواته وأخ أصغر منه في دار كائنة في حي (جوارباغ) مقابل دار (فقي رشيد قشان). وبسبب العلاقة الودية القائمة بين والدينا، صادقتُ فريدون فقي رشيد وعَقِب ذلك أقمت العلاقة مع شقيقهم فهمي، هم كانوا أصدقاء أيام المرحلة المتوسطة ولعبة كرة القدم. في المتوسطة أسسوا فريقاً لكرة القدم، إذا لم تخني الذاكرة كان اسمه فريق آكو، وعلى اثر صداقتي وصلة القربى مع بعضهم أصبحتُ عضواً في الفريق. حمل كاك أحمد شقيق ملا (رضا) الذي مات في السنوات الأخيرة، كل معانى الطيبه والسخاء، كلما عدتُ من بغداد كنت أزورهم، وأصبحت عزائم كاك أحمد مثل تقليد

مبرمج لي. (محمد) أكبر أولاده ألمَّ به مرض فمات في ربيع عمره. كنا ومحمد في سن واحدة، شاب محبوب في غاية الطيبة. كان أكرم أصغر منه يا للأسى مات في الأعوام الأخيرة. لن أنسى هؤلاء الأقارب والأصدقاء، خاصة أحاديثنا وجلساتنا الليلية. سآتي على ذكر أقاربي من جهة أمي.

خالي (الحاج قادر صالح) والد كل من علي وبكر و(كمال) المأسوف على شبابه. فُتح لي بيتهم أيضاً، أي دارهم الواقعه في تقاطع نالي، قبلهم أقام فيها جدي الحاج الملا رسول ديليژه. اشتراها خالي منه. دار واسعة بلغت ألف متر مربع، تتوسطها حديقة مليئة بالفواكه. جعلوا من بئرهم كهريزاً سموها (القصر) كنتَ تهبط إليها عبر سلم. بئر دافئة جداً إتسعت لمنام شخصين.

كان علي هو الابن الأكبر لخالي، مات قبل سنوات في ألمانيا. كان لاعباً في شبابه، أتذكر كان هو الفائز الأول كل سنة في الاستعراض في رياضة العدو لمسافة ١٥٠٠ متر. يليه في السن أبو بكر، كان يصغرني بسنة، كنا نلعب في فناء دارهم كرةَ القدم، ويليهما (كمال) الأصغر منهما، هو الآخر كان لاعبا رياضيا مهتماً برشاقة الأجسام. شاباً جميلا، وشيوعيا رغم حداثة سنه، ثلاثتهم التزموا بالفكر الشيوعي.

في سنوات اختفائي خدمني خالي وزوجته كثيراً، كانت نافذة غرفتهما تطل على الحي والشارع. خالتي امرأة حسنة، كانت الطيبة تتدفق من كلامها، شجعاني بطيبتهما للبقاء عندهما. روى لي خالي سيرة حياته العسكرية وذهابه بعد الحرب العالمية إلى (باكو) وعودته منها. إن حاجي قادر خال والدتي، لكن كان بينهما أخوة الرضاعة.

منذ زمن مبكر كنت أعمل مع بكر في صفوف اتحاد الطلبة، وأصبح بيتهم بمثابة مقر للحزب الشيوعي، عُقدت فيه اجتماعات إختفي فيه فارون من أعين السلطة، وعاد الفضل الي على الأبن الأكبر في تهيئة هذا الجو المضياف.

كان بيت خالي وعمي محمود قريبين من بعضهما، كان كمال نداً لفؤاد. بين زقاق بيت خالي وبيت عبدالله بيك ومسجد آبائي، وجنوباً في الزقاق القريب من بيت (حمَه

بَكَه كويره)، كنا نرمي الحبال ونلعب الكرة الطائرة، بلغ اللاعبون من أقاربي خمسة أو ستة لاعبين، ويشاركنا أيضا ستة لاعبين آخرين من أصدقائي، من الذين لا أنساهم هو (عبدول شيخ صالح) الذي كان في سن كمال، وَشارَكنا اللعب، وظل صديقا لي حتى مماته.

من أقاربي المقربين المقيمين في بغداد، أذكر بيت أديب عارف ابن عمة والدي، الضابط القديم الذي اشترك في ثورة الشيخ محمود الحفيد. زوجته بهية خانم سكنت في الموصل، امرأة خدوم تكن الحب والاحترام للأقارب، وتبدي حباً وتقديراً لي أكثر من كاك أديب. كان له ولدان وبنتان: حامد خريج كلية الحقوق، د. رافد كان طبيباً ماهراً وشهيراً في بغداد، د. سميرة طبيبة مختصة في أمراض النساء، زوجة الدكتور قتيبة الشيخ نوري، ومبجل آخرهم تخرجت في كلية التجارة ببغداد.حين زرت بغداد لأول مرة كنت في الصف الأول الابتدائي رافقت والديّ وحللنا ضيوفاً في بيت العم أديب.

في كِبري توطدت صلة قرابتي أكثر مع من بقوا أحياءً من أبنائهم وبناتهم، بنات وأبناء أديب الأربعة شيوعيون ومن الشخصيات الكبيرة والشهيرة في بغداد.

أسدى الدكتور رافد والدكتور قتيبة والدكتورة سميرة خدمات جليلة، طبية وغير طبية، إلى الناس، من منظور إنساني بعيداً عن الكسب المادي. أجروا عمليات كثيرة وكبيرة للمرضى، منهم مَن أخذتُهم إليهما بنفسي، فعالجوهم مجاناً.

إشتهر د. رافد و د. قتيبة في مجال الطب، والفن وأصبحا معروفَين في تلك السنين. إنهما من الشيوعيين الذين سيقوا مع مئات المناضلين في قطار سُميَ (بقطار الموت) إلى سجن نقرة السلمان في أعقاب انقلاب البعثيين عام ١٩٦٣ وصرفوا سنواتٍ من عمرهم هناك.

الجيران

في زمان طفولتنا كانت أواصر الجيرة قوية، كانت دار (مجيد أفندي سليم آغا) ملاصقة لدارنا، كان الأقرب منهم سنا إليّ هو (نزاد) الذي يكبرني بثلاث سنوات، شاب ذكي للغاية. بعد إكمال المرحلة الإعدادية سافر إلى لندن بغية مواصلة الدراسة

فحصل هناك على شهادة هندسة النفط. من أبناء مجيد أفندي لم يبق على قيد الحياة سوى (نزاد)، فيما مضى كان الجار يحسب له حساب صاحب البيت الأصلي، كان بيننا اختلاط كثير، كان الفاصل بيننا جدار واحد يوحدهما درج. رزق مجيد أفندي من (خَجاو) خان ببنت اسمها (أختر) ومن امرأته الثانية رزق ببنت تدعى (مليحة). تمتعت خَجاو الطيبة بحلاوة في الكلام. والتحق ابنا مجيد أفندي (كمال ونوري) بصفوف الجيش، وأصبحا ضابطين في الجيش العراقي، ومن المشاهير بين الوطنيين، ومنهم كامل و د. جوامير الذي أصبح رئيساً للجامعة التكنولوجية في بغداد، ثم صار ابنه (زولال) طياراً مدنياً.

ولي أيضاً ذكريات ممتعة مع جميع أفراد بيت (مجيد أفندي)، كان جل أبنائه شيوعيين. وفي الطرف الآخر لنا قابلنا بيت ملا رشيد، صادقتُ ابنه الوحيد عطا، الذي عُيّن موظفا في دائرة التربية.

أفعمت الحياة في تلك الأيام بنكهة رائعة. لجارنا شيخ كريم باسنيي من الأبناء عمر وعثمان وعبدالله وبكر وجلال، كانوا إخواني من الرِضاعة، أرضعتني أُمهم (كُولي) وطبقا للتقاليد أصبحتُ أخاً لهم بالرضاعة. حتى هذه اللحظة بقي عَبَه[1] (عبدالله) صديقاً نتمازح. في هذه السنوات مازحت عبدالله ذات مرة فقلت له: عَبَه، ياعَبَه أستحلفك بمثوى أمنا (خاتو كولي) أيّنا يتصف أكثر بصفات الحمير، أنا أم أنت؟ فأجابني: اللعنة على المال السخيف، أنت تملك أموالاً كثيرة ولا تملك عقلاً كعقلي أبدا!

وبقيت صديقاً لشيخ عثمان إلى أن وافاه الأجل إثر مرض مفاجئ ألمَّ به. أستطيع القول إنهم كانوا أثرياء، كان العم شيخ كريم يبيع الأقمشة، دارهم ماثلة للآن في ذهني وأمام عيني، عندما كنتَ تدلف إلى الداخل كنتَ تصادف المخبز. لا أنسى مادمت حياً، وقتما كانت والدتنا (خاتو كولي) توزع الطعام، وتصب لكل

---

[1] احيانا يختصر الكورد في محادثاتهم اليومية بعض الكلمات والأسماء الكوردية و العربية، فيقولون مثلاً، عَبَه بدلاً من عبدالله ، حَمَه بدلاً من محمد ، عَزَ بدلا من عزيز ... (المترجم)

منا في ماعونه، قائلة هذا لفلان وذاك لعلان وهكذا، واختارت لكل واحد منا اسماً خاصاً من عندها إضافة إلى اسمنا الأول.

حاذى بيت حاجي محمود بيتنا من الجهة الأخرى، يعني بيت والد ضابط الشرطة حَمَه رشيد أفندي. عائلة محبوبة، بخاصة (آمنة) خان زوجة المعاون حمه رشيد التي رحلت عن هذه الدنيا في السنوات الأخيرة، كانت امرأة جميلة وطريفة في كلامها، اختلطت كثيراً مع أخواتي. ساد الاختلاط في ذلك الزمن علاقات الأحياء، بخاصة حيّنا، بلا إذن وتحديد أي موعد كانوا يتزاورون ويتناولون الطعام معاً ويشربون الشاي.

ارتقى كاك حَمَه رشيد في حياته العسكرية ووصل إلى رتبة (مقدم) في الشرطة. من بين أبنائه الباقين المقيمين في خارج البلد أتذكر (جمال رشيد) الذي كان منذ صغره فنانا متقدما، وكذلك خالد رشيد الذي يمتلك صوتا عذبا، للأسف لا أراهما إلا في المناسبات. أتذكر، صادفتُ كاك حَمَه رشيد في مطعم ببغداد وعزمته. حين عودته إلى السليمانية قال لآمنة خان: فاروق أحسن من عزالدين؟ قصد شقيقي الأكبر عزالدين، فقالت له، وكيف؟ أجابها، إن فاروقاً التقانا صدفة في بغداد ودعانا لتناول الطعام. فقالت له آمنة خان، لكن عزالدين لم يكن هناك ما أدراك؟ فقال لها؟ لو كان عزالدين حاضرا هناك لما دفع حسابنا.

كان بيت العمة مريم مقابل بيتنا، كانت تدعى (مريم حسنلي، أي مريم حسن علي)، كان ابنها الوحيد يدعى (مولود) أفندي، موظفاً في مديرية التربية. من عاداته وشمائله الحلوة أنه كلما أخذوا اليه كتاباً يمزقه بعد قراءته على الفور، فكانوا يقولون له: لِمَ تمزق هذا الكتاب الرسمي؟ فيجيبهم "لو تضمنَ شيئاً هاماً فسيعقبه استفسار أو يرسلون في إثره ملحقاً، لا يسعني أن أجمع كل هذه الكتب المرسَلة!".

وفي الحي المقابل لنا كان هناك دار (فاطمة نوري)، يسكنها شقيقاه (حَمَه سعيد) و (محمد)، مع والدتهما (شمسه) خان، بجوارهم بيت كاك (حَمَه باقي)، وكان له أبناء في غاية الطيبة، (أحمد) و (محمود) و (حَمَه ي حَمَه باقي)، وهو كاتب وشاعر مشهور، يليهما (عبدول) و (نجاة) إذ نشأ بيننا صداقة متينة.

لذكرى تلك الأيام المنقضية معهم طابع خاص ونادر. العلاقات الاجتماعية لم تبق على حالها. في الجانب الآخر كان هناك بيت (حاجي فرج بلاوخور)، زوجته (شمسه) خان كانت مثل ملكة الحي. كنت التقيها كل يوم. بجوارهم كان بيت (صابر كويخا سعيد).

كان والدي شخصية معروفة وله منزلة دينية واجتماعية، كان أهل الحي جميعهم يصادقونه ويكنون له الحب والاحترام ويزورون بيتنا، رجالهم ونساؤهم، هذه آمنة خان زوجة محمد رشيد أفندي، وهناك (لَعلي) خان زوجة اسطا حسن، وفي الجهة المقابلة العمة (آسكه) والدة (حَمَهى حَمَه باقي)، (شمسه) ثم فاطمة نوري، وفي طرف آخر بيت (محمد رشيد ملا علي) كان ابنه دلشاد أصغر منا، الآن يُعد من أصدقائي المقربين، وهو عديلي. كنا أصدقاء ومعارف، شاطرنا السراء والضراء. خلفنا كان بيت (أحمد شَشويي)، كنت أصادقُ أبناءه الثلاثة، حسين وخالد وبرهان. كنا نعرف بعضنا البعض، من أقصى الحي إلى أقصاه. باتجاه جنوبهم كان هناك بيت اسطا محي الدين (محَه ي دكل) كان ابنه جلال في سننا. (سعاد) زوجة (قادر اسطا محي الدين) رحمها الله كانت من أجمل نساء الحي وأحلاهن كلاماً. بجانبهم كان بيت (استاذ جمال) ابن مجيد أفندي سليم آغا، كانت زوجته (بخشان) من أقاربنا. يلي ذلك بيت اسطا (غفور سعيد جَمَه) كانوا يلقبون ابنه عثمان ب(عثمان اسطا غفور)، كانوا بجوار بيت الدكتور جمال والدكتور فؤاد مجيد. مقابلهم بيت أحمد فهمي، والد الشهيد جلال أحمد فهمي الضابط الشيوعي الذي استشهد عام ١٩٦٣، ومن أبنائه صلاح وجالاك ولاوجاك.

غدا عثمان اسطا غفور مثالاً للسكر والثمالة في تلك السنوات، عند أوبته مساءً إلى البيت وهو ثَمِل كان يبحث عن ذريعة ليتشاجر مع بيت أحمد فهمي، وكانوا كلهم ضباطاً في الجيش أو في سلك الشرطة، رجال أقوياء، لم يكن شجارهم يدوم، سرعان ماكان الجيران يتدخلون ويرأبون الصدع ويرتقون الفتق ويخمدون النار.

في بيت مجيد بيك إقتدينا بكاك فؤاد مثالاً كبيراً لنا، شاب شيوعي ومثقف ذو شخصية ممتازة. الأخ سامال كان شخصاً معروفاً، أما (شَمال) فكان من أترابي

وأصغر منهم، يحمل الآن شهادة الدكتوراه. من هذا الطرف كنتَ تجد بيت رشيد أفندي والد االطبيب المشهور جمال رشيد — والذي أسْميتُ إحدى قاعات مشفاي باسمه (قاعة الدكتور جمال رشيد) تقديرا لمكانته وخدماته الجليلة —. في وقته لم يتجاوز عدد الأطباء في السليمانية طبيبين أو ثلاثة أطباء، قدم هو بمفرده خدمات جليلة، ويذهب ليلا ونهاراً إلى المستشفى بغية إجراء عمليات للمرضى. وشكلّ الإخوان نامق وفكري والطيار المعروف برقي بقية أعضاء تلك الأسرة. شمالاً وفي أعلى الحي كنتَ تجد بيت الأخ حسن و(لَعلي) خان وبيت (عَبَه دلاك) أي (عبدالله الحلاق)، واستأجر الشاعر فائق بيكه‌س والد الشاعر شيركو بيكه‌س غرفاً من كاك حسن. بعدهم كنت تجد بيت اسطا (قادر جايجي)، نحن أصدقاء الحي ما زلنا نردد نوادر تلك الأيام، ونلتذ بها بدون أن تنفد. ولا أنسى أسطا محي الدين التنكجي وأولاده الأحبة.

هذه هي صورة مصغرة لذلك الحي الذي أبصرتُ فيه النور.

في أعقاب نكسة ١٩٧٥ وعودتنا، بعتُ تلك الدار المفعمة بالذكريات، واستأجرنا داراً لإدامة الحياة والشروع في إيجاد عمل جديد، كنتُ بحاجة إلى مقدار من المال، هذا هو الدافع الكامن وراء اتخاذ هذا القرار، سأذكر ذلك فيما بعد.

المرحلة المتوسطة

أكملت دراستي الابتدائية في العام ١٩٥٣ ودخلت (ثانوية السليمانية) التي كانت الثانوية الوحيدة في تلك السنة، واحتوت المرحلتين المتوسطة والإعدادية. لمدة قصيرة داومنا هناك في الصف الأول، بعدئذ أُسست مدرسة للمرحلة المتوسطة في منطقة (برخانقاه) وكانت في دار (عمر أفندي سام آغا). وبناء على طلب بعضنا ورغبة إدارة المدرسة أيضاً نُقِلنا إلى هذه المتوسطة الجديدة (متوسطة السليمانية). سرني ذلك لأن هذه المدرسة كانت قريبة من دارنا الكائنة في دركزين في حي سركاريز. حين دخلت المتوسطة انضممت رسمياً إلى الأتحاد العام لطلبة العراق الذي كان جزءاً من الحزب الشيوعي العراقي، أو كان ينتهج نهجه. كانت أدبيات اتحاد الطلبة وأدبيات الحزب الشيوعي تصلنا معاً في آن واحد.

في ذلك الحين كان يصُدر منشوران هامان: جريدة (القاعدة) باللغة العربية للحزب الشيوعي العراقي وصحيفة (ئازادي أي الحرية) لفرع الحزب في كوردستان. سبق أن قلت كنا أنا ومحمود كريم[١] في الصف السادس الابتدائي قد انخرطنا في صفوف اتحاد الطلبة. (عباس ملا قادر نانهوا) صديقي العزيز كان مسؤولنا في المرحلة الأولى من المتوسطة. شكلت لجنة للصف فصرتُ عضواً فيها. كنت أنظم خليتين: الأولى ضَمَّت كلاً من أصدقائي الأعزاء، ماجد أحمد عزيز آغا، أي دكتور ماجد، وسردار بهاء الدين وهو الآن متقاعد برتبة (فريق ركن)، والشهيد عزت رشيد الذي أعدم في العام ١٩٦٣ بسبب مواقفه الوطنية. أما الخلية الأخرى فضمت (بكر محمد أمين كويرەكانى)، للأسف مات غرقاً في فيضان مع باقي ركاب حافلة متجهة نحو بغداد، قريباً من قضاء طوزخورماتو، وعزت رشيد عبدالقادر، وحيدر صديق النقاش وعزت عبد الفتاح.



الشهيد محمود كريم، فاروق ملا مصطفى - الحديقة العامة، مدينة السليمانية

---

[١] في ١٩٦٣ كان محمود في الجيش برتبة ضابط (احتياط). استشهد على يد ضابط بعثي.

في ١٩٥٣–١٩٥٤ ازدهرت وتطورت الحركة الوطنية بشكل عام. فقد إنتمى جميع طلاب الصف الأول إلى الأتحاد العام للطلبة، ما عدا أثنين أو ثلاثة منهم. برز من بين الرفاق الآخرين في المتوسطة والصفوف الأخرى طلاب نشطون، منهم مسؤولنا (أنور عبدالرحمن گورون)، وحاليا هو طبيب. لفترة كنا أنا والشهيد طاهر علي والي بك، وحَمَه لاو حاجي علي كبابجي، في لجنة أشرف عليها أنور عبدالرحمن. تلك السنوات الغابرة زاخرة بأحلى الذكريات. نقاش وجدال متواصل وحراك منظم في صفوف الاتحاد.

إضافة إلى أنور عبد الرحمن وحسين عارف، البارزين جداً في متوسطة السليمانية، برز علي حاجي قادر، وأنور عزت نجيب، وكمال مصطفى قادر، الذي أصبح حاكما فيما بعد. عَقب تخرجهم في المتوسطة، حلَّ كل من محمد فتاح وفائق صالح محلهما. كان فرج أحمد يفوق طلاب السليمانية نشاطا وحراكا.

حينما كنت في الصف الثاني، صدر أمر يقضي باعتقال حسين عارف، كان هو الآخر في لجنة المدرسة ففر واختفى عن الأنظار.

ذات يوم ذهبتُ إلى المستشفى، وكان وقت الذهاب إلى مستشفى الطلبة في استراحة الدرس الثاني، ولئلا يسجل علينا غياب في درسين، حيث كنا نقطع المسافة إلى المستشفى البعيدة سيراً على الأقدام، فكانوا يمنحوننا إستمارة رسمية كي نزور المركز الصحي للطلاب في مستشفى المعارف.

ذات مرة كنتُ أتمشى في شارع كاوه، فجأة أبصرت رهطاً من الشرطة يتجمهرون أمام دكان النجار رؤوف ملا عبدالله، الذي كان يمت إلينا بصلة القرابة فثبت لنا أنهم يتعقبون أثر رؤوف، كان أحدهم من رجال الأمن، وقد ذاعت سمعته السيئة بين أهل المدينة، لذا صعدتُ باتجاه محلة القزازين بدلاً من زيارة المستشفى، لأخبر بيتهم هناك بما يجري، خرجت حسيبة خان أخت كاك رؤوف، سرعان مانقلتُ إليهم الخبر ووجدتُ حسين عارف يختفي هناك، فارتدى بسرعة حذاءه وقال لي "هيا أسرع وحاول أن تجد لي ابن خالك علي" كان يقصد علي حاجي قادر،

فقلت له "لا يحتاج" الأمر إليه، لأرافقك أنا الآن إلى بيت خالي، فإصطحبته إلى هناك ثم ذهبتُ لأجد ابن خالي وأخبره بما جرى.

لفترة مكث حسين عارف هناك مختفياً عن الأنظار، وفي تلك الأوقات كانت تُنظمُ سفرات سياسية هامة إلى (جقلاوه)، من قِبل أعضاء اتحاد الطلبة، وتُعقد فيها اجتماعات الحزب الشيوعي هناك، كان الأخ حسين عارف يلقي خطاباته المستفيضة ارتجالاً.خطابات سياسية ينمقها بعبارات جميلة براقة نالت إعجابنا، وكنا نصفق له تصفيقا هادراً، رغم صغر سنه إلا انه أصبح شخصية كبيرة بين الطلبة والحركة السياسة في مدينة السليمانية.



من اليمين: عبدالرحمن حكيم، حسين عارف، محمد عزيز، فاروق ملا مصطفى، عثمان آسنكَر، فرج أحمد، جمال خميس، عباس ملا قادر، أنور عثمان
السليمانية - جقلاوة، ١٩٥٤

في فترة متوسطة السليمانية، رُتبت سفرات كثيرة سياسية إلى (جقلاوة) عند نهر تانجرو وكذلك إلى (مشير آوا). في إحدى تلك السفرات حضر الشهيد رشدي أحمد بيك[١] الذي كان وقتذاك طالباً جامعياً في بغداد، كان يخطب أمام الحضور. في بداية الأمر لم أعرفه، ثم تبين أنه رشدي بعينه فتوطدت علاقاتنا بشكل متواصل.

في مرحلة الدراسة تلك كنا نكتب بياناتِنا بخط اليد، وما كان يُكتَبُ من قِبلنا يُنشر في (ثانوية السليمانية) ويُعلق على الجدران كيلا نُعرف من خلال خطنا، ويكشف أمرنا عند إدارة المدرسة ودوائر الأمن والشرطة. كنتُ عضواً رئيساً لكتابة البيانات التي كانت تكتب في بيت أنور عبد الرحمن گورون، سمح له والده الطيب أن يستخدم بيته لنشاطات الحزب. كانت كتابتها تستغرق ساعات عدة حتى نكتب البيان بقلم القوبيا ونضع بين الأوراق (ورق الكاربون) ونكتبه بقلم أزرق (قلم كوبي) بغية استزادة النسخ.

في الصف الثالث، تم إلقاء القبض على أنور، وأُودع في سجن السليمانية. أناط بي الحزب أن أرافق أهله إلى السجن وأسلمه رسالة.

من أصدقائي الآخرين في المدرسة: محمد فتاح، وفائق صالح، وعبدالرحمن حكيم، وحسن حسين، وكانوا نشطاء في اتحاد الطلبة. ذكريات تلك السنوات كثيرة. لكونها مرحلة هامة في حياتي، بدءاً من المشاركة في الإضرابات والتظاهرات ضد الحكومة وصولاً إلى قراءة الكتب السياسة. شكلت الحركة الطلابية جزءاً هاماً من الحركة الوطنية. أتذكر بوضوح يومَ كنت في الصف الأول المتوسط في متوسطة

---

[١] د. رشدي (توفيق رشدي أحمد بيك) من مواليد مدينة السليمانية ١٩٢٧. حين جاء الى السليمانية بغية الإشراف على ذلك الاجتماع، كان طالباً في كلية الأداب – جامعة بغداد. طورد واعتقل مراراً بسبب نشاطه في الحزب الشيوعي، في معتقل (الكوت) جرح برصاصات حراس المعتقل – بعد ثورة تموز (١٤ تموز ١٩٥٨) قصد موسكو ونال هناك الدكتوراه في الفلسفة، ودرسّ في جامعات العراق وليبيا، ثم درَّس في كلية التربية/ جامعة (عدن). في ١٩٧٩/٦/٢ استشهد في حادث إرهابي من قبل مصاصي الدماء وعملاء البعث العراقي.

السليمانية أصبحتُ عضواً للجنة الصف، إنخرط معظم طلاب الصف في صفوف (الأتحاد العام لطلبة العراق)، في تلك السنة كان اتحاد طلبة كوردستان ضعيفاً ولم يشتد عوده ولم يكن آنذاك في كوردستان تنظيم طلابي غير هذين الاتحادين. وكان في الساحة السياسية الحزبان، الشيوعي العراقي والحزب الديمقراطي الكوردستاني. كانت علاقاتهما جيدة، ففي انتخابات مجلس النواب العراقي تضامَنا معاً وشَكلا (الجبهة الوطنية)، لا أحد ينسى الشعارات التي كَتبت على جدران السليمانية: انتخِبوا ابراهيم أحمد و معروف برزنجي.

وكانت التحركات السياسية في تلك السنوات في تصاعد وهبوط ويعزى ذلك إلى توفر قسط من الحرية في بعض الأحايين، وسياسة القمع والاعتقالات وطرد الطلبة من الدوام المدرسي من جانب آخر.

في السنوات تلك استشهد (بكر الخياط)، أحد أعضاء الحزب الشيوعي، برصاص الشرطة في احدي التظاهرات، حدث هذا في وقت لم يشتد الحراك السياسي ولم يبلغ حداً يشكل مخاطر ضد الحكومة، علاوة على ذلك إتخذت التظاهرات مساراً سلمياً بعيداً عن أسلوب العنف والتشنج، ومورس الإرهاب في السجون والمعتقلات الخاصة بأبناء العراق وكوردستان الشجعان، فتعرضوا للضرب والاعتداء واستشهد منهم الكثير.. أعرض هذه الحقيقة أمام أنظار بعض الكتاب والمؤرخين الذين يكيلون المديح لرؤساء الحكومة الملكية في العراق لأغراض مختلفة.

الشيخ محمود الخالد..
اللون الماثل أمام عيني والصوت الحاضر أبداً في أذني

بين سنوات ١٩٥٣–١٩٥٦، رافقتُ والدي مرة أو مرتين في السنة، في زياراته إلى الشيخ الخالد. كنتُ في المتوسطة، وكان والدي صديقاً محبباً وقريباً إلى الشيخ محمود، وعلاقاتهما حلقة في سلسلة تبدأ من الأجداد والأسلاف وتمتد إلى الأبناء والأحفاد. كان جدي الحاج ملا رسول من حيث سلوك الطريقة أول خليفة من خلفاء كاك أحمد الشيخ جد الشيخ محمود. يقال إن الشيخ وقتما أصبح ملكا لكوردستان، طلب من الحاج ملا رسول أن يصبح وزيراً للعدل، لكنه أبى ذلك.

وَسُجل في التاريخ أن الحاج ملا رسول انتزع لأول مرة راية الإنكليز المنصوبة فوق سراي السليمانية ورماها على الأرض ورفع في مكانها راية حكومة كوردستان، يوم تم إعلان تنصيب الشيخ محمود ملكا لكوردستان. كنا نذهب مراراً من السليمانية إلى قرية داريكَلي (داري كەلی) التي كانت بمثابة عاصمة الشيخ محمود في أنظار الناس. مرات عده كنا نمتطي صهوة الحصان ونذهب إلى داريكَلي، اعتدنا أن نذهب في صيف كل سنة إلى قريتنا (ديليژه) لقضاء العطلة هناك وراق ذلك كثيراً لوالدي.

في معظم تلك الزيارات من ديليژه إلى داريكَلى، رافق الشيخ رفيق شيخ عارف، ابن أخت والدي، وعمه الشيخ كريم. في ذلك العهد كان الطعام يوضع على الصينية بدلاً من الخوان المفروش، صينية واحدة لثلاثة أشخاص. في تلك المرات كنا، الشيخ، ووالدي، وأنا، نتناول الطعام على صينية نحاسية بيضاء جميلة مزودة بصحون وملاعق فضية جميلة، كان الشيخ رجلاً متواضعاً لا يتعالى ولا يتباهى، ولا يخفي أنه كان شاعراً بشوشاً طيب المعشر. كما كان والدي عالماً وشاعراً، وعليه أحبا مجالسة البعض ليتجاذبا أطراف الحديث، يتمحور ليلاً ونهاراً حول الكورد والتاريخ والشعر والأدب والعلوم الدينية.

كان الشيخ يحلو له أن يحادثني ويصغي إلى أسئلتي. وأنا بدوري كنت طفلاً محباً لطرح الأسئلة والاستزادة من معرفة الآخرين حول ما كنت أجهله وأطمح إلى تعلمه.

لا أنسى ما حييتُ نصائحه وتقييمه لي، إذ خاطب والدي قائلاً له: فاروق عاقل، يا ملا مصطفى.. لا يكذب أبداً. عُرف عن الشيخ انه كان ماهراً ودقيقا في علم الفراسة. أخذتُ بنصيحته وأفدتُ منها في حياتي. أراني الشيخُ سيفاً نُقِشت عليه آيات قرآنية بالذهب، إذ تفضل قائلاً هذا السيف يعود إلى أيام زيارة السلطان سليم، أو سليمان القانوني منطقة كوردستان، لم يبق واضحاً في ذهني، أيهما يقصد تماماً، فقلت له: ربما تناقلته الأيدي إلى أن وصل إليكم. كان الشيخ حلو الحديث ورقيقه، فقال لي كلا، أخطأت ولم تكن مصيباً في هذا، معلوم سرقوه منه هنا في هذه الأطراف والربوع!

وأراني صخرة كبيرة وضعت في أسفل الإيوان العالي لمضيفه، صخرة مطعمة بصورة القمر ونجمة منقوشة، تعود إلى عصور سحيقة جداً، مثلما سمعت ذلك منه، وبدا انه كشاعر ومثقف يهوى التراث والآثار القديمة، وهذا يُظهر أن فهم الشيخ محمود ورؤيته إزاء العالم والحياة ترتقي إلى فهم ومستوى قائد ورجل عظيم.

وقتذاك كان في حوزتي كاميرا من نوع الكوداك تتسع لالتقاط ثماني صور رغبت ووردت أن التقط صورة مع هذا الرجل الكبير، وفي إحدى زياراتنا له، أخذت الكاميرا معي. قلت له: هل يمكنني التقاط صورة معكم؟ فقال: ولِمَ لا، ولكنْ ليس على هذه الشاكلة.. أنت تعرف انني كنت في يوم من الأيام ملكاً لكوردستان. أملك سروالاً و(ستارخانياً)[١] أجمل بكثير من هذا الزي، سأرتديه. ثم جلبوا مِغسلاً صغيراً وإبريقاً فتوضأ الشيخ محمود، وعقب الانتهاء من الصلاة، ألتقطنا صوراً عدة بملابسه الجديدة. يغمرني الأسى والحسرة لضياع تلك الصور وفقدانها بسبب اختفائي وتنقلاتي وأحداث السنوات اللاحقة.

في كل زيارة كان الشيخ الخالد يوجه إليّ أسئلة عدة، ربما أراد أن يختبر بذلك كيف يفكر الجيل الجديد وأنا واحد منهم. ذات مرة سألني: يا فاروق تعقبتُ أخبارَ شقيقك عزالدين فأخبروني أنه هو الآخر في ديليژه فَلمَ لَمْ يزرني؟.. احترت ولَم أعرف

---

[١] ستارخانى: نوع من الأزياء الكورديه للرجال. (المترجم)

كيف أجيبه، تريثت قليلاً لكنه استمر في كلامه وقال: إنه شيوعي، قد يعتبرني إقطاعياً لذا لم يأتِ، قلت: ولكن يفترض أن يَكنَّ الشيوعيون الحب لكم، لأن الطرفَين يعاديان الظلم والحكم الملكي العراقي والأنكليز!

فابتسم الشيخ الكبير وقال لي إنك عاقل، فانقلْ إليهم قولك هذا. حين قفلنا راجعين إلى ديليژه، رويتُ مادار بيننا لأخي عزالدين، تأثر كثيراً، لأنه كان يكن حبا جماً للشيخ الكبير، وكان مبعث سروره مادار في الكونفرنس الثاني للحزب الشيوعي العراقي في العام ١٩٥٦، اذ تم تثمين نضال الشيخ محمود وهو على قيد الحياة، وقُيّمَ كبطل وطني، ولإضافة معلومة إلى سجل التاريخ، أقول كانت (داريكَلي) مقر إقامة الشيخ مأوى الشيوعيين والوطنيين الملاحَقين، من جانب آخر كان الشيخ يفرح ويعتز بفنانين أمثال حَمَه صالح ديلان، وحَمَهى بكر، وآخرين إذ كانوا لا ينقطعون عن التردد عليه، وكذلك رجل مثل محمود أحمد الشيوعي الملاحَق من قبل السلطات الحكومية إذ كان ضيفاً مقرباً إلى الشيخ فأحاطه بالتقدير والاحترام.

بعد فترة مَرضَ الشيخ، فنُقِلَ بهذه الحالة إلى بغداد، وفي التاسع من شهر تشرين الأول – عام ١٩٥٦ توقف قلبه الطاهر الكبير عن الخفقان وتوفي في المستشفى. أثناء عودة جنازته وتشييع ونقل جثمانه استقبله جمهور غفير في مدخل السليمانية، قائداً عظيماً وتاريخياً للشعب.

نُظمت تظاهرة كبيرة لاقتحام سجن السليمانية، وإطلاق سراح الشيخ لطيف ابن الشيخ محمود، الذي حال بقاؤه في السجن دون حضوره وملازمة أبيه في حالة مرضه واحتضاره ووفاته، كي يحظى هذه المرة بالحضور في مراسم دفن هذا الأسد الذي كان ملكاً لكوردستان في زمن ما، فواجهت الحكومة المتظاهرين بالقتل وشن الهجمات عليهم. في ذلك الأوان كنت طالباً في المتوسطة واشتركت في تلك المظاهرة، ورأيت بأم عيني الشهيدة (أختر) زوجة المطرب المعروف (رشول) وهي ترتدي زياً كوردياً وتَلفُ رأسَها بعِصابة جميلة، فأصيبت برشقات نارية من فوهات بنادق قوات الشرطة، ولقت حتفها وهي تحنو على نعش القائد التاريخي الشيخ

محمود الحفيد، فاخترقت بضع رصاصات النعش والجسد المسجى فيه.

أشرف عمر علي بصورة مباشرة على التصدي للمظاهرة وتفريق المتظاهرين، وكان ضابطاً كبيراً في الجيش العراقي، وصاحب أفكار طورانية ضد الكورد وتم تنصيبه متصرفاً للسليمانية.

في وقت متأخر من الليل عاد أبي إلى البيت، قال لقد دَفَنا الشيخ، كان الدم يسيل من جسده الممدد على منضدة الكفن، روى والدي ذلك واغرورقت عيناه بالدموع.

من المشتركين في التظاهرة يحضرني اسم، فرج أحمد، و قادر و جلال ميرزا كريم، وكمال سلمان، و أنور عثمان.

في المتوسطة بعيداً عن السياسة

لم يكن عدد اساتذتنا في متوسطة السليمانية كثيرا، كان الأستاذ عزيز محمد معلماً مخلصاً يداوم في مدرسة ابتدائية ويدرّس الرياضة، فنُقِل لمهاراته وقدراته إلى المتوسطة. كان يأخذنا إلى ساحة (هومَرمَندان) لنلعب كرة القدم، إضافة إلى الرياضة، درسَّنا مواد التاريخ والجغرافيا واللغة الإنكليزية. أثناء انهماكه في درس اللغة الإنكليزية كان يستعمل كلمات (either or) و (neither nor)، بكثرة مما كان يؤدي إلى إثارة ضحكنا وفقدان السيطرة على أنفسنا.

كان حسن حسين مراقب صفنا مشاكساً و (سرسريا). وقتَ دخول الأستاذ إلى الصف كان مراقب الصف ينادي: قيام، لننهض احتراماً له. ذات يوم دخل الأستاذ عزيز الصف، فقال حسن: "قيام لـ(eithe or) و (neither nor)! فنهره الإستاذ قائلاً "حقاً إنك سرسري، كيف تقول ذلك لمعلمك".

ذات يوم، زارنا مفتش في الصف الأول، قال لنا عزيز أفندي، سأشرح لكم اليوم في التاريخ درساً شرحناه في الأسبوع الفائت، لأنه مترسخ بشكل جيد في ذهني، وَلَكنْ ليكن هذا الكلام سراً بيننا. فقلنا له، حسنا يا أستاذ. في المرحلة المتوسطة كنا ننادي المعلم بـ(أستاذ) بدلاً من (أفندي).

دخل المفتش الصف مع المدير المرحوم أحمد قاضي، أسهب عزيز أفندي في شرح الموضوع، فجأة رفع حسن حسين إصبعه ليستأذن فقال "أستاذ إنك تعيد موضوع الأسبوع الفائت"، فضحك المفتش وخرج من الصف. لم يرتح المدير لذلك التصرف وثار عزيز أفندي فقال لِحسن: "أيها الوقح، توسلتُ إليكم، أنت بالذات، لأنني أعرف كم أنت حقير، هيا عزيز أفندي لدرس الرياضة، هيا عزيز أفندي لدرس التاريخ، هيا لدرس الجغرافيا، أدرسكم هذه المواد مجاناً، بدون أن أنتظر مقابلاً، فَلِمَ أقدمتَ على هذا التصرف المشين في حضور المفتش".

في حينه كانت العلاقة بين الطالب والمعلم في غاية التقدير والتبجيل، قلما كنتَ تجد طالبا نزقا مثل حسن، أو مَن يلجأ إلى الغش والتزوير.

بعد انتهاء دوام المدرسة، كنا نلعب في الأزقة أيضاً وأحيانا في زقاق خلف مسجد والدي، ومرات كنا نذهب إلى المقبرة ونلعب كرة القدم في المنحدر الذي مازال جزء من بقاياه شاخصاً، أو كنا ننصب عمودين أمام بيت رشيد أفندي، وحاجي مجيد بيك ونشرع بشوق عارم في لعبة (كرة الطائرة). في العقود الماضية لم تتوفر أماكن مخصصة للألعاب الرياضية مثلما نجدها الآن.

قبل ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ بسنوات، كنت لا أعرف من هو المسؤول الأول في التنظيمات السرية. ورفعتُ عدة مرات رسائل وأسئلة واستفسارات عديدة واستفسرت كثيراً فتلقيت جواباً غريباً وممهوراً بتوقيع (المسؤول) تضمن مايلي "إنك يا رفيقنا تكثر من الأسئلة، وتبعث كل مرة رسالة استفسار حول كل خطوة نخطوها، أو اتخاذ أي موقف، في حين إنك لا شيء ولا أهمية لاستفسارك".

أحزنني ذلك كثيرا، بعد ثورة تموز حين انكشفت الأسماء الصريحة لمنظمي الحزب، قال لي فرج أحمد مبتسماً "أنا أرسلتُ إليك في تلك السنة تلك الرسالة، لكثرة إلحاحك ورسائلك الكثيرة، لم أعرف كيف وبأي أسلوب وطريقة أجيبك، لذا لجأت إلى تلك الرسالة القاسية، قلت في نفسي ليزعل كي أستريح لأشهر عدة!" كان الأخ فرج يخلط بشكل ممتع، السياسة بالفكاهة والهزل. لو طال الحديث عنه،

لتمكنت من تأليف كتاب عن حياته. يعد هذا الرجل الشجاع وصاحب التاريخ الطويل من النضال من مشاهير السليمانية، مع الأسف والأسى غادرنا مبكرا.

أصدقاء العمر لا يُنسون

الصديق النابغ والساخر والمثقف.. الشخصية السياسية والاجتماعية.. الأخ فرج، المعروف لدى الناس بـ(فرج أحمد بيك)، غيَّر في مرحلة أخرى اسمه إلى (فرج بابان). فرج الأخ وصديق أيام المتوسطة والثانوية، انتمى وهو في عز شبابه إلى الحزب الشيوعي العراقي، وكان من بين شباب السليمانية وَردة المجالس ورأسَها وتاجها.

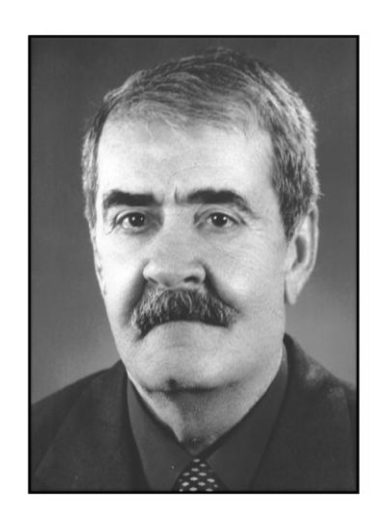
ترك الصديق المحبوب فرج، الذي وَردَ ويَرِد ذكره في مواضع من هذه المذكرات، في سنوات كثيرة من عمره تأثيراً كبيراً في حياتنا السياسية والاجتماعية وأوقات نضالنا ليلاً ونهاراً، لم يمر يوم إلا وكان على ألسنتنا تعليق ذو مغزى ومعنى أو فكاهة ساخرة من فكاهاته، كان بيننا فارق في العمر لكنه كان يعتبرني من أعز وأقرب أصدقائه ويفصح عن ذلك الشعور العالي إزائي في كل الندوات والمجالس المختلفة.

في البداية عرفته مسؤولاً حزبياً لي، ثم استمرت سنوات صداقتنا في جامعة بغداد، وعَقب ذلك صرتُ أنا مسؤوله في الحزب. في جلساتنا والسفرات المتتالية الأخرى مع أشخاص مختلفين وأصدقائي الكثيرين، كان فرج كما ألفناه وعهدناه مرشداً سياسياً. وفي تلك الآونة رتب وأدار جلساتنا الشخصية. كان يتحدث ويظهر مثقفاً متمكنا ومتمرساً في النضال السياسي الطويل، ومهيمناً قديراً في الحديث حول السياسة والثقافة في جلساته الخاصة مع جماعتنا،أمثال حسين عارف و شيركو بيكهس و رؤوف بيكه رد، ولطيف شيخ طه، وياسين خليل، وأنور عثمان و كامران طابو.

وكان له موقعه الخاص في جلساتنا الأخرى مع كامران طابو، وحَمَهى بكر، و مصطفى سيد مجيد الخياط، و جمال شادان. ويسود الضحك والنكات المليئه

بالهزل والأمثال المشبعة بطابع وجو خاص بالسليمانية. جلساتنا الأخرى التي ضمت (حسه دَبو) العزيز و آراز شيخ جنكي، و أنور عثمان و دلشاد رشيد، وأسطا محمد حبسه، و إسماعيل، و كامل حاجي سعيد حَلواجي.

أقمنا لفترة في بغداد، كان فرج كادراً متقدماً في الحزب الشيوعي، لمدة سنة أشرف كمسؤول على تنظيم عمال مطاعم بغداد. كان معروفاً لدى فِرق العمل، اجترح في تلك الآونة مصطلح "قوزى دفن". تمن سادة بـ ١١٠ فلسا، قوزي بـ ١٨٠ فلساً، أما لفرج فكانوا يأتون بقوزي ويضعون له اللحم تحت الرز. ظاهرياً كان يبدو للحضور أنه تمن وكفى. وطلب مرات عدة ذلك لبضعة من أصدقائه، ولم يستمر ذلك إذ كشف الأمر وانجلى تحت إصرار أنور عثمان. كان فرج يتنابز بالألقاب ويغمز ويهمز ويجيد فيها ويطعن بها الأصدقاء: كان ينادي أنور عثمان (سرسري تقدمي).. ويدعو الآخرين بـ(باشا) و (بروفيسور فاشل).. في أوقات مرضه أو نقل بيته، كان يقسم أصدقاءه ويوكل إلى كل فئة وقسم مهمة. توفرت لديه أسماء وألقاب خاصة لمن يحضر في الموعد المحدد ولمن يتأخر عنه (عظماء، شرفاء، حقراء). كان العظماء من كانوا يحملون إليه شيئاً دسماً، ويليهم الشرفاء في المرتبة، ومن كان مقصرا و متكاسلا ويتأخر بدون أن يحمل إليه شيئاً معه، فكان يضعه في قائمة الحقراء. مرة تأخر أحد الأصدقاء كثيراً، فقال لفرج، معلوم وأكيد إنني في قائمة (الحقراء) فقال له خسئتَ! بل إنك في قائمة (أسفل السافلين)،لأنك لَمْ تأت بشيء لي، ثم إنك سرقت مني شفتتي[١]. كان فرج يهوى هذا الطعام كثيراً.



فرج أحمد

---

[١] شفته: شريحة صغيرة من اللحم تشوى في الدهن.

كان الأستاذ جمال عزيز صديقاً عزيزاً لفرج. بعد انتفاضة ربيع ١٩٩١ أصبح جمال أحد مسؤولي الاتحاد الوطني الكوردستاني ومن المقربين إلى مام جلال — كان فرج يملك مكتبة شخصية عامرة بشتى أنواع الكتب، فقال له جمال إن مام جلال عائد لتوه ولا يسعه العيش بدون الكتب والمكتبة، فلِمَ لا أبيع لك مكتبتك لمام جلال مقابل ثمن دسم؟ فأجاب فرج بالإيجاب، نُقلَت المكتبة إلى حيث مقر مام جلال في (قَلا جوالان) وحمل جمال سبعة آلاف دينار سويسري، وسلم المبلغ إلى كاك فرج. ولم يكن ذلك المبلغ قليلاً آنذاك. كان فرج منتشياً بالفرح، ثم قال له الأستاذ جمال أن مام جلال يدعوه هو وفاروق وأنا إلى مأدبة في مقر إقامته في قَلا جولان مساءً. تريث جمال واستغرب أمام جواب فرج: "عزيزي جمال أنا ممتن جداً لمام جلال وأشكره.. أنا مدعو الليلة لدى صديق، منذ سنتين ألح على ابن الكلب هذا، حتى يدعوني مرة، إنه بخيل جداً وحدد هذه الليلة موعداً لنا. لذا لايمكنن المجيء إلى قَلاجولان. طبيعي مام جلال رجل كريم ومضياف بالتأكيد سيدعونا مرة آخرى." وهكذا لم يحضر فرج مأدبة مام جلال وأحرج جمالاً لدى مام جلال.

ذات يوم ضيفنا كمال شالي في منزله. قال فرج للأخ نوشيروان مصطفى: لا يخفى عليك يا كاك نوشيروان إنني شيوعي أصيل منذ ١٩٤٨. فأجابه: هذا كلام لا غبار عليه. واستأنف فرج: سُجِنتُ مرة واحدة في حياتي، وكان ذلك بسبب حزبكم (الحزب الديمقراطي الكوردستاني) وذلك عام ١٩٦٢، وكنتَ أنت ومام جلال فيه (صدفة ألقي القبض على فرج وهو يحمل مذكرة للحزب الديمقراطي الكوردستاني إلى رئيس وزراء العراق)، وها أنت رتبت قائمة لمجلس بلدية السليمانية، كان المفروض أن تختارني و تبلغني بعد هذه الانتفاضة. بلا شك إنني لم أكن أوافق، لقد وقع اختياركم على عشرين شخصاً، اثنا عشر منهم قرويون، وستة منهم أسماؤهم قادر وستة أسماؤهم عمر، أهذا حق بالله عليك؟ فقال له الأخ نوشيروان: صدقت والله. وألقى باللائمة على عمر سيد علي الذي انتقى الأسماء ورتب القائمة. أكرر مراراً أن الأخ فرج يستحق أن يُؤلَّف كتاباً كاملاً عنه.

لم يكن لفرج مثيل، كـان يخلـط الفكاهـة والتنـدر بالسياسـة والأمـور الحزبيـة، ذاق فرج سنوات عدة مرارةَ سجون بغداد والحلة ونقرة السـلمان، بسـبب نضـاله الحزبـي في تنظيمات الحزب الشيوعي، ثم ُاطلق سراحه. في العـام ١٩٦٢، كـان في المرحلـة الثالثـة (كلية الآداب – جامعة بغداد) حين تم إلقاء القبض عليه. ورغم أنه اعتقل بسـبب نقـل رسالة لقيادة الحزب الديمقراطي الكوردسـتاني، إلا انـه أُبقـي في الموقـف وحُكـم عليـه بعد انقلاب ١٩٦٣، بالسـجن عـدة سـنوات بسـبب انتمائـه إلى الحـزب الشـيوعي. وبعـد الإفراج عنه صار مسؤولاً عن طلاب المدارس الإعدادية في بغداد، وكنـت في ذلـك الوقـت كنتُ مسؤولاً عن تنظيمـات الطلبـة (للحـزب الشـيوعي العراقـي) ببغـداد في الفـترة بـين ١٩٦٤–١٩٦٥.

درس رفيقنا الراحـل عمـر فخـري، في كليـة الآداب وكـان صـديقا لفـرج، عمـل عمـر ضمن تنظيمات الحزب والأتحاد العام لطلبة العراق، في كليـة الآداب. لم يكـن يتـذكر ان فرجاً، كان منذ سنين شـبابه وحتـى ذلـك اليـوم شـيوعياً معروفـاً وزج بـه في السـجن. حكى لنـا فـرج أن عمـر فخـري ينـوي أن ينظمـه كمؤيـد في اتحـاد الطلبـة، إن متابعـة مناوراتـه لكسـب "شـيوعي" إلى اتحـاد الطلبـة أمـر يبعـث علـى السـرور، منـذ أيـام يصطحبني عمر إلى نـادي الكليـة ويشـتري لـي الشـاي والحليـب علـى أمـل كسـبي إلى صفوف الأتحاد، وجرّي إلى عالم السياسة! ! !.

بعد أيام يطلب فرج من عمر أن يتناولا شـيئاً في النـادي ويقـول لـه: دعـوت بضـعة أصدقاء، أنا لا أعـرف أن أخـاطبهم مثلـك، هيـا لنـذهب واخطـب أنـت، وواصـل فـرج قائلاً: بعد أكل "اللفـة" والشـاي والحليـب، دخلنـا قاعـة فارغـة، ومـا ان دخلنـا حتـى بوغت عمر برؤية أربعـة أو خمسـة مـن طـلاب كليـتهم يقتعـدون الكراسـي هنـاك، وهـم مشهورون بنشاطهم الجدي كـ(جلاليين)[١]. فيستغرب ويقول لفـرج: مـن يجلـس؟ ومـاذا

---

[١] الجلاليين: نسبة إلى مام جلال (جلال الطالباني)، أي (جناح المكتب السياسـي) جنـاح مـام جلال وإبراهيم أحمد، من الحزب الديمقراطي الكوردستاني في ستينيات القرن الماضي.

يفعل هؤلاء هنا؟ فيجيبه فرج: ورأسك أقنعتهم وكسبتهم للحزب، وهل يعقل أن أقنع وأكسب لك أشخاصاً شيوعيين؟ فيسألهم فرج، أليس الاتحاد العام جيداً يا إخوان؟ فيجيبون بالإيجاب.

كتب عمر رسالة إلى الحزب، وصلت اليّ الرسالة وقد ورد فيها أن فرج أحمد خائن وينبغي أن يُطرد وإلا فإنني أقدم استقالتي.

طابت ذكراك أخي المناضل فرج أحمد الشخصية المعروفة والوفية وصاحب الحضور اللطيف. إنك ابن بار من أبناء السليمانية، وتظل خالداً إلى الأبد، ألف تحية إلى روحك الطاهرة.

نُتَف من ذكرياتي الاجتماعية

أود أن أروي نذراً من ذكرياتي تبدو صغيرة وبسيطة للبعض، علها تفيد شباب اليوم.

في فترة دراسة المرحلتين المتوسطة والإعدادية في الأعوام بين ١٩٥٢–١٩٥٨، أمضيتُ حياتي بين جبهتين: فمن جهة كنت أحضر ندوات وجلسات والدي الحافلة بالأدب والتاريخ والدين ومقارنة قضايا فكرية مختلفة داخل المذاهب الإسلامية، وفي الجهة الثانية اهتممتُ بحياة المدرسة والسياسة مع رفاق الحزب الشيوعي ومطالعة تاريخ الثورات وقراءة كتابات فلسفية في مجالي الاقتصاد والفلسفة.

أحب والدي أن نصلي ونصوم، في ذلك الوقت كان جامعنا والجوامع الأخرى في السليمانية حديثة العهد بمكبرات الصوت. كان يحلو لي أن أُؤذّن مرات عبر مكبرة الصوت. وفي الفترة نفسها، فصل شقيقي الكبير في دار المعلمين العالية، لموافقه السياسية، لذا عاد إلى السليمانية وصار معلماً في مدرسة الفيصلية. حين تَفَقَدَ متصرف السليمانية، عمر علي، مدرستهم هناك، أخبرهم ان هذا الشخص مفصول بسبب مواقفه السياسية لذا لا يمكن أن يبقى هنا. وجراء هذا وبناءً على الأمر الصادر منه نُقل إلى قضاء قلعة دزه. ساد بيتنا جوٌ ثقافي بهمة والدي وثقافة أخي، كان والدي يتحدث عن الأدب والدين والكورد، فاستمتعت بأشعاره وكتاباته

ومترجَماته، كان حلو المعشر وحسن الحديث، بحيث كنتَ ترغب في أن تصغي إليه وتحضر مجلسه.

عام ١٩٥٢ توجهت في الصف السادس الابتدائي إلى عالم السياسة ببساطة. كنتُ مع محمود كريم في شعبة واحدة في مدرسة الخالدية، كان شقيق محمود الأكبر وشقيقي، صديقين، ويعملان في السياسة معاً، وقد تقاربا في تنظيمات الحزب الشيوعي. ومنذ ذلك الوقت اختلطتُ أنا أيضاً بعالم السياسة. أخذ التفكير في الأوضاع السياسية لتلك الحقبة الزمنية قسطاً وافراً من وقتنا.

في بداية ارتقائنا سلم مدرستنا، وعلى الجانب الأيمن كان ثمة طاق يتسع لنفرين. في أغلب فترات الاستراحة كنتُ أجلس مع محمود هناك، أتذكرُ انه كان يتحدث كثيرا عن الدراستين الإعدادية والجامعية، و تساءل مراراً، أيمكن أن يسقط هذا النظام وقتَ تخرجنا من الإعدادية؟، حتى يتيسر لنا الذهاب إلى موسكو لنواصل الدراسة هناك، فكنتُ أقول له إنه حلم رائع ورائق، باعتقادي إنه سيتحقق! بعد تخرجنا من الإعدادية، قُبل محمود في (كلية الزراعة) في أبي غريب، وأنا في كلية التجارة – جامعة بغداد. بقينا معاً في درب واحد إلى أن استشهد عام ١٩٦٣ بيد ضابط بعثي.

علاوة على دافع تعلقي بأخي وأصدقائه، كان هناك عامل آخر وراء انخراطي في العمل السياسي، وهو كوننا مع بيت مجيد أفندى سليم آغا، جارين متلاصقين. وكان أبناؤه الثلاثة، جوامير و زولال ونژاد شيوعيين. نشأت بيننا علاقات متينة بدرجة وكأن بيتينا بيت واحد، كنت أصغي إليهم، كانوا مثقفين وذوي آراء خاصة.

من المرحلة السادسة في الابتدائية، انتميت إلى الأتحاد العام الطلبة العراق، حين وصلتُ الصف الأول المتوسط، دنا مني عباس ملا قادر الخباز، وهو حي يرزق، وقال لي "رفيق، بلغني اتحاد الطلبة والحزب أن أنظمك.. لأنك مؤيد من الابتدائية"، وشكّل عباس مني ومن شخصين آخرين خلية، أحدهما فائق غريب، والآخر عطا ملا رشيد. منذ ذلك الوقت دخلت حياة جديدة في التنظيم السياسي. من جانب آخر كان لأخي الكبير تأثير كبير علي، وكنت أعتز به لكونه مثقفاً ونشطاً في السياسة. كان

هو يعلّم أخواتي القراءة والكتابة في البيت. وأصبح الجامع لنا أيضا مدرسة هامة ومفيدة. بعد عصر كل يوم كان عدد من المثقفين والشعراء، خصوصاً نخبة من رجال الدين وأصدقاء آخرين لوالدي يؤمون مضيفه في الجامع.. ورغم توقي الشديد إلى اللعب مع أصدقائي، إلا ان أبي كان ينصحني أن أبقى معهم في الجامع لأستفيد من أحاديثهم الدائرة أغلبها حول الشعر والأدب والدين والثقافة ومواضيع جديدة وطرية.

في حياة الجامع اجتذبتنى غرفة الفقهاء (طلبه المدارس الدينية)[١]، واعجبتُ بجوها أكثر من غيرها. أدخلت السرور والبهجة إلى قلبي، ولم يكن في كل جامع أو مسجد فقهاء إلا في جامع يكون إمامه مدرساً أيضاً. وكان لجامع والدي فقهاء (طلبة فقه) يُدَرِّسهم على الدوام، ونبغ بينهم شخصيات معروفه، منهم الأستاذ علاء الدين سجادي، ملا أحمد بانيخيلاني، ملا عزيز جوانروي، الأستاذ فاتح هموندي، ملا نوري عبدالله (كان مشرفاً تربوياً لعقود زمنية)، مصطفى جاوجوان، بعضهم درس في (الأزهر) فيما بعد، وصاروا مدرسين في المدارس الإعدادية. ليلاً كان يتجمع حوالي العشرون من طلبة الفقه في الجامع، ويمضون وقتهم في النقاش والنوادر ولعبة كلاوين (محيبس)، وفي النهار كانت لهم لعب أخرى، مثل (القفزة، دايماسون) ولعب أخرى تفرحنا كثيراً.

أحب أبي أن تبقى وتخلد مكانة آبائي وأجدادي، فآثر أن يصبح أحد أبنائه أو أبناء إخوانه رجلاً يخدم الدين. حين أكمل أخي المرحلة المتوسطة كنتُ في الابتدائية، ونزولا عند رغبة والدي، قدم شقيقي عزالدين للدراسة في كلية الشريعة ببغداد وقبل فيها، وبعث إلينا من هناك صورةً له وهو يرتدي الجبة والعمامة. بَيد أنه لم يكمل السنة الأولى في كلية الشريعة، وعاد إلينا بدلا عن ذلك، محملاً بأفكاره

---

[١] في اللغة الكوردية تختلف معاني الفقيه، مفرد فقهاء. ففي الكوردية تعني فَقْي أي الفقيه من يتعلم في الكتاتيب دروس المراحل الأولى، أما في العربية فتعني مَن توسَّع وتعَمَّق في علوم الدين. الكلمة عربية شاعت في الأوساط الدينية والشعبية لدى الشعوب المسلمة مع شيء من التحوير.

الشيوعية ودخل الإعدادية. وأنا درستُ في ذلك الوقت (العوامل والبناء)، في الجامع وأستفدتُ كثيراً من ذلك المحيط الديني والتاريخ الإسلامي، بخاصة من (الفتوحات الإسلامية) أعجبت كثيراً بـ(خالد بن الوليد) و(ضرار الأزور).

بجانب السياسة وحياة الجامع، استهواني في الطفولة جمع الطوابع. أحببتُ جمع الطوابع الذي ُسمي بـ(لعبة وهواية الطوابع). في حينه كان عدد الهواة قليلا في السليمانية، كنت واحداً منهم، الآخرون: اسطا جلال، مجيد صوفي، كمال عبدالله، عمر علي أمين عديلُ (شيخه حلواجي). أما في بغداد فقد أسسوا (جمعية هواة الطوابع). كان لنا في السليمانية، نحن هواة جمع الطوابع مكانان، أحدهما لدى المرحوم الأخ مجيد صوفي الموظف في دائرة بريد السليمانية، أما الآخر فكان دكان أسطا جلال النجار، حيث كان آخر مكان لدكانه في حي (كانيسكان). ففي المكانين المذكورين يتم بيع وشراء وتبادل الطوابع وتجرى (القرعة أو الطرة والكتبة) للفائزين، وكان ذلك حيلة ووسيلة لتشجيع أصحاب الطوابع لبيع طوابعهم. ومازلت أحتفظ ببضعة منها.



عزالدين مصطفى رسول
لابسا الجبة والعمامة

حقا كانت سنوات الدراستين الابتدائية والمتوسطة زمن حياتنا الذهبي الرائق. لأننا كنا نقضي الأوقات باللعب مع أصدقائنا وأترابنا، من الذين توثقت الأواصر بيننا، أذكر أصدقائي: أنور أسطا أحمد، شيركو فائق بيكه‌س، جلال سنكر، نوزاد جلال أفندي، فاروق وصباح وعبدالرحمن حاجي إبراهيم وعلي صالح آغا. أواصر تخللها تباعد و خصام ووئام من جديد.

من ذكريات طفولتي الجميلة الأخرى، أتذكر مرة أشيع أن جارنا صالح ابن ملا عبدالله، شقيق أحد أصدقائنا، سيتزوج. وَلَمْ نعرف نحن ما هو الزواج؟، وماهي ليلة

الدخلة؟ فكنا نتناقش حول هذا الموضوع دون علم ودراية. أحدنا كان يقول إنهما أي الزوج والزوجة يصليان ليلة الدخلة، وينبري آخر ويقول إنهما يتصارعان، أظننا كنا وقتها في الرابع الابتدائي. كان الجدار الطيني لدار صالح تتوسطه نافذة. وفي الليلة التي قالوا فيها إن صالحاً يصبح عريساً، جَمَعتُ ثلة من أصدقائي، صباح سنكر، فاروق محوي وخمسة صبيان وناشدتهم أن يحنوا ظهرهم لأتسلق الجدار فنظرت عبر زجاج النافذة إلى الغرفة. كانت الكهرباء منقطعة فشاهدت فانوساً مضاءً، ورأيت صالحاً يصلي، بعد الانتهاء من صلاته تحرك ودار حول نفسه مرات عدة، فناديته صائحاً "لا تسويهه كاك صالح حذار لا تسويهه ! فَخَرَجَ من البيت وطارَدَنا من زقاق إلى آخر، ثم جاء واشتكى لدى والدي. في السنوات الأخيرة تجددت صداقتنا وكلما التقيته تذكر تلك الليلة، ويقول لي "لقد أفسدتَ عليَّ حلاوة تلك الليلة".

أما بالنسبة إلى الألعاب الشهيرة في ذلك الوقت في السليمانية، فأتذكر (قَلا قَلا) و(هَيجو هَيجو)[1] ليلاً، والانهماك في لعبة كرة القدم نهاراً. مثلما أسلفتُ كان (كريم أسطه بسته)، في محلتنا يسرد لنا قصصاً كثيرة ويشنف سمعنا بأطيب الروايات حول بطولاته. كنا نتلهى بأحاديثه الطيبة فيما يسرق الصبية شيئاً من فواكه دكانه خفية عن عينيه. كما كنا نزور ونتفقد دكان مصطفى كويي القريب منه. في السنوات نفسها أسست سينما صلاح الدين وسينما (كويژه) الصيفية، عقب ذلك افتتحت سينما سيروان وسينما رشيد. كان ميرزا إبراهيم سنكر صاحب سينما رشيد، صديقاً لوالدي، لذا أصبح الدخول بالنسبة إليَّ مجاناً، وذلك بسبب أبنائه صباح وجلال وجمال، كنا نرتاد السينما مرتين في الأسبوع. ماتزال بعض أفلامها راسخة في خيالي وذهني.

تجمعنا حول فرقتنا، كنا نلعب الكرة خارج الحي، أنا وصباح سنكر من طرف، سردار و هوشيار غني شالي ونوزاد حسين أفندي، ابن صالح آغا وهو ابن عمتهم من الجانب الآخر. وتزامن ذلك، أي أيام اللعب وسنوات الإعدادية، مع فعاليات فرقة آخرى خاصة في حي سركاريز أسسها كمال حَمَه كريم، وشقيقه المرحوم صلاح حَمَه كريم، و فوزي، وابن عمي فؤاد.

ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨

في صبيحة ١٤ تموز ١٩٥٨ أفقنا من النوم وبدأنا مع أبي ووالدتي وأخواتي نبسط الخوان أمام الإيوان الذي توسط غرفة النوم والمذخر لنتناول فطور الصباح وأمامنا الخبز واللبن. أعدت أمي استكانات الشاي. فتح والدي المذياع ليصغي إلى برنامج القرآن الصباحي. فهزَّ مذياعَنا صوتٌ جهوري وأثار استغرابنا. طالب الصوت بإسقاط الحكم الملكي وبث البيان رقم (١) للثورة (انظر إلى نص البيان في خاتمة الكتاب).

وهبت رياح عاتية ذلك اليوم في السليمانية.

ارتديت ثيابي في سرعة وتوجهت صوب سراي المدينة وقبل وصولي لمحتُ السرورَ يعلو وجوه الناس المتجمهرين قرب مسجد (دوو دەرگا) ومركز (أصحاب سبي) المبتهجين بهذا الحدث العظيم.. لم يستغرق ذلك ساعة وإذا بتصفيقات هادرة تتعإلى وشعارات ثورية ترددها الجماهير تأييداً للثورة، هُرِعَتُ وَتَصَدَرتُ الصفوف وصرخت بأعلى صوتيِ (عاشت الثورة وليسقط الخونة). ومنذ الساعة الأولى من اليوم الأول كان دور الحزب الشيوعي العراقي والحزب الديمقراطي الكوردستاني مشهوداً وواضحاً، كانت التظاهرات بتعاون الطرفين.

أما الحكومة فلم تبدِ أي حراك. بعد ظهر ١٤ تموز أُعلن لفترة مؤقتة حظر التجول. وتم العمل به في السليمانية أيضاً، غير ان الحزبين الشيوعي والديمقراطي الكوردستاني أعلنا أن الوطنيين يقومون بحفظ الأمن واستتباب الهدوء في الأحياء والأزقة. في محلتنا قمنا أنا وجاري المدعو عثمان صابر، نخفر ونحرس الأماكن من سركاريز حتى كراج (أصحابَ سبي) حاملَين العصا كإشارة إلى الهمة والشعور بالمسؤولية.

كان في السليمانية موقع عسكري يشرف عليه ويديره العقيد نوري ملا مارف الذي أعلن منذ الساعات الأولى تأييده للثورة وألقى خطاباً في التظاهرات. لا أنسى صبيحة ذلك اليوم إذ كان عزت رشيد (رەشەكاو) يهتف وينادي بصوت عالٍ: (عاشت الجبهة الوطنية.. عاشت الثورة).

لسنوات خلت كانت الجبهة الوطنية في العراق متكونة من الحزب الشيوعي العراقي والحزب الوطني الديمقراطي وحزب الإستقلال وحزب البعث، فأججت الجبهة النار وقادت في صبيحة بداية الثورة آلاف الناس في شوارع بغداد تضامناً مع ثورة تموز. وقد تم في كوردستان عقد وتوقيع (ميثاق التعاون) بين الحزب الشيوعي العراقي والحزب الديمقراطي الكوردستاني. وهكذا ففي كل يوم وفوق مبنى (نوري علي) مقابل ساحة السراي، كان يخطب اثنان من الطرفين للجمهور، أحياناً أخرى كانت الخطابات تُلقى من على فندق (شميران) في تقاطع خانقاه. من الشخصيات المعروفة التي مثلت الحزبَ الشيوعي وألقت الخطابات: أحمد غفور، فرج أحمد، حسين عارف، الإخوان غفور وقادر وجلال ميرزا كريم، كمال سلمان، أنور عثمان. ومن بين خطباء الحزب الديمقراطي، اشتهر الشاعر كامران موكري. كان خطيب الحزب الشيوعي في السليمانية، حسن علي غالب، ولأنه لم يقم كثيراً في السليمانية، كان يلقي خطابه باللغة العربية في الغالب ولم يكن إلقاء الخطب آنذاك في السليمانية بغير الكوردية مبعث الرضا، وقد اعتُبِر ذلك من أخطاء الحزب الشيوعي.

إطلاق سراح السجناء السياسيين وعودتهم إلى السليمانية

في آب ١٩٥٨ كانت المكبرات تتجول في المدينة تناشد الوطنيين لاستقبال السجناء الذين أطلق سراحهم بقرار صادر من الثورة. وكان من المزمع وصولهم من بغداد إلى كركوك، كنتُ واحداً من بين مئات الأشخاص المتوجهين إلى كركوك.عقد في التكية الطالبانية بكركوك اجتماع لتدبير استقبال سجناء السليمانية من أعضاء الحزب الشيوعي ، منهم بهاء الدين نوري، عبدالله كوران، ونائب عبدالله وعمر مامه شيخه العائدين من بغداد.

وقد عقد الإجتماع في التكية الطالبانية بواسطة مكرم الطالباني أحد قادة الحزب الشيوعي. هناك ألقى الأستاذ الشاعر عبد الله كوران قصيدته المشهورة المعنونة (الصنم وحارس الأصنام) وعُدَّتْ فيما بعد أجمل قصيدة مكتوبة لثورة تموز، علماً

أنه نظم القصيدة صبيحة يوم ١٤ تموز في السجن ابتهاجاً بقدوم الثورة. وألقى بهاء الدين نوري، ونائب عبدالله، أيضاً خطابيهما.

بعد ثورة تموز ١٩٥٨، عقدت معظم الاجتماعات الموسعة للطلبة والحزب في بيت خالي حاجي قادر، والد المهندس بكر قادر. كانوا يملكون دارا رحبة وواسعة. كان خالي رجلا طيباً، منح أبناءه حرية تامة. وكانت والدتهم تستقبل و تضيف جمعاً غفيراً من الطلبة.

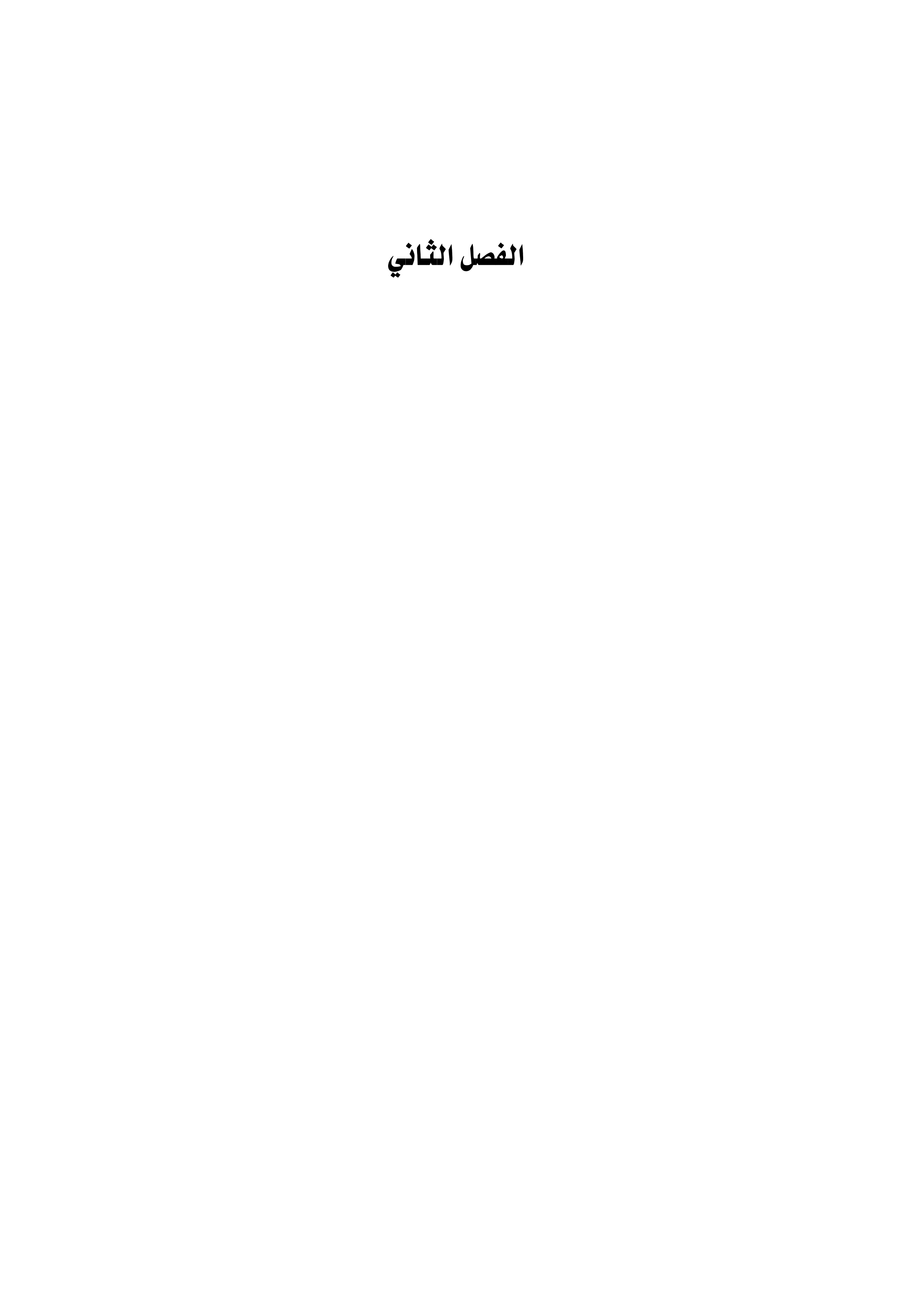
في المتوسطة كانت المظاهرات تنطلق بعض المرات فيتدفق المتظاهرون، وُتغلق أبواب المدارس، على سبيل المثال استُذكِرت مناسبات انتفاضات ١٩٤٨ و ١٩٥٢ بإضرابات ومسيرات. ذات يوم، قبل الثورة، ناداني الأستاذ أحمد قاضي وقال لي "إنك أفسدتَ الدنيا باتحاد التنكة (أي الصفيح) هذا" وكان يقصد به اتحاد الطلبة. ثم أردف قائلاً "أنت صبي صغير، بقدر وزن زنبور، لِمَ تفعل هذا وتتصرف على هذا النحو؟ فقلتُ له: "أستاذي، رفاقنا قُتِلوا في بغداد، ضحوا بأنفسهم، كثيرون منهم اعتقلوا، ما نفعله هنا تعبير عن تأييدنا لهم والتضامن معهم." واكتفى أحمد أفندي بهذا القدر، ولم يضف شيئاً آخر.

بعد ثورة ١٤ تموز صار أحمد أفندي مديراً لإعدادية السليمانية. وجرت انتخابات اتحاد الطلبة بشكل رسمي، من أنشط الطلبة في الخامس كان: فهمي فرج، صلاح علي عائشة خان، شهاب رمزي ملا مارف وأنا، كان لنا دورنا الواضح في المدرسة. أشرفتُ على قائمتنا، من الصف الأول حتى الخامس. في الصف الثالث كان (بكر قادر) و (قادر صالح) مرشحينا، تبين أثناء فرز الأصوات وجود صوت زائد أضيف لصالح قادر. لم يتفق الأساتذة من جماعتي الحزب الشيوعي والحزب الديمقراطي الكوردستاني على حسم مشكلة هذا الصوت. فطالب الأساتذة من الحزب الديمقراطي بحضور الحاكم لحسمه. آنذاك قلت لأحمد أفندي "حسنا يا أستاذ، أيستحق اتحاد التنكة هذا كل هذا الإرجاء والتعقيد؟" فبدا له أنني أعيد على سمعه وذهنه كلامه القديم يوم نهرَني في المتوسطة.

قلت له هذا ضاحكا، فأجابني "أجل يستحقه وزائد، فلا تهذر ولا تتفوه بما هو مقرف.

في المرحلة الإعدادية كان للاتحادين، الاتحاد العام لطلبة العراق واتحاد طلبة كوردستان نشاط وحضور، بين ١٩٥٨–١٩٥٩ فاز مرشحونا في أغلب المدارس، وقتذاك كان الحزب الشيوعي نشطاً وقوياً، أما الحزب الديمقراطي الكوردستاني فكان في بدايات ازدهاره. بعد ١٩٥٤ تحسنت العلاقات بين هذين الحزبين بسبب (ميثاق التعاون). لكن بعد مرور سنوات اشتد بينهما الصراع وتفاقم الأمر وازداد سوءاً ما أدى إلى حدوث تشنجات واشتباكات في بعض الأماكن بينهما.

الفصل الثاني



مرحلة الدراسة في بغداد

كانت مدة الدراسة الإعدادية في زماننا خمس سنوات. تخرجتُ عام ١٩٥٩ وقُبلتُ في كلية التجارة في جامعة بغداد مع عدد من طلاب السليمانية، أنا وسردار مصطفى مظهر، وأنور حاجي أمين ميسري، وجلال عمر سام آغا، وشمال كريم، وأمين عارف. كنتُ على أمل أن يعاونني شقيقي عزالدين، إلا أنه ذهب في السنة نفسها في أول بعثة دراسية إلى الخارج لدراسة اللغة الكوردية وآدابها وتاريخ الكورد أيضاً. ضمت لفيفاً من الطلبة الكورد، وكانت بعثة دراسية خاصة بالكورد إلى خارج العراق.

كان أخي يُدرّسُ في إحدى إعداديات بغداد. وكانت نفقات حياة الطالب الدراسية تكلف ١٥–٢٠ دينارا شهرياً ، ولَم يتجاوز المرتب الذي يتقاضاه والدي ٤٠ ديناراً، إلا انه أصرَّ على بقائي في الدراسة. قال لي "لابد من أن تواصل دراستك سنقتصد من أجلك". وعليه.. رحتُ أبحث عن عمل. توفرت في الإذاعة الكوردية وظيفة شاغرة بعنوان (مترجم) ذهبتُ وقُبلتُ بعد نجاحي في الاختبار. تكونت اللجنة المكونة لاختباري في الترجمة من العربية إلى الكوردية، ومن الكوردية إلى العربية من: الأخ أحمد حامد، والمرحوم الفنان تحسين برواري. وأخبراني: إنك نجحتَ في الاختبار باستحقاق وعن جدارة، فبدأت أداوم في وزارة الإرشاد صباحاً، (تم تبديل اسمها إلى وزارة الإعلام) وبعد الظهر كنت التحق بكلية التجارة للدراسة. فُتِحت كليات لها دوامها الصباحي والمسائي مع إجراء امتحاناتها معاً في فترة زمنية واحدة، وفي أغلب الأوقات تفوق طلاب الدوام الثاني ونالوا الامتياز والمراتب الأولى في الامتحانات. استأجرنا مع عدد من أصدقائي داراً قريبة جدا من كلية التجارة في الوزيرية.. استأجرها قبلنا أخي، وحَمَه كريم فتح الله، وشيركو عزيز، ورؤوف عارف معاً، كان كل واحد منا يعد الطعام لنفسه، كنا ندرس ونخرج ونتنزه معاً. أثقلت الدراسةُ والعملُ والنضالُ السياسي والبعد عن الأهل في ذلك السن أعباءنا وحياتنا.

بعد انقضاء مدة انضم إلينا الأخ جلال رشيد، المعاون في سلك الشرطة وصديق شقيقي عزالدين، رجل طيب وذو سلوك وأخلاق طيبة وصداقة أخوية عالية، كان لنا بمثابة الأخ الأكبر.

وقتما عُينتُ في وزارة الإرشاد دخلتُ عالماً جديداً ووجدتُ نفسي بين جمع من كبار الشخصيات التاريخية في العراق. التقيتُ الكاتبَ والمفكر الألمعي هادي العلوي. أولاني اهتمامه. كان أخاً جيداً وأستاذاً قَلَّ مثيلُه، تعلمتُ منه الكثير، وللتاريخ أقول، بعد مرور سنين اقترحتُ الاتصال به لترشيحه لعضوية الحزب الشيوعي. كان باحثاً هاما ودقيقاً ومثقفاً كبيراً وصاحب كلام طيب. وتعرفت على الكاتب المعروف جميل الجبوري، ولايزال على قيد الحياة، والفنان الكبير نوري الراوي، والكاتب والمثقف عبد الحميد علوجي، الخبير الماهر المختص في التراث، كان الفنان غازي فنان الكاريكاتير. وكان الدكتور أكرم فاضل مديراً عاماً في الوزارة ومشرفاً على الأقسام كافة.

ورغم كون دراستنا في السليمانية باللغة العربية، إلا أن الأساتذة تعودوا على شرح الدروس لنا باللغة الكوردية لذا أدى ذلك إلى ندرة مَن ينبغ بيننا في الحديث باللغة العربية، لكنني بفضل والدي أتقنت اللغة العربية وأجدتها قراءةً وكتابةً وفي المحادثة أيضاً. أول كتابة منشورة لي في الترجمة كانت عبارة عن موضوع ترجمته من اللغة العربية إلى الكوردية، واستحسنه قراؤه ونال أسلوبي في الترجمة وإملائي في اللغة الكوردية رضا مَن تابع أعمالي خارج مكان عملي.

مثلما أسلفتُ تعلمتُ الكثير هناك. مجلة (العراق الجديد) صدرت باللغات العربية والكوردية والإنكليزية والفرنسية والألمانية والتركية والفارسية. وكان لكل مسؤول ومشرف في تلك اللغات غرفة خاصة متلاصقة في طابق واحد. عملت في القسم الكوردي. أشرفتُ مع شوكت غفور بابان على نسخة المجلة الكوردية لفترة. كان الأخ شوكت مسؤولاً، أدرنا شؤون المجلة معاً إلى أن نُقِل إلى وزارة التربية لأسباب سياسية.

أجدت اللغة كتابة ومخاطبة، لذا كتبت مرات عديدة تقارير صحافية أيضاً، إضافة إلى ترجمة المواد العربية.

تمحور بعض تلك التقارير حول مدينة السليمانية. لتلك الفترة أهمية كبيرة بالنسبة إلي، خاصة لتعلم اللغة والفكر والسياسة ومجالات أخرى. تعرفتُ هناك على الشخصية المعروفة (أحمد سوسة)، وزرنا معا سامراء لتفقد آثارها. الدكتور أحمد سوسة عالم في تاريخ العراق ويعتبر عالماً معروفاً في مجال الري أيضاً. وحظيتُ بمعرفة مصطفى جواد وسافرتُ معه مرة. تعرفت على الشيخ الأستاذ جلال الحنفي وتفقدنا معاً جوامع بغداد ومساجدها فسجل معلومات هامة عن تاريخها.

انقضت ثلاث سنوات، أعمل في وزارة الإرشاد، وأدرس في الكلية، حتى وصلت المرحلة الرابعة. تكاثر نشاطي في الكلية وجرت مراراً بضع اشتباكات ومصادمات مسلحة بيننا وبين جبهة البعث والقوميين، وتعرضتُ عدة مرات للاعتقال.

في كلية التجارة نشأت لي علاقة صداقة مع بعض الأصدقاء الأعزاء ومازلنا نحافظ على صداقتنا. رغم عدم وجود جل أصدقاء الكلية في كوردستان إذ يقيم بعضهم في أماكن مختلفة، بَيد أن علاقتنا باقية على حالها السابق وظل عدد كبير منهم متمسكا بالنهج الفكري القديم.

حين التحقتُ للمرة الأولى بالدراسة في بغداد، رتبوا ما يتعلق بنقلي الحزبي من السليمانية إلى بغداد، حددوا لي موعداً فالتقيت بشخص يدعى (زهير الطائي) حيث أمن لي الصلة الحزبية.

بعده عرفتُ الشاب المثقف والشاعر المناضل (مسلم عوينة) وهو أخ الشهيد البطل (حسن عوينة).

تراجع عبدالكريم قاسم عن مواقفه وبدأ يضرب الحزب الشيوعي والحركة التقدمية في العراق بشكل عام، جرت مظاهرات صاخبة في العراق في تلك الآونة، سُميت تلك الفترة بفترة (الانتكاسة) أي الردة أو النكسة.

في إحدى التظاهرات أُصيب صديقي (شاكر عيسى موسى)، الذي اصبحتُ فيما

بعد مسؤوله، بجروح على مقربة مني، وهناك جُرح (منيب السكوتي) أيضاً، بعد مرور خمسين سنة التقيته وكان مدير بنك. أكرم الربيعي، هادي السهيل، نبيل يوسف وهو من أعز أصدقائي يقيم الآن في أمريكا. عام ٢٠١١ دعوتهم وضيفتهم في السليمانية. من الكورد كان سردار مصطفى مظهر، وجلال عمر سام آغا، من أصدقائي المقربين، أمضينا الوقتَ معاً. انتمى سردار إلى الحزب. أما جلال فكان مؤيداً للحزب، وحاضراً معنا في المناسبات كافة.

من أصدقائي الآخرين، منذر طوبيا، نزار قسطو، وصديقنا الشجاع المقدام جواد حيدر، وزهير الطائي، ووائل الطائي. كان جواد رياضياً ووسيماً ومقاتلاً جريئاً في المناوشات، مثل أبطال الأفلام تماماً، كان يجابه بقبضته الشديدة ولكماته بضعة أشخاص ويتغلب عليهم. ومن الأصدقاء المقربين، نبيل يوسف، سامي عنتر، إبراهيم إسماعيل، جواد مهدي، ومهدي قاسم، كانوا من أشجع شجعان رفاق الحزب الشيوعي في الكلية.

في ١٩٦١/١١/٦ اعتُقِلنا أثناء إضراب عمال معمل السجاير. كنتُ وقتذاك في المرحلة الثانية وذهبنا للتضامن مع العمال المضربين. حاصرونا من الليل حتى انبلاج الفجر، فاعتُقِلَ عدد كبير منا وزج بنا في الموقف في (سرية الخيالة) بين الوزيرية والأعظمية. قُدرَ عددُ المعتقلين بتسعمائة شخص، زج بـ(٧٦) منا في غرفة ضيقة، لَمْ يكن بوسعنا الاستلقاء والتمدد. مُنعنا فترة من المواجهة، ثم وافقوا. فجأة لمحتُ أبي واقفاً في الصف لمواجهتي. كَم كنتُ متأثراً وحزينا وأنا أراه على هذه الحال وقد علم بما دهاني وجاء ليواجهني.

كان أحد نزلاء الموقف يدعى (فاضل)، عامل في مقهى بحي المهدية، كانت إحدى يديه مبتورة،. كرر اثناء الجلسات وقال "أنا صديق عبدالكريم قاسم" وما إن يبدأ بالحديث حتى كنا نتبادل الإشارات فيما بيننا قائلين "بده النفخ". لَم يمر وقت طويل حتى رأينا مسؤول الموقف المقدم عبدالرزاق يدخل ويقول "فاضل مَن هو فاضل" بدون أن ينهض ويتحرك من مكانه قال "أنا" فقال له: هيا لملم غراضك

والحق بينا" فقال له فاضل "أولاً، لا أحد يملك بساطاً ولا حاجة معه، افترشنا تلك الحصيرات ونمنا عليها." لَمْ يتحرك فاضل، فأقامه المقدم ومن عاونوه عنوةً، وقال لهم فاضل "لا، لن أخرج من هذا الموقف وحيداً" فاستغربنا، فقال له مسؤول الموقف (يا أحمق ألا تعرف من يدعوك ويريدك؟) وتبين أن فاضلا مصيب في قوله: في أثناء وصوله الباب صاح بصوت مرتفع "إنهم يجبرونني على الذهاب" وإلا لن أترككم" وأضاف قائلاً "وعد الرجل دين، سأذهب الليلة لمقابلة الزعيم".



من اليمين: غفور عزيز، علي أحمد حماجي، فهمي فرج، فاروق ملا مصطفى، سردار مصطفى مظهر، ( )، جلال ساماغا - في الزعفرانية، نوروز، ١٩٦٠/٣/٢٠

كانت صدفة عجيبة. بعد يومين زارَنا فاضل وأطلق سراحنا. قال ما إن خرجت حتى سارعتُ ليلاً إلى عبدالكريم قاسم، قال "إما اليوم، أو بعد غد سيطلق سراحهم" قال بعضهم "الكلام يشبه أكاذيبه الأخرى". أنا اعتقدت أنه صادق ولا يكذب. احتراما لفاضل ومن أجله هو أخرجوا المعتَقَلين كلهم وأطلقوا سراحهم، وهذا فضل يعود إلى عبدالكريم قاسم وعظمته.

اثناء الدراسة الجامعية، اعتُقِلتُ مرات عدة في كلية التجارة، وامضي في كل مرة بضعة أيام في الموقف..

مرة بسبب شجار حدث بين الشيوعيين والقوميين.

من الأحداث الغريبة الأخرى التي شهدتها هي شجار واشتباك دائر بين جبهتين. عشرات منا وقفت مقابل عشرات منهم.

لَم تخمد النار، حَضرَت قوة من الجيش بقيادة – معاون رئيس أركان الجيش المدعو الزعيم (شريف). مثلما أسلفت كنتُ آنذاك أعمل في وزارة الإرشاد صباحاً التي اشتملت على قسم (رقابة) المطبوعات أيضاً، الذي كان يشرف عليه ويديره الزعيم شريف. حين وصل معاون رئيس أركان الجيش قال أحد الضباط، ليتقدم من الطرفين اثنان، اختارني الرفاق، وقلتُ في نفسي لن يسمح زعيم شريف، إذن ببقائي في رقابة المطبوعات، رغم كونه رجلاً طيباً. وجدتُ من المنقصة والخزي والعيب والعار ألا أتقدم، لو أبيت ورفضت فسيعيرونني بالجبن! فتقدمتُ ورآني مستغرباً فقال "أهو أنت ممثل الشيوعيين؟"، قلتُ له "نعم". وتقدم نفر من الطرف الآخر ودار الحديث بيننا واستجوَبَنا ورأبَ الصدعَ وأصلح البين واتفقنا على إنهاء الشجار والمشكلة، على أن يخرج طرف في البداية ويرافقه الجنود للحيلولة دون استئناف القتال.

عدتُ في الصبح إلى الوزارة، كان المرحوم (لطفي الخوري) سكرتير هيئة الرقابة، رجل في غاية الطيبة. رَويتُ له القصةُ من أولها إلى آخرها، فقال "الزعيم شريف رجل طيب.. يمكن أن يكتفي بطردك أو بتقديم استقالتك". نصحني ألا يتدخل أحد، قالَ إذهب بنفسك إليه. سيضطر إلى اتخاذ موقف قاس معك لو تدخل أحد وعرف بالأمر، وكما أسلفت "كان هو مسؤول الرقابة، وكنتُ مع الأخ عزيز خانقاه نشرف على رقابة المطبوعات الصادرة باللغة الكوردية. أوصيتُ مستخدم زعيم شريف، وكان يدعى حسن، أن يخبرني فور مجيئه. بعد هنيهات جاء حسن وأخبرني بمجيئه وقال "إنه جالس في غرفته وجلبتُ إليه من الحيدرخانه لبن وصمونة، وهو يتناول الفطور

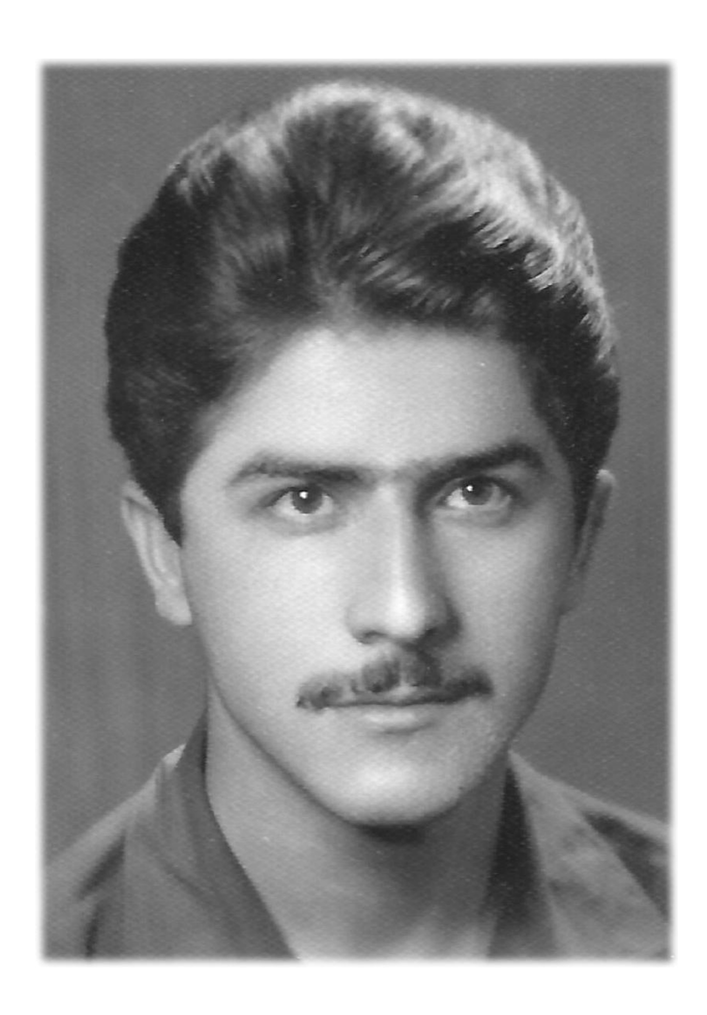
الآن". ذهبت إلى غرفته، قرعتُ البابَ، فَلَمْ أسمع جواباً، قال المستخدم "اطمئنْ انه هناك. دخلتُ غرفته بهدوء، أبصرتُ رأسَه مائلاً على المنضدة وقبعته وملعقته مرميتين على الطاولة.

عدتُ أدراجي وناديت الفراشَ وقلتُ "هيا، تعال معي أظنه قد فَقَد وعيه وأغمي عليه."

فأوصاني حسن ألا ننبس بكلام لئلا تُخلقُ لنا مشكلة ما، رجعتُ إلى غرفة لطفي الخوري فقالَ "قل لي ماذا حدث؟"، قلتُ له "والله أظن أن الأمر قد حُسِمَ وعولج، إما أنه قد أغمي عليه، أو أنه فارق الحياة." بعد برهة تعالت الأصوات والغمغمات، وذهبوا بالزعيم إلى المستشفى، يا للأسف فقد فارق الحياة.

منذ بدايات ذهابي إلى بغداد، شرعتُ أعمل بلا أي مقابل في صحيفة (آزادي) للحزب، وبدأت بتصحيح مواضيع الكُتاب. وكنت أحمل الصحيفة إلى المطبعة بعد طبع نسختها الأولى، وأعيدُ تصحيحها من جديد. صدرت (آزادي) اسبوعية ولسان حال فرع كوردستان للحزب الشيوعي العراقي، باللغة الكوردية في مقر صحيفة (اتحاد الشعب) ومقر قيادة الحزب في وقت واحد، الكائن في شارع الكفاح – فضوة عرب، وبفضل ذلك تعرفتُ على أغلب قادة الحزب أمثال الرفاق: سلام عادل، عزيز محمد، بهاءالدين نوري، عبدالجبار وهبي (أبو سعيد) و عامر عبدالله، وعشرات من الكوادر الثقافية والحزبية الأخرى، مثل، حسين جواد الكمر ، ماجد العامل، والشاعر المعروف رشدي العامل. هناك تعرفتُ على الرفيق إبراهيم علاوي، الذي كان الكاتب الرئيس آنذاك في مجلة الحزب الصادرة باللغة الإنكليزية (Iraq Review).

تألفت هيئة تحرير وكُتّاب (آزادي)، من الشهيد نافع يونس (عضو القيادة وصاحب امتياز الصحيفة) وعزالدين مصطفى رسول، ومحمد الملا كريم، وانضم إليهم في وقت لاحق محمد كريم فتح الله. بعد سنة من بقائي في الجريدة انضم إلى الهيئة الأستاذ الشاعر عبدالله كوران، وكان يحضى بتقدير بالغ ويعده الآخرون أستاذاً ومرشداً لهم.



فاروق ملا مصطفى

سنوات الجامعة

منـذ ذهـابي إلى بغـداد لم أكـن طالبـاً عاديـاً مهتمـاً بـدوامي والسـعي في دروسـي فحسـب، بـل وزعـتُ أوقـاتي علـى الدراسـة والعمـل في الـوزارة، عـلاوة علـى نشـاطات سياسية كثيرة.

رسالتي إلى الجيل الجديد هي أن أقول لهـم، لينظـروا قلـيلاً إلى تعبنـا ومسـعانا في تلـك السـنين. كنـت أنهـض مـن النـوم في السـاعة السادسـة صـباحا وأركـب حافلـة، وأحيانـاً حـافلتين ليتيسـر لـي الوصـول إلى وزارة الإرشـاد حيـث مقـر وظـيفتي الـتي حتمت عليّ أن أبقـى في دوامـي حتـى السـاعة الثانيـة بعـد الظهـر لأتمكـن مـن اللحـاق بدوامي الجامعي في الرابعـة بعـد الظهـر تمامـاً، ثـم أتنـاول (شـطيرة) بسـيطة في مطعـم النادي قبل أن يدق جرس الدرس الأول. كـان دوام الكليـة ينتهـي في السـابعة، فكنـتُ أنصرف للاجتماعات والشؤون الحزبية، ثم العودة في وقـت متـأخر مـن الليـل إلى الـدار التي استأجرناها مع بعض الأصدقاء. في أقل تقدير كنا نسـعى ونكـد حتـى السـاعة ١ – ٢ ليلاً. وكان عليَّ أيضاً غسل ملابسي وكيّها. وخصصت وقتاً في كـل شـهر لإخـراج غطاء لحافي لتنظيفـه، كـل هـذه الأعبـاء لم تمـنعني مـن النجـاح، وتعرضـتُ مـرارا إلى التوقيف و الاعتقال والشجار بسبب الأمور الحزبية.

حتى انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣، وكنت وقتها في المرحلة الرابعة، شهدَ الوضـع حـالات مد وجزر، صعود وهبوط فكري داخل الحزب الشيوعي والحركات السياسـية في العـراق وكوردستان.

اتخـذت حكومـة عبـدالكريم قاسـم سياسـة عوجـاء مضـطربة وغـير مسـتقرة إزاء الأحزاب السياسية في العراق.

حدثت صراعات ونزاعات واصـطدامات في انتخابـات المنظمـات والفلاحـين ونقابـات العمال والمعلمين والطلبـة بـين الأحـزاب العراقيـة، وفي الأعـم والأغلـب أيـدت الحكومـة جبههَ البعـث والقـوميين العـرب. بعـد محاولـة اغتيـال عبـدالكريم قاسـم في منطقـة (رأس القرية) في ٧ تشرين الأول ١٩٥٩ التي دبرها حزب البعث، وكان صـدام أحـد المهـاجمين، حدثت تراجعات كبيرة في سياسة عبدالكريم قاسم امتدت حتى انقلاب ١٩٦٣.

في شهر كانون الثاني، بدأ إضراب طلبة جامعة بغداد بقيادة البعثيين ومشاركة القوميين العرب والإخوان المسلمين، وغدا بداية لتحريك الوضع السياسي ليس في الجامعة وإنما في أرجاء بغداد كافة، وجزءاً أو مقدمة لتآمر البعثيين للقيام بانقلاب ١٤ رمضان (٨ شباط ١٩٦٣).

مع تبدل مسار عبدالكريم قاسم وتضييق الخناق على الشيوعيين والحد من علاقاته معهم، انتُهِجْت واتُبعتْ سياسة عنيفة مع الحزب وظهرت بوادرها بنقل وطرد الشيوعيين والديمقراطيين المقربين إليهم من الجيش والمراكز الحكومية المهمة، كوزارة الدفاع والداخلية والإرشاد.

وحجبت الصحف عن الصدور ومُنِعَت معظم النشاطات الجماهيرية، ما أدى إلى امتلاء الدوائر الحكومية بالمتسلطين وأنصار ومؤيدي البعث والقوميين والرجعيين.

بداية انقلاب شباط

حين بدأ إضراب البعثيين والقوميين في جامعة بغداد في كانون الثاني ١٩٦٣، لَمْ تُظهر مؤسسات الحكومة العداءَ حيالهم ولم تتخذ إجراءات قانونية إزاءهم، بل بدأت بحمايتهم وتشجيعهم لمواصلة إضرابهم. وللتاريخ أقول إن مؤيدي الحزب الديمقراطي الكوردستاني من الطلبة في كليات جامعة بغداد، لم يداوموا بل اشتركوا معهم في الإضراب.

صباح ٨ شباط بدأ الانقلابيون بقصف وزارة الدفاع. ورغم ان آلاف الناس في الأحياء المختلفة لبغداد طالبوا الحكومة، وطالبوا عبدالكريم قاسم، بتزويدهم بالأسلحة كي يذودوا عنه ويحموا حكومته، غير انه أبى ذلك وظل هو وأصدقاؤه المقربون يقاومون داخل مبنى وزارة الدفاع، ثم قبض عليهم المهاجمون وساقوهم إلى مبنى إذاعة بغداد وهناك بدون مراعاة أي سلوك حسن وآداب إنسانية وقانونية، وبعيداً عن القيم السياسية والاجتماعية، وإيلاء أي اهتمام للعدل والمحاكمة القانونية استشهد عبد الكريم مع فاضل عباس المهداوي، وطه شيخ أحمد، ووصفي طاهر وهم يهتفون ويرددون (عاش الشعب العراقي) و (عاش الحزب الشيوعي العراقي).

بإسقاط حكومة عبدالكريم قاسم ونجاح انقلاب٨ شباط الأسود (١٤ رمضان ١٩٦٣)، شهد العراق مرحلة جديدة سادها التراجع عن معظم المكتسبات الوطنية والقومية والشعبية لثورة وحكومة ١٤ تموز ١٩٥٨.

لقد أثبت وأظهر بيان رقم (١٣) للانقلابيين (الرامي إلى القضاء على الشيوعيين واجتثاثهم)، وحشيةَ البعثيين وعداءهم البغيض، فأغرقوا آلاف الشيوعيين والوطنيين في الدماء، ودفعوا بالآلاف إلى غياهب السجون وقتلوا تحت أقسى أنواع التعذيب مئات الناس في معتقل (قصر النهاية)، وأبتدعوا أشد أنواع التعذيب، كقطع الأيدي والأقدام بالمنشار وسمل العيون و رمي المناضلين وهم أحياء في أحواض التيزاب.

قبل حدوث الانقلاب، كان الحزب الديمقراطي الكوردستاني في حوار مع البعث، وطفق يؤيدهم في ذلك اليوم الأسود فأوقع نفسه في مأزق تاريخي كبير. كان التأييد

ببرقية من صالح اليوسفي عضو المكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكوردستاني جاء فيها:

"لقد تلاحمت الثورتان، الثورة الكوردية والثورة القومية العربية.. وقد تهاوت قوى الظلام والشعوبية تحت ضربات الحزب"[١].

يعتبر هذا الموقف من أسوأ مواقف الحزب الديمقراطي الكوردستاني بتضامنه مع البعثيين في إسقاط حكومة عبدالكريم قاسم الوطنية واشتراكه في حكومة البعث.

ولأن هذه الصداقة لم تبن على أسس صلبة ومتينة، وحصيلة تقدير خاطئ للحزب الديمقراطي الكوردستاني لما يترتب على التعاون مع البعث وجبهته، لذا سرعان ما أفصح البعثيون عن نواياهم وأظهروا وجههم الحقيقي، وشنوا بعد انقضاء فترة قصيرة، الهجومَ على أعضاء ومؤيدي الحزب الديمقراطي الكوردستاني في بغداد وانقلبت تلك العلاقة رأساً على عقب، وانتهت بإعلان نيران الحرب مجدداً.

وفي حزيران ١٩٦٣ شنت القوات العسكرية هجماتها الشاملة على أراضي كوردستان.

وفي داخل المدن أصبح جمع غفير من أبناء شعبنا ضحايا بأيدي الأعداء الفاشيين. ولترويع الكورد بشكل عام والشيوعيين والديمقراطي الكوردستاني، أعاد البعث من سجون بغداد إلى كركوك كوكبة من المناضلين المعروفين وشنقهم هناك. فَمِن جانب كان هذا العمل الإجرامي لترهيب هذين الطرفين، ومن جانب آخر كان لإرضاء الرجعيين ومتعصبي كركوك الذين تعاونوا وتضامنوا مع جبهة البعث

---

[١] جرى الانقلاب في صبيحة ٨ شباط وتمت تنحية عبدالكريم قاسم، وفي مساء اليوم نفسه زار صالح اليوسفي يرافقه فؤاد عارف والمهندس شوكت عقراوي مبنى الإذاعة العراقية الذي اتخذ مقرا للمجلس الوطني لقيادة الثورة، وسلموهم برقية مرسلة من قِبَل الحزب الديمقراطي الكوردستاني جاء فيها: لقد تلاحمت الثورتان، الثورة الكوردية والثورة القومية العربية ... وقد تهاوت قوى الظلام والشعوبية تحت ضربات الثورة. وأبلغهم صالح اليوسفي أن مصطفى البارزاني أمر بإيقاف كافة الفعاليات العسكرية ضد الجيش العراقي في كافة جبهات القتال في كوردستان.

والقوميين المتعصبين لتعريب مدينة كركوك. وفي ١٩٦٣/٦/٢٣ أعدمت كوكبة من أبطال كركوك منهم: الأديب والمحامي المعروف شيخ معروف برزنجي، وشقيقه الفنان شيخ حسين برزنجي، والمحامي جبار بيروزخان، وفاتح ملا داوود جباري.

استبسلت قوات بيشمركة كوردستان أمام الهجمات الوحشية العنيفة التي شنها الجيش العراقي بمساعدة في الجيش السوري، وَسُجلَت المئات من ملاحم الصمود ضد العدوان الهمجي.

الحزب الديمقراطي الكوردستاني وانقلابيو ٨ شباط ١٩٦٣

في الفصل الأول من الجزء الثالث في كتابه الموسوم (البارزاني والحركة التحررية الكوردية – ثورة أيلول) ص١٠٣ يقول السيد مسعود البارزاني:

قبل بدء الانقلاب بأربعة أيام بعث بصالح اليوسفي إلى بغداد، ليجتمع مع علي صالح السعدي، الأمين العام للقيادة القطرية في بغداد. وفي ذلك الاجتماع كرر وعده بإعلان الحكم الذاتي للشعب الكوردي فور نجاح الانقلاب.

وفي اليوم الأول للانقلاب طلب مذيع الإذاعة من العميد فؤاد عارف، وصالح اليوسفي، التوجه فوراً إلى محطة الإذاعة لتأمين العلاقة والارتباط بين قيادة الحزب الديمقراطي الكوردستاني وحكومة بغداد، بَيد أن البلاغ (١) المفصل الصادر باسم قيادة الثورة لم يتضمن أي إشارة إلى حقوق الشعب الكوردي لا من قريب ولا من بعيد.

في الحقيقة ورد في مواضع ومصادر عدة تساؤلات حول موقف الحزب الديمقراطي الكوردستاني حيال انقلاب ٨ شباط، وفُسر على أساس أنه سعي إلى أن يؤدي هذا التضامن إلى تحقيق بعض أهداف الثورة الكردية، غير انه تحليل غير دقيق ورؤية سريعة ومرتجلة، افتقرت إلى الأسس السليمة لفهم حزب البعث. فقد أثارت تلك البرقية التي بعث بها صالح اليوسفي في اليوم الأول من الانقلاب الدامي – والتي اشتهرت لاحقا بالصيغة السيئة الصيت (لقد تلاحمت الثورتان..) – تَذمرَ واستياء المواطنين في

العراق كافة، إذ شجبوا هذا التحالف المشبوه مع حزب فاشي دموي، وسمعتُ من مام جلال أكثر من مرة، خاصة في السنين التي سبقت مرضه، لقد أسقطوا عبدالكريم قاسم بدون أن يُحسبوا حسابا دقيقاً لبديله، وهكذا تسلم البعث الحكم والسلطة.

مراجعة سريعة

كان الحزب الشيوعي من اهم الأحزاب الموجودة في الساحة السياسية العراقية في ذلك الوقت، ولعب قبل ثورة تموز ١٩٥٨ دورا كبيرا في الحركة الوطنية. لقد كان الرفيق يوسف سلمان (فهد) المؤسس الفعلي للحزب عام ١٩٣٤ من اتحاد الخلايا الماركسية التي ظهرت في مدن عديدة من العراق وكان كل منها يحمل سمات الظروف السياسية والاجتماعية التي تطور فيها. فقد كانت خلية البصرة والناصرية في الجنوب قد تطورت تحت قيادة فهد الذي برز فيما بعد كمؤسس وقائد للحزب الشيوعي، وكانت هذه الخلية تحمل طابع الطبقة العاملة التي وُلدت منها وكانت على اتصال وثيق بالفلاحين في جنوب العراق. وقد أهتم الحزب منذ تأسيسه بالقضايا الوطنية، آخذا المسألة الكوردية بنظر الاعتبار. ومن شعاراته: (قووا تنظيم حزبكم، قووا تنظيم الحركة الوطنية). وورد في برنامج الحزب التأكيد على حق الشعب الكوردي بتقرير مصيره بوضوح، وفي صحيفة (كفاح الشعب) لسان حال الحزب الأولى، الصادرة عام ١٩٣٥ تم الاعتراف بحق الشعب الكوردي في الانفصال وتقرير وتحديد مصيره في العراق.

ولَم يعرف العمل السياسي السابق في العراق أبدا بطولة كبطولة فهد وزكي بسيم (حازم) وحسين الشبيبي (صارم)، في صمودهم وإيمانهم القوي بالحركة والأفكار الشيوعية، وتجلى ذلك بأبهى صورة عند محاكمتهم ودفاعهم البطولي عن معتقداتهم وحزبهم، وحكم عليهم بالإعدام جراء ذلك. ذلك الحكم الذي خفف لاحقا إلي المؤبد في ١٣ تموز عام ١٩٤٧.

مع تطور وازدهار وتقدم الفعاليات والتوسع الجماهيري للحزب في العراق، وبعد وثبة كانون ثاني ١٩٤٨ والإطاحة بمعاهدة بورتسموث أعادت حكومة (نوري السعيد)

محاكمتهم مرة ثانية، في محاولاتها لقمع الحركة الوطنية المتصاعدة، وحكمت عليهم بالإعدام. وفي صبيحة ١٤ شباط ١٩٤٩ تم تنفيذ الحكم بهم وهم يهتفون بحياة الحزب.

هتف فهد قبل اعتلائه المشنقة هتافه المدوي أبدا: الشيوعية أقوى من الموت وأعلى من المشانق.

وهتف زكي بسيم (حازم): عشتُ شيوعياً، وأموت شيوعياً، وإن قدر لي وعدت إلى الحياة سأظل شيوعياً إلى الأبد.

وقال حسين شبيبي (صارم): إنه لفخر لي أن أُشنقَ في مكان تظاهر فيه الناس ضد النظام الرجعي.

أجج إعدام القادة الثلاثة وبطولاتهم الفريدة، حماسَ الشيوعيين والوطنيين لتغيير الحكم الملكي الإمبريالي.

هنا أود أن أقول إن الحزب الشيوعي الذي أُسس على هذا النحو قاوم بشكل رئيس الحكومات الملكية المتعاقبة في العراق، وقاد انتفاضات بغداد والعراق بين ١٩٤٨ و ١٩٥٢ وكان طرفاً رئيساً في تأسيس (الجبهة الوطنية) في العراق. وفي الوقت نفسه، وتزامنا مع التحالف بينه وبين الحزب الديمقراطي الكوردستاني، كان الحزب الشيوعي أقرب حزب من تنظيم الضباط الأحرار بقيادة الزعيم عبدالكريم قاسم قبل الثورة، وكان على علم بموعد إعلان ثورة ١٤ تموز، وأصبح المؤيد الأكبر لها في العراق.

تعرض كل شيوعي أو مؤيد للشيوعيين إلى السجن والملاحقة في أعقاب انقلاب ٨ شباط، واعتقل عشرات الآلاف في العاصمة وفي المدن العراقية الأخرى، خصوصاً في الكاظمية وباب الشيخ إذ تصدى الناس للمتآمرين دفاعاً عن ثورة ١٤ تموز، ودامت المقاومة يومين.، لقد اقترف عبدالكريم قاسم خطأً كبيراً عندما ركز في مقاومته للانقلاب على تجميع قواته في وزارة الدفاع وحول مقره.

أرى أن أهم مقاومة ومحاولة دفاعية عن الثورة هي ما حدث في معسكر سعد في بعقوبة التي قادها الملازم الأول صلاح محمد جميل الذي كان من أعز أصدقائي.

ذكرى الرفيق البطل الشهيد صلاح محمد جميل

مثال رفيع للتضحيات:

حين حدث انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ في بغداد، وأذاع الانقلابيون بيانهم الأول من إذاعة بغداد، كان صلاح محمد جميل برتبة (ملازم أول)، في معسكر سعد في بعقوبة، وهي أقرب مدينة من بغداد. كان صلاح صاحب عقيدة متينة وعضوا في الحزب الشيوعي العراقي، وبلا أي تردد وريبة سيطر مع رفاقه على المعسكر المذكور، وهو من أهم المعسكرات في العراق. وفي اصطدام واشتباك عنيف داخل المعسكر قتلوا ثلاثة من كبار الضباط الانقلابيين، وتغلب صلاح والملازم محمد باباجان بشكل تام على مؤيدي الانقلاب في المعسكر.

لا أروم أن أتعمق ههنا في البحث عن الدوافع والنتائج، بل يهمني استذكار هذا البطل، وفاءً للذين ضحوا بأرواحهم من أجل وطنهم وشعبهم.

بعد نجاح الانقلاب واستشهاد قادة ثورة ١٤ تموز (عبدالكريم قاسم، فاضل المهداوي، طه شيخ أحمد) بفتح النار عليهم بشكل جبان وبدون محاكمة، تم إلقاء القبض على صلاح، وعدد من رفاقه، في منطقة بهرز بديالى وسيقوا إلى بغداد.

روى لي ضباط اعتقلوا في أماكن مجاورة له في المعتقل، أنه كان يزأر كالأسد بوجه الجلاوزة الذين أذاقوه شتى أنواع التعذيب.

ولإرهاب الناس وإدخال الرعب في قلوبهم، قدموا صلاحاً ورفاقه إلى محاكمة صورية، ونُشِرت صورهم في الصحف، ظهر فيها صلاح الشاب أبياً جريئاً بشوشاً واقفاً متحديا كبطل جسور أمام الموت. وقد أجاب على سؤال رئيس المحكمة، ردا على تخرص من قال له (أنت هجين)، لأنه كوردي من جهة أبيه، قائلاً: أنا كوردي وابن شعبي، وعضو في الحزب الشيوعي العراقي، وأنتم خَوَنَة أذلاء أمام الشعب العراقي.

خلال تنفيذ حكم الإعدام الذي استغرق خمس عشرة دقيقة، خاطب صلاح صديقه (محمد باباجان): أنتَ كنتَ مرشحاً لنيل العضوية في الحزب، ولمناسبة الحكم الصادر من المستبدين سأمنحك العضوية الآن.



فاروق ملا مصطفى، الشهيد صلاح محمد جميل، ١٩٦٢

ألف تحية إلى روحك الطاهرة عزيزي صلاح. يا صديق الطفولة وصديق العمر حتى نلتَ الشهادة.

ألف تحية إلى روح المرحومين فريدون عارف نجيب، وبهزاد جميل صائب، الضابطين المعروفين في الطيران العراقي، اللذين سردا لي قصة هذا الموت البطولي في وقته، وكانا من أعز أصدقائي في الحياة، وأمضيا شطراً من شبابهما في معتقلات العراق.

عودتي إلى السليمانية

بعد يومين من الانقلاب، أي في ١٩٦٣/٢/١٠، عدنا نحن، أقصد عدداً من الطلبة والموظفين الذين سلموا من هجمات الاعتقال في بغداد، إلى مدن كوردستان.

كنتُ في المرحلة الجامعية الأخيرة في كلية التجارة وأحد الذين ارتبطوا بالحزب في السليمانية، عقدتُ الأمل منذ اليوم الأول على أن تنبري حركة داخل الجيش لإسقاط حكومة البعث، بَيد أن الانتظار طال كثيراً.

من بين الوسط الجامعي، عدنا أنا والرفاق حسين عارف ولطيف شيخ طه وحَمَه صديق محمود وفؤاد شمقار وكمال كريم وطه خليل، إلى السليمانية، وبعد مرور فترة عاد الرفيق علي محمود، أكبرنا مسؤولية في التنظيم. بعد عودتنا هذه، دخلتُ في البداية لجنة طلبة السليمانية، لم يمر وقتٌ طويل حتى اصطحبني مسؤولي الرفيق شيخ قادر شيخ رضا قادركَرَمي، لألتقي الرفيق صبري يوسف.

الحياة والكفاح وذكريات مع صبري يوسف

كان الرفيق صبري معلماً في الابتدائية، وعضو اللجنة المحلية في السليمانية. مسيحي من الموصل، قلما عرف الناس أنه شيوعي، ما إن التقيته حتى أحسست انه رجل جريء وصاحب موقف وشيوعي شجاع.

قال لي في اللقاء الأول: "يا رفيق اخترناك أنت للجنة خاصة خارج تنظيمات المدينة، وبدون أن تنقطع عن الداخل". كنتُ أتوقع ذلك، لأنه حين أخبرني الرفيق شيخ قادر أن رفيقاً أرفع مني مستوى في الحزب سيراني، تيقنتُ أن مهمة جديدة ستوكل إليّ.

استطرد الرفيق صبري قائلاً "نحن نمر اليوم بظرف صعب، والحكومة تتبع سياسة عنيفة لإبادتنا وتسعى لتنفيذ تلك السياسة بقوة وقسوة، وفي كوردستان يوجد داخل الحزب الديمقراطي الكوردستاني جناح يعاملنا بعنف وقسوة أيضا، ويهددنا بضربنا وقمعنا، بدلاً من التعاون والتضامن معنا". مع الأسف صدق قوله.

غادر رفاقنا المكشوفون المدينةَ وقصدوا القرى والجبال، وبنوا مقرات في أماكن عدة. من تلك الأماكن قرية (كلكه سماق) حيث مسكن الشيخ كاكه حَمَه مام رضا حَقَه، خليفة ورئيس طريقة الحَقَه.

مامه رضا رئيس طريقة (حَقَة): أسدى كاكه حَمَه، خدمات جليلة إلى المئات من الهاربين الذين استقر بهم المقام هناك، وكانوا يعدون العدة لتأسيس قوة من البيشمركة بهدف مقاومة قوات حكومة البعث.

لا بد من تثمين تلك المواقف الرجولية لجماعة الحَقَه وموقف مامه رضا وأتباعه ومريديه إزاء الشيوعيين الفارين من مدن كوردستان وجنوب العراق، حقا هي مواقف مترسخة في الذاكرة لا يمحوها الزمن والدهر.

كيف لا يثمنونهم ويكونون ممتنين لهم وهم يعرفون أي كلام وأمثولة تركها (مامه رضا) رئيس الحَقَة، أليس هو القائل: "لو بقي في الدنيا إثنا عشر شيوعياً وقُتِلَ منهم أحد عشر ونجا منهم شيوعي واحد، فأن هذا الواحد سيحيي الشيوعية بمفرده!" ما أجمل معتقد هذا الرجل الكبير.

وكان لمصطفى البارزاني موقفه الخاص حيال رفاقنا، وتكفل بإيوائهم وحمايتهم بكل السبل المتاحة. وهؤلاء الرفاق مهدوا الدرب وأعدوا العدة لتأسيس قوات بيشمركة الحزب الشيوعي العراقي في جبال كوردستان.

مكثتُ حتى تلك الفترة في كوردستان، أعمل في تنظيمين: الأول لجنة الحزب في المدينة، المؤلفة مني ومن عثمان كريم جاوشين وعارف معروف النجار. وكان خدر شوكت عضو اللجنة المحلية للسليمانية، مسؤولنا لبعض الوقت. وثاني التنظيمين كان لجنة المقاومة الشعبية، أدارها الرفيق صبري يوسف، وأوكل إليَّ إدارة قسم كبير منها. وفي تنظيمات الحزب داخل المدينة كنتُ مسؤولاً عن الشؤون التنظيمية لجِهان صديق شاويس وطه خليل، الصديقان الحميمان، واللذان غالباً ما كانا يختفيان في بيت المرحوم رشيد المختار، بفضل وجهد حَمَه صديق.

كان كاكه رشه، رجلاً طيبا وحلو اللسان، وله فضل على بعض من صدرت أوامر إلقاء القبض عليهم، وغالبا ما أخبر المطلوبين ليغادروا أماكنهم وبيوتهم قبل البدء بالتفتيش والمداهمة. أبدا لن يغيب ذكر هذا الرجل وأطايب كلامه.

تم إرسال الرفيقين جِهان وطه إلى خارج المدينة، حيث استقرا في مقرنا بَقرية كَلكه سماق. كانا في شرخ شبابهما وامتلكا قلبين مفعمين بالأمل، أفسدت السياسة عليهما بعضا من أخيلتهما المجنحة وبددتها. سلب الحزب جزءاً من خيالهما، وخطف حبهما لخطيبتيهما القسط الأوفر منه.

ذات يوم بعث كل واحد منهما برسالة إلى خطيبته في المدينة عن طريق المراسل الحزبي. ولكن تمخضت عن كتابة هاتين الرسالتين مشكلة. كان إنشاء وخط جِهان رائعين، لذا فقد ناشده طه أن يكتب له رسالته إلى خطيبته بخطه الجميل. فانصاع له جِهان ونزل عند رغبته فكتب رسالتين حسب مشيئته وذوقه، إحداهما لخطيبته والأخرى لخطيبة طه. ولم يتضح لي ما الذي جرى عند إيصال الرسالتين، هل تعمد المراسل الحزبي وأعطى رسالة طه إلى خطيبة جِهان ورسالة جِهان إلى خطيبة طه، أم أنه سها واختلط الأمر عليه حقاً وأستبدل الرسائل. تَعَقَّد الأمرُ كثيرا، وتركا القرية وعادا إلى المدينة خفية بشكل مستعجل. ومن بيت رشيد المختار أرسلا إلي شخصاً لأحضر هناك. أثارت خطيبة جِهان لغطاً وأبدت استياءها وتذمرها وعتابها الشديد، لأن الخط وفحوى الكلام لِجهان إلا أن الرسالة معنونة إلى فتاة أخرى!

صرخ المرحوم جِهان الشاب الواعي والجريء على طه خليل: "اللعنة عليك يا..... لِمَ تعشق ما دمتَ تعجز عن كتابة رسالة؟" وقال لي: "عدتُ إلى المدينة لأنك أنت المسؤول عنا الاثنين، فلابد أن تطرد طه من الحزب.. إنه خانني وَخان الحزب."

طابت ذكرى هذين المناضلين الطاهرين. بعد توسلات طه، ورجائي و إلحاحي على الرفيق جِهان، عفا عنه ثم قفلا راجعين إلى مقرهما في الجبل. ويا للأسف لم يحظ أي واحد منهما بخطيبته! ألف تحية إلى روحيهما الطاهرتين[١].

---

[١] جِهان شاويس هو شقيق المناضل الكوردي الراحل نوري صديق شاويس القيادي البارز في الحزب الديمقراطي الكوردستاني والوزير في بغداد في بدايات السبعينيات. في عام ١٩٨٧ زرت القائد العسكري الشهيد حَمَه رَش في بيته بقرية كربجنه الجاثمة تحت أقدام جبل سكرمه. قال لي سأعرفك على شخصية تقيم في تلك الغرفة الملاصقة للمسجد وستكون رؤيته مفاجأة لك، حين دخلنا الغرفة عرفني على جهان الذي ترك حياة المدينة واختار العزلة والطبيعة في تلك القرية. إضافةً إلى جمال خطه الذي يذكره الأستاذ فاروق أدهشتني

أمضيت تلك الأشهر في السليمانية مختفياً ومنهمكاً في ترتيب شؤون الحزب، وطار ذهني إلى بغداد ومعرفة مصير رفاقي في الجامعة، تُرى أي منهم اعتُقِل أو قُتِل أو فرَّ هارباً.

وفي صيف تلك السنة، طلبتُ من فرع كوردستان للحزب أن أرجع إلى بغداد، فاستحسنوا الطلب، وأعطوني عنوانا في بغداد للمساعدة في إعادة الارتباط بين قيادة فرع كوردستان ومركز قيادة الحزب في بغداد.

في الحقيقة كان معظم أعضاء المكتب السياسي واللجنة المركزية للحزب، على رأسهم الرفيق عزيز محمد، موجودين في كوردستان.

امكانياته الهامة في التخطيطات والرسوم، كان يقرأ نصوصي الشعرية وبعد التروي وإمعان النظر فيها يضع لها تخطيطات فنية بخطه الجميل ثم يشرح لي المعادلة الواضحة بين الفن والكلمة وامتزاجهما. اصيب بمرض نقل إلى مستشفى السليمانية وتوفي بعد أيام ، أما طه خليل فأصبح فنانا مسرحيا شهيراً توفي قبل سنوات. (المترجم)

الفصل الثالث

بـانوراما السِيّر والأحداث

أحداث مؤلمة

العلاقات بين البارتي والشيوعي - جريمة كاني ماسي[١]

سبق أن أشرتُ في موضع آخر إلى العنف الذي مارسه أعضاء المكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكوردستاني اتجاه الحزب الشيوعي العراقي، متذرعين بأنهم قوميون يعادون الحزب الشيوعي. في العام ١٩٦٣ وقتما أوغل حزب البعث في قتل الشيوعيين ومؤيديهم وأنصارهم، قام هذا الجناح المعادي من الحزب الديمقراطي بحملة واسعة لمطاردة الشيوعيين وتضييق الخناق عليهم. فتفاقم الأمر ووصل إلى حد أنهم قتلوا عضوا بالحزب الشيوعي في السليمانية بدون أي استفزاز أو مواجهة.

ووقع صديقي العزيز، الناشط الجدي الرفيق عثمان سَيواني، ضحية هذه السياسة المتبعة ضد الشيوعيين، بدون أن يفعل أو يرتكب شيئاً ضد أي جهة أو طرف. وجسدت حادثة (كاني ماسي) المؤلمة التي أدانها الحزب الديمقراطي الكوردستاني وإتهم فيها (كازيك)[٢] المدى الذي وصلته هذه السياسات العدوانية.

وقد تباهى مرتكبو هذه الجريمة جهارا بجريمتهم النكراء، والناس تعرفهم فردا فردا، وأحد شهداء كانى ماسى هو المناضل (عبدالرحمن صالح خله) الشخصية المعروفة في السليمانية، قتلوه بشكل وحشي وأضرموا النار في جسده. هذه الهجمة الوحشية لم تكن بعيدة عن قوى الأمن و الإستخبارات الحكومية الذين اندسوا داخل صفوف هذا التنظيم. هذه الجريمة حدثت في أوائل عام ١٩٦٤ حيث أن حملات إبادة الشيوعيين و الديمقراطيين بعد إنقلاب شباط ١٩٦٣ لم تنته.

و احتراما لذكرى هؤلاء الشهداء ضحية هذه الجريمة نذكر أسماء المعروفين منهم إضافة إلى الشهيد المناضل (عبدالرحمن صالح خله) الذي اغتيل وأحرقت

---

[١] كاني ماسي منطقة قريبة من السليمانية، ارتكبت فيه تلك الجريمة الشنيعة

[٢] كازيك: جماعة أو حزب كوردي قومي، اعتمد على النخبة القومية. وكازيك "كلمة مكونة من حروف وتعني جمعية التحرر وانبعاث أو بعث الكورد"

جثته، و هم الشهداء: ملا على، ملا حمه أمين، عمر مام علي، شيخ محمود تاجر الرز، نوري حمه علي، عارف حسين، عثمان سيواني " أغتيل خارج كاني ماسي"، عبدالله المضمد.

و الجرحى الذين تعرضوا لمحاولة القتل و هم:

- إسماعيل پالّەوان "پالّەوان يعني البطل و كان رياضيا مشهورا."
- كريم عبدالله (كريم عبه خره) الذي جرح و أصبح معوقا.
- عزيز المكواجى، اختطف و انقذه عدد من أقربائه.
- و في هذه الفترة أستشهد محمود سيد علي بأيادي هذه الزمرة.

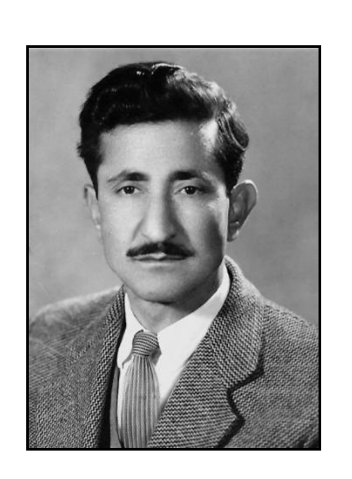
كان هذا اتباعا للأساليب الدموية لجزاري ٨ شباط. كانت (كازيك) حركة قومية صغيرة، أغلب قادتها المعروفين كانوا ذوي ماض شيوعي، من الذين اعترفوا وانهاروا عند وقوعهم في أيدي الأجهزة القمعية أو قدموا وثيقة البراءة لإطلاق سراحهم. تناولتُ هنا حادثة (كاني ماسي) بغية استقاء الدروس من تلك الأحداث. فيما بعد تغيرت (كازيك) وشكلوا حزب (باسوك)، وهو الآخر اندمج فيما بعد بالحزب الديمقراطي الكوردستاني. ولا يزال معظم القادة القدامى، وبغية تبرئة أنفسهم من حادثة (كانى ماسي)، يصرحون ويقولون في إعلامهم المرئي والمسموع والمقرؤء، أن تلك الحادثة جرت بدون علمهم ومن دون إصدار أمر رسمي ولا ينفون صلة أشخاص منهم بها.

وهنا أغتنم الفرصة لأطرح سؤالاً عليهم، لِمَ لم يصدروا في حينه بياناً لشجب الجريمة ومرتكبيها؟! لقد أثبتت تجربة الأطراف كلها أن اللجوء إلى إرهاب وقتل مناضلي الأحزاب فيما بينها بدون استثناء، درب أعوج وملتوٍ لا تحمد عقباه لِمن ساروا فيه، أفراداً كانوا أم أحزاباً.

يجب على مسؤولي (كازيك) الأحياء أن يعترفوا بذلك الخطأ التاريخي المقترف باسمهم، ويطلبوا العفو من الحزب الشيوعي العراقي وذوي الشهداء الأبرار، لا أن يتفاخروا بحركة صغيرة لمْ تملك دورا مؤثراً في تاريخ الحركة الكوردية سوى الولوغ بدم المناضلين بالتناغم مع جزاري ٨ شباط.

استشهاد رؤوف حاجي قادر

ويجرني تداعي هذه الذكريات الأليمة عن الاغتيالات السياسية إلى ذكر اغتيال الكادر المتقدم والمناضل المعروف رؤوف حاجي قادر في السليمانية عام ١٩٦٧. فقد بدا للبعض في حينها أن جناح المكتب السياسي للحزب الديمقراطي (جماعة جلال الطالباني) هو المسؤول عن حادث الاغتيال، وسرعان ما أبلغهم مام جلال عن طريقي، بأنهم لا علاقة لهم البتة بهذه الجريمة وليسوا مَن ارتكبوها، بل أنهم آلو على أنفسهم أن يثأروا للشهيد وينتقمون من القتلة المجرمين. وصدق قوله أذ تبين لاحقا ان من اغتالوه كانوا طغمة غاشمة مجرمة تنتسب إلى مؤسسات الحكومة الأمنية.



الشهيد رؤوف الحاج قادر

كان الأخ رؤوف مناضلاً جريئاً وصامداً وقريبا مني، آلمني اغتياله ألماً شديداً، وقَبل استشهاده كان قد حل ضيفاً عليّ في بغداد. وكما ذكرتُ في موضع آخر، عاد إلى السليمانية بأمل العودة مجدداً إلى بغداد لنتباحث هو وأنا وإبراهيم علاوي حول توجهات الحزب الجديدة، ودراسة ما استجد في ساحته.

عودتي إلى بغداد

"إذا قبضوا عليك، حافظ على شرفك ولا تخذلني"

في شهر آب ١٩٦٣ عدتُ إلى بغداد.. تلك المدينة التي أحبُبتها وقضيت أكثر من أربع سنوات فيها. بغداد الجميلة حيث التقيت فيها عشرات الأصدقاء ومئات من رفاق الحزب وعشت معهم أجمل الذكريات. تذكرتُ أجواء الجامعة المشحونة بمناسبات الطلبة وحفلاتنا العديدة وصراعاتنا مع الأحزاب الأخرى، وذكريات

موقف السراي، وسرية الخيالة، ومركز شرطة وأمن الوزيرية، والعيواضية. مرت تلك الصور ببالي وتموجت في ذهني كشريط فيلم سينمائي. وأنا أعود على نحو آخر إلى بغداد.

عدتُ متخفيا بعيداً عن أعين الناس لأن مؤسسات البعث كانت تلاحقني كأحد الأعضاء النشطين الذين نجوا من أيديهم المضرجة بدماء رفاقي الذين وقعوا في قبضتهم. كلما فكرت في ذلك تذكرت والدي، وَرَنَّ في أذني صوته حين ودعّني في أثناء مغادرتي السليمانية إلى بغداد، إذ أوصاني وقال لي: "أنا موقن تمام اليقين أن لا علاقة لعودتك إلى بغداد بإكمال دراستك الجامعية، بل تعود وتنصرف لشؤونك الحزبية. إنني لا أمنعك من ذلك، ولكن إذا قبضوا عليك، حافظ على شرفك ولا تخذلني".

حين أتفوه بهذه الكلمات يكاد قلبي يقطر دماً من الألم وينقبض حسرةً على أيام عظيمة كافحنا وناضلنا فيها بغية إعادة العلاقات والارتباطات المفككة وتأسيس المنظمات الحزبية مجدداً في وضع عويص كان الموت يهددنا في كل خطوة وفي كل منعطف. تلك أيام أفتخر بها وأتذكرها ما حييت.

ما إن استقر بي المقام في بغداد حتى توجهت نحو بيت أحد أصدقائي لأبدأ من هناك تحركاتي، كانت أياماً صعبة، أيام الحرس القومي الذين لم يجيدوا إلاّ قتل وسفك دماء المعارضين. كان الخوف يعلو وجه كل من أراه والتقيه ويدرك أنني جئت مختفياً بحثاً عن رفاقي المختفين، والخلايا النائمة التي لم تصلها الأيدي السود بعد.

لم أفلح في محاولتي الأولى. عثرتُ على العنوان الذي زُودت به، لكن صاحب البيت كان قد غادره، وقد علمت فيما بعد أنه الرفيق خضير عباس، وقد انتقل إلى مكان مجهول. سعيتُ كثيراً بحثاً عن الرفاق من الذين انقطعت صلاتهم ونجوا من حملات الاعتقال، وبالأخص ممن كانوا في تنظيمات الحزب في جامعة بغداد.

* * *

بعد جهود جهيدة ومغامرات كثيرة وفي سياق بحثي عن مركز الحزب، بعد تعرضه للضربات العنيفة، وجدتُ بعضاً من الرفاق.

ربما لا يدرك البعض أهمية بحثي عن ضالتي في تلك الأيام، لكنني رأيت ان المسألة الأهم في تواجدي هي العثور على المركز القيادي للحزب في بغداد، وتوصلت إلى أن الرفيق (كاظم الصفار) هو من تَبَقى من القيادة، وهو من يصدر صحيفة الحزب بالآلة الطابعة (صار كاظم الصفار عضو اللجنة المركزية للحزب وارتقى فيما بعد وأصبح عضوا للمكتب السياسي في القيادة المركزية والشخصية الثانية فيها)، حصلت على رسالة من المركز في بغداد إلى مركز الحزب في كوردستان، الذي كان الرفيق عزيز محمد يترأسه، كانت تلك الرسالة التي أوصلتها إليه مبعث فرحه، وسلموني رسالة وأبلغوني أن أقرأها وأحرقها إذا حدقت بي المخاطر. كان الرفيق عزيز محمد قد حدس وفهم أن كاتب الرسالة هو كاظم الصفار، لذا كتب في رده (رفيقي العزيز أخ الشهيد بل أخ الشهداء) وهي إشارة إلى شقيقه عواد الصفار الذي أستشهد في تظاهرات العام ١٩٥٦ الباسلة.

في محاولاتي تلك، التقيت الرفيق (إبراهيم علاوي) أولاً، في محطة وقوف الحافلات، وكان التقليد يفرض أن يقوم الرفيق المكلف بإنشاء الرابطة بطرح أسئلة متناقضة على الرفيق الذي يلتقيه، ويفترض أنه يجهل شخصيته، ويجيبه الآخر بردود متفق عليها يعرفها السائل، من أجل التعارف الآمن بين الطرفين.

حين رأيت الرفيق إبراهيم علاوي في موقف الحافلات في حي الكرادة، بدلاً من توجيه أسئلة إليه قلت له: رفيقي لا نحتاج إلى تبادل السؤال والجواب لأنني أعرفك.. أنت الرفيق إبراهيم علاوي.

ذكرتُ آنفاً إنني تعرفت عليه في مقر جريدة الحزب في شارع الكفاح في محلة فضوة عرب.

صار الرفيق إبراهيم علاوي مسؤولي، فشرعنا معاً نعيد تنظيم الاتحاد العام لطلبة العراق، وفي الوقت نفسه بحثتُ بجد عن الرفاق المنقطعين عن التنظيم بعد الضربة الكبرى الشديدة في العام ١٩٦٣.

وبسبب ظروف العمل السري ومخاطره في ذلك الزمن، لم يكن ممكنا جمع الوقائع وتدوين الأحداث التاريخية، لذا أعول على ذاكرتي لتسجيل ما حفظته قبل فوات الأوان.

في ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣، وأثناء نضالي السري في الحزب، حدث انقلاب عبدالسلام عارف على البعثيين. صادف أن كنت في طريقي الى مهمة حزبية في محلة البتاوين في بغداد، وفجأة تناهت إلى سمعي صيحة مدوية: "حازم جواد شيل إيدك شعب العراق ما يريدك" وكان حازم آنذاك سكرتيراً لحزب البعث.

كان يوماً جميلاً ومفرحاً، أبصرنا رجال الحرس القومي يسارعون إلى نزع ثيابهم وشرعوا يهربون ويرمون أزياءهم الرسمية على الأرصفة محتفظين بفانيلة وسروال قصير. نزلتُ تلك الأيام في شقة أستأجرها رفاقنا لطيف شيخ طه وفؤاد شمقار وحمه صديق وصباح مجيد قدوري.

كنت التقي الرفيق إبراهيم بين يوم وآخر. وانهمكتُ في البحث عن رفاقنا المشتتين المنقطعين عن الحزب. وقد تسنى لي في وقت قصير العثور على عشرات الرفاق، وشكلنا لجنة جامعة بغداد ورويداً رويداً تمت إعادة تشكيل تنظيم الكليات.

يومَ تركت الدراسة مضطرا بعد انقلاب ٨ شباط وعدت إلى كوردستان، كنتُ في المرحلة الرابعة في كلية التجارة. وعندما سقط البعث عدت إلى الكلية وباشرتُ دوامي، والتحق عدد كبير من رفاق كلية التجارة بالتنظيم، ودبَّ فينا النشاط والحركة في الوسط الطلابي في بغداد، كانت أياماً رائعة، كسبنا المزيد من الطلاب الجُدد المنضمين إلى تنظيمات الحزب، غمرتنا النشوة ومشاعر النصر والأيمان بمستقبل رائق جديد لشعبنا.

لا يغيب عن بالي أبداً رفاق كليتنا، نبيل يوسف وسامي سليم عنتر وحسين فتح الله و إبراهيم إسماعيل وجواد مهدي ومهدي قاسم وجميل الحديثي وصباح مجيد قدوري، وعشرات الأسماء المترسخة في قعر الذاكرة.

شكلنا لجنة للطلبة ضَمتنا، أنا والرفاق حسين عارف وصباح كوركيس. وبعد فترة، عاد الرفيق مهدي الحافظ على نحو سري وانضم إلى اللجنة. تلاه ماجد

عبدالرضا الذي ضمه حسين جواد الكمر إلى اللجنة.

انصرفنا إلى إعادة لجان وخلايا الحزب، وفي الوقت نفسه كنا نخوض في مناقشات فكرية كثيرة ودراسة الخط العام للحزب والتساؤل عما أدى إلى حدوث انقلاب ٨ شباط والأسباب الكامنة وراءه. وتطرقنا إلى سياسة اليمين التوفيقية! وإلى قيادة الحزب وغياب نهج مستقل له وتمسكه بالسياسات التي يرسمها له الحزب الشيوعي السوفيتي بحذافيرها وتَحَولِنا إلى تابع كالببغاء يردد ما يملى عليه. وتساءلنا لِمَ لَمْ يسع الحزب إلى تسلّم السلطة مع توافر القوة والإمكانية لذلك؟

تبلور بوضوح نهجان داخل الحزب، نهج يساري تبنته الكوادر والقاعدة الحزبية التي واجهت كارثة ٨ شباط وتحدت مجازرها جمعت حلقات الحزب المنقطعة والمشتتة وإعادة بناء المنظمات الحزبية من الركام، وفي المقابل نهج يميني تصفوي تبنته بالأساس عناصر المكتب السياسي المطرودين والمعروفين بكتلة الأربعة وقياديين آخرين، والذين كانوا الواجهة والأداة لفرض الخط السوفيتي بما يسمى "طريق التطور اللارأسمالي" والقاضي بتخلي الأحزاب الشيوعية، وخاصة في منطقتنا، عن مهمة النضال من أجل الثورة وبناء الاشتراكية وحل نفسها والاندماج في تنظيمات الأنظمة العسكرية الحاكمة التي ستقود بلادها في طريق تطور أسموه طريق التطور اللارأسمالي نهايته بناء الاشتراكية بواسطة هذه الأنظمة وطليعتها نظام عبد الناصر والجزائر ونظام عبد السلام عارف وطغمته شركاء البعث في مجازره الدموية. وقد تتوج هذا الخط التصفوي بيان آب الأسود في ١٩٦٤ الصادر عن الاجتماع الموسع الذي عقدته تلك العناصر في أوربا الشرقية وأعادت فيه العناصر المطرودة لأعلى المواقع القيادية في الحزب ودعت الحزب إلى التقربَ من حكومة عبدالسلام عارف، وأبدى الاستعداد لحل الحزب الشيوعي والدخول في تنظيمات الاتحاد الاشتراكي العربي، التنظيم الذي أسسه بعض القوميين العرب استلهاما لتجربة الاتحاد الاشتراكي في مصر، وكان في الأساس مشلولاً تتقاذفه الخلافات والتوجهات المتنافرة.

طالب اليمينيون في قيادة الحزب بالاستجابة لهذا الطرح بدون العودة إلى موقف القاعدة الحزبية وبلا أي تفسير منطقي، في وقت كانت سجون السلطة الحاكمة غاصة بالآلاف من رفاقنا الشيوعيين وأنصارنا ومؤيدينا. أجل أرادوا الأقتراب والتحالف مع حكومة هي امتداد لحكومة ٨ شباط ومسؤولة عن استشهاد مئات بل آلاف الأعضاء والمؤيدين، بدون أن تطلب هذه المنظمة القومية من الحزب الشيوعي تشكيلَ جبهة وطنية أو اتفاقية ثنائية.

انتفاضة ٣ تموز ١٩٦٣

بعد الحملات الوحشية الفاشية التي شنها الجيش والحرس القومي وقوى البعث في ٨ شباط ١٩٦٣ على رفاقنا وقتلهم وشنقهم وتمزيق أجسادهم وقطع رؤوس مئات أو آلاف شهداء الحزب، وإصدار بيان رقم (١٣)[١] لأجهزة البعث بهدف إبادة الشيوعيين متى وأينما وجدوا، على نحو تَعرضَ أكبر عدد من قادة حزبنا لحملات الإبادة تلك، قام أبطال من أعضاء ومؤيدي الحزب الشيوعي في هجوم ثوري قلما شهد التاريخ مثيلاً له في تلك الظروف القاسية، بمحاولة انقلابية في صبيحة اليوم الثالث من تموز ١٩٦٣ لإسقاط النظام. وقتما علمَ البعث بذلك، بسط جناحه الأسود على المدن العراقية كافة، خصوصاً مدينة بغداد، وقتل واعتقل من وصلته يده السوداء القبيحة.

---

[١] بيان رقم ١٣: في اليوم الأول من الانقلاب الأسود أصدر الحاكم العسكري العقيد رشيد مصلح التكريتي بياناً دمويا نارياً حاملا رقم ١٣، وفيه يهدر ويحل دماء كل من لا يؤيد انقلابهم الأسود، أينما كانوا، وبثته محطات الأذاعة والتلفزيون وهذا هو نصه (لأن الشيوعيين المأجورين وأتباع عبدالكريم قاسم بذلوا جهودا كثيرة غير مثمرة لخلق الفوضى والقلق والبلبلة بين صفوف الشعب ولم يذعنوا لإطاعة الأوامر والتعليمات الرسمية، تم تخويل الوحدات العسكرية وقوى الشرطة والحرس القومي واعطائها كافة الصلاحيات لإبادة وقتل كل من يسئ إلى أمن واستقرار البلد ونناشد أبناء الشعب البررة أن يعاونوا السلطة الوطنية ويساعدوها للعثور على هؤلاء المجرمين وإبادتهم). وجاء بعده بيان لاحق أصدره رشيد مصلح التكريتي هدد فيه المواطنين وحذرهم من مغبة إيواء وإخفاء وتسهيل الأمر لهروبهم. ننقل هنا البيان الثاني أيضاً ليعرف القارئ مدى خطورة البيان وتعطش هؤلاء إلى سفك الدماء (لأن الشعب العراقي الكريم ساند الثورة التي أعادت الكرامة والعزة إلى العراقيين، ولأننا نروم إلقاء القبض على المجرمين الذين يسعون إلى بلبلة الوضع، لذا تعلن السلطات معاقبة من يحاولون إخفاء هرب المجرمين ومساعدتهم أو تقديم التسهيلات لهم أو يمتنعون عن كشف أماكنهم).

يقول طالب الشبيب عضو القيادة القطرية وأحد قادة الانقلاب الأسود في مذكراته الموسوم (حوار الدم) المطبوع في لبنان عام ١٩٩٩ يقول (بلغ عدد قتلى الشعب العراقي في أيام الانقلاب الأسود في ٨ شباط ١٩٦٣ ما بين ٥٠٠٠ إلى ١٢٠٠٠ شخص).

بعد مضي أربعة أشهر وثلاثة وعشرين يوما فقط، حملوا السلاح ببطولة ورباطة الجأش والإيمان الراسخ بالمبدأ واستولوا على الجزء الأكثر من أهم معسكر في العراق، ألا وهو (معسكر الرشيد)، ولولا بعض التسرع وأسباب أخرى طفيفة لَتَحولت تلك الانتفاضة إلى ثورة عارمة عمت العراق ولَطهرت البلدَ بأسره من دنس المجرمين الفاشيين، ولَتغَّيرَ تاريخ العراق، بل ربما حل عهد جديد في المنطقة. قاد هذه الانتفاضة الشهيدُ الكبير العريف حسن سريع ومجموعة من الجنود المضحين، الذين كانوا فضلاً عن قوتهم الخاصة، مرتبطين بأشخاص ومنظمات بقيادة الرفيق إبراهيم محمد علي، الذي اُلقي القبض عليه في بغداد قبل بدء الانتفاضة، وفارقَ الحياة تحت قساوة تعذيب شديد وَقَدَمَ روحه الطاهرة إلى شعبه.

كان إبراهيم محمد علي صديقاً عزيزاً ومقرباً إليّ، عملَ في مطبعة (الرابطة) عندما كنت أعمل في وزارة الإرشاد ونصدر مجلة العراق الجديد الشهرية، واستمرت علاقتنا متينة لبضع سنين، وما أكثر ما اجتمعنا معاً، أنا وهو، والشاعر الشيوعي الشعبي والمثقف شمران الياسري، لنتجاذب أطراف الحديث بصدد الحزب والمستقبل المشرق وانتقاداتنا اليومية الغزيرة لسياسة الحزب اللا ثورية. كان الرفيق ابراهيم محمد علي عضو اللجنة العمالية للحزب.

لَمْ أقع أثناء تلك الانتفاضة في قبضة مصاصي الدماء، وسبق لي أن أشرت إلى وجودي آنذاك في السليمانية وانشغالي بالتنظيم في إطار لجنة مدينة السليمانية. تلقيتُ خبر تلك الانتفاضة وتمنيت لو كنت في خضم أحداثها.

بالنسبة إلى هذه الانتفاضة لَمْ تُنشر مصادر وثائقية عنها عدا دراسات متقطعة مبثوثة هنا وهناك، بعضها نُقل عن لسان رفاق نجوا ولم يُعتَقَلوا وبعضها الآخر عن لسان الرفاق الذين سجنوا مع بدء انقلاب ٨ شباط في سجن رقم (واحد) في معسكر الرشيد، ثم سيقوا بعد إخفاق الانتفاضة في قطار سُمي بـ(قطار الموت) وفق تدبير خطة لإبادتهم، حُشرَ فيه (٥٠٠ – ٦٠٠) من أبناء شعبنا المخلصين وحزبنا في قطار حَمْل مسدود المنافذ لكي يلفظوا أنفاسهم في قيظ الصيف.



الثالث من اليمين: حسن سريع في قفص الاتهام

اعتُقل عدد من الجنود مع بطل الانتفاضة وقُدموا إلى محكمة عسكرية حكمت عليهم بالاعدام رمياً بالرصاص حتى الموت.

في داخل قفص المحكمة – صرخ حسن سريع على المجرمين المتهمين: "أنا وحدي ولا أحد غيري مسؤول عن هذه الحركة، وبأمر عسكري أمرتُ هؤلاء الأصدقاء بألا يتأخروا عن أداء هذا الواجب والعمل، أكرر أنا المسؤول عن هذا ولا غيري".

تنطبق على هؤلاء الأبطال مقولة تاريخية لماركس يصف بها أبطال كومونة باريس بعد إخفاقهم: لقد كانوا رجالاً تلامس هاماتهم الغيوم.

إننا نجد ونقرأ أجمل وصف مسهب لهذه الحركة في حديث (طالب الشبيب) عضو قيادة حزب البعث في تلك السنين ووزير خارجية حكومة البعث لانقلاب ٨ شباط الذي وقع مع حازم جواد سكرتير حزب البعث، ووزير الداخلية للحكومة في الآن نفسه، في أسر وقبضة أبناء الانتفاضة كما أورده علي كريم سعيد في كتاب البيرية المسلحة: حركة حسن سريع وقطار الموت:

البيرية[١] المسلحة
حركة حسن سريع وقطار الموت
علي كريم سعيد

كانت ترد إلينا بين حين وآخر معلومات من قيادة الحرس القومي وجهاز الأمن عن وجود تنظيم عسكري شيوعي يضم ضباط صف وجنوداً، إضافة إلى وجود وقيام خلايا شيوعية مدنية قليلة العدد، بدأت نشاطها في بعض أحياء بغداد، وبعض المحافظات في أنحاء مختلفة من البلاد، وان قيادة الحرس القومي قد تمكنت من كشف بعض تلك الخلايا واعتقال عناصرها.

ورغم اهتمام قيادة الحرس القومي بالأمر، لم تأخذ قيادة الحزب القطرية ذلك مأخذ الجد[٢]. لأن حزب البعث كان يسيطر على جميع أسلحة الجيش في بغداد ومحيطها، ويقود كتائب الدبابات الأربع ضباط بعثيون بعد ان تم تنقية كافة مراتبها من المشكوك في ولائهم. أما وحدات المشاة فتوزعت قيادتها بين ضباط بعثيين وآخرين موالين.

وبضمانة الجيش، وهو أهم أدوات السلطة، كان من الطبيعي ان لا نشعر بالخوف، بل عشنا أجواء ظنّنا انها أمينة، قبل ان نفاجأ بما سمي بحركة او تمرد حسن سريع.

وعلمت شخصياً بحصول تمرد في معسكر الرشيد من مكالمة وصلت إلى مكتب حازم جواد الذي جاء إلى بيتي مرتدياً بدلة عسكرية، واخبرني بوجود تمرد عسكري في معسكر الرشيد. ومن داري أجرى اتصالات بوزارة الدفاع والقصر الجمهوري،

---

[١] البيرية هي غطاء الرأس العسكري الذي يلبسه الجنود.

[٢] حدثنا احمد العزاوي (عضو القيادة العامة للحرس القومي) في عام ١٩٧١ بدمشق، بأن قيادة الحرس القومي عندما علمت بوجود بعض خلايا "التنظيم الجديد" للحزب الشيوعي في بغداد وبعض المدن، لم يغمض لها جفن، واستنفرت كامل قواها ولم تهدأ قبل ان تضع يدها وتتحكم بالأمر (١) وقد ذكر العزاوي ذلك في سياق حديثه عن المجهودات والأرق الذي يصيب نظام بغداد بسبب النشاطات السرية التي تقوم بها قوى المعارضة العراقية.

فأخبروه ان الأمور أصبحت تحت السيطرة. لكن التبرم والأنزعاج ظهر جلياً على وجهه حينما عَلِم ان عبد السلام عارف يقود بنفسه كتيبة الدبابات الرابعة التي أصبحت بعد ثورة ١٤ رمضان كتيبة دبابات القصر الجمهوري، فصعد إلى الدبابة الأولى وقاد رتلاً من الدبابات نحو معسكر الرشيد.


الشهيد حسن سريع

واعتقد ان تصرف عبدالسلام وتصدره للعملية كان وراء تحسس وإلحاح حازم جواد لكي نذهب فوراً إلى المعسكر لرؤية ما يجري على الأرض، ولنكون موجودين عندما تتخذ قرارات عسكرية، وربما تكون خطيرة وبذلك لا نترك الفرصة لعبد السلام عارف ان يظهر بمظهر المنقذ والحامي لحكم البعث.

ومع الأسف ثبت لنا بسرعة عدم سداد هذا الرأي. وكان من الأفضل ان نذهب إلى مقرات القيادة في وزارة الدفاع والقصر الجمهوري.

ركبنا سيارته أنا وهو وأخي بهاء شبيب، وكان يقودها حامد جواد أخو حازم جواد، وهو ضابط في القوة الجوية ومسؤولها الحزبي. ولم يكن معنا غير مسدساتنا الشخصية ورشاشة كلاشينكوف واحدة. وعندما دخلنا معسكر الرشيد وجدنا أنفسنا وسط فوضى عارمة. وكانت الدبابات التي يقودها عبدالسلام عارف قد دخلت قبلنا بقليل، والمدفعية ترمي بكثافة والقتال محتدم، ووحدات من الحرس الجمهوري موجودة تتخللها مجموعات من الجنود، وآخرون بملابس الحرس القومي. وكل هذه القوى تختلط ببعضها بصورة فوضوية عجيبة.

ولم يكن هناك أي مظهر يدل على وجود قيادة او تنظيم مركزي، بل لم يكن أحد يعرف إلى أي طرف ينتمي هؤلاء وأولئك، وكنا نعلم ان الحرس القومي متسيب،

لكننا فوجئنا بمستوى ما تجسد أمام أعيننا من فوضى غير متوقعة وغير معقولة[١].

---

[١] فجر يوم ٣ تموز ١٩٦٣، وكان الظلام مازال طاغياً، إتجه العريف حسن سريع مع مجموعة من جنود وضباط صف المدرسة المهنية العسكرية وبعض المدنيين بزي عسكري فضلاً عن جنود ملتحقين من وحدات أخرى، انطلاقاً مع مهاجعهم، صوب كتيبة الهندسة بمعسكر الرشيد، وكان بعضهم يرتدي ملابس ورتب الضابط. وعندما اصبح على مسافة مجدية من حرس باب نظام الكتيبة، رفع وبحركة سريعة وذكية بيريته طالباً منهم بحزم وثقة إلقاء أسلحتهم مستغلاً ستار الظلام وجلبة الرجال الذين معه، ليوهم الحراس بأنه وبقية العسكريين المرافقين يحملون أسلحة وينفذون خطة مدروسة ومعدة سلفاً. وبأن مايقومون به ذو شأن كبير وجزء من عمل واسع. دار ذلك بخلده وأوحت به حركة البيرية في أذهان الجنود الحراس البسطاء، الذين ذهلوا ورموا أسلحتهم مستسلمين.

كانت تلك بداية انطلاق ما سمي بحركة حسن سريع التي تمكنت من احتلال كتيبة الهندسة ثم اغلب أجزاء المعسكر الذي احتوى على اكبر قوة في بغداد، ضمت الطائرات والدبابات والمدرعات وسلاح الهندسة والمشاة وغيرها. كما تمكنوا من اعتقال عدد من الضباط الموالين للحكومة، وتجهيز بعض الطائرات بانتظار الضباط الطيارين بعد إخراجهم من سجن رقم واحد الواقع في المعسكر ذاته والذي ضم حوالي ٥٠٠ ضابط شيوعي وقاسمي، ليتم توزيعهم على الوحدات في المعسكر، وإلى معسكرات الناحي وابوغريب والمحاويل وبعض الوحدات المستقلة في بغداد، فضلاً عن دعوة عدد منهم للمساهمة في قيادة الحركة وتسييرها. وكان للحركة جنود موزعون على كل الوحدات ومبلغين بان ساعة الصفر لبدء العمل على اعتقال ضباطهم هو الوقت الذي يصل فيه الضباط المطلق سراحهم إلى تلك الوحدات. وكانت الحركة قد أجرت اتصالات مع شيوعيين في بغداد وبعض المحافظات، ومع منظمة الفرات الأوسط التي لم تتضرر كثيراً بسبب لجوءها إلى الريف بقيادة عضو المكتب السياسي باقر إبراهيم الموسوي ويعاونه عضو اللجنة المركزية الاحتياط صالح الرازقي وزكي خيري عضو المكتب السياسي المنخفض إلى عضو قاعدة وعدنان عباس. ومع مدينة الناصرية، وبأنصار كثيرين يقطنون أحيا، بغداد الشعبية الجديدة كالزعفرانية والثورة والشعلة والحرية، والتنسيق معهم لكي يبدءوا بالسيطرة على معسكراتهم او على الأقل إثارة القلاقل بمجرد بدء الحركة. وكان هدف

الاتصالات الواسعة هو النجاح بإثارة أفعال متفرقة كثيرة توحي باتساع الحركة وتوزع او تشتت قوة ردود فعل الحكومة وإضعاف معنويات المترددين من أتباعها، فيكسب الثوار وقتاً ضرورياً يسمح بالتحاق أنصار كثيرون متوقعون، كما يسمح للضباط الشيوعيين والقاسميين المطلق سراحهم من سجن رقم واحد في اخذ مواقعهم والبدء بالتعاون مع الجنود للسيطرة على مراكز قيادة الوحدات. وكان أمل سريع ورفاقهُ كثيراً بتجاوب جنود الجيش الذين غالباً ما ينحدرون من أوساط اجتماعية يَعتقِدُ أبناؤها أنهم مظلومون ويتعاطفون مع قاسم الذي تَقرّبَ إليهم بإقامة مشاريع لمصلحتهم. ولم يخفِ الغالبية منهم مشاعر الاسف لعدم توفر الفرصة لهم في ٨ شباط للدفاع عنه، وها هي الفرصة تأتي مع محاولة انقلابية جديدة للثأر، حيث ستتم دعوة الجنود لأعتقال الضباط غير المتعاونين وتنصيب الخارجين من السجن محلهم او حتى تنصيب ضابط الصف قادة للوحدات مؤقتاً، إذا تطلب الامر، تمهيداً للسيطرة على السلطة السياسية. وعُلِمَ من التحقيقات والمعلومات الراشحة هنا وهناك أن سريع وجماعته قد فكروا بأدق التفاصيل وأعدوا خطة جريئة كانت تحتمل النجاح لولا ملابسات بسيطة اهمها: "جبر" قائد الدبابة الوحيدة المشاركة في الهجوم على معتقل الضابط، وكان يقودها الجندي "خلف شلتاغ"، فضلاً عن استبسال المدافعين عن السجن، مما سبب تأخر اطلاق سراح الضباط وأعطى الحكومة وقتاً. فخسر الثوار عنصر المفاجأة والمبادرة، وحوصرت حركتهم داخل المعسكر بانتظار حسم معركة السجن وتطيير الطائرات القاصفة واستخدام الدبابات وبقية الاسلحة. ورغم بساطة الخطة الموضوعة وسهولتها الا ان قسوة القمع الذي تلى فشلها، وتنفيذ احكام الاعدام بأهم رجالها واستمرار الحكومات التالية في ملاحقة المساهمين بها وسجن الاحياء منهم وإختفاء وهرب المتعاونين معها على مدى سنين طويلة، فضلاً عن اكتظاظ السنوات التالية بأحداث مريرة، سالت فيها الدماء وانشغلت فيها الانفس، أدت إلى ضياع معلومات وتفاصيل كثيرة عنها. ولهذا نحن لا نعرف بالضبط مستوى التنسيق الذي قام بين الجنود والضباط المعتقلين في السجن رقم واحد، وهل وافق الضباط التعاون والمساهمة في الحركة؟ وفي براغ ١٩٧٧ سألت الضابط غضبان السعد بحضور المرحوم موسى اسد والمرحوم شمران الياسري (ابو كاطع) و د. عبدالحسين شعبان عن الامر، فأجاب: لقد ابلغ سريع قيادة منظمة السجن بخطته الانقلابية، بما في ذلك دور الضباط فيها. ولم يؤثر على

سرنا وسط تجمع من الجنود وأفراد الحرس القومي، فأوقفت سيارتنا من قبل مجموعة يرتدي أفرادها ملابس مماثلة لما يرتديه الحرس القومي، وطلبوا الهويات، فقدمناها لهم ونحن نلومهم بشدة على قلة انضباطهم وعلى تصرفاتهم التي لا تدل على نظام او تنظيم. وكان تقديرنا انهم من شباب الحرس القومي، وفجأة تحولت رشاشاتهم إلى صدورنا وطلبوا منا النزول من السيارة. وفي نفس تلك اللحظة الحرجة كان حامد جواد الذي يرتدي بدلته العسكرية قد ترجلٍ وتمكن من التملص، ولا ندري هل تركوه يذهب احتراماً لبدلته العسكرية بأعتبارهم جنوداً، ام لأن تركيزهم استقر علينا فقد كنا صيداً ثميناً (وزير خارجية ووزير داخلية)، فأحاطوا بسيارتنا وامرونا بالنزول بعد ان اطلقوا بضعة إطلاقات اصابت سقف السيارة. واعترف ان اسلحتهم لم تكن موجهة عند الرمي الينا مباشرة.

كانوا ثمانية اشخاص، إقتادونا نحن الثلاثة – انا وحازم وبهاء – نحو حائط قرب بوابة معسكر الرشيد الرئيسية. فأيقنا اننا سنقتل، ولا استطيع الآن ان اصف لك شعوري، لأني لم اشعر بشيء، لا خوف ولا رهبة أي شيء آخر. فالقضية كلها تمت في لحظات. والمفاجأة بحد ذاتها لم تترك متسعاً للخوف ولا لأي شيء آخر. ولم يتجسد في ذهننا سوى فكرة واحدة هي اننا سنقتل، وليس امامنا، كما يبدو، سوى ان نتصرف بجلادة وصبر، فمادامت النهاية محتومة فإن الشجاعة افضل من الضعف.

ثقتهم بتعاوننا عدم تسلمهم ردا صريحاً بالموافقة والتعاون. واضاف السعد: "ان عدم ردنا عليهم سببه الرغبة في تلافي إغضاب قيادة الحزب التي أظهرت تردداً في دعم الحركة." واكد هذه الحقيقة د. حامد ايوب العاني الذي استقى كثيراً من معلوماته من المرحوم هاشم الآلوسي. كما اكد اغلب من التقيناهم من الضباط المعتقلين، انهم كانوا سيتعاونون بلا تردد، لو تمكنت الحركة من اطلاق سراحهم. بل ان غضبان السعد ظل طوال حياته يفتخر بالمنصب الذي منحته له الحركة في حالة نجاحها، وقد طالبني بحضور المحامي رؤوف ديبس، اثناء مجادلة حول الامر، ان احترم ما يقوله وان أُصَدّق بأنه كان سيكون رئيساً للعراق، لولا الحظ السيء، مستنداً إلى نية الثوار بتعيينه قائداً للجيش.

وقفنا بإتجاه الحائط، ووقف خلفنا الجنود وكان قد صدر لهم امر بسحب الاقسام من قبل عريف، ما زلت اذكر اسمه "صباح ليلية" وهو آشوري. وكنت قد تدربت في دورة عسكرية لضباط الاحتياط واعرف ما يعنيه ذلك، فستكون الرصاصات قد إندفعت إلى سبطانة البنادق، وبعد فاصلة زمينة قصيرة جداً سيصدر الامر بالرمي. وفي ذلك الجو الفوضوي، يستطيع أي شخص ناقم او متهور ودونما مساءلة ان يقضي علينا بضغطة زناد.

وفجأة!! سمعنا صوت عسكري عالي النبرة، يأمر الجنود بالتوقف، فألتفتوا وراءهم ليكتشفوا انهم محاطون بقوس يتكون من فصيل كامل من الحرس الجمهوري، وعلى رأسه ضابطان هما حامد الدليمي وكان نعرفه ويرافقه حامد جواد (سائقنا الذي ترَّجل)، فكانت اكثر من اربعين رشاشة مصوبة إلى صدورهم.

ومن حظنا الطيب، وحظ آسرينا العاثر انهم كانوا بسطاء ولم يدركوا انّ الدليمي وجنوده لم يكونوا قادرين على الرمي، لأن مجرد إقدامهم على ذلك سيعني قتلنا، لأن آسرينا يقفون على خط مستقيم بيننا وبين محاصريهم. وهو امر لم يكن حامد الدليمي او حامد جواد قادرين على المجازفة او التورط به. كما انهم رغم قراءتهم لهوياتنا ومعرفتهم لمراكزنا، لم يتشبثوا بنا ويساوموا علينا، وهو امر كان سيساعدهم كثيراً، ويكسبهم الوقت الكافي للحصول على نجدة او للهرب والاختلاط بالجنود المبعثرين داخل وخارج المعسكر في حالة من الفوضى لايعرف لها مثيل. ويبدو ان الارتباك سيطر عليهم عندما وجدوا انفسهم امام عسكريين نظاميين يفوقونهم عدداً، فرموا اسلحتهم واستسلموا، فتمَّ إنقاذنا بما يشبه المعجزة، وفوراً أمر الضابط حامد الدليمي بإعدام الجنود الثمانية[١].

---

[١] كانت البذرة الاولى لحركة سريع قد بدأت إنطلاقاً من محاولات فردية لإستعادة التنظيم قام بها الشيوعيون بعد ان وجهت اليهم حركة ٨ شباط ضربات قاصمة قطعت اوصال منظماتهم. لكن خلايا ومنظمات حزبية قاعدية في كل القطاعات الاجتماعية والعسكرية، ظلت بعيدة عن ايدي السلطة واجهزتها، وبنفس الوقت تجمد عملها وظلت بعيدة عن امكانية تحقيق الاتصال

بمركز قيادتها، بسبب قسوة الظروف ومقتل وهرب او سجن المسؤولين المباشرين عنها. فدبت الفوضى والاعمال الفردية، حتى ان احد الشيوعيين كتب بينانابخط يده ووزعه بسرية بتوقيع "الحزب الشيوعي في الدوريين". ويبدو ان جماعة حسن سريع كانت واحدة من تلك المنظمات التائهة، بحكم ان مسؤولي أكثر المنظمات الحزبية العسكرية كانوا بين القتلي والسجناء ويواصل بعضهم وجوده في السجن منذ ما قبل ١٤ رمضان ١٩٦٣. ولم تنضج فكرة الحركة الا بعد التقاء منظمة سريع الصغيرة. بمنظمة عمالية تائهة اخرى أكبر منها يقودها "ابراهيم محمد علي" الذي امتلك معنوية عالية، وكان عضواً في اللجنة العمالية ببغداد، وهي لجنة هامة تتصل مباشرة باللجنة المركزية للحزب الشيوعي (ويُعتقد ان صادق جعفر الفلاحي يعرف عنها وعن مواقفها المتمردة على سياسة الحزب حتى قبل ٨ شباط، وتتكون اللجنة من ثلاث لجان هي العمالية الكبرى وتضم عمال المنشآت الكبيرة كالنفط والكهرباء، والوسطى وتضم المصانع المتوسطة كالمياه الغازية والنسيج والصغرى وتضم عمال المطابع والافران وسائر المنشآت الصغيرة. وكان ابراهيم محمد علي وهو (كردي) عضواً في القيادة العليا لهذه اللجان ورئيساً للصغرى "التائهة" وعندما تقطعت الاتصالات ابلغ اعضاء هيئته بما حل بالحزب واقترح الاستمرار بالعمل، واعتبار ان لجنتهم هي الحزب، ريثما تنفرج الامور، واعتماداً على حركيته العالية اخذ يغذي لجنته والمتصلين بها بمعلومات يستيها من الاذاعات ومن مصادر اجتماعية وسياسية مختلفة، بعد ان يجري عليها التحوير والتأويل فيضيف اشياء ويحذف اخرى بهدف تمييزها واضفاء شيء من السرية والرهبة على مصادرها وذلك ينفع عادة في جعل العمل الحزبي السري متماسكاً.

وهكذا نشط هذا الخط فاتصل بالطلبة والجنود وعدد من المنقطعين ولكن بحذر شديد جداً، يتناسب مع قسوة النتائج في حالة انكشاف امرهم. وبسبب تضخم التنظيم قرروا تخصيص العمل، فجعلوا العسكريين في منظمة مستقلة تكلف بها محمد حبيب "ابو سلام" وهو عامل مقهى، وتمكن بسبب مهمته الجديدة التعرف على حسن سريع. ورغم استقرار عمل اللجنة المذكورة الا ان قيادتها لم تتوقف يوماً في البحث عن وسيلة للاتصال باللجنة المركزية للحزب (جمال الحيدري والعبلي) ويبدو ان بحثهم الملح عن المركز قد اوقع زعيمهم ابراهيم محمد علي، إذ تمكن احد الشيوعيين المتعاونين مع لجان التحقيق الخاصة (خط مائل) من

علمنا فيما بعد أن القائد العام للحرس القومي منذر الونداوي ونائبه نجاد الصافي وآخرين سبقونا في الوصول إلى المعسكر قد وقعوا في الأسر، وهم الآن معتقلون. وحينذاك تأكدنا بصورة ملموسة بأن الحرس القومي غير قادر على القيام بأية مهمة عسكرية حقيقية وفعلية، وليس أدل على ذلك من ان اول من وقع في الاسر قيادته التي إنجرت سريعاً لخديعة بسيطة، فأدخلت نفسها في وسط من الفوضى ليس لك ان تميز وانت بداخله العدو من الصديق، والجندي من الحارس القومي او الثائر المتمرد. وأحسسنا بالفارق الكبير بين تصرف القوة النظامية وغير النظامية، من خلال رصد موقف وسلوك سرية الضابط حامد الدليمي بالمقارنة مع عشرات الحراس القوميين الذين لم يفعلوا سوى زيادة الطين بلة.

اخبرنا حامد جواد انه بعد تملص من سيارتنا ذهب باحثاً عن نجدة لتخليصنا، فوجد الضابط الدليمي على رأس سرية من الحرس الجمهوري فأخبره بوقوعنا في الأسر وبإحتمال ان نقتل فوراً، فتحرك بفصيل منها بسرعة ونفذ بعد رصد المكان عملية انقاذنا. وكان وضع المعسكر حتى لحظة إطلاق سراحنا غير مستقر، يختلط

اصطياده مدعياً القدرة على ايصاله إلى قيادة الحزب، وهؤلاء المتعاونون تحولوا إلى "قناصة" يجوبون جميع انحاء بغداد لاقتناص الشيوعيين الذين ما زالوا احراراً ونشطاء او متخفين. وهكذا عاد ابراهيم من لقائه ليبشر رفاقه بعثوره على صلة بالحزب. وفي اليوم التالي ذهب حسب الموعد للاتصال بمن اعتقد انهم صلة الوصل، فاصطادوه وقادوه إلى "قصر النهاية"، فعذب ومات دون ان يعترف او ينطق حتى بكلمة واحدة!! فأستلم التنظيم بعده محمد حبيب، وفوراً بدأ يفكر، بدفع من العسكريين الذين ارتبط بهم، بحركة اكثر جدية واكثر من مجرد جمع وتنظيم الانصار، فأعدّ العُدة ونسق مع حسن سريع الذي تميز بالصلابة والقدرة على الاقناع والحماس المطلق لما ينوي القيام به. فأعدت خطة الحركة وشكلت قيادتها تحت اسم "اللجنة الثورية"، ونشط المدنيون لتهيئة الاجواء والاتصالات وتهيئة القادرين منهم على حمل السلاح للدخول إلى معسكر الرشيد بمساعدة بقية الجنود للمساهمة في التنفيذ.

فيه "الحابل بالنابل" والقتال محتدم ولا احد يستطيع التمييز بوضوح بين الموالين والمعادين، ولم تكن السيطرة واضحة لأحد. وعلمنا ايضاً عدم وجود ضباط بين المتمردين وانما كلهم كانوا جنوداً وضباط صف وحزبيين مدنيين، وانصب تركيزهم على احتلال السجن رقم واحد، لأطلاق سراح الضباط، لكنهم واجهوا مقاومة غير متوقعة من سرية حراسته[١].

---

[١] لم تحسب قيادة الحركة حساباً لصمود سرية حراسة السجن، بل اعتبرتها فاصلة جزئية من عملها الكبير، فأربكها صمود حراس السجن الذي استغرق وقتاً كافياً لوصول دبابات القصر الجمهوري، وخلال المعركة قُتِلَ او انتحر آمر سرية حراسة السجن حازم الصباغ (الاحمر). ولايمكن الآن الحكم بسهولة على امكانية فشل او نجاح الحركة لو لم تقف تلك العقبة بوجه المتمردين، خصوصاً وانهم كانوا مبادرين وانتحاريين، ولديهم الفرصة بالاستعانة بمئات الضباط المختصين بمختلف صنوف الاسلحة، إذ لم يجتمع مثل هذا العدد (٥٠٠) ضابط لأية حركة من قبل، لا لثورة تموز ولا رمضان. ولا إنقلاب ١٧ تموز او غيره. وقد خسرت "اللجنة الثورية" بسبب عدم اطلاق سراحهم امكانية اعطاء اشارة البدء للوحدات والمعسكرات الاخرى. اما السلطة فلم تتوقع ما حصل إطلاقاً ولم تتخذ اية احتياطات او تضع خطة طوارئ للمواجهة. ان الغرابة والإثارة فيما حصل تكمن في الكيفية التي تمكن بها جنود لا يزيد متوسط اعمارهم عن الخامسة والعشرين، ولم يقضوا في مدرسة الحياة فترة كافية، ولم يصل أي منهم إلى مستوى عضو "لجنة محلية" داخل حزبه، من مجرد التفكير والتخطيط لقضية بالغة التعقيد وخطيرة مثل الاستيلاء على السلطة السياسية والتخطيط لذلك بهدوء، في حين جرت العادة ان يضرب العمال عن العمل ويهرب الجنود من قطعاتهم اذا كانوا غاضبين. لذلك فإن ما جرى يعكس، في تقديري، المستوى السياسي المتطور الذي وصلت إليه المدارس الحزبية العراقية كالمدرسة البعثية التي فاجأت نظام قاسم بعمل فائق التنظيم، والشيوعية التي كان سريع نموذجها. لكن هذا وحده لايمثل سوى الامكانية والجانب الفني للمسألة، ولا يشكل دافعاً كافياً للتحرك والمجازفة في مواجهة القسوة والموت. ولذلك وبعد إستقصاء من كثيرين وجدت ان هؤلاء الشاب قد تملكهم شعور وموقف ثابت هو ان السلطات المتعاقبة تضمر لهم ولطموحات أهاليهم العداوة المستمرة، فاستقر بذهنهم موقف سلبي من مؤسسة

وعلمنا ان قائد التمرد ضابط صف اسمه حسن سريع، وانه تمكن من الهرب، وان القوات الحكومية تمكنت الآن (الساعة السابعة صباحاً) من تطويق التمرد، وهي في طريقها لسحقه وإخماده، وقد تحقق ذلك وأُلقي القبض على اكثرية المتمردين.

دام التمرد عدة ساعات، وقد دخلنا المعسكر وتعرضنا للاسر في الساعة السادسة صباحاً، وانتهى القتال واستتبت الاوضاع في حدود الثامنة صباح نفس اليوم. واذكر انني كنت مرتبطاً بموعد مع وفد برلماني بريطاني يزور العراق، في مبنى وزارة الخارجية في الساعة الثامنة من صباح ذلك اليوم ايضاً، فأسرعت إلى الوزارة وتم الاجتماع، وحينها سألت ضيوفي اذا كانوا قد سمعوا اطلاق رصاص أو أية أخبار

الدولة. وما نذكره هنا يجد صداه ايضاً في الجهة الاخرى حيث قرر عسكريو ٨ شباط – حتى قبل البدء بالانقلاب العسكري – إستبعاد الجنود من قيادة الدبابات، واشترطوا الضباط لقيادتها بواقع ثلاثة لكل دبابة. وكان سبب القرار التخوف من عدم موالاة الجنود. وهذا يعكس وجود هوة كبيرة بين الجندي والضابط وبالتالي بين الجندي والسلطة. والامر الثاني هو نزوع الجنود بدلاً من الهروب، إلى اخذ السلطة كلها بين ايديهم، ولجوئهم الواعي ليس إلى الضجيج والبيانات، وانما التخطيط لأستخدام آلة السلطة الحقيقية وهي الجيش، يدلل على وعي خاص ومتطور بكيفية إدارة الصراع في دولة لا تعتمد البرلمان الديمقراطي في ادارة شؤون البلاد. كما انهم ربما تأثروا بدور الجيش في ثورة ١٤ تموز و ١٤ رمضان من حسمه ونجاهه في الانقلاب على السلطة، فلجأوا هم ايضاً إلى اسلوب الثورة العسكرية. وقد اثبتت التحريات ان عملهم كان ذاتياً ١٠٠٪ ولم تكن هناك اية تدخلات او تعاون خارجي. فضمت صفوف حركتهم عناصر من كافة الوان النسيج العراقي العربي والكردي والآشوري والمسلم والمسيحي .. الخ ولم تتحكم في تصرفاتهم اية مثيرات طائفية او عنصرية او دينية. ولهذا فإن ما حدث في ٣ تموز ١٩٦٣ لم يكن فقط انذاراً للسلطة، بل كان انذاراً عاماً بضرورة العودة للشعب وعدم الابتعاد عنه. لكن احداث المستقبل اثبتت ان الذين سيطروا على السلطة لاحقاً استفادوا من ذلك الدرس مقلوباً، فخططوا حتى قبل وصولهم للسلطة (عام ١٩٦٨) إلى تحطيم ممانعة الشعب العراقي من خلال سحق مراكز قوته الدينية (الاسلامية الشيعية والسنية) وسحق الحركة الكردية والوطنية المنظمة والتآمر على سوريا والجوار العربي والاسلامي.

مقلقة عن الوضع الأمني في البلاد؟ فردوا أنهم لم يسمعوا شيئاً وان الامور بدت لهم على ما يرام. فأخبرتهم بأنهم سيسمعون بعد قليل من الاذاعة بأن تمرداً بسيطاً حصل في احد المعسكرات، وامكن السيطرة عليه بسهولة وبسرعة. ولم اخبرهم بما جرى لي، غير انهم علموا بذلك قبل مغادرتهم الوزارة. فعبروا عن استغرابهم واعتذروا عن حضوري الاجتماع في تلك الظروف الاستثنائية، بعد ان كنت معتقلاً. وحينذاك كان الخبر قد شاع في بغداد كلها وبدأت التلفونات والبرقيات تصل مهنئة بالسلامة.

وفي اليوم نفسه اجتمعنا في الساعة الواحدة ظهراً في وزارة الدفاع بدلاً من القصر الجمهوري، لأن المعلومات عن العملية كانت ترد إلى هناك تباعاً. وطلبنا في حينه من وزارة الدفاع ومن ادارة الحرس القومي رفع تقارير تفصيلية عن ما جرى وعن نواحي الخلل، وتقويم الموقف لدراسة الاسباب التي أدت إلى فشل الحرس القومي في كشف وردع المحاولة قبل حصولها غير ان كلا التقريرين لم يصلا إلينا عند إلتئام الاجتماع. وكان واضحاً تقصير وزارة الدفاع التي لم تستطع المبادرة في أخماد الحركة، وتركت لعارف الباب مفتوحاً لتحقيق نصر معنوي، دفع احمد حسن البكر إلى ان يقترحه في ذلك الاجتماع رئيساً دائماً المجلس قيادة الثورة. كما طأطأ قادة الحرس القومي رؤوسهم امام تساؤلاتنا ونقدنا. وذلك افرز نتائج سياسية وامنية سمحت لرجال مثل طاهر يحيى التكريتي ورشيد مصلح التكريتي وصالح مهدي عماش بالتعاون مع بعض هيئات التحقيق الخاصة مثل عمار علوش وناظم كزار وصدام التكريتي وسعدون شاكر وخالد طبرة وغيرهم، وتزويدهم بأسلحة واموال كافية لتأجير او كار غير رسمية للتحقيق، وكانت اخبار الجرائم تصل إلى اسماعنا دون ان تمتلك أدلة ملموسة.

وفي مساء نفس اليوم عقد المجلس الوطني لقيادة الثورة اجتماعاً في وزارة الدفاع ايضاً، في جو مشحون بالحماسة الثأرية. وخلاله إقترح رئيس الوزراء احمد حسن البكر ان ننتخب رئيس الجمهورية عبد السلام محمد عارف رئيساً للمجلس الوطني

بصورة دائمة، نظراً لبطولته وتفانية في الدفاع عن الثورة، وتعريض نفسه للخطر[١]. فأنبرينا انا وسعدون حمادي وعلي صالح السعدي يؤازرنا كل مدنيي الحزب معترضين على الاقتراح، وقلنا ليس هناك أي داع لتغيير قانون مجلس قيادة الثورة لمجرد حادث بسيط تمّ داخل معسكر، وكان يمكن القضاء عليه دون تعريض رئيس الجمهورية نفسه للخطر، وكان يفترض من البدء ان نضع خطة امنية، ونتفق على المكان الذي يجب أن يتجمع فيه من اعضاء القيادة القطرية ومجلس قيادة الثورة، ولا بأس ان نضع الآن خطة للمستقبل في حالة حصول تمرد مماثل او محاولة إنقلابية، فَنَحول دون الوقوع في أسر خصومنا كما حصل.

واكدت بأن الحرس القومي سيبقى مشكلتنا الازلية، لذا يجب ضبطه وإعادة تنظيمه وإلا فسيوقعنا بمأزق خطير، خصوصاً اذا استمر بهذه الدرجة الخطرة من التسيب حيث أخذنا وأخذت قيادته أسرى لأن الجميع ظن ان الحرس القومي يجيد حفظ الامن. والحقيقة كنت أريد بطرح ذلك الموضوع الحساس، أن أخلق مناقشة حادة تؤدي إلى إهمال اقتراح احمد حسن البكر. وأعتقد ان موقفنا ذلك ترك راسباً

---

[١] أثبت اقتراح البكر دقة وصدق تنبؤ وتخوف حازم جواد. بل ان حركة سريع ودور عبد السلام في اخمادها، أضعفت في محصلتها النهائية، دور المدنيين في حكومة البعث العربي الاشتراكي في العراق ووطدت دور العسكريين، ليس فقط من جهة اقتراح البكر، عبدالسلام رئيساً دائماً للمجلس، بعد ان كانت دورية، بل بدأوا يطالبون بدور وصلاحيات وتمثيل أكبر في قيادة الدولة والحزب ومؤتمراته، مما ادى إلى صراعات انتهت بفقدان الحزب للسلطة بكاملها. ويذهب بعض المحللين الشيوعيين منهم بشكل خاص، بان فشل محاولة اغتيال قاسم برأس القرية وفشل سريع بمعسكر الرشيد، كانا فشلين اديا إلى تغيير تاريخ العراق القادم، اذ لو مات قاسم في الاولى بايد غير شيوعية، لاستلم الشيوعيون السلطة مباشرة ولما حصل ما حصل فيما بعد من تغيير في بنية وتركيبة الدولة والجيش. ولو نجح سريع لخسر البعثيون والقوميون السلطة. ومازال الشيوعيون ينظرون إلى هاتين الفرصتين كحلم ضائع، كان تحققه سيعطيهم الفرصة لتغيير مسار العراق تماماً.

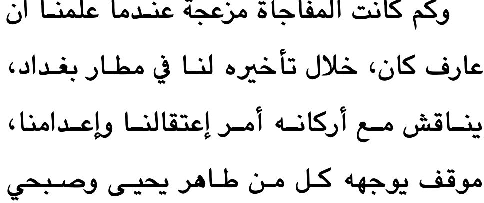
سيئاً في نفس عبدالسلام عارف ضدي وضد علي السعدي وسعدون حمادي، واتضح ذلك من الامتعاض الشديد وعدم الارتياحٍ الذي ظهر على وجهه، حتى اننا لقينا بعض الجفوة في تصرفاته القادمة، وما زاد الامر سوءاً هو وقوفي ضد الاقتراح الذي قدمه في اليوم التالي بإعدام جميع الضباط الشيوعيين المعتقلين في السجن رقم واحد، بدعوى تعاونهم مع الحركة.



الشهيد خالد أحمد زكي

(الرفيق ظافر)

وكانت هناك سلسلة من المواقف إختلفنا فيها، ثم جاءت أحداث اخرى عصفت بدولتنا، وغطّت على هذا الموضوع، لكن عبدالسلام لم ينس وعبّر عما بداخله مرة اخرى عندما استتب له الامر بعد ردة تشرين الثاني ١٩٦٣، فقام باحتجازنا في مطار بغداد، ومنعنا من دخول البلاد، رغم انه رد على طلبنا بالعودة بالموافقة، لكنه نكث وسفّرنا بعد ست ساعات منفيين للقاهرة.



وكم كانت المفاجأة مزعجة عندما علمنا ان عارف كان، خلال تأخيره لنا في مطار بغداد، يناقش مع أركانه أمر إعتقالنا وإعدامنا، موقف يوجهه كل من طاهر يحيى وصبحي عبدالحميد وكان الاول رئيساً للوزراء والثاني وزيراً للخارجية. ويمكن للقارئ ان يلاحظ انتهازية عبدالسلام عارف الذي تظاهر قبل مغادرتنا العراق برغبته الشديدة في بقائنا (وحينذاك كنا اقوياء) وبين موقفه بعد أن اصبح الحاكم الوحيد للبلاد.

المهم في الامر ان التمرد الذي تم سحقه داخل معسكر الرشيد، ظلت بعض ذيوله تُسببَ الخلافات داخل الدولة، وتؤدي إلى نتائج دموية اخرى تتعلق بالمتمردين والمعتقلين، وإلى مكاسب حققها دعاة التشدد والقسوة. وقد ظهر جلياً مدى حقد

البعض على الجنود البسطاء المشاركين في الحركة، وما زلت أتذكر أخي "صلاح شبيب" وكان حينها نائب ضابط في الاستخبارات العسكرية ومحققاً رئيسياً، انه جاء إلى داري ورمى رشاشته أرضاً وقال بانزعاج: لا استطيع المواصلة، لأنكم تعتقلون وترسلون رجالاً بسطاء إلى ساحة الاعدام، انه امر غير مقبول ولا يحتمل، جميعهم يصيحون "دخيلك يا محمد، دخيلك ياعلي! ويكبرون بالثلاث!!".

عاتبني أخي صلاح قائلاً: إنكم إذا عاديتم هؤلاء البسطاء والمساكين فإنهم سيذهبون حتماً إلى الشيوعيين..! وبعد هذا الحادث وقفت بصراحة ضد كل اجراءات السلطة ولم اوافق على قرارات الاعدام، حتى ان حازم جواد عاتبني قائلاً: ليس لك حق يا طالب، فهؤلاء حملوا السلاح ضدنا!!

* * *

وأنت تقرأ هذه الذكريات، عزيزي القارئ، تجد كيف يتحدث أحد قادة حزب البعث، بعد سقوط حكومتهم، عن الرعب الذي اجتاح قادة ذلك الانقلاب من جانب، وكيف يتحدث مقابل ذلك عن جرأة وبطولة هؤلاء الجنود وضباط الصف البواسل الذين زادتهم حملات القتل والإبادة إيمانا وصلابة بقضية حزبهم وشعبهم.

لست في صدد دراسة هذه الانتفاضة العظيمة، لأنها بحاجة إلى جهد جماعي لدراستها وتوثيقها واستخلاص الدروس والعبر التاريخية منها باعتبارها انتفاضة تاريخية رائدة في تاريخ الحزب الشيوعي العراقي، عز نظيرها في كل ما سبق من نضالات الشعوب. إن الصفحات الذهبية التي سطرها هؤلاء الأبطال بدمائهم، جزء من تاريخ الصمود والأصرار والإيمان بالقضية الذي سار عليه ورسمه فهد، وزكي بسيم، وحسين شبيبي، في أسمى صوره.

لقد مهدت انتفاضة ٣ تموز ١٩٦٣ بقيادة حسن سريع ورفاقه – التي تعد بحق أول محاولة تنفذها مجموعة حزبية ثورية لتسلم السلطة – الدربَ وغدت مشعلاً لانتفاضة أهوار جنوب العراق بقيادة خالد أحمد زكي، والتي هي محاولة ثانية من نوع آخر للتصدي لمسألة استلام السلطة، التي هي في الحصيلة الهدف لأي حزب أو

تنظيم ثوري. كان لي شرف صداقة (الشهيد إبراهيم محمد علي)، الذي كان مُوجِها ومرشداً حقيقياً للتوجه الطبقي لانتفاضة ٣ تموز، وسبق أن حظيت بشرف صداقتي وعملي مع الشهيد خالد أحمد زكي في لجنة واحدة ومجلس واحد، وكما حظيت لاحقا بشرف الاشتراك الفعال في التمهيد لانتفاضة ١٩٦٨.

لولا انحراف قيادة الحزب ولولا سعيهم لمنع قيام انتفاضة سنة ١٩٦٥– ١٩٦٦، التي أقر اجتماع موسع ١٩٦٥ تبنيها، لكان لي شرف المساهمة في تنفيذها، حيث كنت في قيادة تنظيم المعسكر الذي كانت ستنطلق منه، ولَنِلتُ وسام البسالة أو الاستشهاد في سبيل الذود عن المبدأ المناهض للحكم الدكتاتوري القمعي.

* * *

وكان من نتائج موجات الغضب وتصاعد الحس بعدم جدوى السياسات السابقة في أعقاب انقلاب ٨ شباط، والتمرد على سياسات الاستخذاء التي قادت إليه، وبعد حركة حسن سريع الملهمة، وفي ظروف تصاعد موجات العمل الثوري المسلح عالميا، أن تأسست حركة (اللجنة الثورية) وحركة (الكفاح الشعبي المسلح) في أهوار العراق.

تتشكل أغلبية مؤيدي ومنظمي حركة اللجنة الثورية من كوادر للحزب خرجوا من معتقلات ما بعد ١٨ تشرين الأول للعام ١٩٦٣، وممن أبصروا الموت وذاقوا مرارته في السجون وشاهدوا مقتل رفاقهم، فأثارت هذه الحالة موجة غضب حيال قيادة الحزب، التي يقيم خارج البلد.

تألفت (اللجنة الثورية) من مجموعة من الضباط والمراتب وعدد كبير من المدنيين، من بينهم الملازم الأول الطيار عبدالنبي جميل، والملازم الطيار صلاح العزاوي، وشاكر العزاوي، والملازم جواد قرطاس، ونائب الضابط كريم عزيز، والعريف متعب خميس (المسؤول العسكري لمنطقة ديإلى) وآخرون.

بعد تكامل هذه المنظمة السرية ونضوج عوامل تركيبها، وبعد انخراط عدد كبير من المدنيين والعسكريين في صفوفها، ارتأت قيادتها أن تخبر الضباط ذوي الرُتب الكبيرة، الذين آوتهم واحتضنتهم الثورة الكوردية، أن بإمكانها تسلم السلطة، وفي

إطار هذا المسعى أُرسِلَ متعب خميس إلى كوردستان. ومن بين الضباط الذين كانوا بحماية الملا مصطفى البارزاني، اقتنع العقيد سليم الفخري بالفكرة وآثر العودة. من الجدير بالذكر أن مهام اللجنة الثورية انحصرت في الإطاحة بحكم عبدالسلام عارف فقط.

دخل سليم الفخري بغداد عن طريق ديالى سراً، بهوية مزورة، وهناك كتب مع قيادة اللجنة الثورية البيان رقم (١)، وعينوا رئيس الجمهورية ومجلس الوزراء، وقادة الجيش. ولكن بسبب خيانة شخص أو ربما أشخاص، داهمت السلطات الحكومية منزل العقيد سليم الفخري، وحوصرت أكثر المخابئ السرية وانهارت المنظمة وأحبطت المحاولة.

من الجدير بالذكر أن العسكريين المشتركين في العملية لَمْ يُعدموا بفضل وجهد الرأي العام الدولي وتدخل الفعاليات والمحافل الدولية.

القيادة المقترحة

- كامل الجادرجي أو إسماعيل صفوت: رئيس الجمهورية
- الملا مصطفى البارزاني: نائب رئيس الجمهورية
- سليم الفخري: رئيس الوزراء
- إبراهيم كبة: وزير الاقتصاد
- محمد حديد: وزير المالية
- عبدالوهاب محمود: وزير الخارجية
- عبدالوهاب القيسي: وزير العدل
- جلال الطالباني: وزير الإسكان
- جلال بالطة: وزير الداخلية
- مصطفى علي: وزير الأوقاف
- عزيز شريف: وزير العمل

- عبدالفتاح إبراهيم: وزير النفط
- رافد صبحي أديب: وزير التربية
- محمد مهدي الجواهري: وزير الثقافة والإرشاد
- عباس البلداوي: وزير البلديات
- محمد صالح بحر العلوم: وزير الدولة
- وزير ثان للدولة: من الحزب الديمقراطي الكوردستاني

أما قادة الفِرَق فكانوا: سعيد مطر، عبدالقادر محمود، أحمد محسن محمد علي، عبدالله سعيد، وكان من المقرر أن يكون العقيد الركن عبدالرحمن القاضي الحاكم العسكري العام.

بعد إخفاق الانتفاضة
حكاية (قطار الموت)

بعد كارثة فشل انتفاضة الثالث من تموز بقيادة حسن سريع، لابد من أن يُذكر للتاريخ أن الشهيد إبراهيم محمد علي مخموري و محمد حبيب، كانا من مخططي الانتفاضة. لنسأل الآن ماذا جرى بعد سيطرة البعث على هذه الحركة وَقَتلِ وَسِجنِ أبطالها؟

مثلما ذكرتُ، كان معسكر الرشيد في ذلك الوقت أهم معسكر للجيش العراقي، وذلك لاحتوائه على أقسام وأجزاء مختلفة لقوى ومستلزمات الجيش، كقاعدة الرشيد الجوية، والقوات المدرعة وقوى المشاة والكلية العسكرية وكلية الاحتياط ومستودعات الأسلحة والمتفجرات وكتائب المدفعية والمستشفى العسكري وسجن رقم ١ الذي اعتقل فيه بعد انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ معظم رجالات حكومة عبدالكريم قاسم وكبار ضباط الجيش العراقي، وكان أغلبهم من أعضاء وأصدقاء الحزب الشيوعي العراقي. وكان من أهم ما استهدفته خطط ثوار الانتفاضة تحطيم السجن وتحرير المئات من

الضباط المعتقلين، ولو حالف النجاح هذه الخطة لاشترك عدد كبير منهم في الانتفاضة، وبخاصة ضباط الطيران والدبابات والدروع، إذ كان بعضهم على علم بما يجري قبل الحادث.

وردت في بعض المصادر أن الجندي الذي كُلّف بمهمة الهجوم على السجن بدبابته أصابه الهلع، أو حسب ما قال البعض، اضطرب وَفَقَدَ السيطرة على نفسه، فَلَمْ يتمكن من تنفيذ المهمة التي شكلت الحلقة الأهم من ذلك العمل الثوري مما أدى إلى إخفاق الانتفاضة. ولاشك أن التاريخ يزخر بأحداث مقرونة نتائجها سلباً أو إيجابا بجبن وتخاذل شخص أو بشجاعة وبطولة شخص آخر، فلو كان الجندي (خلف شلتاغ)، جسوراً ولم يدع الوجل يسوّد ويغشى عينيه لأصبح بطلاً من أبطال التاريخ أو لَكَان استشهد كنائب العريف حسن سريع، والعريف كاظم بندر، بنبل وكرامة.



د. رافد صبحي أديب

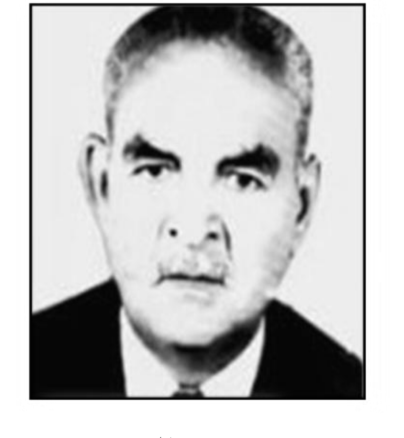
بعد مضي أيام على كارثة الفشل، أُخرج المعتقلون في سجن رقم ١ المحرومين من الماء والغذاء مغلولين مقيدين، ومع بزوغ الشمس في الرابع من تموز ١٩٦٣، اقتيد هؤلاء الأبناء المخلصين لشعبهم إلى (قطار الموت).

انقسم البعثيون الفاشيون بين رأيين في الموقف حول مصير هذه المئات المؤلفة من أبناء الشعب من العلماء والأطباء والمهندسين وضباط الجيش، كان أحد الرأيين هو رميهم بالرصاص وقتلهم جماعياً بغية محو مخاطر انبعاثهم ثانية والمشاركة في أي عمل آخر ضد حزب البعث

ومعاونيهم. وتمثل الرأي الثاني في عدم إثارة الرأي العالمي وتجنب مثل هذا السلوك الذي "قد يؤدي إلى تزايد مناوئينا ويخدش سمعتنا" حسب محاجتهم. واستقر رأيهم على حشدهم في قطار شحن تُسد ثغراته ومنافذه بالزفت، ودفعهم في قيظ تموز إلى السماوة، ومنها إلى سجن نقرة السلمان، وكانوا يأملون أنهم بلا شك سيموتون في الطريق من الحر ولا ينجو منهم أحد، ويذاع الخبر كحدث من الأحداث المدرجة في خانة القضاء والقدر. وهكذا حظي الرأي الثاني بقبول تام من قيادة البعث والحكومة وشرعوا في تنفيذ هذه الخطة التآمرية الخبيثة التي قل مثيلها في العالم.

شُحن القطار بالحمل الثقيل. وأوعزوا إلى سائقه أن يقوده على مهل إلى السماوة، وقُدرَ عدد الضباط بالألف، "حسب التقارير المتوفرة آنذاك".

لا يمكن لأحد البقاء حيا في عربة شحن حديدية منافذها مغلقة وطليت أرضيتها بالزفت، تلهبها شمس تموز لعدة ساعات. كان المعتقلون مقيدين، وربط بعضهم ببعض بسلاسل وأغلال. وبعد مسير ساعة، بدأ السجناء يفقدون المقاومة شيئاً فشيئاً ويصابون بالزوغان والتقيّؤ وهبوط ضغط الدم. ولحسن حظ هؤلاء الأبطال توقف القطار في (المحاويل) بعد أن اجتاز (الدورة).



محمد عباس المفرجي

يقول سائق القطار عبد عباس: أُعلِمتُ من قِبل الجهات الرسمية أن القطار مُحمَّل بقضبان حديدية، ولكن أثناء توقفنا في (المحاويل) صعد شاب وقال لي: عمي إن ما تحمله ليس حديداً بل بشر من خيرة أبناء الشعب. أرسل عبد عباس معاونَه إلى العربات فوراً للتحقق من الأمر، فعاد المساعد صارخا والشحوب يعلو وجهه أن الشاب مصيب فيما يقول.

لم يكن عبد عباس، يعرف أن في حوزته نعشاً في شكل قطار سدت جدرانه ومنافذه وطليت أرضيته بالزفت. لما عَلِمَ بذلك انتفضت قِيَمُ الإنسانية والكرامة لديه، وراح يقود القطار بأقصى سرعة ممكنة بدلاً من الامتثال لرغبة الموعزين إليه في بغداد بالتباطؤ، فوصل المكان المقصود قبل الموعد العادي بساعتين. حكى عبد عباس المفرجي، لابنه مظهر: حين وَصَلْنا الديوانية ازدحمت المحطة بالناس وهم يرشون مقصورات القطار بالماء ليقللوا "شيئاً من حره ولهيبه." في ذلك الوقت تقدمت نحوي امرأة، ارتمت على يدي وراحت تلثمني والتمست مني أن استعجل في إيصالهم" ولَمْ أعرف كيف تسرب الخبر وشاع بين المنتظرين، ولَم يكتفوا بهذا القدر بل أوصلوا الخبر إلى السماوة، وما إن توقفنا هناك وفتحنا أبوابَ العربات حتى اندفع السجناء كأجساد مطبوخة وتراكمَ بعضهم فوق بعض وأغمي على بعضهم الآخر، وتوفى الدكتور يحيى نادر. كان أحد السجناء ضابطا صيدلانياً من السماوة، أوصل والده (أبو طالب) الخبرَ من بغداد إلى مدينته السماوة، وسعى لأن يتجمهر جمع غفير ويستقبلوا الضيوف ويزودوهم بالماء والغذاء، وفضلا عن ذلك شَحنَ سيارةَ حمل كبيرة بالرز والدهن والسكر والشاي والتمر، وأرسلها إلى نقرة السلمان.

قفزَ الدكتور رافد وطبيبان آخران من بين السجناء نحو المستقبِلين الحاملين للخبز والماء والغذاء، ونادوا مطالبين ألا يتناول السجناء شيئاً على الفور، بل سارِعوا إلى تزويدهم بالملح والماء الفاتر، وأحضروا طسوتاً كبيرة مليئة بالماء المالح، وهكذا أُنقذوا من الموت وعادوا ثانية إلى الحياة. لقد أطلق الرفيق حمدي أيوب، على ذلك الاستقبال والإسعاف (انتفاضة السماوة الهادئة.)

تترسخ وتتجسد فاشية البعثيين بأجلى صورها في ذهن كل من يرنو إلى كارثة انسانية كهذه، اقترفتها أياديهم الآثمة، ويرنو إلى آلاف الأشخاص: العطشى والجوعى بثياب بللها العرق ، وعيون جاحظة من أثر التعب والخوف والموت والجوع والظمأ.

إن استعادتنا لهذه التراجيديا، هي من أجل أن لا ينسى الجيل الطالع شجاعة مَناضلي شعبنا، لترددُ الشفاه الأحداثَ الكبيرة وبسالةَ روحهم الثورية وتضحياتهم.

عُلِمَ في حينه، أن عدد شهداء معسكر الرشيد في اليوم الأول بلغ (٢٠٠) شهيدا، أعدم (٤٦) منهم رمياً بالرصاص، وَفقَد كثيرون منهم أرواحهم الطاهرة تحت التعذيب والتحقوا بقافلة شهداء الحزب الشيوعي العراقي.

كان من بين المعتقلين الذين "شحنوا" في قطار الموت: الزعيم غضبان سعد، والعقيد إبراهيم حسن الجبوري، والعقيد حسن عبود، والعقيد سلمان عبدالمجيد حسان، والمقدم عدنان الخيال، والرئيس الأول لطفي طاهر، وحمدي أيوب، والدكتور رافد صبحي أديب والطيار إبراهيم مثنى ومهندس الكهرباء والضابط عبدالقادر الشيخ، والرئيس الأول صلاح قزاز، والضابط يحيى نادر، و جميل منير العاني، وحسن زيور، والمهندس فاروق جرجيس والمئات من شخصيات هذا الشعب[١].

لَم تنجح انتفاضة ٣ تموز لكنها منحت الثوار جرأة ومعنوية فريدة بالأخص الشيوعيين وقاعدتهم الجماهيرية الواسعة.

عَقب انقلاب عبدالسلام عارف وحلفائه من القوميين العرب على البعث، ظهر تطلع إلى آفاق أكثر اتساعا، وازداد إيمان الجماهير بالنصر، لَم يستطع جور البعث والدماء التي ولغ فيها أن تبقيه على كرسي الحكم والسلطة فسقط في غضون ساعات قلائل. وتهيأ لنا، نحن العاملين بشكل سري، جو أسهل وأفضل لإعادة تنظيم صفوفنا وربط تنظيماتنا المتقطعة من جديد بالحزب، وتصاعد إيماننا وثقتنا بالنصر، وكان مبعث فخرنا بطولات وصمود قادتنا الأبطال الذين استشهدوا وهم يواجهون ويتحدون أقسى أصناف الألم والتعذيب.

لقد غدا كل من سلام عادل، وجمال الحيدري، وأبو سعيد وحسن عوينه، و محمد حسين أبو العيس، و نافع يونس، و عشرات القادة ومئات الكوادر وآلاف المؤيدين وأصدقاء الحزب مشعلاً لإنارة درب الثورة، ولَم يَدُر بِخَلَد أحد أن تقع قيادة الحزب من جديد في أخطاء قاتلة وجسيمة أخرى.

---

[١] هذه المعلومات مستمدة من ذكريات ولقاءات صحفية، مثل: رسالة مظهر عبد عباس ابن سائق القطار، والضابط الشيوعي المعروف غضبان السعد وأحمد العزاوي وكاظم السماوي وآخرين.

لو رجعنا من خلال سلسلة الأحداث إلى انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣، والبيان رقم (١٣) لإبادة الشيوعيين، وإلى محاولة أبناء هذا الحزب لإسقاط نظام حزب البعث الفاشي، لَوَجَدنا أن انتفاضة ٣ تموز ١٩٦٣، وحدها كانت تكفي لتحريك الأدمغة الراكدة والجامدة الغاطسة في وحل التبعية وتقودُ أصحابها نحو اتخاذ وانتقاء النهج الثوري، غير انهم تراجعوا تراجعاً غير لائق بمجرد إرسال وإصدار إشارة من خارج البلد ولمْ يحسبوا حساباً صادقاً لدماء آلاف الرفاق، من أجل تفضيل كلمة قالتها لهم حكومة الاتحاد السوفيتي. ولم تكتف قاعدة الحزب وجماهيره برفض هذا السلوك والنهج الأعوج فحسب، بل وقفت بكل الوسائل ضده وبالتالي فَقدَ مئاتُ الأعضاء النشطين الإيمان بالحزب وتركوا صفوفه.

كنت مسؤول جامعة بغداد وتنظيم اتحاد الطلبة السري في ذلك الوقت. وحين طلبَ مني مسؤولي حسين جواد الكمر ، أن نذهب بشكل جماعي إلى ساحة الكشافة لدعم وتأييد (الاتحاد الاشتراكي) والتصفيق للسفاح عبد السلام عارف، قلتُ له بصراحة تامة، هذه أكبر خيانة تقترفونها ضد الحزب بل ضد العراق كله، ولن استجيب بأي شكل من الأشكال لما تنشدون ولن أمتثل لأمركم، وسوف أُطلعُ الرفاقَ كلهم على موقفكم هذا والتغير السلبي الطارئ عليكم.

واستطردتُ قائلاً إن هذا العمل خطأ فظيع مائة بالمائة واستسلام سافر لحكم رجعي سفاك، وعلى الصعيد الأخلاقي إن هو إلا خيانة كبرى بحق الآلاف من شهداء الأمس، ويثبت أن قادة الحزب في الوقت الراهن لا يتمتعون بالاستقلال بأي شكل من الأشكال في اتخاذ قرارات تخص وطنهم وشعبهم، بل تهمهُم حماية مصالح السوفيت، ولا يمت ذلك بصلة إلي الشيوعية والوطنية.

بعد أن وقفت القاعدة وجماهير الحزب وتصدت بقوة لهذا الخط التصفوي، بدأ قادته يتراجعون عن موقفهم، ليس عن إيمان صادق نابع من صميم أعماقهم بلا ريب، بل فعلوا ذلك للحفاظ على مراكزهم الحزبية والاستعداد لمواصلة نهجهم القديم على نحو آخر.

خط آب (١٩٦٤)

واجهت تنظيمات الحزب خط آب التصفوي بامتعاض وتذمر، وتخلى بعض الرفاق عن عضويتهم الحزبية وظهرت بوادر التكتلات المختلفة كردود فعل ضد السياسات الخاطئة وفقدان الثقة بالقيادة القائمة.

وأنا كنت واحداً منهم، اعتقدنا أن انتهاج خط ثوري للحزب يُهيئ الجماهير لتغيير البلاد وتحريرها من الحكم الدكتاتوري الوحشي وتأسيس حكومة وطنية ديمقراطية.

قدمنا مذكرة بصفتنا (فريق من كوادر الحزب)، وسُميت هذه الكتلة ب"فريق الكادر" أو كتلة (نجم)، وهو الاسم الحزبي للرفيق إبراهيم علاوي، ضمت الكتلة، إضافة إلى الرفيق إبراهيم علاوي وأنا، كلاً من الرفاق: الشهيد خالد أحمد زكي، الشهيد رؤوف حاجي قادر، والشهيد أمين خيون، وفؤاد الأمير، وصباح گورگيس، ويوسف رزين، وماجد علاوي، وإبراهيم إسماعيل، ونوري كمال، وأبو ناجي. تطرقنا في المذكرة إلى وضع الحزب وضرورة استقاء الدرس من النكسة التي واجهها، ودرسنا أسبابها والحلول والمعالجات لها.

في ذلك الظرف الدقيق تفرق الخط العام لمنظمات الحزب بعضه عن بعض. ففي وقت كان مؤيدو خط آب مع التحالف بل حل الحزب في منظمة وطنية عريضة (الاتحاد الاشتراكي)، وأعلنوا دعوتهم وانضمامهم إليه ورأوا أنه الطريق الأمثل الصحيح والصائب لطريق التطور اللارأسمالي بل هو روح العصر تماماً. ظهرت في مواجهة هذا التوجه تيارات ثورية أهمها تيار أصبح فيما بعد كتلة مختلفة في شكلها ومحتواها عن اللجنة المركزية، هيمنت على الحزب بدون أي اعتبار أو حساب شرعي. لَم نبغ نحن (فريق الكادر) الانفصال عن الحزب بل آثرنا أن نعمل من منظور موقعنا التنظيمي داخل الحزب، ونسعى على أساس وحدة الحزب إلى انتخاب قيادة ثورية تقود جماهير الشعب المضطهدة إلى بناء حكم ديموقراطي ووطني.

كنت آنذاك، أقصد عام ١٩٦٤، مثلما ذكرتُ سابقاً، مسؤول تنظيمات جامعة بغداد، بوغتُ حين أبلغني مسؤولي (حسين جواد الكمر)، بضرورة الاشتراك في

حفلات تأسيس الاتحاد الاشتراكي، رفضتُ بشدة ولَم ألب طلبه قلتُ له: ترى ماذا تقول أنت؟ قال "اسخرْ منهم وقلْ عاش بطل الثورات الثلاث". وكان يقصد عبدالسلام عارف بقوله. أجل هكذا كان بعض أعضاء المكتب السياسي يفكرون، من أبرزهم باقر إبراهيم، وسلام الناصري (أنور مصطفى). كان هذا الخط، شاء من شاء وأبى من أبى، في خدمة قَتَلَة سلام عادل، وجمال الحيدري، وحسن عوينه، وأبو العيس، ومحمد العبلي، ونافع يونس، ومئات من كوادر القيادة.



من اليمين: ابراهيم علاوي، قحطان الملاك، فؤاد الأمير، ماجد علاوي، أبو ذر،
ضريح الشهيد خالد أحمد ذكي، ٢٠٠٣/١٢/١٠

من جانب آخر ربينا تنظيماتنا على ضرورة دراسة الماضي من أجل المستقبل، وذلك عن طريق خط ثوري منشود. وما أثار الاشمئزاز والتقزز من سياستهم هذه، هو دعوتهم المتواصلة للتقرب من الاتحاد الاشتراكي رغم أن نظام عبدالسلام عارف رَفَضَهم ولَمْ يقبل صداقتهم وعمالتهم بل تمادى في تنفيذ أحكام الإعدام بحق المناضلين.

تطور الصراع الفكري داخل الحزب، وكنا نحن في (فريق الكادر) قد رَوجنا للعمل، خاصة في تنظيمات الطلبة والمثقفين. كان اتحاد الطلبة بمعظمه معنا بالإضافة إلى تنظيمات المثقفين وبشكل أخص تنظيمات المهندسين، وتجسدَ هذا في الانتخابات التي عقدت لاختيار ممثلي الطلبة، وقد فاز مرشحونا بأغلب الأصوات في جامعات العراق، وعلى النحو نفسه أسفرت انتخابات المهندسين عن نتائج مفيدة لمصلحة الشعب.

ازدادت الأصوات المطالِبة بعقد مؤتمر الحزب وبدأت المطالبة تتصاعد في داخل التنظيمات يوماً بعد يوم.

حين أطالع سِيرَ وذكريات بعض القادة بعد انقضاء عشرات السنين، استغربُ وأراها مليئة بمواضيع عجيبة ومثيرة للدهشة فقد مروا مرور الكرام على تلك الفترة المتفجرة في حياة الحزب الداخلية، حيث كانت تَمَوَرَ بالصراع بين كوادر وقواعد شحذ وعيها الثوري في لهيب أقسى التجارب والتضحيات وبين قيادة تعيش في الخارج مفصولة عن واقع الحزب وهمها الترويج لخط استسلامي مفروض عليها من "جهات أممية"، والتي أثرت سلبا في نهج الحزب بدلاً من أن تجعله يمارس سياسة ثورية وتلقف واستغلال الفرصة الكبيرة المتاحة بعد انهيار الحرس القومي، وبعد أن توجهت الجماهير واقتربت أكثر إلى الحزب. إني أرى بوضوح فارقا كبيراً بين إمكانية القيادة ومستواها النظري والتطبيقي الواهن مقارنة بقاعدة الحزب التي لم تكل ولم تذعن للخط اليميني المستسلم. ونتيجة لذلك حدثت انشطارات وانقسامات كبيرة أدت إلى تمزيق صفوف الحزب على نحو سلبي مؤثر.

اختار تكتل لجنة منطقة بغداد، وهي أكبر تنظيمات الحزب في بغداد سبلَ اللجوء إلى انتفاضة شعبية للإطاحة بالحكومة وتسلم السلطة. لم يكن منظمو هذا التكتل

متفقين وموحدين في كيفية تنظيم الانتفاضة وآلياتها، فقد كان بينهم قادة من جناح اليمين تمنوا من أن يركبوا الموجة الثورية ويحكموا قبضتهم عليها، منهم حسين جواد الكمر ، وبيتر يوسف. على سبيل المثال كان المرحوم حسين جواد الكمر من أبرز منفذي السياسة التصفوية السيئة الصيت والمحتوى المكروه لخط آب، ولكنه كان في الوقت نفسه من أنشط الأعضاء في مكتب تنظيم منطقة بغداد، كما عاد عزيز الحاج من أوروبا وطرح رأيا مختلفا عن آراء وتوجهات المكتب السياسي، وركب الموجة لأنه كان عضواً في المكتب السياسي وكاتباً شهيراً وأقدم عضو بين أقرانه وأصدقائه في تنظيمات منطقة بغداد التي أشرف عليها. ومن ناحية أخرى، فأن تيارا آخر في القيادة، ولمواجهة تمرد القاعدة الحزبية وخروج الأمور عن سيطرتهم، اضطروا ظاهريا للتخلي عن خط آب وطرحوا ما سمي بخيار العمل الحاسم، أي الانقلاب العسكري، في مقابل ما سبق أن طرحه عزيز الحاج وزكي خيري بما سمي الانتفاضة الشعبية، حيث ارتأى أن التغيير لا يتم إلا بالثورة وعن طريق انقلاب عسكري مدعوم بانتفاضة شعبية، وشرعت تنظيمات الحزب تتناقش في جدال ساخن بين خياري خط الانتفاضة الشعبية وخط العمل الحاسم (الانقلاب العسكري والثورة) ورأى حاملو هذه الفكرة أن هذا لا يُدعى انقلاباً بل هو ثورة تتم بانقلاب عسكري متزامن مع انتفاضة شعبية تدعمها.

وكما سبق ذكره برز خط (فريق الكادر) أيضاً كاتجاه آخر دعا إلى اختيار الكفاح المسلح سبيلاً أمثل للإطاحة بالسلطة الديكتاتورية.

في هذه الأثناء اتصلتُ بمجموعة من الرفاق في تنظيمات فرع كوردستان الثورية، وكان للحزب مئات المسلحين وأصبح حليفاً للحزب الديمقراطي الكوردستاني في الثورة الكوردية. لقد سجل مقاتلو الحزب العديد من العمليات البطولية في مراحل متعددة، والتي تدل على الطاقات الثورية المتوفرة لدى الشيوعيين بعد انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣، رغم سياسات الإبادة ومحو الشيوعيين التي مارسها الانقلابيون. لقد ساهم الحزب الشيوعي في تلك الظروف بشكل فعال بثورة كوردستان. ولهذا

الموضوع صلة تَـردُ في جـزء آخـر مـن مـذكراتي، ولكـن ينبغـي علـيّ أن أشـير بسـرعة خاطفـة هنـا إلى أن موقـف الحـزب الـديمقراطي الكوردسـتاني بقيـادة المـلا مصـطفى البـارزاني الخالـد لا ينسـى باحتضـانه لمئـات بـل الآلاف مـن رفـاق الحـزب الشـيوعي الهاربين من جور البعث وطغيانه.

أقنعتُ الشهيد القائد النابغ في كوردستان (رؤوف حـاجي قـادر)، ليتصـل بفريقنـا، فالتقى الرفيق إبـراهيم عـلاوي وصـار شخصـاً مقربـاً إلينـا، أي إلى فريـق الكـادر، بـل صار عضواً نشيطاً معنا.

كان رؤوف حاجي قادر عضـواً في الفـرع الكـوردي للحـزب الشـيوعي، وكـان عـاملاً ميكانيكيا قديراً وشخصـية اجتماعيـة معروفـة تحضـى بالمحبـة والاحـترام. انتمـى إلى الحزب الشيوعي منذ زمن (نوري السعيد) وحمل أفكاراً ثوريـة ونـال محبـة وتقـدير لجنـة الفرع والرفاق الشيوعيين في كوردستان. بعد سـنين مـن الاختفـاء استشـهد علـى أيـادي رجال الأمن والاستخبارات القذرة في السليمانية، لولا استشـهاده لكـان بوسـعه أن يـؤدي دوراً فعالا في كوردستان. ففي تلـك الأيـام انتظمـت في الحـزب مجموعـات نضـالية ثوريـة جسـورة مـن شـباب السـليمانية الشـجعان، تحـدوا هجمـات الأمـن والاسـتخبارات، في طليعـتهم الشـهداء أكـرم حبسـه، وجمـال علـي فـايز، والمناضـلين مصـطفى جـاورَش، وكمال شاكر، وحَمه أمين بريد، وطاهر وعلي وصلاح وعشرات الرفاق الآخرين.

من كان أبرز القادة في آب ١٩٦٤؟

لابد من العودة هنا إلى تاريخ تبلور جبهة الـيمين داخـل قيـادة الحـزب الـتي عرفـت بـالخط (التحريفـي) واسـتمدت بـوادر وعوامـل ظهورهـا ونشـوئها مـن سياسـة الحـزب الشيوعي زمن خروشوف وما تلاه.

لعبت الكتلة المشكلة من الثلاثي بهاءالـدين نـوري، وزكـي خـيري، وعـامر عبـدالله، أعضاء المكتب السياسي للحـزب، منـذ الاجتمـاع الموسـع للجنـة المركزيـة في أواسـط تموز ١٩٥٩، دوراً في الانحراف عن النهج الثوري للحزب الشـيوعي العراقـي بغيـة تنفيـذ

نهج خروشوف الجديد، هذه الكتلة التي تم طردها من الهيئـات القياديـة للحـزب أواخـر عام ١٩٦٢، بعد عودة الشهيد سـلام عـادل مـن الاتحـاد السـوفيتي وشـروعه في إعـادة رسم نهج ثوري للحزب في مسألة استلام السلطة. وقد سيطرت نفس هـذه الكتلـة علـى قيادة الحزب بعد سـقوط نظـام ٨ شـباط الفاشـي وشـكل الثلاثـي هـذا أكـبر عرقلـة في طريـق تـبني نهـج وسياسـات ثوريـة للحـزب والجمـاهير العراقيـة، ووجهـت سياسـتهم التصفوية المنساقة وراء التحريفيين السـوفيت أكـبر ضـربة إلى الحـزب وتكرسـت هـذه السياسة بما عرف بخط آب ١٩٦٤، وبمساهمة فعالة من عناصـر مغرقـة في يمينيتهـا أمثـال سلام ناصري وباقر إبراهيم، الشخصين الرئيسيين الآخرين في ذلك التيار الخطير.

رغم أن الخط التحريفي بدأ من تموز ١٩٥٩–١٩٦١، أي منذ ذلـك الوقـت الـذي بـدأ عبدالكريم قاسم بسياسة التوازنـات قصـيرة النظـر بـتمكين القـوى الرجعيـة والمعاديـة للثـورة باسـتلام المفاصـل الرئيسـية في الدولـة وشـن الهجمـات علـى تنظيمـات الحـزب الشيوعي والقوى الديمقراطية، لمواجهة النفوذ الجمـاهيري الكاسـح للحـزب الشـيوعي، إلا أنـه أبقـى في الوقـت نفسـه علاقاتـه الرسميـة وتعاونـه مـع بعـض قيـادات الحـزب الشيوعي، والأخص عامر عبد الله، لغاياته ومقاصده الشخصية.

أمـام هـذا الظـرف المعقـد، لم يبـد الحـزب حراكـاً وسياسـة ثوريـة وذلـك بسـبب الاختلاف في آراء القيادة وانقسامها بين خط ثوري يطمح في تسـلم السـلطة وخـط آخـر أقوى، من خـلال سـيطرته علـى كافـة المراكـز القياديـة والمـوارد والعلاقـات الأمميـة، وهمه الأسـاس فـرض نهـج تصـفوي استسـلامي فرضـه الحـزب الشـيوعي السـوفيتي ضمن نظرية خط التطور اللارأسمالي في البلـدان الناميـة. وفي حينهـا شـرعت الحكومـة في ضـرب تنظيمـات الحـزب ومؤيديـه داخـل الجـيش وراحـت توجـه ضـربات قاتلـة استهدفت طردهم وتفريقهم وتشتيتهم.

قادت كتلـة (الثلاثـي عـامر وزكـي وبهـاء الـدين) مضـامين هـذه السياسـة والفكـرة وفرضتها في العام ١٩٦٤ في خط آب ملقية الحزب ومناضليه في هاوية كـبيرة وجديـدة بعد أن نهض من الكبوة بعد شباط ١٩٦٣ بحمـاس وجـرأة، عاقـداً الأمـل علـى نهـج

ثوري جديد لإعادة تنظيم صفوفه بعد قتل الكثيرين من قادته وكوادره وأعضائه وأنصاره ومؤيديه.

كم أتألم وقتَ استذكار تلك الأيام التي كنا نطمح فيها إلى بزوغ عصر جديد في تاريخ الحركة التحررية والثورية في العراق والمنطقة، فلو تهيأ النصر والنجاح لذلك النهج وتسلمنا السلطة، لشَهِد العراق والمنطقة والعالم تحولات ملهمة كبيرة.

قبل العام ١٩٦٣، بذلت الكتلة الثلاثية الجهد لإزاحة الشهيد سلام عادل من منصب السكرتير، وفي النتيجة حظيت محاولتها بالنجاح فأقصت القائدين الثوريين الكبيرين للحزب الشيوعي العراقي، سلام عادل وجمال الحيدري، وأرسلتهما إلى موسكو باسم الدراسة وإعادة التثقيف، لتخلو الساحة لها وللمبشرين بالأفكار الانهزامية اليمينية.

يُعد خط آب ١٩٦٤، انعطافة سلبية كبيرة في تاريخ حزبنا وتاريخ الحركة الثورية، وستبقى إلى الأبد أسماء مخططيه ومنفذيه في القائمة السوداء في تاريخ الحركة الشيوعية والوطنية في العراق.

وقفت تنظيمات الحزب وجماهيره بوجه هذا الخط اليميني المتخاذل المستسلم وقاومتْه بقوة وأصبحت تعادي هذا الانحراف وترفضه.

في هذا الظرف العصيب سعيتُ بكل جد ونشاط، ووقفت ضد هذا النهج الملتوي، ولم أدع أحداً من أعضاء اللجان التي كنت أديرها أن يساير هذا التيار اليميني التصفوي.

وبسبب من هذه السياسة الملتوية التصفوية، تشظت وتجزأت تنظيمات الحزب، وسادت البلبلة في فهم الأهداف، والموقف إزاء الحكم في العراق، وأسلوب العمل المتبع لتحقيق أهداف الحزب القريبة والبعيدة المدى، وفي معرفة وتمييز الصديق عن العدو، في التكتيك والاستراتيجية، وفي تمييز ومعرفة مواقف الاتحاد السوفيتي والحزب الشيوعي السوفيتي والحركة الشيوعية بشكل عام في العالم.

لم يبق فكر موحد ولا تنظيم منسق بأي شكل من الأشكال داخل الحزب، وأصبح الإفصاح عن أخطاء الحزب وذكر أسماء القادة والإفشاء بالأسرار شيئاً عادياً وصريحاً ومنافياً للتقيد بالنهج اللينيني والضبط الحزبي واحترام التقاليد المعهودة

بين الرفاق. أما أشخاص مثلنا من الذين دأبوا الليل والنهار لإعادة تنظيم الحزب، فكنا مستعدين لتقديم التضحيات بأنفسنا وبحماس نادر في سبيل قضية الحزب والشعب. لقد فقدنا الأملَ بتلك القيادة وبَحَثنا عن حلول ومعالجات تصون ثورية واستقلالية الحزب لنضع عملنا ونضالنا على درب يقودنا نحو تحقيق أهدافنا التي تجلت في إسقاط الحكم الرجعي والمستبدين، وتسلم السلطة.

وهكذا ظهرت آراء وتيارات عدة داخل الحزب. ارتأى بعض الرفاق اتخاذ نهج الانقلاب العسكري متزامنا معه انتفاضة شعبية، تغدو ثورة حقيقية للشعب العراقي. مقابل ذلك كانت بعض التنظيمات الأخرى داخل الحزب، ومركزها لجنة منطقة بغداد، وكانت واسعة جداً، مع العمل لانتفاضة شعبية عارمة، واستعانوا بآراء وتجارب الشعوب والأحزاب الشيوعية الثورية في التاريخ.

وقد تكون طرف ثالث داخل الحزب، عرف باسم (فريق الكادر)[١] نشأ أساساً من مجموعة من كوادر الحزب قدمت مذكرة إلى المكتب السياسي، وكنتُ واحداً من المجموعة. وكان لفريق الكادر، دورهم البارز في مراكز متميزة في تنظيمات الحزب. تمثل نهج الطريق الثالث، في اختيار الكفاح المسلح، وفي سبيل ذلك قدمنا الكثيرَ من الشهداء والتضحيات وصار نضالنا جزءاً ناصعا من تاريخ الحركة الشيوعية في العراق.

---

[١] الدكتور علي كريم سعيد، في كتاب (العراق البيرية المسلحة – حركة حسن سريع وقطار الموت ١٩٦٣)، الصفحة ٢٠٨. تحدث عن مجموعة (فريق الكادر) بهذا الشكل:

فريق الكادر، كان مجموعة مكونة من (٤٠–٥٠) مناضلاً ذوو تجربة حزبية، قادها المهندس والكاتب، ورجل الأعمال لاحقا، ابراهيم علاوي. أبرز اعضاء هذه المجموعة كانوا: أمين خيون، الملازم فاضل عباس، فاروق ملا مصطفى. هذا الفريق قاوموا حركة ٨ شباط ١٩٦٣، في منطقة الكاظمية، ثم انسحبوا نحو الجنوب.

فريق الكادر، وقبل انشقاق القيادة المركزية كانت لديهم نفس الملاحظات والانتقادات التي تبنتها القيادة المركزية فيما بعد، وخلف ستار مكتب مهندسي في ساحة النصر في بغداد، التي كانت تعود ملكيته لكل من ابراهيم علاوي وشقيقه ماجد علاوي، قاموا بنشاطات سياسية.

تُعد انتفاضة أهوار جنوب العراق، ملحمة، تبقى إلى الأبد أسماء وجرأة وتضحيات مناضليها وتعاملهم الإنساني مع بسطاء منتسبي الأجهزة الحكومية، وتضاف إلى سجل الانتفاضات التاريخية الأخرى للحزب الشيوعي العراقي.

تنظيمات (فريق الكادر)

كان لفريقنا (فريق الكادر)، عناصر بين الطلبة والمثقفين والجيش والعمال والفلاحين في بغداد والحلة وجنوب العراق.

وللحديث عن بعض الحقائق التاريخية للكارثة التي ألمت بأكبر حزب وأكثره

تمرسا ونضالاً، يتعين عليّ الحديث بشكل أكثر عن الأوضاع والأحداث التي جرت داخل العراق وخارجه، وقد مضت عشرات السنين على تلك الأحداث وما زلنا نحن وآلاف المناضلين نتلوى حزنا وألماً وحسرة على تلك الأيام.

في شهر أيار عام ١٩٦٤، زار خروشوف القاهرة وكشف النقاب عن السياسة السوفيتية الجديدة. وفي أواسط شهر آب ١٩٦٤، صدر البيان سيئ الصيت للحزب تضمن تعاطفه ومسايرته للسياسة السوفيتية بقيادة خروشوف. ومنذ ذلك اليوم نشأت وبرزت في وجه هؤلاء وسياساتهم التحريفية جماعات صغيرة في مناطق مختلفة من العراق عارضت جهاراً التحريفية والخط اليميني، ونما حسهم وحماسهم الثوري وتزايد بين رفاق السجون وتنظيمات الحزب في كوردستان وبغداد ووسط وجنوب العراق.

في البداية، اتخذت معاداة التحريفية شكلاً سلبياً تمثل في ترك صفوف الحزب على نحو جماعي، وفي بعض المرات والأماكن ارتفعت الأستقالات من الحزب إلى نسب عالية، على سبيل المثال جاء في منشور أصدرته لجنة التنظيم المركزية (لتم) في ١٩٦٥/٩/١٠، معلومة تفيد "أن الاستقالة ارتفعت إلى نسبة عالية غريبة، ويقول البيان: ففي بعض التنظيمات، مثلا في بغداد (النهرين) وصلت النسبة إلى ٥٠٪، وفي منظمة (ب) بالجنوب وصلت إلى ٢٥٪، وفي منظمة حيدر أي (الفرات) ارتفعت إلى

النسبة نفسها. هي نسبة كبيرة جداً لم يشهدها الحزب الشيوعي العراقي في تاريخه. ولم يتمكن الاضطهاد والضراوة ضد الحزب من أن يثبط من همة الشيوعيين ومعنوياتهم في العراق كما فعل هذا الخط، بل فضل آلاف المعتَقَلين الموتَ على الاستقالة أو إعلان البراءة من الحزب الشيوعي.

ما السِّر الكامن وراء هذه النِسَب العالية من الاستقالات؟ بلا أدنى ريب لم تكن نابعة من تأثيرات وإفرازات سياسة القمع التي مارستها الأجهزة القمعية ، ولا جبن أو انهيار هذا العدد الهائل من الأعضاء، بل كانت حصيلة رفضهم وإحباطهم وفقدان ثقتهم بقيادتهم التي هيمنت على الحزب وخنقت الأصوات.

شملت معاداة اليمينيين والتحريفيين بشكل عام وفي بعض الأماكن أُطرَ التنظيمات، على سبيل المثال انفصلت منظمات عمال الغزل والنسيج والمشروبات الغازية وعمال صناعة الأحذية عن الحزب، وفي العام ١٩٦٤ نشرت مجموعة صغيرة من كوادر الحزب داخل منظمة الطلبة وبعض المنظمات الأخرى مذكرةً ضد قيادة الحزب، وترجمت المجموعة نفسها مقالاً لمنير أحمد (بهاء الدين نوري) ونشرته. كان المقال قد نُشِر في مجلة (مسائل السلم والاشتراكية)، وحاولت القيادة اليمينية للحزب إخفاء المقال من قواعد الحزب، لأنه أظهر الوجه الحقيقي للقيادة التحريفية وتوجهاتها.

في خريف ١٩٦٤ تمت تنحية خروشوف، وبدأت قيادة الحزب التي أضحت ذيلا لسياسة حكم عبدالسلام عارف، تتراجع عن مواقفها الاستسلامية المتخاذلة على آمل الحفاظ على موقعها وبقائها في القيادة.

إضافة إلى ذلك، تجددت في العام ١٩٦٥ نيران القتال والحرب في كوردستان وأصبحت ضربة أخرى ضد تلفيقات وأكاذيب التحريفيين وحديثهم عن أحد عشر أفق لامع ومضيئ لطريق التطور اللارأسمالي في العراق الذي كان خروشوف يدعمه ويؤيده.

سَجلَ تجددُ القتال في كوردستان بأمر من عبدالسلام عارف، سقوطَ القادة اليمينيين داخل الحزب الشيوعي العراقي، وانهارت سياستهم في هذا الإطار فراحوا يتسابقون فيما بينهم في التراجع عن مواقفهم السابقة. ولكي لا يتفجر الوضع داخل

الحزب، قررت القيادة التحريفية المقيمة في موسكو، إثر فشل خط آب ١٩٦٤ الذريع، أن تركب الموجة الثورية وتتظاهر بتخليها عن خط آب ١٩٦٤ الملتوي، ومن أجل ذلك كتبوا مسودة بيان وردت فيها انتقادات موجهة إلى عبدالسلام عارف واحتفظوا بشكل مطاطي بجوهر الخط التحريفي في عبارات عدة بهدف التمويه.

سلكت تلك القيادة كل الدروب الملتوية لإرضاء القاهرة والاتحاد الاشتراكي وعبدالسلام عارف، غير أن قاعدة الحزب كلها وبأصوات موحدة أبطلت تلك المحاولات وأجبرت تلك القيادة على رفع شعار إسقاط حكم ونظام عبدالسلام عارف، ومنح الحكم الذاتي لكوردستان العراق.

حقائق أخرى حول الصراع داخل الحزب

في مطلع عام ١٩٦٧ انكشفت الخطوط العامة للصراعات الداخلية في الحزب، وفضح موقف لجنة منطقة بغداد الانتهازية و موقف اللجنة المركزية التحريفية.

كان عزيز الحاج قد عاد إلى العراق بعد تردد كبير وتسهيلات عدة قدمها له الرفيق ظافر (خالد أحمد زكي)، في سبيل تقوية الأطراف المعادية لخط آب ١٩٦٤.

استحسنت اللجنة المركزية إجراء تغييرات في تشكيلة الهيئات القيادية للخروج من الشلل الذي أصابها منذ العام ١٩٦٥، وللغرض نفسه عاد زكي خيري (جندل) أيضاً. ومن هذا المنطلق تقرر إعادة تشكيل المكتب السياسي ليضم كلاً من زكي خيري وعزيز الحاج وبهاء الدين نوري (منير أحمد) إضافة إلى السكرتير عزيز محمد (ناظم علي)، الذي كان مقيماً خارج العراق. وتم تثبيته في اجتماع اللجنة المركزية المنعقد في شهر شباط ١٩٦٧، بحضور جميع أعضاء لجنة بغداد، وتم إقصاء المسؤولين الرئيسين، مع الاحتفاظ بصلاحياتهم السياسية كما هي، بسبب بقاء مؤيدين لهم داخل الهيئات التابعة للجنة بغداد.

وقررت اللجنة المركزية أن تعلن (الانقلاب العسكري كسياسة رسمية للحزب)، لتخفيف حدة غضب القاعدة. وتبين للمنظمات والتنظيمات في تلك المدة أن

الاستعدادات تجري لعقد المؤتمر الوطني للحزب. استهلت أعمال المكتب السياسي الجديد بإصدار منشور داخلي، في أواسط شهر آذار ١٩٦٧ حول (مسألة لجنة بغداد) أشاروا فيه إلى الوضع الخاص القائم الذي عمّق الأزمة داخل الحزب وورد فيه:

"إنها للمرة الأولى في تاريخ الحزب تلعب قاعدة الحزب دوراً مؤثراً وإيجابياً لتصحيح وتصويب السياسة الفعلية الخاطئة للحزب، رغم عدم تمكنها من التوغل في الجذور الفكرية العميقة لتلك السياسة"

وفي أواسط شهر آذار ١٩٦٧، أصدر المكتب السياسي منشورا آخر بعنوان (من أجل تنشيط وتوجيه الصراعات الفكرية داخل الحزب) وكان له صدى واسع، خاصة بعد انعقاد الجلسة الموسعة للجنة المركزية عام ١٩٦٥، لأنه انتقد الخط التحريفي بنسبة جيدة من الصراحة وباسم المكتب السياسي، وحث صفوف القاعدة وشجعها لتوسيع فضاءات هذه الأنواع من الانتقادات، وللمطالبة بإبعاد من كانوا مسؤولين في الأجهزة القيادية عن خط آب. من الجدير بالذكر أن مقدمة المنشور تضمنت تقويماً صحيحاً وواضحاً للمسألة، إلا ان خاتمته امتلأت بالأعذار والتبريرات والذرائع لموقف لجنة بغداد الغاصة بالأخطاء. وجاء فيها:

كان التأخير والفشل بشكل دائم في تقييم السياسات السابقة وصياغة نهج الحزب، سبباً وراء تحويل القيل والقال والقلق إلى أزمة داخلية عميقة. في الحقيقة تفاقمت الأزمة من جراء الأخطاء التي ظهرت أثناء حملة توعية وتثقيف الرفاق بالتكتيك الرسمي (أي أساليب النضال) ما أدى إلى الانقطاع عن النضال الجماهيري، ومن جانب آخر أدى إلى خلق فضاء جديد ملائم لإنعاش المفاهيم اليمينية بحجة محو وإزالة التهديدات اليسارية، هذه الظروف كلها خلقت مشاكل عميقة وشديدة في بعض التنظيمات الكبيرة).

وفي الختام شن المنشور هجوماً على "الفكر والنهج الخاطئ" في المسائل الأممية: "لقد قام بعض رفاقنا في صفوف القواعد وبين الكوادر بتجريح موقف بعض البلدان الاشتراكية في كل الأماكن"

إن هذا المنشور الذي يمكن التعرف فيه على أسلوب (عزين) و(زكي) يُظهر أن من كتباه يتراجعان عن مواقفهما النقدية السابقة فيما يخص بعض السياسات السوفيتية. وقبل ذلك أبدى عزيز في كراسة بعنوان (حول التطور اللارأسمالي في العراق – شباط ١٩٦٥)، استياءه وتذمره وسأمه من كتابات علي خانوفا ومواقف مجلة (نيو تايمز) السوفيتية في ثنائها وكيلها المديح لحكم عارف، ودعوتها لحل الحزب الشيوعي العراقي، كما انتقد عزيز جريدة الأخبار البيروتية لتأييدها وتضامنها مع حكومة عارف (انظر كراسة "الاستعمار الجديد ١٩٦٦)، ولكن زكي خيري (جندل) تراجع بعد ١٩٦٧ عن مواقفه المؤقتة وجاراه في ذلك عزيز الحاج، وقد بدا أن موقف ونهج هذين الشخصين مزدوج وذو وجهين في آن واحد، وكان سعيهما ينصب على استرضاء واستمالة التيار الثوري لقاعدة الحزب من جهة، ومغازلة الموقف التحريفي للحزب من الجهة الأخرى. وخير دليل على ذلك هو ما يظهر في مسودة (برنامج الحزب الشيوعي العراقي) المنشورة في صيف ١٩٦٧، وَتَكون شعاره الرئيس من: "جمهورية ديمقراطية ثورية تحت قيادة الطبقة العاملة لإكمال مهام الثورة الوطنية الديمقراطية والبدء بالثورة الاشتراكية".

يظهر أن هذا الشعار صيغ تحت تأثير شعار خروشوف الذي أعلنه أواخر عام ١٩٦٣ وأفاد أن الحكومات البورجوازية في آسيا وأفريقيا (ديمقراطية ثورية) وتسعى للوصول إلى الاشتراكية من خلال التطور اللارأسمالي.

وبعد منشور (الصراع الفكري)، أصدر المكتب السياسي منشوراً حول مفاهيم (الاستراتيجية والتكتيك)، وهو آخر منشور حزبي في تلك المدة، وكان قد ساهم، مع منشورين آخرين سبق صدورهما، في أن يؤجج قاعدة الحزب لحسم المسألة مع أقطاب خط آب ١٩٦٤. سرعان ما أحس المسؤولون عن هذا المنشور بالمخاطر التي أثارها، فبدأوا في شهر آذار ١٩٦٧، بشن هجوم معاكس وذلك بإجراء تغييرات في بعض التنظيمات وإصدار إيعازات وتقييمات بالضد من خط آب، وبهذا اقتربت الأزمات الداخلية من الانفجار.

انتفاضة التصفية والتطهير

لَمَّا بدأ العدوان الصهيوني في ٥ حزيران ١٩٦٧، تعقدت الظروف السياسية في العراق، وتحركت الجماهير العراقية ضد سلطة عارف، لأنها لم تلب نداء الشعبين المصري والسوري فضلاً عن تماديها في اضطهاد وقمع القوى الديمقراطية.

في هذا الوضع الموشك على الانفجار لَم يَعد بإمكان قيادة الحزب الشيوعي العراقي أن تخفي سياسة التبعية خلف شعارات ثورية جوفاء، أو تطالب أعضاءَ القاعدة أن تنتظر ريثما تكتمل الاستعدادات التمويهية وتتظاهر بسعيها لإسقاط النظام، لأنها، أي هذه القيادة، كانت تحت ضغط القاعدة لبيان موقفها الحقيقي على نحو صريح، إما أن تتقدم وتقود الجماهير الثورية لإسقاط حكومة عارف، أو أن تخلع قناعها الثوري والانقلابي المموه. ما فعلته هذه القيادة التحريفية مسألة تثبت أنها مفلسة تماما من الناحية السياسية، لأن اللجنة المركزية وعلى مدى أيام حرب الأيام الستة، اختفت عن أنظار تنظيمات ومنظمات الحزب، وتركت الساحة السياسية للقوى الأخرى ولحركة الجماهير العفوية، متذرعة بتفرغها لعقد سلسلة من الاجتماعات "العقيمة".

وفي نهاية الحرب تمخضت هذه الاجتماعات عن دعوة غريبة تطالب بتأييد ودعم سلطة عارف وتنحية شعار إسقاط السلطة الحاكمة الذي فرضته قاعدة الحزب في نيسان ١٩٦٥. لقد أوصلَ هذا الأمر الأزماتِ الداخلية للحزب، وصراعَ التوجهات والتكتلات المختلفة إلى مستوى خطير قل نظيره في تاريخ الحزب. إحدى نتائج هذا التوتر والصراع كانت انهيار التحالف بين عزيز الحاج وزكي خيري، الذي أحكم سيطرته على المكتب السياسي وسياسة الحزب على نحو كامل.

مال زكي كلياً إلى جماعة خط آب، المكون من بهاء الدين نوري، وعامر عبدالله، وسلام الناصري وأعوانهم ومؤيديهم، فيما جنح عزيز الحاج إلى جماعة بغداد وتبنى خطهم السياسي الانتهازي وتخلى عن انتقاداته الموجهة إلى التحريفية العالمية.

ومع الانبثاق السريع للتكتلات القديمة ظهر ونشأ تمرد عاجل داخل صفوف الكوادر المركزية، وتحالفوا مع مسؤول الخط العسكري، وأصدروا في أيام الحرب بيانا

انتقد اللجنة المركزية ووقعوا عليه باسم (المؤتمر الشيوعي العراقي). في الحقيقة لم يكن لهذا التنظيم وجود سوى هذا البيان اليتيم. وانتقد البيان التبعية والطاعة العمياء للاتحاد السوفيتي وطالب بضرورة الاستناد إلى القوى الذاتية للشعوب العربية أدان لأول مرة في منشور شيوعي وجود دولة إسرائيل.

لم يترك هذا البيان أثراً ملحوظاً في تنظيمات الحزب ولكن لم يخل من دور لتفجير الصراعات بين الأجنحة المختلفة داخل اللجنة المركزية، وتفجير الصراع بين اللجنة المركزية ولجنة بغداد أيضاً. حيث بادرت مجموعة من كوادر الحزب المعادية للتحريفية، والتي عُرفت فيما بعد بـ(فريق الكادر)، إلى تنظيم الصفوف المعادية للتحريفية داخل الحزب وشكلت منها قوة مضبوطة للعمل على إزاحة القيادة التحريفية.

سعى (فريق الكادر)، ولي فيه دور بارز جداً بينهم، حثيثاً لانتهاج سياسة ثورية حقيقية داخل الحزب، سأتناولها في موضع آخر بالتفصيل.

كونفرنس فريق الكادر

لدراسة الوضع الجديد للحزب وصراعاته، قرر تنظيمنا عقد مؤتمر، وتم عقده في (حي العامل) ببغداد أوائل عام ١٩٦٨، وقد اشترك فيه ثلاثون رفيقاً من الرفاق منهم: إبراهيم علاوي، خالد أحمد زكي، فاروق ملا مصطفى، ماجد علاوي، نوري كمال العاني، أبو صبري.. الخ، علما أن أعضاء المؤتمر وصلوا إلى مكان المؤتمر قادمين من أماكن مختلفة من بغداد بتسهيلات مقدمَة من الرفيق ماجد علاوي، وتكفل بعض الرفاق المسلحين بحراسة المكان.

بعد مناقشة الوضع السياسي الداخلي في العراق والوضع العربي والعالمي بالتفصيل، ناقش الحضور مشاكل وأزمات الحزب وأدانوا بالإجماع الموقف اليميني لقيادة اللجنة المركزية، وبحثوا عن إيجاد حل يحفظ الوحدةَ داخل قاعدة الحزب، والوشائجَ المتينة بجماهير الشعب.

تمحور المؤتمر حول طرفين يمارسان النشاط السياسي أحدهما بعنوان الحزب الشيوعي العراقي – اللجنة المركزية، وثانيهما بعنوان الحزب الشيوعي العراقي – القيادة المؤقتة، وكان لنا منذ سنين موقفنا المتحفظ إزاء سياسة الحزب وخطه العام، وفي الوقت الراهن وأخذاً بنظر الاعتبار مهام الحزب المناضل في المستقبل، والاصطفاف الجديد الذي تبلور بعد عملية "التطهير" حيث التحقت اغلب القواعد الحزبية الثورية ب"القيادة المؤقتة"، ولتقارب الأهداف والمنطلقات الفكرية المعلنة، بالرغم من تحفظاتنا على الشكل الذي تمت به العملية وعلى بعض العناصر القيادية فيها، فقد توصلنا إلى نتيجة مفادها أن خير قرار نتخذه هو أن ندخل في نقاش شامل وجدي مع (القيادة المؤقتة)، لتوحيد نضالنا وتوجيهه نحو سياسة ثورية تستند إلى النهج الماركسي – اللينيني. وانتُخِبَ المؤتمر ثلاثة رفاق لهذه المهمة: إبراهيم علاوي، خالد أحمد زكي، فاروق ملا مصطفى. وفي غضون أيام بدأنا بالحوار مع عزيز الحاج وحسين جواد الكمر ومالك منصور وحميد الصافي، وكانت حصيلته بيان (وحدة الحزب)، بالتنسيق بين القيادة المؤقتة وفريق الكادر، فتوحدنا معاً وأنيطت شؤون التنظيم بلجنة مشتركة لتوحيد التنظيمات المتفرقة.

البدايات

ظهـرت الخطـوات البدائيــة في التصـدي للخـط اليمـيني التصـفوي في العـام ١٩٦٤ بإصدار مذكرة وزعت على تنظيمات الحزب انتقد فيها النهج التحريفـي. وخطـى (فريـق الكادر) خطوة أخرى في أيار ١٩٦٧. ففـي الظـروف الـتي تلـت الخـامس مـن حزيـران، اجتمع بعض كوادر الحزب في ٣٠ حزيـران ١٩٦٧، وقـرروا إعـلان أهـدافهم إلى صـفوف القاعدة الحزبية، وتتمثل تلك الهداف بإبعاد القيـادة المنحرفـة، وعقـد المـؤتمر الـوطني للحزب، وانتخاب قيادة جديدة تثق بها القاعدة وتسندها، وتقـود الحـزب باتجـاه ثـورة ماركسية لينينية وتحقق ما يؤكد أن الحزب يظـل دومـاً رائـد الطبقـة العاملـة في العـراق عـبر نضـال جـدي وحقيقـي لإسـقاط الحكـم العـارفي الرجعـي، وتأسـيس الجمهوريـة الديمقراطية الشعبية.

بعد عقـد سلسـلة مـن الاجتماعـات علـى مـدى أيـام، تم تحضـير مسـودة للمـذكرة المقترحة وَعُرِضَت علـى عـدد مـن كـوادر الحـزب لضـمان اشـتراك أكـبر عـدد مـنهم في صياغتها. وفي الوقت نفسه كتب الرفيق خالد زكي (ظافر) الشخصـية الثانيـة في فريـق الكـادر، مـذكرة إلى اللجنـة المركزيـة (تمـوز ١٩٦٧)، تضـمنت النقـاط الـتي أقـرت في اجتماع ٣٠ حزيران. ونظراً لأهمية هذه المـذكرة ولكونهـا احـدى الوثـائق الأوليّـة الـتي حاولـت إعـادة الحـزب إلى الخـط الماركسـي – اللينـيني، وصـاغت أهـداف الجمـاهير الحزبية على نحو صائب، وكانت احدى الرصاصات الـتي أطلقـت في المعركـة الحاسمـة ضد القيادة التحريفية، نورد مقـاطع منهـا: (منـذ مطلـع الخمسـينيات، أي بعـد مرحلـة قيادة الرفيق فهد ابتلى حزبنـا بـآراء وسياسـات يمينيـة وتجسـدت علـى نحـو أكثـر في منتصف ١٩٥٩ وتجلت وتبلورت بشكل واضـح ومتكامـل بـين حزيـران – آب ١٩٦٤ في إطــار تيــار تحريفــي ذي شــكل ومَلمَــح خــاص. انحــرف هــذا التيــار في تكتيكــه واستراتيجيته عن الخط الماركسي اللينـيني. نحـن لا يهمنـا القيـام بدراسـة أو تكـذيب هذا التيار التصفوي هنا، ولكن نود الإشارة إلى حقيقة وهي رغم مـرور سـنتين ونصـف على إصلاحه ومناقشته، لم توضح حتى الآن بشـكل جـدي جـذوره الفكريـة وأسـبابه

الذاتية والموضوعية ولم يمارس بأي شكل من الأشكال النقد الذاتي ولم يعن الحزب بتوعية أعضائه حول ما يخص تلك الأخطاء الجسيمة، ولكن كيف يمكننا مجرد التفكير في أمر كهذا في وقت ما يزال يتبوأ معظم الرفاق المسؤولين عن تلك الحالة وتنفيذها، المراكز والمواقع العالية بدون أن يواجهوا مساءلة يستحقونها. إضافة إلى ذلك والأنكى منه هو قيام أغلبهم برفع شعارات الثورة، وكيَّفوا أنفسهم مع الأوضاع والظروف الجديدة نتيجة لتذبذب طبعهم وتلونه الخالي من القيم والمبادئ. بعد كل ما جرى أليس بأمر غريب أن تبقى آثار ومخلفات خط آب ١٩٦٤، وتعمل لانحلال حزبنا بأسباب ومظاهر ومسميات مختلفة ويبقوا في موافقهم القيادية السابقة؟)

وأدرجت مذكرة الرفيق ظافر المهام التي يعد تنفيذها ضرورة لإخراج الحزب من الأزمة، كي يغدو طليعة ماركسية لينينية للثورة العمالية في العراق، منها تجميد وطرد جميع الأعضاء المشاركين في صياغة وتطبيق خط آب ١٩٦٤ والملتزمين به، وإعادة النظر في اللجان والمؤسسات الحزبية كلها، وتأسيس هيئة رقابة مركزية لقيادة الحزب لحين انعقاد المؤتمر الوطني، والعمل الدؤوب والجدي لعقده في غضون شهرين.

ويبدو أن الظروف العصيبة في تلك الآونة لم تكن مساعدة لتنفيذ وتطبيق الخطة أو الخارطة على النحو الذي خطط لها، فضلا عن ذلك أحست جماعة لجنة بغداد الانتهازية بحيوية نشاطات الرفاق الماركسيين – اللينينيين وزعمت أنهم يشكلون خطراً على المراكز القيادية في الحزب لذلك بادروا ونفذوا خطتهم الخاصة بدون مراعاة المصالح المبدئية المعادية للتحريفية.

وحين أحست لجنة بغداد بعزلتها وتشتت جماهيرها وتباعدها عنها، راحت تحرض القيادة التحريفية ضد (فريق الكادر)، الذي بدأ نفوذه وتأثيره بالتصاعد بشكل واضح منذ حزيران تلك السنة.

في أواسط تموز قدمت (جماعة بغداد) تقريراً إلى اللجنة المركزية، طالبت فيه بإنزال العقاب بـ(فريق الكادر)، واتهمتهم فيه بالنشاطات الانقسامية وتخريب الصفوف، واستعرض التقريرُ نشاطات فريق الكادر وعدهم تهديداً لتلك القيادة

التحريفية، وأشار إلى وقوع الحركة الديمقراطية الطلابية تحت تأثير وسيطرة فريق الكادر بعد الانتخاب الطلابية التي جرت في ٣١ آذار ١٩٦٧ في الجامعات العراقية كلها وكسبت فيه القائمة الديمقراطية نسبة ٨٠٪ من أصوات جميع طلاب جامعات العراق. بدأت جماعة بغداد تدعو فريق الكادر بـ(العناصر المنشقة). بعدئذ، وعلى غير توقع فأن نسخة من مذكرة أعدها (فريق الكادر) كي يوزعها منتسبوه داخل منظماتهم الحزبية تشرح أزمة الحزب وتطالب بتعميمها ومناقشتها، وقعت هذه المذكرة في يد أحد المشاركين في جلسة ٣٠ حزيران ١٩٦٧، وأوصلها إلى لجنة منطقة بغداد واعتبرت اللجنة المذكورة أن هذه المذكرة هي دليل على توقعاتهم ومخاوفهم. تبعاً لذلك قررت جماعة بغداد أن تستعجل في تنفيذ خطتها الانقلابية بدون إشراك قاعدة الحزب. لكن عزيز الحاج الذي كان يشرف على لجنة منطقة بغداد حزبيا، والذي أخذ ينسق نشاطاته في تلك الفترة مع اللجنة الذكورة، لمواجهة تهديدات أقطاب خط آب و حليفهم (جندل) بمسائلته، ساورته الشكوك في أن تحظى تلك الأعمال الانقلابية للجنة منطقة بغداد بالنجاح، لذا سارع فجأة إلى الالتقاء بـ(فريق الكادر)، الذي تجنبهم منذ العام ١٩٦٧. واقترح عزيز الحاج على (فريق الكادر) أن يتعاونوا مع لجنة بغداد لتنفيذ خطة تستهدف اعتقال أعضاء اللجنة المركزية الموجودين في بغداد وتشيكل قيادة جديدة للحزب. غير أن (فريق الكادر) رفض اللقاء مع مجموعة نفذت خط آب ١٩٦٤ وأكد أن أزمات الحزب لا تحل ولا تعالج بإقصاء قيادة تحريفية وإحلال أخرى مماثلة محلها، ورفض النمط الانقلابي المنعزل لجماعة بغداد، وأكد على ضرورة اشتراك قاعدة الحزب في معالجة الأزمة.

لم يرحب عزيز الحاج بهذا الرأي واعتقد أن كل سبل المعالجة المقترحة تخفق لا محالة ما لم تكن سريعة وحاسمة سوف تعرقل مواصلة العلاقات مع الاتحاد السوفيتي، لذا راقت له فكرة معالجة الأزمة بأسلوب البتر بعيداً عن إثارة أي ضجة، وتعاملَ مع المسألة كأنها شأن يخص أشخاص اللجنة المركزية فقط. وهذا يدل على أن عزيز الحاج وأعوانه كانوا أسرى العقلية التحريفية التي تقلل من شأن وأهمية

النضال الجماهيري وتفضل الحلول الانقلابية وترجيج أهمية العامل الخارجي بالدرجة الأولى عليه. بعد إخفاق هذه اللقاءات في التوصل إلى الاتفاق نفذتْ لجنة بغداد مشروعها الانقلابي. حيث قامت جماعة بغداد في ١٢ أيلول ١٩٦٧ بقيادة عزيز الحاج، بالتصرف كقوة بوليسية وتوجهوا لإلقاء القبض على جميع أعضاء المكتب السياسي واللجنة المركزية. لكن المحاولة باءت بالفشل ولم يتمكنوا من اعتقال سوى على اثنين منهم وهما (زكي خيري) و(بهاء الدين نوري) وأفلتا منهم فيما بعد وتمكنا من الهرب.

عقب سقوط هذه المسرحية الهزيلة لم يبق لجماعة بغداد وعزيز الحاج، سوى التقرب إلى قاعدة الحزب والتماس الدعم منها لإزاحة القيادة التحريفية والتجمع حول خط ثوري يعمل لإسقاط الحكم الرجعي وتأسيس حكومة ديمقراطية بقيادة الطبقة العاملة.

إن فشل هذا المشروع استحال بداية حقيقية لانتفاضة التصفية و التطهير.

وفي ١٧ أيلول ١٩٦٧، عقد اجتماع استثنائي للكادر المتقدم وقرر في بيان صادر عن الاجتماع طرد اللجنة المركزية الانتهازية وتشكيل قيادة مركزية مؤقتة للحزب.

خلقت انتفاضة التصفية والتطهير، عهدا جديداً في تاريخ الحزب وأعادت إليه نهجه الثوري البروليتاري وزودته بطاقة نضالية ليعود من جديد إلى الميدان ويستعيد حيويته.

وتجلى بوضوح أن أعضاء جماعة بغداد لم يدر بخلدهم وقوع هذه التحولات الكبيرة، لظنهم أن المؤامرات والدسائس ستسعفهم وتبقيهم في مواقعهم ومراكزهم وتظل المساعدات الخارجية مضمونة ومستمرة لهم، فعجزوا عن الاستمرار في إدامة مواقفهم الدفينة واضطروا لإفشائها وإعلانها لكي لا تنطلي الحيلة على أحد. بدايةً سعوا للعودة إلى أحضان قيادتهم التحريفية.

في الحقيقة انعكست التشكيلة الخاصة للقيادة المركزية المؤقتة ووجود الكثير من أعضاء لجنة بغداد القديمة فيها، على الخط السياسي الذي سلكته القيادة المؤقتة. وتجلى ذلك بداية في التقرير السياسي للاجتماع الاستثنائي الذي أهمل الجزء المرتبط

بالمسائل الأممية، وأهمل الجزء غير المنشور الذي يحدد التحريفية السوفيتية، ولم يتطرق إلى التحريفية اليمينية التي أصبحت نهجاً أساسياً في الحركة الشيوعية العالمية. ولم تلبث أن انهارت محاولات جماعة بغداد لفرض نهجها الخاص بها على الحزب بعد انتفاضة التطهير، عن طريق ممثليها في القيادة المركزية المؤقتة، وذلك تحت تأثير يقظة ووعي صفوف قواعد الحزب وأمام الصراع الفكري الذي احتدم و اشتد أكثر مما مضى.

* * *

بعد أن ظهر بحكم الواقع حزبان إلى الوجود حَمَلا اسم الحزب الشيوعي العراقي في آن واحد معاً، وجدت هيئة (فريق الكادر) أن أحد أهدافها الرئيسة قد تحقق ولم يبق إلا أن تقوم بفضح جماعة بغداد الانتهازية أمام قواعد الحزب وتطهير صفوف الحزب منهم، نتيجة لذلك أعلنت هذه الهيئة عن نفسها في منشور سري في ٢٦ أيلول ١٩٦٧ وكانت قد تمت الموافقة عليه في اجتماع ٣٠ حزيران ١٩٦٧.

نشرت المذكرة في صيغة بيان باسم (فريق الكادر)، وأكدت أن اللجنة المركزية التحريفية هي المسؤولة عن تعميق أزمات الحزب الداخلية وكانت وراء فرض خط آب ١٩٦٤، ومحاولة تصفية الحزب الشيوعي العراقي وتذويبه في مستنقعات المنظمات الرجعية الآسنة.

وأعلنت مجموعة (فريق الكادر)، في مذكرتها عن شعاراتها السياسية والفكرية الرئيسة وفي مقدمتها الكفاح الشعبي المسلح لإسقاط الحكم الرجعي، وتأسيس حكومة ديمقراطية شعبية بقيادة الطبقة العاملة ومواجهة التحريفية العالمية بشدة ونقد توجهاتها السياسية العالمية. ولم تنحصر نشاطات هيئة فريق الكادر في مسائل الدعوة الفكرية فقط، لأن وجود جماعة بغداد في وضع هيمنت فيه على القيادة المؤقتة الجديدة، أجبر هيئةَ فريق الكادر على مواصلة النشاط السياسي الثوري. تبعاً لذلك توجهت إلى تنظيم مفارز مسلحة في أهوار جنوب العراق وقرى وأرياف الفرات الأوسط.

بَيدَ أن نشاطات مجموعة فريق الكادر في كوردستان لم تتطور بالاتجاه الذي سارت فيه في الجنوب، فقد تعرضت نشاطاتها إلى عراقيل وصدمات بسبب اغتيال المناضل الشيوعي رؤوف حاجي قادر، الذي أُوكلت إليه في اجتماع ٣٠ حزيران ١٩٦٧، مهمة الإشراف على تنظيم الأعضاء الثوريين هناك.

استذكار انتفاضة أهوار جنوب العراق في آيار ١٩٦٨

تعد الانتفاضات حلقة هامة من إصرارنا على إبراز روح التضحية الثورية لحزبنا.

في البداية حققت انتفاضة الأهوار انتصارات باهرة إلا أن التباسهم في طريق العودة إلى قاعدتهم والقوات الحكومية الكبيرة التي حشدت لمواجهة ثوارنا من بقوات مشاة برية قوية ومدفعية وقوات جوية، مكنت السلطة من تطويقها. وقد جذبت الانتفاضة أنظار الكثير من الكتاب والقصاصين والشعراء وشبهوا أبطالها بالصقور والأسود. ودخلت الانتفاضة ومنظموها وأبطالها صفحة مشرقة من تاريخ الحركة الثورية لكادحي شعبنا. للآن يروي فلاحو أهوار (الغموكه والحمّار)، جيلاً بعد جيل بطولة وجرأة خالد أحمد زكي ورفاقه-، كانت بحق بداية ملحمة دامية ضد الحكم الدكتاتوري والفاشي.

رفاقي.. خالد أحمد زكي، وشلش ومحسن حواس، وكاظم منعثر سوادي، خالدون في ذاكرتنا، في ذاكرة جماهير شعبنا، تضحياتهم لا تنسى ولا تبرح ضمائرنا.

في تلك الملحمة أسقِط رفاقنا الثائرون طائرة سمتية وقُتِل طيارها الذي كان برتبة (نقيب) وخمسة من رجال الشرطة. استشهد كوكبة من رفاقنا وأسر عدد آخر منهم تحملوا بجرأة فائقة التعذيب وصنوف الاضطهاد، واستبسلوا أمام التحقيقات المختلفة.

ويسرد الرفيق عقيل حبش، الذي كان من المناضلين الذين أسروا في تلك الملحمة وحكم عليهم بالإعدام وخفض فيما بعد، قصة تلك الانتفاضة بالتفصيل. ويعرج في

موضع من حديثه على رمز آخر من رموز العز والإباء في تلك الأيام المجيدة وما بعدها، بطلها الشهيد مطشر حواس. ينقل الرفيق عقيل حبش عن الشهيد مطشر حواس، بعد أن جمعهم جناح الإعدام في سجن بغداد ما رواه له الشهيد عن اعتقاله، وموقفه الشامخ لحظة الإعدام: "قال الشهيد مطشر: كنت أهم بالخروج من الكلية عندما اشتبكت مع مجموعة من الطلاب البعثيين، وبعدها هرعت نحو سيارة وتعلقت بها لكنهم طاردوني وأطلقوا عليّ النار، ورداً بالمثل فتحت عليهم النار من سلاحي فأرديت أحدهم قتيلاً وبعدها تمكنوا من إلقاء القبض عليّ."

ويستمر الرفيق عقيل حبش روايته: في اليوم الرابع من كانون الثاني للعام ١٩٦٩، تم تبليغ الرفيق مطشر بقرار تنفيذ أمر الإعدام به. في تلك الساعة ودعناه بأناشيد ثورية وأممية. أهداني الرفيق مطشر حواس ساعته اليدوية للتذكار وأعطاني رسالة بخط يده مسجلة في دفتر مذكراتي. كان مطشر بطلا. ففي الساعة الخامسة صباحاً توقف ذلك القلب الثائر عن الخفقان وانطفأت شمعة من شموع شعبنا المكافح. في لحظات الإعدام الأخيرة هتف هذا الشاب البطل: "ليس لديّ قول أضيفه إلى قول الرفيق الشهيد فهد القائل: "الشيوعية أقوى من الموت وأرفع وأعلى من أعواد المشانق".

هذا ما نقله إلينا شرطي كان قد حضر مراسيم إعدامه.

* * *

بعد إعلان القيادة المركزية المؤقتة في ١٧ أيلول ١٩٦٧ بفترة قصيرة، ارتبطت أكثر من نصف تنظيمات بغداد وأغلب تنظيمات فرع كوردستان وتنظيمات أخرى كبيرة من البصرة والكوت بالقيادة المؤقتة. وفي أعقاب الصراع الفكري بدأت مطالب قاعدة الحزب تتصاعد لتطبيق وممارسة شعار الكفاح الشعبي المسلح، وطرد وليد (حسين جواد الكمر) من القيادة المؤقتة. وقد لعبت مجموعة فريق الكادر إلى حد ما دوراً في هذا الطرح. وتهيأت في تلك المدة الفرصة للقيادة المركزية المؤقتة وممثلي فريق الكادر للتحاور بهدف تحديد النقاط مثار الاختلاف بينهم. عقد الاجتماع بين الطرفين في بيت الرفيق منير الجلبي في كرادة مريم ببغداد، حيث مثل القيادة المؤقتة

كل من عزيز الحاج، وحسين جواد الكمر (وليد)، وحميد صافي، ومالك منصور، ومن طرفنا (إبراهيم علاوي، خالد أحمد زكي، وأنا). واتفق الطرفان على محاكمة حسين جواد الكمر، بشكل مشترك لتحديد مسؤولية المذكور في تشكيل خط آب ١٩٦٤. وأصبح هذا الاتفاق بداية لإسقاط حسين جواد الكمر وجماعته الانتهازية.

في بداية سنة ١٩٦٨ عقدت القيادة المركزية المؤقتة بدعم من (فريق الكادر)، اجتماعاً موسعاً للكوادر المتقدمة في الحزب، وأدانوا حسين جواد الكمر قائدً جماعة بغداد الانتهازية. وجرت انتخابات لاختيار القيادة المركزية الجديدة، ورشح حسين جواد الكمر نفسه بدون أن يكسب صوتا واحداً.

وافق الاجتماع على اختيار نهج النضال الشعبي، وذلك من خلال وثيقة أعدها الرفيق ظافر (خالد أحمد زكي). وقدم عزيز الحاج الوثيقة بدون الإشارة إلى ذكر مصدرها كي يبدو هو صاحبها الحقيقي.

ونتيجة لإصدار هذا البيان توحدت تنظيمات فريق الكادر، مع تنظيمات القيادة المركزية، وشرعت في ترتيب الاستعدادات للكفاح الشعبي المسلح، وهكذا أُسند ترتيب الاستعدادات للكفاح المسلح في أهوار الجنوب إلى القيادة المركزية وغدا من صلب صلاحياتها، وفي هذه الأثناء أي في حزيران ١٩٦٨، انتشر خبر انتفاضة الأهوار كبداية لعهد جديد في نضال الحزب الشيوعي العراقي. كان الوضع الذي ظهرت فيه انتفاضة الأهوار بقيادة الرفيق الشهيد خالد أحمد زكي، وضعا معقدا ومرتبكا شابَ فيه الاضطراب مفاصل العمل التنظيمي، وقد أفلحت هذه الانتفاضة في إنهاء النزاعات والصراعات الانتهازية التي راجتْ قبلها بين صفوف الحزب. وتجاوز نضال الحزب الشيوعي العراقي تخوم الشعارات البراقة ودخل مرحلة النضال الثوري. وأُثبتت بالأدلة الملموسة مدى مصداقية الخط الثوري الذي سعت إليه قواعد الحزب والكوادر الواعية منذ زمان.

على الرغم من انتعاش الحركة الجماهيرية في ربوع العراق بسبب هذه الانتفاضة، إلا أنها لم تتوفر لها شروط التواصل ومواجهة قوات النظام، خاصة بسبب بقاء بعض

الأشخاص المنتفعين في صفوف القيادة وسعيهم لقطع الإمدادات والمساعدات عن الانتفاضة.

دهم خوفٌ هائل، القوةَ الرجعية والإمبريالية في العراق، بعد تصاعد النضال الثوري المسلح، لذا كانت لانتفاضة الأهوار انعكاسها السريع في الخطط التي صاغتها الأوساط الإمبريالية والعناصر المرتزقة في الجيش العراقي، تجسد ذلك في تسليم السلطة إلى صنيعتهم المجربة، الطغمة الفاشية للبعث، في انقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨ أي بعد مرور أسابيع على بدء الانتفاضة.

وفي أعقاب هذه الظروف واجه الحزب العديد من المهام المعقدة والعسيرة، في وقت لم يتسن له بعد، معالجة أزماته الداخلية والمشاكل التي اختلقها بقايا طغمة بغداد. ولم يلبث أن بدأ نظام البعث الجديد يشن حملاته الدموية لقمع الحركة الثورية المتصاعدة. وفي الوقت نفسه راحت العناصر الانتهازية داخل القيادة المركزية تعيد ارتباطها، خفية من عيون الحزب، للعودة إلى الحزب التحريفي في وقت كان فيه عزيز الحاج يتردد ويعجز كدأبه عن تسجيل خطوة حاسمة.

لقد قررت القيادة أن تنسحب الكوادر المتقدمة وتتجه إلى الأرياف لتجنب التعرض إلى ضغوطات وضربات العدو، لكن الحاج اختار حياة المدينة وفضلها على تنفيذ قرارات الحزب. وتمخض عن ذلك وقوع أغلب القياديين في قبضة أجهزة البعث القمعية، واستشهد عدد منهم في شهر شباط ١٩٦٩. حاول البعث استغلال هذه النكسة لفرض أجواء الاستسلام وترويض جماهير الشعب، بالإفادة من ترحاب الأحزاب التحريفية داخل وخارج العراق بما جرى.

ورغم الصعاب والإرهاب، أصر الحزب على مواصلة نهجه وإعادة ترتيب تنظيماته وكوادره الذين نجوا من قبضة الأعداء وسارعوا إلى تأسيس هيئة حزبية لقيادة وإدارة أعماله.

في نهاية شهر آب ١٩٦٩، عقد اجتماع موسع للكوادر الحزبية المتقدمة في جبال كوردستان بغية تقييم تجربة الحزب وتحديد أسباب النكسة الأخيرة وانتخاب قيادة جديدة. وفي ضوء ذلك أعدت القيادة المركزية مسودة وثيقة، في أواخر ١٩٧٠، وبعد

مناقشات مستفيضة حولها، من قبل تنظيمات الحزب رُفِعَت كمشروع وثيقة إلى المؤتمر الثالث الذي عقد في مطلع عام ١٩٧٤ في كانى سبيندار (كانى سپيندار) في منطقة بالَك (بالّەك).

استقرت مقرات اللجنة القيادية لسنوات عدة في تلك المنطقة. وفي ذلك المؤتمر انتُخِبتُ عضواً قيادياً في الحزب.

تفاصيل أُخرى حول انقلاب ١٨ تشرين ١٩٦٣ وسقوط البعث

بعد الانقلاب تنفستُ الصعداء وأفلتُ من شبكة وتعقيدات الاختفاء وكشفت اسمي الحقيقي وتزايدت نشاطاتي. وفي مدة قصيرة شكلنا لجانا عدة في جامعة بغداد ولجنة لإعداديات بغداد ثم لجنة أساسية للجامعة، كان فيها الرفاق حكمت زيباري من كلية التربية، وجميل الحديثي من كلية التجارة، ومحمد صديق من كلية الحقوق. وأضيف إلى سجل التاريخ أن الشهيد زهير علاوي برز خارج إطار اللجنة في كلية التجارة من بين النشطاء واستشهد في ١٩٧١ وكان في ذلك الحين مسؤولاً عن تنظيمات الفرات الأوسط.

تشكلت اللجنة القيادية للطلبة: مني مسؤولاً للجامعة، والرفيقين حسين عارف، وصباح كوركيس، ومهدي الحافظ بعد عودته من الخارج. وصار الرفيق حسين جواد الكمر مسؤولاً للجنة، وكان بيننا خلاف من الناحية التنظيمية والفكرية. شهدت تنظيماتنا بهدف استعادة مواقع الحزب وتطويرها ازدهاراً سريعاً، بشكل قل نظيره في تاريخ الحزب.

التمستُ ولفيفاً من رفاقنا من الحزب أن يُناقش ويُدرس عهد حكم عبدالكريم قاسم وكيفية سقوط ذلك النظام، وتوضيح أسباب فشل الحزب في مواجهة الانقلاب، وأسباب عدم تمكننا من تسلم السلطة بعد ١٩٥٩، وما الذي يجب فعله اليوم وعلى أي أسس نعيد بناء التنظيمات وكيف سيكون الخط العام للحزب؟ إني أتذكر تلك الأيام وكأنها حدثت البارحة، وتتجسد تفاصيلها حتى اليوم في ذهني، أحيا معها رغم مرور عشرات السنوات عليها.

في ربيع ١٩٦٤ عدتُ مع الرفيق عزيز محمد من السليمانية إلى بغداد. وفي إطار نشاطاتي المتنوعة في النضال السري ببغداد تعرفت على رفاق من المكتب السياسي وقيادة الحزب كعمر علي الشيخ عضو المكتب السياسي، وصالح دكله عضو اللجنة المركزية، وعزيز الحاج، وآرا خاجادور عضو المكتب السياسي فيما بعد، والشهيد ستار خضير عضو اللجنة المركزية، وتوفيق أحمد عضو اللجنة المركزية. ونمت لديّ انطباعات في صدد أوضاع الحزب آنذاك، وفهمت لِمَ حدثَ ما حدثَ، رغم العدد الكبير من الأعضاء ومئات الآلاف من المؤيدين وجماهير كبيرة واسعة كانت تحسب على الحزب.



الرفيق الراحل اراخاجادور (الثالث من اليسار) وجنبه من اليسار صالح كليبان اخو الشهيد محمد صالح العبلي

ومع الكوارث واستشهاد كوكبة لامعة من قادة الحزب، الذين كانوا أبطالا حقيقيين وأثبتوا أنهم رجال يناطحون السحاب على حد قول ماركس في وصفه لقادة كومونة

باريس بعد سقوطها في العام ١٨٧١، إلا أن أغلب هؤلاء كانوا أسرى فكرة يمينية غرسها فيهم الحزب الشيوعي السوفيتي وهيمنت على عقولهم، وظن بعضهم أن أممية الحزب هي الإذعان لأوامر الحزب الشيوعي السوفيتي، وهذا ما أفصح عنها المرحوم زكي خيري عضو المكتب السياسي بصراحة ووضوح.

أين استقرت آرائي بين الصراعات و الرؤى ؟

واجه أعضاء الحزب ومؤيدوه تلك الصراعات والرؤى التي تناولتها بالتفصيل. وأود أن أفصح باختصار عما كان يمور ويختلج في ذهني وأعماقي، وربما امتلك آخرون تصورات ورؤى مماثلة أو قريبة منها.

منذ بدايات مشاركتي في الحركة السياسية واتخاذ دربي واتجاهي، اقتنعت بالفكر الثوري تفرغت له، ورأيت في شرخ شبابي أن الجرأة الثورية، هي الوقوف مع الحركة الثورية بوجه الجور والاستبداد، ويتكامل ذلك ويتقوى بالقراءة المتواصلة وتعزيز الوعي النظري والتثقيف داخل التنظيمات والعمل الجدي داخل الحزب.

منذ العام ١٩٥٨ فصاعداً، خاصة بعد انحراف عبدالكريم قاسم وميله إلى التفرد بالسلطة ومنع الفعاليات الديمقراطية، أيدتُ فكرة قيام الحزب بتسلم السلطة، وطرحتها بوضوح وجرأة تامة في اجتماعات الخلايا واللجان الحزبية، واتخذتُ في انقلاب ١٩٦٣، موقف الدفاع عن مكتسبات ثورة تموز ١٩٥٨، جنحتُ إلى ضرورة القيام برد ومقاومة الانقلابيين بالسلاح والكفاح المسلح المستمر حتى الإطاحة بهم.

ومن هنا أريد أن أتطرق في مذكراتي هذه إلى موقفي الجديد الذي اخترته في فترات أخرى من مسيرتي الحزبية، حين تسلمت مسؤوليات أخرى، وتبوأت مناصب متقدمة في الحزب، وهو موقف التزمت به إزاء صراعات الحزب بعد عام ١٩٦٣ وبخاصة بعد ظهور ونشوء خط آب وما حدث بعده.

ورغم إنني تناولت تلك الخلافات والصراعات بالتفصيل في الفصول السابقة وأفصحت خلالها عن بعض مواقفي، بيد أنني أود أن أعرض ملخصا أوضح حول

مسعاي ونضالي في تلك السنين، وعما كان يدور في ذهني، لأوضح الأهم والأصح والأكثر ثورية بين تلك الأفكار والدروب والمسالك.

كنت مع محاولة الانقلاب العسكري وانتفاضة الكفاح الثوري المسلح التي شكلت جزءاً هاماً من النضال الثوري في أهوار جنوب العراق، ورغم التزامي بتنفيذ أوامر الحزب وفقا للفكر اللينيني، غير أنني احتفظت بآرائي الشخصية الخاصة في كافة المجالات المختلفة.

تمثل موقفي الخاص عمليا مع التخطيط للعمل العسكري كجزء رئيس ونقطة انطلاق ثورية لاحتلال المعسكرات والاستيلاء عليها، ومن ثم الاستيلاء على المواقع الحكومية والعسكرية والأمنية والاتصالات المفصلية، وتَكونُ هذه العمليات بمساندة من المسلحين المدنيين من أعضاء ومؤيدي الحزب وجماهيره، سواء أكانت بالسلاح أو بالتظاهرات العارمة في مختلف أرجاء الوطن. وهكذا تتحول الثورة إلى ثورة الشعب وتغدو الجماهير صاحبة السلطة الحقيقية.

إن هذه الرؤية للعمل الثوري هي خارج الرؤيتين اللتين كانتا سائدتين، الانقلاب أو الانتفاضة الشعبية واللتين كانتا في تلك الفترة مثار الحديث وموضع الجدل والنقاش.

أما بالنسبة إلى الطريق الثالث الذي تبنيناه وكان محور نشاطنا كـ(تكتل) داخل تنظيمات (فريق الكادر) الذي كنت أحد أعضائه القياديين، فقد بذلت ما كان في وسعي من جهود لتوفير مستلزمات الاستعدادات له في أهوار الجنوب، لكنني طرحت في النقاشات الداخلية بيننا، رأيا يميل إلى أن النجاح لا يتحقق بمجرد التعويل على الانتفاضة هناك وحدها، وإنما أن تصبح الأهوار قاعدة ثورية تتكامل بالممارسات الثورية الأخرى، وتغدو قوة منظمة في منطقة واسعة وتحافظ على مركزها وقوتها صامدة في المنطقة.

نجم هذا، عن كوني كنت معتقدا أن تجربة جيفارا، وتنظيرات دوبريه، لا يمكن أن تستعاد بشكل ناجح مرة ثانية في التاريخ، فمثلما كانت البؤرة الثورية تجربة انتصرت فيها الثورة بقيادة كاسترو وجيفارا وألهمتنا دروسها، إلا أنها كانت في

الوقت نفسه تجربة تستمد منها الإمبريالية والدول الدكتاتورية والرجعية الدروس لإجهاض المحاولات الثورية المماثلة، إضافة إلى خصوصية ظروف كل ثورة ناجحة والتي لا يمكن تكرارها في أماكن وظروف مختلفة.

من هذا المنطلق كنا ندخل في نقاشات مستفيضة، خاصة بيني أنا حاملا هذا التوجه والفهم، وبين الشهيد أمين خيون وفهمه المعاكس لوجهات نظري في صخب وانفعال شديدين.

كان أمين خيون شاباً ثورياً شجاعاً، تربطني به، رغم اختلافاتنا الكثيرة، مودة كبيرة. لقد انفصل أمين ورفاق آخرين عنا منذ بداية الانتفاضة (صباح كوركيس ويوسف رزين) انفصلوا في كفاحهم المسلح وميادين القتال التي اختاروها عن الشهيد الكبير خالد أحمد زكي مسؤول وقائد الانتفاضة، الذي ترك حياة الرفاهية في أوروبا واستغنى عن موقعه العلمي والسياسي ليضحي بحياته في سبيل شعبه.

الفصل الرابع

الحياة الداخلية للحزب

تنظيمات الحزب في الجيش العراقي

تركتُ الدوام الدراسي عاماً كاملاً بسبب انقلاب شباط ١٩٦٣، فتأخر تخرجي إلى ٢٥ حزيران ١٩٦٤. وتم نقلي للعمل في التنظيم العسكري للحزب، وشرعت أشارك في النشاطات بحماس كبير آملاً المساهمة في النضال الثوري. دخلت كلية الاحتياط عام ١٩٦٥. وكانت الدراسة والتدريب فيها تستغرقان أربعة أشهر ويصبح مَن يتخرج ملازماً احتياطا في الجيش. وقد أصبحت المسؤول الحزبي لطلاب كلية الاحتياط والكلية العسكرية، فتسنى لي جمع عدد من الرفاق والمؤيدين للحزب. كم كان السرور يغمر قلبي وأنا أكسب، كل يوم، عنصراً جديداً إلى صفوف القافلة الثورية. وكانت العلاقة في العمل الحزبي في الجيش علاقة فردية، حرصا على الجانب الأمني وسرية العمل، وهكذا كان العمل الحزبي يأخذ الكثير من وقتي.

كانت تنظيمات (هاشم) الاسم المستعار والحركي للتنظيم العسكري، و(حسين) الاسم الحركي المستعار للتنظيمات الثورية المدنية المسلحة اسمين يرنان كل يوم في سمعي وكان لي ارتباط مع كليهما.

صار الشهيد (ستار خضير)، عضو اللجنة المركزية، مسؤولي لفترة طويلة، وكان الرفيق (آرا خاجادور)، عضو المكتب السياسي، هو الآخر على اتصال بي، حيث أشرف على تنظيمات (هاشم) لسنين.

كان الرفيق (ستار خضير) مثال الشيوعي الهمام الجدي في متابعة أعمالي ونشاطاتي. ربطتنا وشائج صادقة طافحة بالوفاء والإخلاص لفكرنا ومستقبل حركتنا. للأسف اغتاله عملاء السلطة المجرمة، ولم أطلع في حينه على تفاصيل استشهاده نظراً لكوننا نعمل في تنظيمين مختلفين آنذاك.

بلغت النقاشات الجدية داخل جميع التنظيمات الحزبية أوجها، ويمكن عد تلك المرحلة في تاريخ حياة ومسيرة الحزب مرحلة بارزة لأنها امتازت بخصب الصراع الفكري.

تقدمتُ شيئاً فشيئاً، فوصلت إلى مستوى عضو (لجنة محلية)، ثم مستوى عضو

لجنة منطقة، قبل الوصول إلى اللجنة المركزية. لم أتلهف إلى اكتساب المناصب والدرجات، بل كان يهمني تنفيذ المهام الموكلة إلي، لكن الفعاليات التي كنت أنجزها وتثمينها من قِبل اللجان المتقدمة كانت العامل وراء تقدمي في الحزب.

في العام ١٩٦٥ أنيطت بي مسؤولية الإشراف على تنظيمات الحزب في معسكر (أبو غريب)، وهو من أهم وأكبر معسكرات الجيش في بغداد والعراق بسبب أقسامه ومكوناته الشاملة، (كتيبتان للمدفعية الثقيلة ١٧ و ٣١، وكتيبة المدرعات والمشاة، ومرسلات الإذاعة، ومخازن عتاد أبي غريب، ومعمل البطاريات).

تسلمت مسؤولية أحد اللجان الأساسية، وتعرضت في الاجتماع الأول إلى نقاشات ومواجهات رفاق اللجنة الذين أفصحوا عن فقدانهم الثقة بالقيادة الحالية للحزب، لكونها غير ثورية وتمنع مناقشة قضايا العمل الثوري في الجيش، ولا تؤمن بالخطوات العملية الثورية. وتختزل جهودها في امتصاص الحماس الجدي لتنظيمنا. وكان في حوزتهم وثائق تدعم صراحتهم.

من جهتي أقنعتُ رفاقي في اللجنة بجديتي في العمل، وأعلنتُ لهم موقفي الشخصي الرافض لكل تيار يميني وانتهازي مساوم.

وما أن تحقق لهم صدق توجهي حتى اتسم العمل بسمات ثورية منظمة، وتزايد الحماس والجدية بين الرفاق حين رأوا بقائي بينهم مرتدياً الزيّ العسكري أثناء الخفارات الليلية، وطمأنتُ رفاقَ المعسكر على الوضع الأمني.

يا لتلك الأيام الطافحة بأحلام التي أردنا تحقيقها، ولطالما فكرت بها مع رفاق التنظيم العسكري، وخططنا لها بدقة ممزوجة بالمواقف الصادقة لأولئك الشباب المصّرين على تحقيق أحلام الرفاق الشهداء الذين ساروا على هذا الدرب. وما أكثر ماكُنا نتداول الحديث عن حركة الشهيد حسن سريع، وجرأة تنظيم صغير في معسكر الرشيد ومحاولته في ٣ تموز ١٩٦٣، القضاء على حكم البعث في أوج غطرسته وتماديه في الغرور. وكنا نستلهم العزيمة والجرأة من حسن سريع ورفاقه الأبطال، وسعيهم إلى تسلم الحزب الشيوعي السلطة في العراق.

كنا في خضم عملية لاستكشاف مدى قوتنا واستعدادنا للتحرك العسكري في المبادرة لاستلام السلطة، كنا مشاريع للاستشهاد وانتشينا بإيمان راسخ بالنصر. كانت خطة عملنا تكمن في الانطلاق من معسكر (أبو غريب) باستيلائنا عليه أولاً، وإذاعة البلاغ الأول للثورة بعد الاستيلاء على المرسلات الإذاعية، ولما كان القصر الجمهوري يتحكم في ربط الإذاعة بالمرسلات في أبي غريب، فقد علمنا أن ذلك التفصيل المهم قد تم إعداد مستلزمات تجاوزه من خلال تهيئة أجهزة تكنيكية تقطع بث الصوت من القصر الجمهوري، وتبث مباشرة من المرسلات. وحسب قول الرفيق آرا خاجادور "لقد هيأنا كل المستلزمات للغرض المنشود". وكان مخططا أن يتوجّه رتل مصفحات بعد إتمام السيطرة على (أبو غريب) نحو معسكر (الوشاش)، حيث تربض كتيبة استمكان. وأما بشأن القوة الجوية فقد كان لدينا عدد من الرفاق الطيارين الذين عادوا إلى العمل الحزبي الجدي حسب علمي، منهم الرفيقان الطياران فريدون عارف، وبهزاد صائب. كانت الخطة تقتضي ربط جميع هذه التشكيلات معاً بعد استكمال السيطرة على معسكر الرشيد. وانصبت المخاوف من احتمال تدخل لواء مصري مستقر في معسكر التاجي في محاولة لإحباط عمليتنا. وقد علمنا أن كل السبل الجدية قد اتخذت للحيلولة دون تحرك هذا اللواء، وقطع وصوله إلى المراكز الهامة بهدف الإمداد.

لا ريب في أن أي حزب من الأحزاب يفقد مركزية القرار وصيانة أسراره الداخلية إن لَمْ يُوحّدْ صفوفه، ولا يستثنى الحزب الشيوعي من هذه القاعدة. إن فقدان المركزية يؤدي إلى كشف الأسرار وتداولها على نحو واسع ومتسيب في أوساط الحزب، أينما كان. مع الأسف الشديد، أقول رغم استكمال الاستعدادات لبلوغ النصر إلا أني كنت أعرف سرا مهما، وهو أن المكتب السياسي ومسؤوليه الكبار كانوا يقفون ضد العملية ويبذلون قصارى جهدهم للحيلولة دون تحقيقها.

صراعات القيادة وتأثيراتها

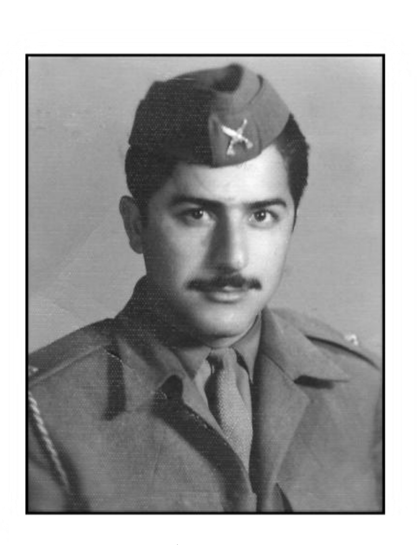
إن الصـراع الحـاد القـائم منـذ ١٩٥٦، بعـد المـؤتمر العشـرين للحـزب الشـيوعي في الاتحاد السوفيتي، تعمق على نحو أكثر بين قادة الحزب بعد ثـورة ١٤ تمـوز والموقـف من توجهات عبد الكريم قاسم الفردية ومن مسـألة السـلطة، وألقـى بظلالـه علـى لجـان الحزب بل على خلاياه كلـها، وتفـاقم إلى درجـة العـداء. كـان ذلـك انعكاسـاً للخلافـات الفكرية والخطوط المختلفة داخل الحزب.

ولقـد عمـل الشـهيد سـلام عـادل بعـد عودتـه في أواخـر عـام ١٩٦٢مـن "النفـي الإجباري" إلى الاتحاد السوفيتي، على أعادة توجيه سياسـة الحـزب في مسـألة اسـتلام السلطة ، وإعداد مستلزمات ذلك ابتداءا من قيادة الحزب نفسه، حيث قام بطـرد كتلـة الأربعة (عامر عبد الله وبهـاء الـدين نـوري وزكـي خـيري، والشـهيد محمـد حسـين أبـو العيس الذي كان قد تراجع بقـوة عـن نشـاطاته التكتليـة قبـل استشـهاده البطـولي في أقبية قصر النهاية) من هيئات الحزب القيادية. إلا أن الأمر كان متـأخرا وقـد تجاوزتـه سرعة تطور الأحداث. وبعد استشهاده وفرض الخط السوفيتي التصفوي علـى الحـزب بمساعدة هذه الكتلة، عـادت بشخوصـها الثلاثـة المتبقيـة، إلى السـيطرة الكاملـة علـى قيادة الحزب وتوجهاته، متوجة ذلك بخط آب التصفوي. وقد اضـطرت تلـك الكتلـة إلى التراجع تحت ضغط التمرد والثورة داخل الحزب على ذلك الخط. إلا أنهـا لم تكـف عـن محاولاتهـا لإجهـاض كـل توجـه ثـوري. ففـي ظـروف النهـوض والحماسـة للإعـداد لمستلزمات استلام السلطة فوجئنـا بمـا كـان وقعـه علينـا كوقـع صـاعقة انقضـت علـى رؤوسنا. فقد تمّ تعميم أمر صادر من القيادة على التنظيمـات الحزبيـة في الجـيش يُطلَـبُ فيه تنظيم قائمة تحتوي علـى معلومـات دقيقـة عـن الأعضـاء. وهـو أمـر منـاف بشـكل مطلق للنظام الداخلي وتقاليد عمـل حـزب سـري، لـيس فقـط في وقـت الانتظـار اليـومي لإعلان ثورة تقودها تنظيمات الحزب في الجيش، وإنما في الأوقات العادية أيضا.

فمـن جانـب أثـار هـذا الإجـراء قلـق الكـوادر الحزبيـة في التنظـيم العسـكري علـى سلامتهم وأمنهم، بالإضافة إلى شعور بعـدم ثقـة هـؤلاء القـادة بالعمـل الثـوري تكتيكـا

واستراتيجا، وكان من جانب آخر مجرد وسيلة لقتل الوقت والالتفاف على العملية وإرجائها. زعزعتْ هذه الألاعيب والمناورات ثقة بعض الكوادر والأعضاء بتلك القيادة اليمينية التي سبقت أن فرَّقت وشَتتت تنظيمات الحزب في الجيش في عهد عبدالكريم قاسم أيضاً. نفس الطغمة ونفس الفكر غير المقتنع بالأسلوب الثوري.

وراح أصحاب الأفكار والمعتقدات المرتبطة بسياسات الحزب الشيوعي السوفيتي، الذين سلكوا درب السلم والتضامن مع الأنظمة الدكتاتورية العسكرية المشبوهة بدلاً من الثورة، وروجوا للأسطورة البائسة بأن الشعوب تبلغ غاياتها ومقاصدها وأهدافها عن طريق التطور اللارأسمالي لهذه الأنظمة الدكتاتورية، وراحوا يستنسخون أفكار الكُتاب في الاتحاد السوفيتي ويرددونها كالببغاوات.



فاروق ملا مصطفى، ١٩٦٥

وهكذا استمرت الصراعات القائمة داخل الحزب وتفاقمت. كنتُ ضابطاً احتياطاً في الجيش، وعلاوة على علاقتي ومهمتي بتنظيمات الحزب في معسكر (أبو غريب) ارتبط بي عدد من الضباط في أماكن ووحدات أخرى. وتخليداً لوفائهم وهمتهم العالية أذكر منهم المقدم علي محمد شريف (علي خاله) في آمرية موقع الحلة، والرئيس (النقيب) مصطفى حاجي عبدالله الذي تقاعد في بغداد، وكانا مسؤولين عن عدد من الضباط ذوي الرُتب العالية وكانا على ارتباط دائم بي. كان الأخ (علي خاله) واحداً من (١١) عنصراً رئيساً من الضباط الأحرار وقادة ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، و بقيادته وإمرته تم الاستيلاء على أحد المواقع العسكرية الهامة في بغداد يوم الثورة. أما الرفيق مصطفى حاجي عبدالله الذي حمل رتبة رئيس (نقيب) في الجيش أصيب

بجروح بليغة في ١٤ تموز ١٩٥٨، في أثناء الهجوم على قصر الرحاب حيث تقيم العائلة المالكة. هذان الرجلان المناضلان مبعث فخر الحزب الشيوعي العراقي ويستحقان الثناء من لدن الكورد لاشتراكهما المباشر صبيحة يوم ١٤ تموز ١٩٥٨ في الثورة.

لابد من الإشارة إلى قضية (X) في استذكار أيام (أبو غريب)، إذ اكتشف أنه جاسوس أمني يعمل داخل تنظيمات الحزب؛ فاغتيل في حي (الثورة). إثر ذلك صدر أمر إلقاء القبض على رفيقين من التنظيم العسكري في (أبو غريب)، كان (X) القتيل يعرفُ الرفيقين (قاسم) و(منير) من بين رفاق الحزب، وأصبح هذا دليلاً على أن أمر إلقاء القبض على الرفيقين له علاقة باغتيال هذا الجاسوس، نُقِل عن الرفاق أن الشخص القتيل كان برتبة رئيس عرفاء وحدة، إلا أنه أحيل على التقاعد برتبة (ملازم ثان). قمت بإرسال الرفيقين (قاسم) و(منير) إلى السليمانية ومن هناك إلى الفرع العاشر لبيشمركة الحزب الذي قاده الرفيق ملا علي (عبدالله ملا فرج)، الذي كان بحق آمراً جدياً لقوة فعالة لبيشمركة الحزب الشيوعي العراقي في تلك السنين.

تعد فترة إشرافي على تنظيمات الحزب في الجيش فترة هامة في حياتي، أفعمتني بالفرح والحزن والخيال الخصب. للحقيقة كنت أخجل من كوني مسؤولاً حزبياً عن الرفيق المقدم علي محمد شريف، فلم أتصرف أمامه بصفة المسؤول بل تعاملت معه وتظاهرت بأنني تلميذ أمام معلمه، كان رجلا متواضعاً يلقاني باسماً وقتَ ترددي عليه في الحلة ويقول لي بثقة عالية، نحن لا نضمن الحلة وحدها بل بوسعنا إرسال الإمدادات إلى بغداد عند الحاجة في ساعة الصفر. نعم! كنت عضو لجنة تنظيمات الجيش ولكنْ لم يكن لي ارتباط مباشر بتنظيم معسكر الرشيد.

بالإضافة إلى بلاغات الحزب السرية كنت أعرف عن طريق رفيقي وصديقي الخالد المقدم الطيار فريدون عارف أن الاستيلاء على معسكر الرشيد وخاصة قاعدته الجوية مضمون وأُعدت له المستلزمات الكافية. كان الطيارون المشهورون في العراق، فريدون وبهزاد صائب، وعبدالنبي جميل، وصباح نوري كمال، من المناضلين الذين كانوا على أهبة الاستعداد، يترقبون يومَ الهجوم ولإسقاط الحكم المعادي للديمقراطية والشعب.

وتثمينا لجهود بعض الأصدقاء وما قدموه، أذكر أنني والرفيق آرا خاجادور، كنا نزور بيتَ المرحوم (حافظ مصطفى القاضي)، ونعقد أغلب اجتماعاتنا وجلساتنا في منزله. كان الأخ حافظ شيوعياً قديماً وشخصية اجتماعية وأدبية في الأوساط الكوردية، وكان صاحب امتياز مجلة (روناهي) الصادرة باللغة الكوردية في بغداد، وجدتُ لديه ثقة عالية وأملا بانتصار الحزب دائماً.

وعلى امتداد عام ١٩٦٥ حتى حزيران ١٩٦٦، سادت أذهاننا وأحاسيسنا حركةٌ حافلة بأحداث متوقعة.

في معسكر النجف حيث مكان وحدتي العسكرية، كنت أقرأ في سري، وأردد في نفسي بهدوء مقاطع البلاغ رقم واحد للثورة، كانت الدماء تجري وتفور وتتموج وتندفع في عروقي، تساءلت وفكرتُ تُرى أيمكن أن أحظى وأتشرف أنا بإعلان هذا البلاغ إلى الشعب العراقي؟ أو هل يمكن أن أضطلع أنا بدور أهم يومَ نحكم قبضتنا على معسكر (أبو غريب)؟ وكنت أرى نفسي على متن دبابة تتقدّم فتهاجم القصر الجمهوري، وأرى النصر بأم عيني، أو ألتحق كالقائد التاريخي حسن سريع، وصلاح حَمهَ جميل، بقافلة شهداء هذا الشعب الأبي.

هذا الشعور غمرَ الآلاف من مناضلي الحزب وأصدقائنا ومؤيدينا الذين كانوا على أتم الاستعداد لتحقيق غاياتنا.

كان الحزب الشيوعي مشعلاً كبيراً لتربية الكادر الثوري المثقف المتأهب في مسيرة النضال لتحقيق شعار وطن حر وشعب سعيد، لتقديم التضحيات ووضع الأرواح على الكفوف في سبيل حياة حرة سعيدة.

تطور الأحداث في اتجاه مختلف

بقلوب مفعمة بالأمل كنا نحصي الأيام والأسابيع والأشهر في انتظار تلقي أمر الحزب بالتحرك وإشعال فتيل الثورة.

في الثلاثين من حزيران ١٩٦٦، تم بث البلاغ الأول للانقلابين من إذاعة بغداد بقيادة عارف عبدالرزاق، وبصوت العقيد هادي خماس.

وقع الحدث المباغت كضربة شديدة على رؤوسنا. بدا أن لهذه الطغمة المتآمرة خطة شبيهة بخطتنا، الانطلاق من (أبو غريب) صوب معسكر الوشاش ثم التوجه للسيطرة على القصر الجمهوري.

عجزت قوات عارف عبدالرزاق عن إحكام السيطرة على مخازن عتاد أبو غريب، لتصدي قوات الحرس لها فأعاقت تقدمها لذا اضطرت إلى التقدم نحو معسكر الوشاش ببضع دبابات خالية من الأسلحة والأعتدة، وحينما تعرضت القوة للمقاومة انسحبت الدبابات إلى الخلف، كانت من النوع المخصص للتدريب فحسب، لذا ذهبت خالية وانسحبت إلى مكانها خالية أيضاً.

كان هادي خماس مديراً للاستخبارات العسكرية في الجيش العراقي، وألقى البيانات باسم اللواء الجوي عارف عبدالرزاق رئيس الوزراء العراقي الأسبق. وسبق له عندما كان رئيسا للوزراء ووزيرا للدفاع العراقي أن قاد محاولة انقلاب فاشلة في ١٩٦٥/٩/١٥ على صديقه عبدالسلام عارف رئيس الجمهورية الذي كان آنذاك في المغرب للاشتراك في مؤتمر القمة العربية في مدينة (الدار البيضاء). وأحبطتها قوات بقيادة سعيد صليبي، قائد الانضباط العسكري، والمؤيد والمنحاز عشائريا إلى عبدالسلام عارف. وهكذا فرَّ عدد من معاوني عارف عبدالرزاق من الضباط العراقيين من القوميين العرب ومن المقربين من جمال عبدالناصر إلى مصر واستقروا في القاهرة.

أُلقي القبض على العقيد هادي خماس، أحد أعمدة قيادة المحاولة الانقلابية، وقال للمحققين معه: لا تفرحوا قلوبكم بالتغلب علينا، ولا تنتشوا بالنصر، إن معارضة الشيوعيين، ومقاومتهم هي التي قصمت في (أبو غريب) ظهورنا.

كان هذا أحد أسباب انتكاسهم، ويعزى السبب الآخر إلى افتقارهم للدعم الجماهيري والقاعدة الشعبية.

بعد هذا الإخفاق واعتقال قيادتهم وهروب آخرين، انصرفت الحكومة العراقية إلى إجراء تحقيقات حول ما دار ويدور في معسكر (أبو غريب) والتأكد من المعلومات التي حصلت عليها، تبعا لذلك أجرت تغييرات كبيرة على الوحدات العسكرية في معسكر

(أبو غريب) للحيلولة دون حدوث أي تحرك متوقع قد يقدم عليه الحزب الشيوعي في المستقبل، واحتاطت لذلك واتخذت كل الوسائل الكفيلة بتفكيك وتبديد مخططاتنا، فلم يَعد معسكر (أبو غريب) يمتلك الأهمية السابقة حيث افتقدنا عامل المفاجأة وتشتتت قوانا الضاربة.

الأجواء السياسية

في نيسان ١٩٦٥ عقد اجتماع الجنة المركزية داخل البلاد وقد أُرغِمَ ضغط الكوادر والقواعد الحزبية، الرافض لخط آب التصفوي، المجتمعين على الموافقة على رفع شعار إسقاط السلطة، رغم أن سكرتير الحزب (ناظم علي) عزيز محمد، أرسل أحد مبعوثيه وأعوانه ليمنع درج شعار إسقاط الحكومة في البرنامج.

نتيجة لهذه التدخلات تَضَمن بيان اللجنة المركزية الصادر في نيسان ١٩٦٥، الشعار الثوري والتفسير التحريفي، ورغم ذلك رأت الأوساط السوفيتية أن البيان الذي تَصَدرهُ شعار إسقاط الحكم العارفي، هو مخالفة للوعود السرية التي منحتها حكومة موسكو إلى الحكومة المصرية، التي تجبر الأحزاب الشيوعية العربية على الخضوع للحكومات المرتبطة بالقاهرة. وهكذا وبعد صدور البيان وتوزيعه على منظمات وتنظيمات الحزب داخل العراق، بدأت إذاعة (صوت شعب العراق) ببث سلسلة مقالات سوفيتية مترجمة تدعو بصراحة ومنتهى الوضوح إلى التمسك بخط آب ١٩٦٤، حول إنكار مبدأ الدكتاتورية البروليتارية والتخلي عن الدور الطليعي والريادي للطبقة العاملة في الثورة الديمقراطية ودعم حكومة مصر، ومدح توجهاتها الاشتراكية، وتلك المواقف المؤيدة لحكومة عارف في العراق.

على كل حال، لم يكن لخط آب أي ثقل حقيقي في داخل الحزب، حيث أنه فُرضَ بمبادرة العناصر الانتهازية والقيادة المقيمة في موسكو الساعية إلى الانسجام مع المركز السوفيتي، في وقت عجز أعضاء اللجنة المركزية داخل البلد عن فرض آرائهم نتيجة لتصاعد الموجة الرافضة المعاكسة المنبثقة من قواعد الحزب والجماهير.

في الحقيقة أُكرِهَ بعض أعضاء القيادة في الخارج، وتحت ضغوطات دائمة من المركز السوفيتي على التراجع عن بيان نيسان واضطروا إلى إعلان هذه الحقيقة. على سبيل المثال كتب بهاءالدين نوري (ناجي) مقالاً نشر في مجلة (مسائل السلم والاشتراكية) في حزيران ١٩٦٥، اعترف فيه أن المبادرة لتغيير خط الحزب الشيوعي العراقي وردت من قاعدة الحزب ولم تكن رغبة اللجنة المركزية، ويقول بنوع من الاعتذار لبيان نيسان ١٩٦٥ (طيلة العام الماضي احتدم النقاش حول الخط السياسي لحزبنا، ليس بين صفوف أعضائه فحسب بل بين الجماهير بتوجهاتها الوطنية أيضاً، لهذا يمكننا القول إن تصور هذا الخط السياسي ليس نتاج وعي وإدراك اللجنة المركزية للحزب، بل هو ملك ونتاج الشيوعيين الواعين والجماهير الثورية التي مرت منذ ثورة تموز ١٩٥٨ حتى عام ١٩٥٩ بجملة من التجارب الصعبة، منذ ثورة تموز ١٩٥٨ حتى ١٩٥٩ كدكتاتورية قاسم العسكرية ونظام البعث المعادي للثورة وسلطة عارف– يحيى الحالية).

وقد ارتقت قاعدة الحزب والتوجهُ الثوري المهيمن السائد بين جماهير الشعب ضد نظام عارف الرجعي إلى مستوى جديد لم يبلغه من قبل، وتحول إلى قوة لم يجرؤ أحد على الوقوف بوجهها، لذا تراجع الاستسلاميون، ودعاة خط التطور اللارأسمالي وأصبحوا (ثواراً)!

في هذه الظروف، ٢٢ حزيران ١٩٦٥، كتبَ جندل، (زكي خيري)، وهو قطب الكتلة الثلاثية، رسالته الشهيرة إلى الكوادر المتقدمة للحزب، بغية ركوب الموجة الثورية الجارفة، والتي كشف فيها دوره ودور رفاقه في الكتلة الانتهازية التي بسطت جناحها على قيادة الحزب الشيوعي العراقي في ظرف مأساوي قل نظيره، وأحبطت الفرصَ التاريخية الكبيرة للثورة، ومهدت الدرب للانقلاب الفاشي، ولم تتوقف المسألة عند محاولته التنصل من آثامهم، بل أن أقطاب أخرون من التصفويين ذوي الدور الخطير في الإذعان إلى العدو الطبقي، وفي محاولة لامتصاص غضب القاعدة الثورية، بادروا هم الآخرين لركوب الموجة الثورية الجديدة، وتراجع من كانوا يدعون إلى تفكيك الشيوعية وبشروا باشتراكية عبدالسلام عارف، تراجعوا وأصبحوا فلاسفة الانقلاب العسكري الثوري.

وهكذا، وفي أعقاب تصاعد النقمة الجماهيرية وَقُبحِ الخط التحريفي بأسره، بادر أعضاء اللجنة المركزية في اجتماع أيلول ١٩٦٥، إلى إصدار بيان لتنظيم انقلاب عسكري بهدف إسقاط الحكم العارفي، وتسلم الحكم، ولم يكتفوا بهذا القرار الوارد في البيان، بل سارعوا إلى نشره على صفحات جرائد الحزب، ولو كانت نيتهم صادقة لما نشروه بل كان حريّاً بهم إبقاءه سرياً.

وورد في بيان اللجنة المركزية الصادر في أيلول ١٩٦٥، ما يلي: "نحن على غرار القوى الاجتماعية الأخرى نمشي في المسار نفسه، نجمع طاقاتنا لإنجاز عمل ثوري حاسم لإسقاط السلطة، ونعول في هذا الأمر على المنظمات الحزبية والجماهيرية".

لا ريب في أن حكم عارف بدا، خائرَ القوى، منقطعاً عن الجماهير، فأدى استئناف الحرب وتجدد القتال في كوردستان في نيسان ١٩٦٥، إلى خلق جو ملائم لزيادة الفعاليات الثورية، وتجلى ذلك في تطور وازدهار التنظيمات العسكرية للحزب، والسيطرة على المراكز الاستراتيجية في العاصمة، لكنَ مَن يُعلن خطة معدة لانقلاب عسكري ينفذها الحزب الشيوعي، على جرائده الخاصة، لا ينوي في الحقيقة التهيؤ لتنفيذ خطة لم تصله بعد بل يسعى لإسكات قاعدة الحزب المُطالبةِ بتعرية حقيقة الخط التحريفي، وتجريده من سلطته، وإبعاد مسؤوليه.

لقد أيقظت المساومة والمزايدة بالشعارات الأعداءَ من سباتهم ثم مكّنتْهم من توجيه ضربة قاصمة للتنظيمات العسكرية للحزب. على أية حال تظاهرت اللجنة المركزية للحزب (أي أعضاء اللجنة المركزية في داخل العراق الذين تم تكليفهم بإدارة شؤون الحزب) بتلهفها لتنفيذ خطة الانقلاب، لذلك التمست، في رسالة وجهتها إلى المكتب السياسي للحزب المقيم في الخارج، إبداء موافقته على البدء بتنفيذ الانقلاب: "سيحدد مصير البلد في هذه الأيام" وينبغي الإسراع في إنجاز أعمال سريعة قبل أن يجازف طرف ما ويشرع بإمكانية وقوة أقل في إنجاز العمل الذي يتيسر للجنة المركزية القيام بإنجازه وتحقيقه وتحظى بالنصر في محاولتها.".

ومـن أجـل ذلـك قـررت اللجنـة المركزيـة المطالبـة بعقـد اجتمـاع موسـع لدراسـة سياسة الحزب بعد أن اتضح لهـا عجزهـا التـام عـن السـيطرة علـى الوضـع الـداخلي الموشك على الانفجار.

وفي شهر أيلول ١٩٦٥ تمخض اجتمـاع اللجنـة المركزيـة عـن قـرار يفيـد "مـن أجـل إشراك عدد ملائم من الكوادر القيادية للحـزب لدراسـة وتحديـد المهـام الآنيـة في الوقـت الراهن ومن أجل تحقيق هذا المأرب تقرر عقد اجتماع موسـع يشـترك فيـه، فضـلاً عـن رفاق اللجنة المركزية، عدد من قادة منظمات وتنظيمات الحزب".

كان الاجتماع الموسع أشبه (بمـؤتمر) حزبـي عقـد في أواخـر تشـرين الأول ١٩٦٥، في قرية (دار بەسەر) في منطقة خوشناوَتي التابعة لمحافظـة أربيـل، اشـترك فيـه (٢٥) شخصـاً مـن مسـؤولي المنظمـات الحزبيـة عـلاوة علـى أعضـاء اللجنـة المركزيـة المتواجدين في داخل العراق، وعرف الاجتماع فيما بعد بـ(اجتماع ٢٥).

واشترطت اللجنة المركزية عدم اشـتراك كـل مـن نـاهضَ خـط آب في بدايتـه والـذين أدوا دوراً هاماً في إعادة تأسيس تنظيمات الحزب بعد انقلاب ٨ شباط.

شملت المشاركة أهم مسؤولي التنظيمات الحزبيـة ممـن اضـطلعوا بالمهـام الحزبيـة والذين تم تعيينهم في تلك المراكز من قِبل أعضاء الهيئـة المركزيـة الـذين تولـوا قيـادة الحزب بدعم المركز السوفيتي، ومع ذلك انعكس وبرز في الاجتماع رأي تيـار مـن كـانوا ذوي نفوذ في صفوف القاعـدة، وإن دل هـذا علـى شـيء إنمـا يـدل علـى مـدى اسـتياء القاعدة من قيادة الحزب وخطها السياسي.

نتج عن الاجتماع استقالة أعضاء اللجنـة المركزيـة ممـن كـانوا في بغـداد، وانتُخِبَـت قيادةٌ جديدة سميـت بــ(القيـادة المركزيـة)[١]، انتقاهـا الاجتمـاع لإدارة وتسـيير أعمـال الحزب على نحو مؤقت ريثمـا ينعقـد المـؤتمر الـوطني للحـزب الـذي أنيطـت بـه مهمـة حسـم الصـراعات الفكريـة داخـل الحـزب وتحديـد ورسـم الخـط السياسـي الواضـح

---

[١] القيادة المركزية هذه كانت اسماً أقترِحَ في ذلك الاجتماع، ولا يُقصدُ بهـا القيـادة المركزيـة لما بعد أيلول ١٩٦٧.

والصريح بهدف إنهاء التجاذبات والقلق المتفشي بكثرة في أوساط الحزب والجماهير الشعبية، ويقود الحزب نحو القيام بالثورة.

تقرر عقدُ المؤتمر في غضون تسعة أشهر في كوردستان، وقد سعى أعضاء القيادة المركزية الجديدة لتعطيل هذا القرار حيث أن المسؤولين الجدد أبدوا قلقهم من القيام بمهامهم وأقنعوا أعضاء الاجتماع بإعادة العناصر المستقيلة من اللجنة المركزية إلى أماكنها السابقة.

إن هذا القرار الدال على ضعف العناصر القيادية الجديدة، أتاح الفرصة منذ البداية للعناصر المقيمة في موسكو بتعطيل قرارات ذلك الاجتماع المتجاوبة مع الخط الثوري وتجميدها.

رغم ما عكسته هذه القرارات من تردد وموقف غير حاسم بتشجيع من الخط القيادي المهيمن داخل العراق، إلا أنها برز فيها، رغم ذلك، بشكل أكثر تأثير الخط الثوري السائد بين صفوف الحزب والمنظمات الحزبية داخل العراق، ما أدى إلى تنمية وتطور الحركة المعادية للتحريفية وإعادة تنظيمها.

كان أحد القرارات قد نص على (اعتبار الخط السياسي العام الذي سار عليه الحزب من أواسط ١٩٦٤ حتى نيسان ١٩٦٥ خطأً فادحاً) كما جاء في نشرة داخلية محدودة التوزيع حول الاجتماع.

في الحقيقة لم ينفذ ما ورد في البيان بسبب هيمنة العناصر التحريفية التي أعيدت إلى المواقع القيادية للحزب، وبسبب تردد وضعف العنصر القيادي البديل، لأن إعلان اعتبار خط آب خطأً قد تم بشكل جد عابر وفي بيان مقتضب نُشر في (مناضل الحزب) بعد مرور ثلاثة أشهر على انعقاد الاجتماع، وَخَلا إعلانه الموجز من أي حملة فكرية لفضح خط آب وبيان مواضع الخلل الفكري فيه، ولم تُوضَح الأسبابُ التي أدت إلى هيمنة التحريفية على قيادة الحزب وتمهيد الدرب نحو الانحراف الرجعي.

ركّز الاجتماع المعروف باجتماع (٢٥) والفعاليات الموسعة التي تلته على تصفية الميراث السيئ، والاهتمام بأمر أهم هو خطة (العمل الحاسم) أي العمل لتنظيم

وترتيب الانقلاب العسكري، وانشغل معظم مسؤولي التنظيمات الحزبية بهذه المهام، ونظروا إلى من يُديرُها ويروج فكريا لها، بصفاء ونية صادقة، و حيث أجريت على المستوى العملي نقاشات كثيرة لبحث الإمكانيات العسكرية والسياسية، لكنهم أوصلوا كل القضية إلى طريق مسدود من خلال اللف والدوران، ومن بعد ذلك إرجاء العمل بخطةَ العمل الحاسم من قِبل مسؤوليها والمشرفين عليها، وعندئذ أدركت العناصر الثورية أن الظروف التنظيمية للحزب، ومستوى إعداد واستعداد الجماهير لا تسمح للناس المباشرة بالإطاحة بالنظام رغم ضعفه وتباعده عن الشعب، ومن أجله تقرر تكثيف الجهود بغية (إعداد وتهيئة المستلزمات الرئيسية).

كان التحريفيون يعرفون كيف يقتلون الوقت ويميعوا المهمة، كأن يتظاهروا بأنهم يؤيدون خطة الانقلاب العسكرية متوخين بذلك تشظية وتشتيت المعارضة الثورية، وهكذا تحولَ قرارا اجتماع (٢٥) حول (العمل الحاسم) إلى ذريعة لإبطال كل طلب ودعوة لمساءلة مسؤولي خط آب وإقصائهم عن قيادة الحزب. أنا وأغلب الكوادر أحسسنا أن القيادة اليمينية تعادي هذا العمل من الأساس. ولم يلبث أن توفرت الفرص للقيادة المقيمة في خارج العراق لتعطيل قرار الانقلاب وأعادت سيطرتها على سياسة الحزب داخل العراق، ولكن الاجتماع أصدر قراراً ضاعف من الصراع الفكري وعمقه أكثر وذلك من خلال إصدار قرار بتشكيل لجنة مساعدة للقيادة المركزية (أي قيادة اجتماع ال (٢٥) المعروفة وليست القيادة المركزية التي تشكلت لاحقا) وتختزل مهامها في إعداد الكتابات الفكرية والسياسية للمؤتمر الوطني القادم للحزب.

جاء قرار الاجتماع بالنص الآتي "تلخيص تجربة السنوات الخوالي بالأخص مراحل ما بعد ثورة تموز ١٩٥٨ بهدف تحقيق وضمان مستلزمات تقوية وتنمية الديمقراطية الداخلية". واختار اجتماع (٢٥) كلاً من عزيز الحاج، وزكي خيري لعضوية اللجنة المعاونة للقيادة المركزية المكلفة بإعداد الكتابات الرسمية للمؤتمر.

وتمثل أهم أعمال هذه اللجنة–التي لعبت فيما بعد دوراً في الصراع الفكري – في إعداد بيان سياسي نشر بعدئذ تحت عنوان (محاولة لتقييم حزبنا من ١٩٥٨ حتى نيسان ١٩٦٥).

نشرت الوثيقة لأول مرة في أواخر سنة ١٩٦٥، خارج العراق ووُزِعَت بشكل غير رسمي، رغم انزعاج القيادة من نشرها.

لم تنشر الوثيقة رسمياً حتى شباط ١٩٦٧، أي أنّها نُشرت بعد سنتين من كتابتها في وقت كانت الصراعات داخل الحزب موشكة على الانفجار، ومع ذلك تمكنت العناصر التحريفية من حذف ثلاثة أجزاء منها، بموافقة ورضا كُتاب الوثيقة، وهذا يدل على ندم عزيز الحاج، وزكي خيري، من مواقفهما السابقة في وقت كان التيار ضد التحريفية داخل الحزب آخذاً في التصاعد، وهذه حقيقة توضحت جيداً فيما بعد، وقتما انكشفت العلاقة العكسية بين تنامي وتطور الاتجاه الثوري في قاعدة الحزب وبين تراجعات قيادات التنظيم.

الأجزاء الثلاثة التي شطِبَت وأزيلَت خُصِصَت لأساليب الحرب الشعبية وتنظيم الفِرَق الثورية المسلحة في ضوء تجربة المقاومة المسلحة في أرياف العراق ضد الانقلاب الفاشي عام ١٩٦٣.

ربما لا يحتاج القارئ العادي إلى الإسهاب في الحديث عن هذا التاريخ، لكنه يعد جزءاً هاماً من تاريخ الحزب بالنسبة إلى الشيوعيين ومؤيديهم ولي شخصياً، بصفتي أمضيت شطراً من حياتي في هذه الصراعات، واستُمدَ بعضُ هذه المعلومات من تقرير للحزب (القيادة المركزية) وكنت اشتركت في إعداده وصياغته.

يهمنا التوقف هنا قبل مناقشة كراس (محاولة تقييم) بيان التوجه والسلوك السياسي لكل واحد من كُتابه منذ ١٩٥٩. وكما هو معلوم فإن زكي خيري (جندل) واحد من أقطاب تلك الكتلة الثلاثية التي تسلمت قيادة الحزب بعد الاجتماع الموسع المنعقد في تموز ١٩٥٩ وأصبح المسؤول الأول في الكتلة.

لجندل، تاريخ سياسي طويل إلى حد ما، لكنه لم يُقبَل في صفوف الحزب الشيوعي حتى وثبة كانون ١٩٤٨ الوطنية، لكن عزيز الحاج، الذي اشترك بصفة مرشح اللجنة المركزية في اجتماع تموز ١٩٥٩ الموسع، كان أحد مؤيدي الخط المستسلم الذي حاول بأي ثمن استرضاء عبدالكريم قاسم، وتولى وضع المبررات

للخط الاستسلامي في الاجتماع الموسع، ليس هذا فحسب، بل استند في تبريراته إلى المفاهيم الواردة في تقرير كونفرنس الحزب الثاني عام ١٩٥٦، تلك المفاهيم التي انتقدها الحزب وتراجع عنها رسمياً.

في الحقيقة اتضحت الجذور التحريفية لعزيز الحاج، من خلال دوره في تمرير خط آب ١٩٦٤. كانت هذه الحقيقة مخفية عن قواعد الحزب. اشترك المذكور في اجتماعات حزيران وآب ١٩٦٤، وكان أحد المؤيدين البارزين للخط التحريفي الذي تمخض عن تلك الاجتماعات.

من هذا المنطلق كتب عزيز الحاج مقالات عدة عبرت عن مجموعة من المبررات والحجج الواهية ليذود بها عن خط خروشوف، منها مقال كتبه مع (فؤاد نصار) نشر في العدد الثالث من مجلة (قضايا السلم والاشتراكية) آذار ١٩٦٤، وفيه يدعوان إلى نظرية (الانتقال السلمي) نحو الاشتراكية، ويتهجمان على الأحزاب المعادية لخط خروشوف.

وفي العدد الرابع من المجلة المذكورة، يدافع في مقال له عن الاتفاق لوقف إطلاق النار في كوردستان، وفي هذا الصدد يقول (يُمكّن الاتفاق من تأكيد وتقوية السلم والأمن في الشرقين الأوسط والأقصى) واستقى هذا الكلام من برقية بعث بها خروشوف إلى عبدالسلام عارف يهنئ فيها إعلان الاتفاقية.

وظل عزيز الحاج حتى بعد موت خروشوف أسيرَ الخط التحريفي، وتجلى ذلك بوضوح في كراسة نشرها في شباط عام ١٩٦٥، تحت عنوان (حول التطور اللارأسمالي في العراق) متبنيا فيها الفكرة الجوهرية للتيار التحريفي حول إمكانية تحقيق الاشتراكية في البلدان النامية حديثاً، بقيادة الطبقة البرجوازية.

يمهد الحاج لمقالته بالحديث عن الوضع في الجمهورية العربية المتحدة، على سبيل المثال، تخلف حزب الوفد، وكون الأحزاب الأخرى أحزاباً رجعيه، وتشتت الحركة الشيوعية فيها. ثم يقول عزيز الحاج (وكما عُلم، بدأ قادة الجمهورية العربية المتحدة يفيدون شيئاً فشيئاً ويتعلمون عن طريق (الصواب والخطأ) إلى أن استطاعوا اتخاذ السبل الثورية العميقة ضد المصالح الإمبريالية والرأسمالية، ثم اتخذوا قراراً ملموساً

بالتوجه نحو الديمقراطية السياسية، فتقدم نهجهم ولايزال يتقدم ويزدهر).

شارك عزيز الحاج مع التحريفيين العراقيين في معظم نشاطاتهم المتعلقة بفرض الخط التحريفي على الحزب في العراق، ومع ذلك نلاحظ أن وثيقة (محاولة للتقييم) تُعَدّ تراجعاً عن موقفه مع (جندل) عن تلك النشاطات، ولكن ليس بمعنى التعبير عن الطموح الثوري وعلاقته بالانحياز طبقيا إلى الاتجاه الثوري البروليتاري، بل كنتيجة لتصاعد التيار المعادي للتحريفية الذي فرض رويدا رويداً نفسه على المسؤولين التحريفيين، رغم تراجع بعضهم مرة أخرى، لتجذر الميول الأنانية والانتهازية في أعماقهم. فكلما هبت رياح التحريفية عاتيةً انقادوا وراءها وكلما خفت انقلبوا عليها.

يحسن بنا القول إن هذه الوثيقة كانت نتاجاً مباشراً أفرزه اجتماع (٢٥)، وتخلى الكاتبان عن مواقفهما التحريفية، وارتبطا بتيار المعارضة الثورية.

رغم ظهور بصمات واضحة للخط التحريفي على الوثيقة، لكنها لعبت دوراً في توضيح معالم ومقاصد الخط الثوري وتعميق الوعي الفكري داخل الحزب، فتحولت فيما بعد إلى سلاح هام في الصراع ضد التحريفية في العام ١٩٦٧.

ركزت الوثيقة على الأسباب الأساسية المؤدية إلى ضياع ثورة تموز: "لو كان حزبنا صاحب وجهه نظر ثورية حقيقية بعد تموز باتجاه يخدم استثمار الطاقات الثورية لَتَسَلمَ زمامَ الحكمِ في البلاد، لاستطاع أن يكون في وضع ملائم يحقق الهدف في أيام النهوض في العام ١٩٥٩ ويقود البلد على صعيدي القول والممارسة، لولا خضوع سياسة الحزب لهيمنة العقلية اليمينية الخائفة من نشوب حرب داخلية ونشوء التدخل الخارجي رغم كونه احتمالا واقعياً".

وهذا اعتراف من الخط التحريفي اليميني بمسؤوليته عن ضياع الثورة، بسبب هيمنته على الحزب. رغم سعي الوثيقة هنا إلى إيجاد تبريرات للموقف التبعي الذيلي تحت غطاء الحذر من نشوب الاقتتال الداخلي والتدخل الخارجي، ومع ذلك لو سبرنا أغوار المسألة لوجدنا أن هذا الحذر وهذه المخاوف لم تخطر ببال من ساروا على خط التبعية والانقياد للطاعة العمياء، نقصد أولئك الذين ضحوا بالثورة من أجل برجوازية قاسم.

تعمق الأزمة التحريفية واحتدام الصراع الفكري

يُعَدّ اجتماع الـ(٢٥) انعطافة في تطور الصراعات داخل صفوف الحزب الشيوعي العراقي. في الحقيقة تعمقت النزاعات على نحو أكثر وشملت أوضاعَ الحزب كافة، على العكس من توقع القيادة التحريفية في حلَ الأزمات المتراكمة التي تمنت معالجتها، لأن الخط التحريفي تم عزله وتهميشه في الاجتماع، ثم ظهر تياران أحدهما لجنة منطقة بغداد، وثانيهما القيادة المركزية وأعلن عن تأسيسهما داخل الاجتماع.

تكونت قيادة لجنة بغداد من عناصر انتهازية كانت في المستوى الثاني من حيث التنظيم، أُعيدَت عام ١٩٦٤ إلى العراق بعد أن شحنت في المدارس التحريفية بمفاهيم خروشوفية حول (طبيعة العصر) و(اشتراكية) البرجوازية الناصرية و (تقدمية) عبدالسلام عارف واتحاده الاشتراكي.

استهان هؤلاء القادة بالحزب الشيوعي العراقي في رؤاهم وطروحاتهم وأخذوا ينظرون بإعجاب بالغ إلى (المفكرين السوفيت) وتحليلاتهم الجديدة، ولم يستقم لهم الأمر على هذا المنوال، إذ سرعان ما تعرضت هذه العناصر إلى انتقادات قواعدها المرتبطة بجماهير بغداد على نطاق واسع، جماهير غاضبة كرهت نظام عارف الرجعي الدموي.

وتحت هذا التأثير، بدلت تلك العناصر موقفها وأصبحت تخاصم الخط التحريفي وأرادت في اجتماع ال٢٥ ركوب الموجة الثورية الهائجة بعد أن جنح نجم الخط التحريفي إلى الغروب.

وحين طُرِحَت مسألة انتخاب القيادة المركزية الجديدة على طاولة النقاش في (اجتماع ال٢٥) رشح هؤلاء القادة أنفسهم لعضوية القيادة الجديدة ولم يحظوا بالنجاح ولم ينل بعضهم سوى صوت نفسه، وسعوا إلى إيجاد مبررات لإخفاقهم، وأعلنوا أن حيلاً اختلقها أعضاء اللجنة المركزية المشرفة على إجراء الانتخاب انطلت عليهم، وسارعوا إلى لعبة التخلي عن مواقفهم وإعلان شعار (العمل الحاسم) أي الانقلاب العسكري.

ولم يسلم أعضاء قيادة تنظيم بغداد الفاشلين بقبول هذه النتيجة والاقتناع بمراكزهم الحزبية السابقة، لذا قرروا الهجوم على القيادة المركزية بشكل موسع، وذلك بالاستناد إلى التيار المهيمن داخل تنظيمهم، بهدف إسقاط القيادة الجديدة، وصعودهم إلى مراكز المسؤولية في الحزب. ولعدم تيسر مواصلة الصراع بشكل مكشوف من أجل هذا الهدف الأناني، أعلنت لجنة بغداد أن شعار (العمل الحاسم) الذي أُقر في (اجتماع ٢٥ تشرين الأول عام ١٩٦٥) ليس إلا شعارا مصلحياً وانتهازياً وأنانيا، مقابل ذلك أعلنت شعارها: (الانتفاضة الشعبية المسلحة).

وهكذا تحول المنتهجون لسياسة التبعية بين ليلة وضحاها إلى دعاة العنف الثوري وفلاسفة الانقلاب العسكري الثوري. وصار الصراع الفكري خصاماً بين مؤيدي (الانقلاب) وحَمَلة شعار (الانتفاضة المسلحة) لكن الصراع الجديد كان يدور في إطار العقلية التحريفية، إذ على الرغم من الحملة الدعائية البراقة الكبيرة، إلا أنه كان يدور خارج واقع ظروف العراق الجديدة والتحولات الكبيرة التي طرأت على خارطة الصراع الطبقي.

زعمت جماعة بغداد أن (الانتفاضة الشعبية المسلحة) عبارة عن عمل سياسي يحتاج إلى تنظيم تظاهرات صغيرة تشعل (القبس الذي يُوَّلِد النار) باعتبار أن الانتفاضة تنمو وتتطور وتبدأ بأعمال صغيرة، بدون أن تأخذ الجماعة مستوى نمو الوضع السياسي وتهيؤ الجماهير بنظر الاعتبار، فعقدت الأمل على أمثلة عدة وردت في تقاريرها:

– نمو وتطور إضراب اقتصادي وتحوله إلى إضراب سياسي يُوَّلد الشعلة الأولى للانتفاضة.

– تظاهرة صاخبة تتطور وتتحول إلى صدامات مسلحة تهيج الجماهير وتعدها لتقديم التضحية بالأرواح.

– تمرد الفلاحين وتطوره واندفاعه لِيشمل المدن.

أغفل أصحاب هذه التقارير العِبَر والدروس المستقاة من الانتفاضات العامة العارمة في العراق وتناسوا أيضاً تغير الوضع السياسي بعد ثورة تموز ١٩٥٨، وشوهوا مفهوم الانتفاضة المسلحة.

على كل حال، لم تقصد جماعة بغداد مناقشة الاستراتيجية والتكتيك الماركسي بل سعت إلى إحراج منافسيها بخصوص تولي المناصب القيادية في الحزب.

في الحقيقة وجهت جماعة بغداد في بيان صدر بعد اجتماع عقدته في حزيران ١٩٦٦ انتقادات واضحة إلى اللجنة المركزية، وقد اتبعت سبل مختلفة لتقوية مواقعها الحزبية وحاولت جعل منطقية بغداد الحزبية مركزاً جديداً للحزب جنباً إلى جنب اللجنة المركزية.

ومن أجله نظمت لجنة منطقة بغداد تظاهرات عدة صغيرة زجت فيها كوادرها الحزبية، لعدم اندفاع الجماهير إلى الاشتراك فيها، واستغلت الجماعة هذه التظاهرات المنعزلة سلاحاً في الصراع الداخلي ضد اللجنة المركزية التي لم يعد بوسعها إجراء أي عمل حاسم وتنفيذ مهامها المركزية وتعبر عن مسؤوليتها، رغم قيامها بإصدار بلاغ انتقدت فيه لجنة بغداد ورَدَّت على التُهم التي نسبتها جماعة بغداد إليها.

وتبين بوضوح أن أزمة الحزب تكاد تتفجر ولم تعد للجنة المركزية أية سلطة، وفقدت الثقة بها واحترامها لدى قواعد الحزب وتنظيماته ومنظماته الرئيسية.

ولكي تحافظ هذه القيادة التحريفية على قاعدتها رفعت شعار (الانقلاب العسكري) لتخدع الصفوف الأدنى بين قواعد الحزب، واتهمت لجنة بغداد بتعطيل (العمل الحاسم) وإشغال الحزب وإبعاده عن المهام الثورية.

في الواقع دعمنا في التنظيمات الحزبية الأخرى المطالبة بالانقلاب العسكري إلى حدما، باعتبارها خطة محددة لإسقاط حكم عارف وتحرير الشعب من الاضطهاد والرجعية. إلا أن القاعدة الحزبية لم تكن تعرف في الواقع من هم الذين يدعون إلى هذه المطالبة ومدى صدق النية الكامن وراء دعوتهم ومطالبتهم.

أستفاد التحريفيون من وضع النضال السري وارتدوا أكثر من قناع لإخفاء وجوههم الحقيقية، فبدوا للعيان بشكل مختلف وبعيد عن أهدافهم الحقيقية متوخين، في ذلك الاستفادة من الوقت وتمويه الحقائق في نظر الجماهير.

هناك نقطة تثير الضحك والسخرية، والألم على ما آلت إليه أوضاع قادة في الحزب من الانتهازية والوصولية والتلون في المواقف، وهي أن كاتب تقرير خط آب ١٩٦٤ التصفوي، هو نفسه داعية (الانقلاب العسكري)، وهو من صار فيما بعد وزيراً في حكومة البعث، ثم انقلب على نفسه، وانحرف عن الدرب، وسخر قلمه مثل كاتب العرائض في خدمة من أغدق عليه المبالغ الكبيرة.

فقد أثبت هذا الرجل قدرته على تغيير ألوانه كالحرباء، وإخفاء نفسه تحت ظلال فلسفة الانقلاب العسكري، بعد انقضاء أشهر على دعوته إلى حل الحزب الشيوعي وتفكيكه.

ورد في الوثيقة المعنونة بـ(الانقلاب العسكري مِن خلال انتفاضة شعبية ينسجم تماماً مع ظروف بلدنا) التي وزعت عام ١٩٦٧ على تنظيمات حزبنا: "إن الانقلاب العسكري انتفاضة شعبية، يجوز أن يكون مقدمة واستهلالاً لزمن وعصر الثورة الاجتماعية." وجاء أيضا "تحتاج ظروف بلدنا إلى مبادرة استباقية عسكرية ولا يشترط أن تكون جماهيرية."

لقد تناسى هذا كاتب الوثيقة أو غاب عن باله أنه سبق أن كتب قبل شهور أن الاشتراكية الناصرية "موجة تاريخية تجرف مع نفسها العراق"، وهكذا بعد أن زمروا وطبلوا للاتحاد الاشتراكي العربي، انحرفوا وراحوا يبشرون ويروجون، أن جيش الحكومة أداة رئيسية للثورة الاجتماعية في العراق، وسعوا إلى إقصاء المبادئ الماركسية – اللينينية فيما يتعلق بالثورة والدولة.

أكد ماركس وأنجلز أن الجيش هو (عمود أساسي للدولة)، ويقول لينين: "أول إرشاد ونصيحة لكل ثورة ناجحة، كما يؤكد ماركس وأنجلز، هو القضاء على الجيش القديم وتبديله بجيش حديث"[١].

---

[١] أعماله الكاملة، الجزء الأول، ص٢٨٤.

وخلافا للماركسية – اللينينية، كتب صاحب مقال (الانقلاب العسكري..): "في الحقيقة أصبح الجيش أداة رئيسة في الصراع القائم لبلوغ السلطة.. ويستحيل على أي طبقة بلوغ السلطة لو لم تعتمد على الجيش أداةً رئيسية".

هكذا نرى أن الصراع الدائر بين الطرفين في الأساس، جماعة بغداد التي رفعت شعار (الانتفاضة)، واللجنة المركزية صاحبة شعار (الانقلاب)، عبارة عن مجموعة حجج وتبريرات مفتعلة لحجب وتغطية الأهداف الحقيقية المتمثلة في الحصول على كراسي قيادة الحزب، وهي بعيدة جداً عن مبادئ الماركسية – اللينينية.

وأمام هذين الاتجاهين الانتهازييَن برز اتجاه ثوري ماركسي يؤكد على النضال ضد طرفي الصراع وضد الطغمتين اللتين تمثلانهما.

في هذا الظرف المشحون بالصخب الفكري والمزايدة الثورية الكاذبة انبرى الرفيق الشهيد خالد أحمد زكي (ظافر)، كمثل مقاوم ومدافع عن الاتجاه الثوري الماركسي اللينيني ليعبر عن الإرادة الحقيقية لقاعدة الحزب.

أبطل الرفيق ظافر دعوة ونداء جماعة بغداد حول (الانتفاضة) وبيَّن أنها فكرة ضعيفة كما بين عدم صدق من يدعو إليها. ومن الجهة الأخرى كثفَ الرفيق خالد جهوده ضد فكرة (الانقلاب العسكري) باعتبارها الفكرة نفسها للجماعة المتنفذة داخل قيادة الحزب، الجماعة التي تمكنت بها من خداع بعض قواعد الحزب والتنظيمات في مواقع مفصلية بأهميتها بشعاراتها الخادعة، وطلبت منها التخلي عن الصراع الفكري والتركيز على الاستعدادات العسكرية للانقلاب العسكري المرتقب. كتب الشهيد ظافر في مذكرة عام ١٩٦٧ ردَّ بها على وثيقة حول (الانقلاب العسكري) يقول:

[عالج التقرير بوضوح مسألة (الانقلاب العسكري الثوري) ودرس بشكل رئيسي وثيقة (الانتفاضة المسلحة) مثلما ورد في تقارير الرفاق الثلاثة، لكنه لم يدرس على نحو جدي الرأي الهام الآخر الذي يخص الاحتراب الداخلي]. ويشير هنا إلى الاتجاه الثوري الذي كان يحسن بالحزب تثقيف الجماهير به ويهيئها لحرب مسلحة طويلة الأمد تكتسب طابع حرب داخلية تتطور وتزدهر حتى تتسلم زمام الحكم في البلاد.

ويقول الرفيق ظافر في معرض رده على نداء الانقلاب العسكري [إن الانقلابات العسكرية ليست ظاهرة جديدة كما يعلنها أصحاب تقرير (الانقلاب) بل هي فكرة قديمة سبقت عصر ماركس وأنجلز ولينين] ويشير أيضا إلى "أن لينين انتقد أسلوب انقلاب (البلانكيين)." وأكد "أن الانقلاب العسكري أسلوب تستخدمه العناصر البرجوازية المختلفة للثأر وتصفية الحسابات والحقوق فيما بينها ولا يمت بصلة إلى أساليب الحركة الثورية البروليتارية"، ولتوضيح ذلك يذكر نقطتين رئيستين: (الأولى، لا يضمن الانقلاب العسكري التأييد والدعم الواسع للشعب، والثانية هي أن كل القادة العسكريين للجيش والضباط الآخرين المنتسبين إلى الأجنحة المختلفة هم بالأساس أعداء للشيوعيين والطبقة العاملة والقومية الكوردية)

ثم يستمر في دعوته إلى عدم الاعتماد على الجيش الحكومي كأداة رئيسية للثورة الاجتماعية ويقول: "ليس بوسع الجيش كأداة أن يبقى مستقلاً في دولة رأسمالية إقطاعية، بل يغدو أداة طبقية رئيسية لاضطهاد الطبقة العاملة والحركة الثورية." ويقول الرفيق ظافر في الختام: "يمكن تحقق العلاج النهائي بحل الجيش كمنظومة لِيُعادَ بناؤه على أسس ثورية حديثة من جديد."

ينبغي استقاء الدروس ودراسة تاريخ هذا الصراع الذي دار بين صفوف الحزب الشيوعي، لأنه يجدي نفعاً كبيراً لراهن ومستقبل اليسار بشكل عام في كوردستان والعراق، ويُعد عملاً ضرورياً لفهم الأهداف الرئيسية للحزب وتحديد السبل المستقيمة لمعرفة الآمال والأهداف القريبة والبعيدة معاً، ويوضح الرؤيا لتحديد الاستراتيجية والتكتيك.. وتجنب الشقاق في هذا المسار الذي يشوه الروح الرفاقية ويضبب الحقائق في عقول المناضلين ويشتت شملهم.

ويُعَدّ الالتزام المبدئي بالنهج اللينيني بعيداً عن الجمود، الشرط الأكبر لتقدم الحزب والتنظيمات الماركسية، وعدم السماح للفوضى أن تدب في تنظيم يُفتَرَض أن يكون قويا إن لم أقل فولاذيا..

نحن في القيادة المركزية وقبل ذلك في اللجنة المركزية ابتلينا بثقل تلك النواقص

والسلبيات، فأصبحت بالنتيجة مبعث للأسى والحزن ولا تزال تنتظر الحلول والمعالجات السليمة.. وفي مسيرة قافلة نضالنا الطويل اتضحت لنا سلبيّة الافتقار إلى قائد مقتدر وقيادة قديرة تمتلك فهماً دقيقاً وجرأة في إصدار القرارات لحسم النصر.

في تجربة سنوات مسيرتي النضالية توصلت إلى قناعة تفيد بأن ثقافة الكادر والقائد بكل معانيها عامل كبير في تلك الأسباب والنتيجة التي ولدَّتها، وأن غياب المعرفة والثقافة والذكاء الكامل لدى قائد أي هيئة أو جماعة أو حزب يجعله هدفاً لمن هم أدنى مرتبة منه، يشوهون آراءه الصائبة ويلعبون بعقليته.

ففي الأزمة الكبيرة التي حلت بنا في القيادة المركزية، واجهنا مثال مصلح مصطفى، الذي لم تتوفر فيه شروط القائد بأي شكل من الأشكال، وكان يبغي توفير الشروط القيادية لدى من كانوا لا يتقدمون عليه في المرتبة الحزبية.

إن أزمة القائد والقيادة تؤثر سلباً وتفرز أثراً قاتلاً في التنظيم وباقي المجالات الأخرى للحياة.. سياسية كانت أم اقتصادية..

سيتسبب غياب القائد المتمكن القدير في تفكيك النهج الصائب للتنظيم وينجم عنه الإخفاق الحتمي للمنظمة أو الحزب.

بعض المجريات في حياتي العسكرية

أمضيت سنة ونصف السنة من عمري في الجيش العراقي. أربعة أشهر منها كنت طالباً في كلية الاحتياط، وما يقارب سنة كنتُ في الجيش برتبة ضابط ملازم احتياط. فمن شباط ١٩٦٥ لغاية ١٩٦٦/٧/٢٠ عشتُ في بغداد ودخلت دورة عسكرية في صلاح الدين وقضيت ثمانية أشهر في النجف وأربعة في العمارة.

كانت كلية الاحتياط داخل معسكر الرشيد في بغداد، أكملنا فيها مستلزمات التدريب العسكري، وكان لها دور كبير في تنمية وتقوية قابلياتنا الجسدية وفي اكتساب المهارة في استعمال مختلف أنواع الأسلحة.

بعد انتهاء دورة صلاح الدين وزعوا الضباط على الوحدات العسكرية.

نُقِلَ ثمانية منا إلى مركز تدريب النجف، وقد عَلِمنا قبل ذهابنا إلى النجف أن آمر الموقع هو العقيد (عبد الأمير نايف الهديب)، وأنه عصبي المزاج ويتصرف بجنون، ويصعب على المقابل تحمل تصرفاته. استأجرنا معاً حافلة وحشدنا فيها حقائبنا وبعض الأمتعة وتوجهنا نحو النجف. حين وصلنا المعسكر أرشدونا إلى غرفة الآمر.

سَلَّمنا عليه، فقال غاضباً: "من أنتم؟" قلنا "ضباط وَنُقِلنا إلى هنا". فصرخ علينا: "تكذبون. ثمانية ضباط بدفعة واحدة! منذ سنتين طلبت ضابطين فقط ولا تجيبنا وزارة الدفاع الحقيرة، هيا استعدوا لأعرف من أنتم؟ ومن أرسلكم؟" وتبين لنا أن ما سمعناه عن العقيد عبد الأمير نزر يسير جداً مما ينتظرنا. وَهاتَفَ على الفور الزعيم نجم العاني آمر اللواء التاسع في الحلة، وكان مركز النجف تابعاً له وقال له، هل لك علم أن ثمانية ضباط نُقِلوا إلينا دفعة واحدة؟ مَن هؤلاء وماذا أفعل بهم؟ لم نسمع صوتَ الزعيم نجم، ولكن بدا لنا أنه استشاط غضباً وثار عليه. كان هذا أول أيامنا في النجف.

من الأفعال الغريبة التي بدرت من العقيد عبد الأمير وراقت لنا وأحزنتنا في آن واحد، هي قيامه باختياري مشرفاً على تدريب فصيل مكون من ثلاثين جنديا لنذهب إلى قائمقامية النجف ونأتي بالمطلوبين للخدمة العسكرية الإلزامية في تلك السنة إلى معسكر النجف بمسيرة عسكرية على أنغام الموسيقي العسكرية.

لما وصلتُ إلى القائمقامية وجدتُ القائمة الخاصة بالجنود المطلوبين للخدمة الإلزامية، تتضمن أسماء اثني عشر ألف شخص من أهالي النجف والكوفة. قال القائمقام: ربما لا تعرف يا ملازم فاروق، أن أهالي النجف والكوفة لا يؤدون الخدمة الإلزامية كثيراً، فمن تلك النسبة العالية من المطلوبين للخدمة حضر اليوم تسعة أشخاص فقط.

اصطحبتهم على أنغام البوق والطبل إلى مركز تدريب النجف. كان حضرة الآمر والضباط واقفين على المصطبة المخصصة لهذا الحفل، ولما مررنا أمامهم رفعت

صوتي حسب التقليد العسكري وقلت "يميناً انظر"، أي صوب المصطبة.

حين لمح الآمرُ الأشخاص التسعة، خلافاً للتقاليد العسكرية أمرهم أن يقفوا. فأوعزت إليهم أن يمتثلوا لأمر القائد. وطلب إليّ التقدم إليه، تقدمت بدوري. قال لي ما هذا الذي يجري؟ قلتُ له سيدي إن القائمقام سَلَّمني هذا العدد فقط من المطلوبين للخدمة الإلزامية، ويقول لا يخفى على أحد، أن شباب النجف والكوفة المطلوبين لأداء الخدمة الإلزامية يأبون الخدمة وأغلبهم جنود هاربون! فصرخ عليّ: لستَ أنتَ، إنما أنا رجل غير عاقل، لأنني كلفتك أنت بهذا الأمر.. وسبَّ الجميع.. القائمقام، الحكومة، عبدالسلام عارف بكلمات سوقية بذيئة ينبو عنها السمع ثم دلف إلى غرفته غاضباً!

بعد سويعات جاءنا خبر يؤكد أن خمسة من الجنود التسعة قد هربوا وبقي منهم أربعة. فسارعتُ فرحاً إلى غرفة الآمر وقلت له لقد هرب منهم خمسة، فقال لي: هيّا احضر الأربعة الباقين. فحضروا وانهمك هو في إشباعهم بالضرب بعصا غليظة جداً وشجَّ رؤوسهم، ولما رجوناه ليكف عن ضربهم قلنا له: يا حضرة الآمر هؤلاء الأربعة لبوا نداء الوطن وَقدِموا لأداء الخدمة الوطنية فلمَ تشبعهم ضربا وركلاً؟! فقال: أبناء الكلاب سيصطحبون بعد عشرة أو عشرين يوما رجالا ملتحين معهم للتوسل والتوسط، فليهربوا هم أيضاً من الآن.

إن المَشاهد التي رأيتها والقصص التي سمعتها في تلك الأشهر الثمانية عن العقيد عبد الأمير تستحق كل واحدة منها أن تصاغ في شكل مسرحية هزلية، ويكون ظلماً وإجحافاً إن لم أسجل بعضها.

في العام ١٩٦٥ تجدد القتال في كوردستان، ذات يوم قال العقيد عبد الأمير للملازم محمد علي عبدالحسين، أن يأتي في وقت مبكر إلى المعسكر ليكتب له أمر الانفكاك لأنه نُقِلَ إلى الشمال.

كنتُ بعد يوم من ذلك ضابط الخفر، بعد انتهاء الاستعراض الصباحي طلبَ مني عنوانَ منزل الملازم محمد علي. قلت له إنني لا أعرف عنوانه، قال: أركب

سيارتي، خذ معك ثلاثة جنود وأحضره مغلول اليدين، أخاف كثيراً، يخبرني قلبي أنه سيهرب ولا يذهب إلى حرب الشمال.. السائق يعرف عنوان منزله في الكوفة.

رافقني ثلاثة جنود إلى بيت الملازم محمد علي، وكنت أعرف موقعه إلا أنني أخفيت ذلك عن الآمر. وجدت ملازم محمد يتهيّأ للمغادرة، فقلت له أرسَلَني الآمر لأقبض عليك، فماذا تنوي أنت؟ فقال لي: كاكه فاروق، في الحقيقة أنا من التبعية الإيرانية ويمنعني الدين أن أقاتل الكورد، ها أنا أهيئ نفسي لأهرب إلى إيران. فقلتُ له هيا أسرعْ! سأقول له لم يكن متواجداً في البيت.

بعد مضي ثلاثين دقيقة أو أكثر، قلت للآمر: حقا إنك فَطن وذكي جداً ومصيب في تنبؤاتك، لَم يبق محمد علي في البيت. فقال: كلامك غير صحيح ولكنني كلب ابن كلب ومجنون وحمار أُرسل كورديا شيوعياً مثلك ليتعقب لي أخبار وأثر ضابط ليقبض عليه، هو يأبى الذهاب إلى القتال مع الكورد، أنا على يقين تام إنك تكذب، لا ينطلي عليّ ذلك. تعال ملازم أسامة اذهب أنت لتقبض عليه، وكان أسامة قريباً منا، وأفهمته، وقلتُ له، إن لم يكن هارباً لا تقبض عليه، وَقُلَ للآمر عند العودة إنه قد هرب حقاً قبيل وصولي!

بعد أن تأكد الآمر من هربه ناداني وقال لي: هيا ملازم فاروق، الملعون ذاك وابن الكلب شيَّد في حينه داخل المعسكر حسينية من الخشب والشجر والخِيَم، وأمدها بالمياه فاذهب واهدمها بسرعة. كان العقيد عبد الأمير من الحلة، كان شيعياً مثل الملازم محمد علي، لكنه اختلف عنه بتدينه، قلتُ له: سيدي عفوك أنا لا أفعل ذلك، لكنه أصَّر على ذلك وهددني بتقديمي إلى المحكمة العسكرية، قلتُ سيدي افعلْ ما تشاء لكنني ابن عالم دين مسلم ومعروف، كيف أقدم على أمر كهذا!! فأرسل رهطاً وسوّى الحسينية بالأرض في ساعتين، ولعن المشايخ والشيوخ والسادة وأرسل وراءهم آلاف الشتائم.

كان هذا الآمر في عهد عبدالسلام عارف صديقاً مقربا إليه، كان قد طُرِدَ في حينه من الجيش مرتين: مرة تشاجر مع ضابط أقدم منه وأطلق عليه النار، فأُدخل

السجن ومكث فيه سنة ونصف السنة، وبعد عودته طرد مرة أخرى لسوء تصرفاته وأطواره الغريبة إلى حد الجنون حيث أحيل على التقاعد لأسباب صحية. وبعد انقلاب ٨ شباط، أعاده عبدالسلام إلى الجيش.

في أثناء وجودي في النجف، اختلطت بأهلها وتعرفت على مثقفين وأشخاص نابهين في هذه المدينة. وفي تلك الفترة كان ما يزال للحزب الشيوعي جماهير كثيرة في النجف.

وبسبب وجود مرقد الإمام علي اتسمت النجف بمزايا خاصة، إذ يقطن فيها رئيس المرجعية الشيعية. وكل شيعي متمكن مالياً في العراق يوارى الثرى في المقبرة الكبرى هناك. وأصبح دفنُ الموتى والعمل في هذه المقبرة مهنةً لكثير من أهل المدينة، ابتداءً من سائقي سيارات النقل ومروراً بحفاري القبور وانتهاءً بمن يقيمون مراسيم العزاء.

بالنسبة لي كان هناك منزلان لشخصين عزيزين عليَّ من أهالي السليمانية، الأستاذ حَمَه أمين حسن، وكان مدرساً في المرحلة المتوسطة، وبقينا صديقين عزيزين حتى مماته، فضلا عن صداقتنا اعتبرته أستاذا وأخا كبيراً لي.

أما الآخر فكان صديقي العزيز فخري حاجي عبدالله بوسكاني وهو الآخر كان معلماً في النجف. لا أنسى طرائفه وكلامه المليح. كان بيتاهما كمنزل حقيقي لي و لبعض أصدقائي الضباط. كانت جلسات عثمان دزەيي العزيز المطعمة بالنكات وأحاديث السياسة تزيد من حلاوة وطعم ذينك البيتين وصاحبيهما، فلم نعد نحس بالغربة والابتعاد عن السليمانية. تجذرت ذكرى ثلاثتهم في ضميري وأعماقي.

بعد انقضاء ثمانية أشهر في النجف نُقِلتُ إلى مدينة العمارة، أي إلى مركز تدريبها. ومكثت فيها حتى ١٩٦٦/٧/٢٠، وتم تسريحي من الجيش هناك.

كنتُ في العمارة، ذات يوم بَلَغَنا العقيد صلاح الدين آمر المركز بقدوم رئيس الجمهورية عبدالسلام عارف إلى العمارة غداً، فانتظرنا مجيء الرئيس وزيارته معسكرنا بعد رجوعه وانتهائه من تفقد مناطق جنوب العراق. بغتةً وَصَلَنا خبرُ سقوط طائرته واحتراقه مع مسؤولين عراقيين رافقوه في جولته، وانتشر الخبر انتشارَ النارِ في الهشيم وشاع هذا المثل بين العراقيين استهزاءً واستهانة برئيس الجمهورية: "صعد لحم نزل

فحم"! في الحقيقة كان ذلك الخبر في تلك الأيام مبعث استبشار الجميع.

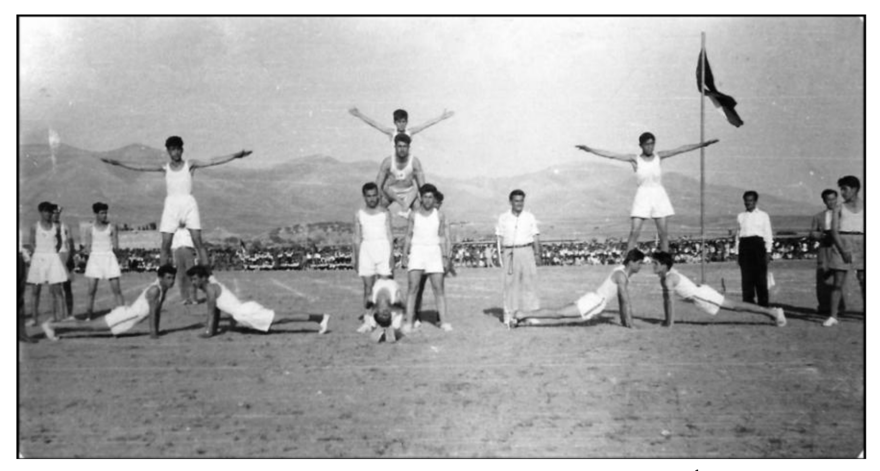
وفي أعقاب هذا الحادث تم تنصيب شقيقه عبدالرحمن عارف رئيساً للجمهورية، وكان يتولى منصب وزير الدفاع قبل الحادث.

هكذا بدأت مرحلة جديدة في تاريخ الحكم العراقي، وظهرت حكومة أضعف بكثير من حكومة عبدالسلام عارف.

أنا والرياضة

شغفتُ منذ طفولتي بالرياضة وصرت من هواتها. بدأنا من كرات صنعناها من الخرق البالية وحصلنا على أنواع من كرات السلة والقدم، وكنا نمارس اللعب بها في الأزقة والأحياء السكنية.

حصلتُ في الابتدائية على الميدالية الأولى في لعبة (كرسي كرسي). وكنت في المرحلة المتوسطة أشترك في لعبة أو تمثيل (الهرم). ولأنني كنت الأصغر بين أقراني كنت أرتقي رأس الهرم في اللعبة. وتقدمت في لعبة كرة المنضدة في المرحلتين الابتدائية والمتوسطة، كما كنتُ من اللاعبين البارزين في هذه اللعبة في الجامعة، وما زلت مستمراً فيها.



تشكيل الهرم (رأس الهرم الأوسط، فاروق ملا مصطفى)، ١٩٥٤

في الطفولة بدأت ألعب ضمن فِرق الحي، وفي الثانوية أصبحت أحد أعضاء فرقة (آكو). وفي كلية الاحتياط برزتُ في هذه اللعبة وصرتُ عضواً لفرقة سريتنا. ولتوفر الوقت في كلية الاحتياط وبعد تخرجي ضابطا أيضاً، كنت أمارسها بكثرة لشغفي بها، لذا كنت أحضر يومياً أو أسبوعياً في المنافسات بين الوحدات في بغداد والنجف والعمارة، فَنِلتُ عدة مرات ميداليات وكؤوساً لتَفَوقِ وحداتنا.

حياتي وأصدقائي في بغداد

لابد لي وأنا أكتب ذكرياتي السياسية من أن أخصص صفحات لحياتي الشخصية. بعد انتهاء خدمتي العسكرية في الجيش، تعينت موظفا في البنك التجاري العراقي في بغداد واستفدت في تلك الفترة من عمل البنك، بخاصة إنني كنت أعمل في المركز العام للبنك، وتعلمت في تلك الفترة التي استغرقت ثلاث سنوات ونصف السنة من خدمتي، شيئاً كثيراً لأن المديرية العامة للبنك كانت تنوي إعدادي لأدير فرع السليمانية الذي اعتزموا فتحه في مدينتنا.

في تلك السنوات قضيت معظم أوقاتي في الشقة السكنية أو في الدور مع أصدقائي خسرو شالي وأخيه سردار وحسن زيور، وبالذات مع سردار الذي كان عضوا في الحزب الديمقراطي الكُوردستاني ولكنه لم يمانع ولم يبد أي استياء لاستخدام الدار لقضايانا الحزبية، ولزيارة العديد من قادة الحزب إليها أو لإخفاء الأسلحة فيها.

في الحقيقة كان في غاية الانسجام معي، ومن باب الاستذكار والوفاء أقول، حين عدتُ عام ١٩٦٣ إلى بغداد متخفياً، كانوا من أوفي وأحسن الأصدقاء، ضيفوني بدون وجل. وبعد مدة قليلة استأجروا لي غرفة في الدار التي نزلوا فيها في حي (القصر الأبيض). خصصوا غرفة للمذاكرة والأكل والشرب، وأخرى لنومنا،. كان الدكتور خسرو قريباً منا في الأفكار أو كان مؤيداً لتنظيمات الحزب. رجل نقي المعدن وصادق وطيب الكلام، كان يكبرنا أنا وشقيقه سردار، كنا نعيش معاً بلا تمييز بين جيوبنا.



من اليمين، الواقفون: فاروق ملا مصطفى، خسرو شالي
الجالسون من اليمين: صفوت رشيد، أفراسياب عبد الحميد، سردار غني شالي
الصف الأمامي: كمال ابراهيم، غفور أمين، علي أحمد حمامجي
سفرة الحبانية، ١٩٦٢/١١/٣

كان المرحوم خسرو يدرس تلك السنة في كلية الزراعة، وبعد فترة غادر البلد إلى بريطانيا ونال هناك شهادة الدكتوراه. في تلك الدار ودور أخرى كنتُ وخسرو ننام معاً في غرفة واحدة ونمضي ساعات الليل بالكلام الطيب والأحاديث السياسية وحكايات الغرام. وكان منصب رئيس الجامعة في أربيل آخر منصب شغله. كان عالما وذكياً وحليماً. أما حسن زيور فكان منتمياً إلى الحزب، وحين توظف سردار في كركوك، كنا أنا وحسن نقيم معاً، ماثل خسرو في طيبته وصدقه. منذ البداية وحتى الآن أستمتع بعلاقتي مع أصدقائي، استمتعت بصداقتهم، تلك السنوات في بغداد. علاوة على هؤلاء أمضيت وقتاً كثيراً مع أصدقاء آخرين، أذكر منهم، الأخ عَبَه (عبدالله ميرزا مارف)، و(أرجمند قرداغي، والدكتور ماجد أحمد عزيز، وبهزاد صائب، وفريدون عارف).

لسنوات ترددتُ إلى جمعية الاقتصاديين العراقيين بصفتي عضو فيها، وكثُرت فعالياتي أثناء الانتخابات. كنت في بغداد حين جرت انتخابات جمعية الاقتصاديين.

* * *

في ١٩٦٧ مثلتُ الحزب الشيوعي العراقي – القيادة المركزية ضمن اللجنة المشتركة لقائمة الديمقراطيين، ومَثَلَ الدكتور صباح الدرّة، جناح اللجنة المركزية. كان معنا سنان الشبيبي، وإسماعيل الراشد، وترأس قائمتنا العالم الكبير الدكتور محمد سلمان حسن، بسبب ذلك أزوره و أبقى ساعات متتالية في منزله. لقد ترجم هذا العالم الكبير أبحاث ودراسات أوسكار لانكه إلى اللغة العربية وأكملها أثناء وفاة أوسكار لانكه. من أحد أهم الكتب القيمة للدكتور محمد سلمان حسن هو (دراسات في الاقتصاد العراقي) ولايزال الكتاب يحتفظً بأهميته البالغة في هذا المجال. رفضَ الدكتور محمد سلمان حسن طلبَ الانقلابين عام ١٩٦٨ ليصبح وزيراً للنفط. بعد اعتقاله وبقائه تحت التعذيب القاسي اضطربت وساءت حالته النفسية وفارق الحياة بكرامة.

الفصل الخامس

من بغداد إلى كوردستان.. نحو النضال الثوري

عودتي إلى السليمانية

في أواخر ١٩٦٨ حينما اشتدّت حملات البعث على حزبنا، غادرتُ بغداد بأمر حزبي لأتسلم مسؤولية تنظيمات الحزب في السليمانية. أبلغني كاظم الصفار ،الشخصية الثانية في الحزب، طلبَ عزيز الحاج سكرتير الحزب، بأن أتخلى عن العيش في بغداد وأذهب إلى السليمانية، كانت حملات البعث على حزبنا في طورها الأول، أما تنظيمات السليمانية فتميزت بصلابتها وتماسكها، وارتأت القيادة أن نتوجه إلى السليمانية عندما نتعرض إلى حملات المداهمة في بغداد، لكن أزمات تنظيمات السليمانية هي الأخرى تتطلب حلاً مبدئياً حسب قول الرفيق كاظم: إن مصلح مصطفى عضو قيادة الحزب في خصام مع لجنة محلية السليمانية، ووصلت علاقاتهم إلى طرق مسدودة بل إلى تبادل الاتهامات المشينة وقال أيضاً: كُن أنتَ مسؤولاً عن تنظيمات السليمانية ويمكنك أن تلعب دوراً حسناً في حل تلك الأزمات وتخطو نحو تسلم مسؤوليات أهم.

توجب علينا اتخاذ خطوات سريعة لهذا الأمر، كنت حتى ذلك الحين موظفا في بغداد غير مختفى أعيش حياة عادية ومسؤولاً متقدماً في لجنة الحزب العسكرية أيضاً.

بذلت ما في وسعي ونقلتُ عملي الوظيفي إلى السليمانية وأبقيت ارتباطي بتنظيمات الحزب في بغداد، وطلبت من الرفاق أن تبقى اللجنة تحت إشرافي تحسباً لبدء حملات البعث علينا. فاتفقنا على ذلك وقفلت راجعا إلى السليمانية.

كنت في اليوم السادس من مباشرتي ودوامي في معمل سجائر السليمانية، حين جاء العقيد عبدالكريم الحمداني مسؤول الاستخبارات العسكرية، برفقة رهط عسكري لإلقاء القبض عليّ، لكنني نجوت من قبضتهم ودخلت مرحلة جديدة من الحياة حفلت بحياة العمل السري والاختفاء، وبنضال البيشمركايتي (الكفاح الثوري). أتذكر، قبل يوم مما جرى لي أرسل إليَّ صديقي حسن زيور، الذي كنت معه في شقة واحدة في بغداد، أرسلَ إلي خبراً عن طريق قريبه عثمان حاجي عبدالرحمن، يفيد بأن رجال الأمن داهموا شقتنا بحثاً عنك. ويومَ اقتحموا دائرتنا في السليمانية

لاعتقالي كان الثلج يسقط بغزارة، وفي الليلة السابقة كنت ضيفا في منزل المرحوم غني شالي، بدعوة من صديقي الحبيب سردار. تجاذبنا أطراف الحديث إلى موهن من الليل أنا وغني أفندي والمرحومة عطية خان والدة سردار التي تحلت بخلقها وأحاديثها الطيبة واعتبرتني بمثابة ابن لها.

تلك كانت آخر ليلة قضيتها في الظهور العلني في تلك المرحلة من الحياة، وتبدلت حياتي وتحولت إلى تجارب اختفاء في المدن وفي داخل مقرات الحزب في جبال وقرى كوردستان.

في بداية لقائي بمصلح مصطفى، اتضح لي البون الشاسع بيننا في النظر إلى الخط السياسي للحزب، وسرعان ما انصرف إلى تدبير المكائد والسعي لعرقلة أوامر سكرتير الحزب ونائبه، وكان قد تسلم قبل وصولي رسالة من سكرتير الحزب بخصوص عودتي إلى السليمانية واضطلاعي بمهام المسؤولية في السليمانية وكوردستان.

شاع خبر خصام مصلح وطغمته، بين الرفاق ومؤيدي الحزب يرددونه بينهم. أراد مصلح بدعم صديقين أو أكثر له مجابهة أغلب كوادر السليمانية الذين قادهم الرفيقان حسين عارف والمرحوم شيخ علي برزنجي، اللذان كانا يمثلان بحق التنظيم وسياسة الحزب الثورية.

حدث هذا في وقت صدر أمر إلقاء القبض عليّ من قِبَل الجهات الأمنية لحكومة البعث وَلَمْ أعد قادراً على التنقل جهاراً.

قال مصلح: إنني أعلم أنك كنتَ في بغداد في مركز أقوى وأعلى من مسؤولية التنظيم في السليمانية، لكنني أتيت برفيق من أربيل منذ فترة لنجربه في قيادة مسؤولية السليمانية، بعدئذ نتحدث حول ترتيب الأمور الحزبية لك، قلت له، لا يهمني المرتب والمركز الحزبي، ولكن هناك أربعة عشر عضواً في لجنة محلية السليمانية يفوقون هذا الرفيق في القابليات والمؤهلات، ما تفعله تخريب واضح وليس حلاً وتطويراً لتنظيمات الحزب.

بعد عقد جلسات عدة في السليمانية، توجست خيفة من تعرضي إلى الاعتقال، ومن تعقب رجال الأمن والاستخبارات العسكرية لي من جانب، ومن جانب آخر كنت أقرأ في عين مصلح الحولاء عشرات المكائد الخبيثة، لذا قررت مغادرة مدينتي الجميلة لأتوجه إلى القرى.

كان مقر الحزب في قرية (گەرەزيل) قرب قرية جافران التابعة لناحية قَرداغ، وتقرر أن أذهب إلى هناك. كان هذا شوطاً جديداً في حياتي.. في بغداد كنت أضطلع بمهمتين، الأولى وظيفتي الرسمية في بنك راق متطور، والثانية كانت حزبية وفي لجنة جد متقدمة، ومنهما انتقلت إلى السليمانية أي إلى وضع حياتي آخر، إلى التعرض الفوري للملاحقة و محاولة إلقاء القبض والاختفاء، ثم الانتقال من الوشائج الحزبية المتينة في بغداد الحافلة بروح الصفاء والتآخي والرفقة الرائقة والكفاح والتضحية، إلى العمل مع شخص بعيد عن الثقافة يتآمر على رفاقه.

في الحقيقة كانت أياماً بائسة، بَيدَ أن إرادة الكفاح في أعماقي وشعوري بحتمية مقارعة الظلم والخطأ والانتهازيين راحت تزداد وتتقد، ويستعر قلبي حزناً وأسى على الضحايا المتعرضين لقساوة وتعذيب البعث الفاشي في بغداد.

كنت أجابه هذا التصرف الأرعن والحقائق المرة، وتتموج في ناظري صور ومشاهد رفاق مثل كاظم الصفار، وسامي أحمد، وأحمد الحلاق، ومتي هندو، وصالح عسكري، وأتساءل في نفسي، ترُى كيف يكونون الآن تحت ثقل الألم والتعذيب القاسي.

اتصلت بالرفاق الآخرين في السليمانية ممن جمّدهم مصلح، أو حطّ من مرتبتهم الحزبية، أو اختلق التهم لبعضهم.

جرى هذا كله في وقت بدأت الحملات الوحشية للبعث على رفاقنا، واعتقال معظمُ قادة حزبنا في بغداد.

في هذا الظرف العويص اضطررت إلى الاتصال بهم لنسعى إلى الحيلولة دون تشتتهم ونبذل جهداً لإيجاد الحلول لتلك المشاكل، فبذلنا جهدا جهيدا وسخَّرنا طاقاتنا لهذا الغرض.

كان الرفاق شيخ علي برزنجي، وحسين عارف، وحامد شيخ محمد نوري و حَمَه آمين رشيد (حَمَه آمين البريد) والأستاذ عمر مصطفى، ولجنة هورامان المؤلفة من الرفاق فاتح وحَمَه كريم، والأستاذ ظاهر، وأحمد حاجي علي، وياسين، في الصدارة لإنجاز هذا النشاط والعمل.

حتى ذلك الوقت كان أبرز النشطاء في السليمانية، إضافة إلى حسين عارف وشيخ علي برزنجي، هم الرفاق أكرم عزت نجيب، وحَمَه صديق، وعلي حامد، وعلي باراوي، ومئات الرفاق في الحزب.

وعلى صعيد رسمي اجتمعنا ليلةً حتى انبلاج الفجر في منزل الرفيق أكرم عزت نجيب، بحضور الرفيق صابر عزيز (سامي)، الذي عيَّنه مصلح مسؤولاً لفرع السليمانية، وبمشاركة أربعة عشر عضواً ومرشحاً من قِبلَ لجنة محلية السليمانية لإيجاد الحلول لأزمات التنظيم الذي حاك مصلح خيوط مؤامرة لتصفيته، لكن الاجتماع لَم يسفر عن أي نتيجة شرعية لمعالجة الأزمات.

من الأمور التي أثارت الحفيظة والأسف ورددتها الألسن وأصبحت عاملاً لإثارة القلق في نفوس الرفاق، هي التهم التي اختلقها مصلح ونسبها إلى بعض المناضلين على أساس أن العملية الحزبية للاستيلاء على المال الموجود في دائرة تربية السليمانية قد نقص وسُرِقَ مقدار منه. وحسب ما فهمت أن تلك العملية الجريئة نفذتها هيئة شجاعة بخطة مدروسة وبرنامج دقيق من قِبَل شيخ علي برزنجي، وحسين عارف، والشهيد حَمَه كولهبال، وانتشر خبر العملية هذه وكان لها صدى كبير وواسع، كعملية ثورية وفعالية هامة من نشاطات القيادة المركزية.

بعد نجاح العملية استشهد الرفيق حَمَه كولهبال على يد الحكومة وأعوانها في تلك الأيام. نُقل المبلغ إلى بغداد وأودعَ لدى سكرتارية الحزب، وتبين لنا أن التهمة المنسوبة إلى الرفاق المنفذين خالية تماماً من الصحة والحقيقة، بل كانت في الأساس وسيلة واهية لتشويه سمعة هؤلاء الرفاق المناضلين.

سرَّني كثيراً إذ استطعتُ بجهود هؤلاء الرفاق وهمتهم العالية أن أحمي تنظيمات

السليمانية من الانهيار، تنظيمات بحجم اللجنة المحلية ولجان المدينة والعمال والأحياء السكنية ولجنة تنظيم دربندخان و بَمو.

فضلا عن تلك الأسماء في تلك الأيام، ترسخت في ذهني وضميري أسماء أخرى لمناضلين، أمثال، حَمَه فرج بانيبي، وعلي رَش، ودرويش، وأسماء جريئة لشباب شجعان في المدينة، منهم الشهيد أكرم أسطا أمين (أكرم حبسه)، والشهيد جمال علي فائز، ومصطفى جاورَش، وكمال شاكر، والشهيد لطيف حَمَه مراد والشهيد بكر هَورامي، والشهيد عثمان نانَوا، والشهيد كمال جمال (بَختيار)، إنهم لا يبرحون الذاكرة وهم قافلة من قوافل الحزب الشيوعي العراقي (القيادة المركزية) وأبنائه المغاوير.

وفي تلك الآونة اتصلتُ بتنظيمات خانقين التي تولى الشهيد زوران عبدالعزيز بشتيوان قيادتها، وكانت جزءاً فعَالا ومثالا يحتذى في البطولة داخل مدينة خانقين وأطرافها ووجهاً لامعاً وساطعاً للحزب حتى مقر البيشمركة قرب قرية (خَركني) في مضيق بيلوله، حيث حثت وشجعت هجماتها الثورية على العدو، جماهيرَ المنطقة، على التقرب إلينا ومعاداة حكومة البعث. كان تفقُدنا تلك المقرات في سفح جبل (بمو) الشامخة، أشبه برحلة شيقة وزاخرة بذكريات تلك المناطق وقطع المسافات شوطاً بعد شوط حتى الوصول إلى (خركني). وكان ذلك يتطلب أسبوعاً للسير أكثر من ثماني ساعات يومياً، رتبنا الرحلة بشكل يتيح لنا البقاء ليلاً في القرى التي يوجد فيها رفاق منظمون لنا.

نحو قرية كَرَزيل

كان في قرية كَرَزيل (گەڕەزیل) مقر للحزب استقر فيه عدد من الرفاق الهاربين من المدن، مع سرية بيشمركة وبقيادة رفيق عربي من أهالي كركوك يُدعى (أبو علي)، اتصف بنشاطه الوافر ومرحه. أتذكر كان الرفاق محمود فرج، وحَمَه شكر شواني، وأحمد هَورامي، أمراء فصائل عسكرية في ذلك الفرع، وتواجد في المقر أعضاء من

لجنة محلية السليمانية. اتخذنا من مسجد القرية مقراً لنا، والذي كان آيلاً للسقوط وفاقدا للمعالم الدينية، كنا في الغرفة الكبرى المخصصة للصلاة.

فور وصولي إلى قرية (كَرَزيل) قرر مصلح تجميدي، كان التجميد يجرد العضو الحزبي من المسؤولية من دون حجب عضويته. فضلا عن هذا، كنا نتلقى يوماً بعد يوم أخباراً مفجعة ومؤسفة من بغداد والمدن الأخرى. بالنسبة إلي كان الأثر أكبر وأصعب لأنني أمضيت في بغداد سنوات من عمري في العمل الحزبي وتركتُ مئات الأصدقاء والرفاق. تناهبني القلق والحزن على رفاقي وأخبارهم المنقطعة.

بعد شَن حملات البعث على القيادة المركزية في عام ١٩٦٨، أسس مصلح أجهزة ومؤسسات مكونة من أشخاص انتهازيين وضعفاء وجَهَلة وأحاط نفسه بهم، وهُمِشَت لجنةُ محلية السليمانية ولجان هَورامان وحلبجة. أفرحه القبض على رفاقه القياديين وانتهز تلك الفرصة كي يُنادى ويُخاطَب بسكرتير الحزب بين الناس، وخَلَقَ داخل تنظيمات الحزب تكتلاً لنفسه، وعزل الكوادر وجمّدهم وجرَّدهم فعلياً من ممارسة وأداء أي عمل.



فاروق ملا مصطفى، بدايات الالتحاق بالكفاح المسلح في الجبل، ١٩٦٨

لم أجد مصلحاً يحمل كتابا بيديه قط. تلهى يومياً بتنظيف حصانه المحظوظ وتوفير العلف له. ففي وقت كنا نحصل بصعوبة على حساء عدس بسيط لوجباتنا اليومية في المقر، أو برغل جاف بين حين وآخر، أو الخبز والشاي فحسب في معظم الأوقات، كان مصلح يبتاع الشعيرَ لحصانه، يغسله وينقعه ويشتري الشكولاتة له، الشخص الوحيد الذي شاركه في هذا العمل المعيب هو نادر، ولم يكونا يشبهان صديقين بل كانا يبدوان كالأغا والخادم في نظر الناس.

وعلى ذكر نادر، فإنه كان ذات ليلة قد ابتعد عن مقرنا، ولكون ربيئة العدو قريبة منا، سأله الحارس في أثناء عودته أن يبرز هويته آمراً إياه بالوقوف، أهمل الرفيق نادر أوامر الحارس، فأطلق الحارس عليه النار وأصابت رصاصة بندقيته (من نوع البرنو) فخذه ومزقته. وجَّه مصلح كلامه إليّ وقال "لا يبدو هذا العمل وليد الصدفة."

استعانوا بالدكتور سليمان (الرفيق علي كريم لعلاج جرح نادر، ، لكن الدكتور أغمي عليه شبه إغماءة، فاضطررنا أنا والرفيق مصطفى جاورَش أن نداوي جروحه.

باستثناء هذا الأمر، أقصد غرابة أطوار هذين الشخصين، كان الرفاق الآخرون يتمتعون بإرادة ومعنويات عالية وعزيمة جد قوية. في كَرَزيل قضينا كثيراً من الوقت ممزوجا بأطيب كلام المرحوم يوسف قادر المعروف بـ(يوسف لجة)، مع الرفاق مصطفى جاورَش وعلي كريم والشهيد جمال علي فائز ويوسف الذي كان بيشمركة في قرية كَرَزيل.

ذات يوم جاء رفيق وقال متشكيا: نحمل الكتاب ونقرأه، ولكن الرفيق حَمَه شكر يسخر منا ويقول، هل هنا كتاتيب وحجرة الجوامع والمساجد أم مدرسة؟ نحن جئنا إلى هنا لنصبح بيشمركة ونقاتل الأعداء، ناديت حَمَه شكر، ورغم إنني جُردتُ من المسؤولية إلا أنني كنت المسؤول الحقيقي وقلت له لِمَ تجادل هؤلاء الرفاق؟ إن الجزء الأكبر من الشيوعية عبارة عن القراءة والعلم والثقافة وفهم الماضي والحاضر والمستقبل، لِمَ تستهين بهم وهم يطالعون الكتب؟ حالياً لسنا في ساحة القتال. واستطردت قائلاً لِمَ تستفز الرفاق وتهِينهم؟ ألا تعلم مثلما أسلفتُ، مدى أهمية

القراءة؟ فقال لي: هل أخبرك بالحقيقة؟ ورأسك يا رفيقي أعرف كل ذلك، لكنني رجل أمي وفي الحقيقة وأجهل القراءة والكتابة، ولا أجرؤ على إعلان ذلك للآخرين، أحسدهم وأغبطهم إذ أجد بين يدي كل واحد منهم كتابا يناقشه مساءً وأنا لا أميز (هره مِن بره)[١]، يأتي جمال علي فائز ويتعبني بأسئلته الملحة عمداً وأنا لا أعرف جوابا. كان معظم الرفاق يقضون بعض الوقت بتبادل الأحاديث والكلام والعلاقات الودية، قلت لحَمَه شكر: يجب أن تقول لهم وهم يطالعون الكتب صباحاً: حسنا قولوا لي عن ماذا تتحدثون وماذا تقرؤون، شاركوني بما تعرفون وتقرؤون. بعدئذ عينت رفيقاً ليعلمه القراءة والكتابة. بعد شهر وجدته يكتب الأحرف والأرقام بيديه وكم كان السرور يغمر قلبه وهو يقرأ شيئاً بسيطاً.

كان الرفاق قد انتقوا لي أسم (أمين) كاسم حزبي على العادة في العمل السري. ذات يوم جاء حَمَه شكر هذا وقال لي يا رفيقي الكل في هذا المقر باستثنائي أنا يعرف أن اسمك الحقيقي هو فاروق، وأنت فاروق ملا مصطفى بعينه. وعَرفتُ أنا أيضاً. ضحكتُ كثيراً وقلتُ له ثق يا حَمَه شكر إنني لم آتِ إلى هنا لأختفي وأغير نفسي، بل لأظلُ مرتبطاً بالحزب إلى الأبد، وعلى أثر ذلك عدت إلى اسمي الحقيقي.

في هذه المناسبة لا يفوتني أن أذكر أنني أحسست في اليوم الأول من التحاقي بمقر كرزيل أن المستوى الثقافي لرفاقنا السياسيين ومقاتليهم من البيشمركة، في المقر ضعيف جداً، ولم يولوا هذا الجانب الهام أهمية تُذكر. قلت لِمصلح: حسنا لِمَ لا تحاضر أنت أو المحيطون بك مرة واحدة في كل أسبوع لهؤلاء الرفاق؟ امتعض من سؤالي وعدَّه مزاحاً واستهزاءً.

---

[١] يستعمل هذا المثل في اللغة الكوردية أيضاً (هەرى لەبرى ناكاتەوە) ويعني أن المخاطِبَ لا يميز بين الصالح والطالح ولا يفقه من الأمر شيئاَ. مَثَل شعبي شاع بين الناس. وفي اللغة العربية يقال: هَرَّ الشيء أي كرهه، يقال فلان هَرَّه الناس أي كرهوا معاملته، وفي المثل (لا يعرف هِرّاً مِن برّ) أي انه لا يميز فعل مَن يهرّ في وجهه مِن فعل مَن يَبرُّ به. أظن العبارة عربية وانتقلت إلى اللغة الكوردية عن طريق المجالس الدينية. (المترجم)

مَكثنا في مقر كَرَزيل مدة طويلة. إلى أن جاء مصلح ذات يوم بلجنة وسماها حسب مشيئته وأهوائه لجنة السليمانية ولجنة الفرع. ما إن عرفت أعضاء اللجنةَ حتى طالعت أسماءً غريبة مثيرة للدهشة وتساءلت، أيمكن أن يقود هؤلاء تنظيمات الحزب الواسعة ويشرفون عليها؟! اسوَّدت الدنيا في عيني وتراءى لي مستقبل يخيب الآمال.

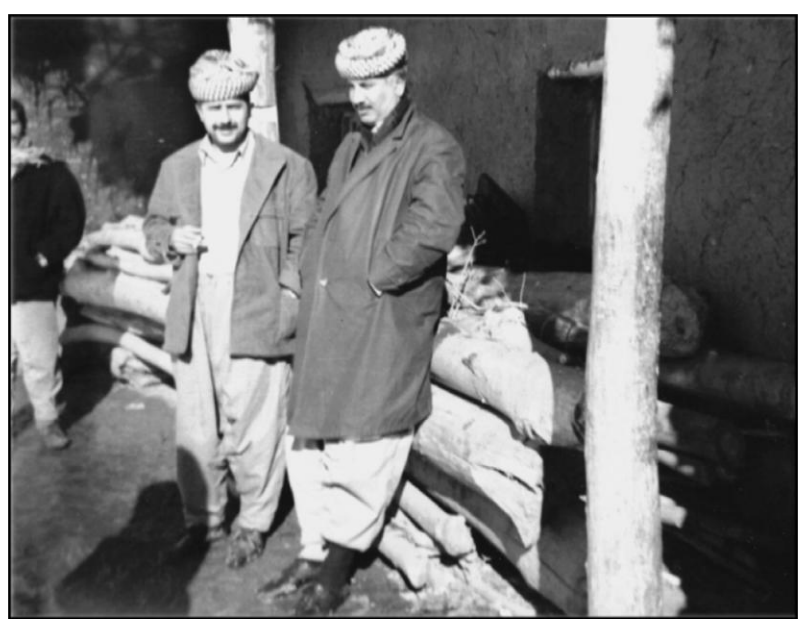
جلس الرباعي أعضاء لجنة مصلح على سطح من بنايات أمام المسجد الذي اشتمل على مرافق وحوض للوضوء، قال لي مصلح، إنني أعتذر لك يا رفيق أمام لجنة الفرع هذه. فسألته، لجنة فرع أم لجنة محلية السليمانية؟ فاستطرد وقال: لقد جُمدتَ خطأً طيلة هذه المدة. نأسف لفهمنا الموضوع على نحو غير سليم. قلت له، أرغبُ أن يُدونَ أحدٌ محضراً للجلسة، ثم استطردت ما الذي تريده؟ قال سنجعلك مسؤولاً لأكبر تنظيم حزبي للحزب الشيوعي العراقي – القيادة المركزية لتنظيمات (الكوت)، اذهب إلى هناك، ففيها أضعاف مضاعفة لما يوجد في كوردستان من الأعضاء، فيها كذا وكذا. كنت على علم بما يوجد في الكوت، قلت، إنني لَمْ أرفض في حياتي أيَّ أمر حزبي أنيط بي، على سبيل المثال تخليت عن الحياة في أجواء بغداد، كنت موظفا ذا دخل متوسط أمضيت حياة سعيدة، كنت أتمتع بصلاحيات واسعة في بنك كبير، عدتُ إلى السليمانية امتثالاً لأمر الحزب، ولأول مرة أرفض ما تريد لأنك رجل خائن.. قال: هل أنا خائن؟ قلتُ: أجل أنت خائن وإياك أن تحاول أن تفعل أي شيء لأن هذا المقر ليس تحت أمرك ولا سلطتك! والثلاثة الذين عينتَهم هنا أصغر بكثير من بيدق على رقعة شطرنج في نظري. قلت لأحدهم أن يكتب المحضر بخط واضح، لأنه كان ذا خط قبيح، وسيبقى ما يُدون للتاريخ. قلت لن امتثل لما تريد لأنك تحب أن أُقتَلَ هناك أو تريد أن تبيت شيئاً آخر لي.

أسهبت في الحديث عن الموضوع وقلتُ لا أعتبرك مسؤولا عني، وحتى مماتي أرددُ إنك خائن كبير. قلت نحن لا نملك الخبز ونحتاج إلى كسرة خبز، وأنت تنقع

الشعير وتملحه وتضع فيه الشوكولاتة لتطعم به حصانَك، وأصبحتَ أضحوكة بين من في هذا المقر وبين الكوادر السياسية والبيشمركة وأهل القرية وهم بسطاء وطيبون، لا أحد يُعطي حصانه أو فرسه الشعير على هذه الشاكلة.

منذ ذلك الوقت حدثت أشياء تلاها ظرف جديد داخل الحزب. في مطلع العام ١٩٦٩ وصل الرفيق إبراهيم علاوي إلى كوردستان وبمجيئه أصبحت قيادة إبراهيم علاوي هي الأساس. كان مصلح يبذل الجهد لإزاحته وتهميشه.

لم تتم دعوتي لحضور كونفرنس الحزب الذي عقد في قَرَداغ. وأهان البعض مصلحاً لقاء قيامه بتجميدي. في أواخر ١٩٦٩، شهدت منطقة قَرَداغ اضطرابات ومشاكل الحرب الدائرة بين الحكومة ومسلحيها وبين بيشمركة كوردستان. وهكذا انسحبت قوتنا الصغيرة تلك إلى منطقة شاربازير. كنت أيامئذ في قرية ديليژه.



الرفيق ابراهيم علاوي، فاروق ملا مصطفى

مقر الحزب في كانى سبيندار، ١٩٧٢

تركتُ المنطقة حين اقتربت الهجمات، والتقيت على مقربة من السليمانية الرفيق شيخ علي برزنجي. حثثنا الخطى لِنلحق بالرفاق وكان بينهم الرفيق إبراهيم علاوي. تسلقنا جبل (كويژه) ويممنا وجهنا شطر قرية كازاو ثم ناحية برزنجه. بعد يومين وصلنا (حاجى مامند). مكثنا فيها ليلة وفي النهار التالي دخلنا قرية (قولَكيسكي) وأطلقوا عليها اسم آروزَر (ئاروزەر) أيضاً. وحللنا ضيوفاً في بيت المرحوم شيخ عبدالله، الذي كان يمت بصلة القربى لشيخ علي وكان بيتهم هو الوحيد في القرية.

من أجل اللحاق برفاقنا واصلنا قطع الطرق وعرجنا على قرى (سروجك)، ولكن تبين لنا أنهم قد سلكوا درباً آخر فحال ذلك دون تلاقينا، فأُكرهنا على العودة إلى السليمانية خفية.

وصل الرفاق قرية ناوكيلَكان (ناوكێلەكان) التاريخية وبنوا فيها مقر الحزب بعد مرور سنوات على بناء مقرنا نحن في منطقة بالَك.

كنت أنا والرفيق إبراهيم علاوي نتبادل الرسائل باستمرار، نتناقش فيها ونتدارس الآراء بصدد مستقبل الحزب.

مرحلة طرد مصلح من الحزب

بعث إليّ الرفيق إبراهيم علاوي رسالة عن طريق الرفيق كمال شاكر:

الرفيق دلير (كان دلير اسمي الحركي المستعار آنذاك):

لقد صحت آراؤك وانطباعاتك حول ظروف الحزب خصوصاً ما يتعلق منها بمصلح مصطفى. بعد وصولنا إلى هذه المنطقة ومقر الحزب في (ناوكيلَكان) اعتزمنا زيارة ملا مصطفى البارزاني رئيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني وقائد الثورة.

قبل انطلاقنا لزيارة البارزاني عقدنا جلسة، أنا ومصلح وأبو أنيس لتحديد النقاط التي نطرحها في جلستنا معه، وتكونت من الوضع السياسي لكوردستان العراق وموقفنا من حزب البعث وحكومته، موقفنا حول ثورة كوردستان والتواصل في المشاركة فيها داخل وخارج البلد وبالتالي تنظيم وتنسيق علاقتنا مع الحزب

الديمقراطي الكوردستاني وتزويدنا بالأسلحة للمشاركة في الثورة على نطاق واسع.

قبل بدء الجلسة قال مصلح: لو طلب منا البارزاني أن نضرب الجلاليين وبالأخص إبراهيم أحمد وجلال الطالباني، في المدن التي نمتلك قدرات حزبية فيها فكيف سيكون موقفنا؟ فقلنا له أنا والرفيق أبو أنيس: سنقول: ذلك أمر لا يحصنا ولا نرضى به. ولكن حين زرنا البارزاني وتحدثنا قليلاً، قال مصلح فوراً: نحن نلتمس منكم تزويدنا بالأسلحة لنتعاون مع الثورة.

قال البارزاني: ذلك أمر يسير ولا صعوبة فيه، ولكن لي طلب.. أنجزوه لي.

أبدى مصلح الموافقة رأساً بدون أي قيد وشرط، خلافا لاتفاقنا في الجلسة التي سبقت زيارتنا، وبعيداً عن أي مراعاة لسياسة الحزب، ومن دون أي إشارة أو تلميح إلينا أو استشارتنا.

يقول الرفيق إبراهيم قلت: يا سيادة البارزاني لو أخذتَ رأينا – رأي الحزب الشيوعي العراقي – القيادة المركزية، نقول إن ما طرحه هذا الرفيق تعبير عن رأيه الشخصي وليس موقفا رسميا للحزب. ثانيا ثمة خلاف بينكم وبين الجانب الآخر للحركة الكوردية لو وضعتم حلولاً لتلك الخلافات بطرق سلمية وعن طريق الحوار سينجم عنها ما يجدي الثورة الكوردية والشعب الكوردي والعراق عامة نفعاً كثيراً.

❊ ❊ ❊

بعد تحليل وتفسير مجمل مواقف مصلح من بداية هجمات البعث الموسعة على القيادة المركزية وقتل وسجن الكثير من القادة واعتبار نفسه سكرتيراً للحزب والبدئ بتجميد الرفاق وقمعِ أصحاب الرأي، والحطّ من آراء كوادر الحزب، صارت هذه التصرفات تثير القلق والشكوك لدى الكوادر المتقدمة، بسبب الوضع السياسي الحساس والاضطرابات التي سادت التنظيمات بعد الضربة الشديدة التي تعرض لها الحزب، وبسبب المواقف المتخذة في تلك المدة، طالبنا بتجميد مصلح وكان لي الدور الرئيس في ذلك.

لما عاد القادة الثلاثة إلى مقر الحزب، اجتمع الرفيق إبراهيم علاوي والرفاق الموجودون هناك وقرروا تجريد مصلح من السلاح وتجميده لحين انعقاد المؤتمر القادم للحزب.

كان في ناوكيلَكان قوة عسكرية لبيشمركة الحزب، أشرف عليه بكر رەش وعاونه عزيز أنور الملقب ب (عەزە رەش) و كان من حي كانيسكان في السليمانية، وحمل اسما آخر (عَزَي بَهي) لم تترك والدته المناضلة الحزب حتى مماتها، وكان عزيز ابن الحزب والنضال الثوري منذ شبابه.

تواجد رفاق آخرون في ناوكيلَكان، مصطفى جاورَش، كمال شاكر، أكرم حَبسه، جمال علي فائز، بكر هَورامي ومام إبراهيم (العم إبراهيم)، كان لهؤلاء الرفاق دور رجولي فعال في صد هجمات العدو ونفذوا الفعاليات بروح الفداء والتضحية. وكان معنا أيضاً جمع آخر من الرفاق وبيشمركة الحزب: الرفيق بَختيار (كمال جمال) وحيدر قصاب، طارق حاجي سعيد، سعدون فَيلي، سامي فَيلي، أبو سميرة.. و آخرون.

طلبَ الرفيق إبراهيم علاوي إعادة تنظيم لجان السليمانية وذهابي في أسرع وقت إلى ناوكيلَكان، وفي بضعة أيام أعدنا تنظيم أمورنا على وجه السرعة.

❊ ❊ ❊

في انشقاقات أي حزب كائنا ما كان تنمو وتظهر مواقف وآراء مختلفة لا يكون بعضها على أسس مبدئية. رغم قلة عدد من تكاتفوا وبقوا مع طغمة مصلح، ولكن وُجِدَ بينهم رفاق مخلصون للحزب. بذلتُ الجهدَ لأقابلهم على انفراد وأوضح لهم مدى تباعد تلك الطغمة عن مصالح الحزب، وكم تثير تصرفاتهم وأفعالهم، وبالأخص المغرضين منهم، الشكوكَ والمخاوف.

حينما توجه إلى الحزب ضربات قاسية، خاصة من قِبل الحكومة وحزب فاشي كالبعث، فإن هذه الهجمات الشرسة لا تضعف الحزب وحده هيكليا بفقده لقياداته وكوادره، بل أن الأمر يمتد إلى زعزعة مواقف الكثير من الحزبيين وانهيار بعض الأشخاص الضعفاء الذين يفقدون الثقة يصابون بانعدام الرؤية الواضحة، ما يترك أثراً ضارّاً في مستقبل الحزب ووحدته وتنظيماته.

عادةً يشرئب بعض الانتهازيين بأعناقهم لتسلم مراكز ومناصب ومسؤوليات

أكبر من قدراتهم ومهاراتهم في المسيرة الحزبية. لقد خلقت هذه الحالات أزمات تنظيمية داخلية، وخاصة بوجود قيادة جاهلة وغير مؤهلة وغير مبدأية كقيادة مصلح مصطفى، فعلى سبيل المثال تم تصعيد عضوا بسيطا في لجنة في أحد أحياء المدينة إلى عضو لجنة فرع كوردستان بلا أي تمهيد واستعداد ومقدرة!

صادفتنا عراقيل ومواقف عجيبة، ففي صراعنا مع مصلح و محاولة تحجيمه لم يساندنا عدد من الرفاق المعروفين الذين وقفوا بشدة في التصدي لمصلح ومواقفه السلبية، واختار بعضهم الانزواء والعزلة، فيما انحرف البعض وتبدلت مواقفهم الفكرية من الأساس. وهذا أمر مُتوقع حدوثه في أعقاب انشقاقات تحدث في أي حزب كان، فيختار البعض الاستقالة أو تبديل الخندق أو حتى يخسرون مبدأهم وتاريخهم وتُخيَبُ أمالهم. على العكس من ذلك يتماسك آخرون من أصحاب المبادئ الذين يختارون درب التضحية وتقوى قناعاتهم بمبادئهم أكثر من ذي قبل.

لا يغيب عن الذاكرة صمود وبطولات عشرات الرفاق من الكوادر المتقدمة والتنظيم الذي شتتته أيدي الانتهازيين والخوَنَة فيما بعد، تَمَكننا بجهودنا المتواصلة ليلاً ونهاراً من تطهير صفوفنا منهم، وتقويتها على أسس تنظيمية وإعادة بنائها وفق أفكار وأسس الماركسية – اللينينية.

ففي كل هجمة على الحزب يتفكك التنظيم ويتعرض للتشتت وللعُقد المستعصية، ولا يمكن التغلب عليها ما لم يبن الحزب على الفكر النظري والفلسفة المقترنة بالممارسة والتطبيق الخلاق لها.

نحو ناوكيلَكان

لمدة خمسة أيام كنا ننطلق فجر كل يوم ونعرج ليلاً على قرية. كان لكل قرية مسؤولها المنتخب من قبِل قوات البيشمركة والحزب الديمقراطي الكوردستاني. أوكلت الثورة إلى مسؤول القرية توزيع البيشمركة على البيوت وقتما يعرجون على

القرية، ويستقبل كل بيت الضيوف ويهيئ لهم ما يحتاجون حسب إمكانياته المالية. في الحقيقة أُلقي على عاتق قرى كوردستان جزء كبير من مهام الثوار. لعقود طويلة لم تخلُ البيوت من البيشمركة الضيوف.

حين وصلتُ (ناوكيلَكان) ووجدتُ رفاقي، تنامى في دواخلي حس رائق وجميل، كانت مرحلة جديدة لتطهير الحزب من طغمة لم تتوفر لدى أفرادها مؤهلات ليكونوا في مراكز مرموقة لإدارة وقيادة تنظيم صغير وعادي، فكيف يمكن أن يتصدروا طليعة وقيادة لحزب ثوري مقدام جريء مثل القيادة المركزية.

تقع (ناوكيلَكان) على طريق كَلاله (گەڵاڵە) و بالَك يقطعها طريق معبد شُيدت على جانبيه مباني و دور القرية، تحيطها من جهاتها الأربع جبال شامخة مليئة بالمهاوي والشعاب والدروب الوعرة وأشجار البلوط، ومن الجهة السفلى لناوكيلكان يهبط وينحدر نهر، يسمى في كل مكان بأسماء مختلفة. كان النهر يهبط بسرعة عاتية وَيُخلفُ في عدة أماكن غُدرانا صغيرة. كان هدير النهر واصطخابه يُسمَعُ من بعد عشرات الأمتار فيبعث في نفوسنا وأرواحنا سعادة غامرة وفرحاً كثيرا.

انقضت سنوات من حياتي مع رفاقي في هذا المقر، وكلما سافرت إلى أي جهة أخرى من كوردستان أو خارج الوطن قفلتُ راجعاً إلى هذا المركز العزيز في نهاية المطاف.

في الجهة الجنوبية لمقرنا المكون من بضعة دور استأجرناها من أهالي القرية، خصصنا قطعة أرض زراعية لزراعتها في مواسم الزراعة، كنا نزرع فيها الباذنجان والباميا والطماطم والخيار والرقي. ثمار ومحاصيل مفيدة في تلك المواسم اكتفينا بها لسد حاجاتنا اليومية. وقرب النهر بنينا فرناً للصمون والخبز. واحتفظنا بين حين وآخر بخراف وماعز ليحلبها الرفاق للاستفادة من ألبانها.

في أوقات ازدحام المقر، خصوصا أثناء الوجبة الصباحية، كان كل واحد منا يحصل على مقدار ملعقة من اللبن فقط، راق لبعضهم أن يدفعه إلى الجوف دفعة واحدة، وكان بيننا من يريقه على كسرة خبز ويأكله مع الشاي ويتلذذ بمذاقه الطيب.

❊ ❊ ❊

انقضت مدة على طرد مصلح، لكنه لَم يتوان عن السعي للعودة وجمع بعض الرفاق ومقاتلي الحزب وكسبهم، بمعاونة الحزب الديمقراطي الكوردستاني له بوسائل عديدة.

ذات يوم وصل الرفيق (عَلَه رَش) ناوكيلكان، وقد أضناه التعب بعد أن قطع طريقا طويلا مشياً على الأقدام ليلاً ونهاراً، وأخبَرَنا أن سبب مجيئه مسرعاً هو اطلاعه على خبر يفيد أن مصلحاً قد جمع قوة وينوي الهجوم علينا. وقد اختصر مسيرة ستة أيام أو أسبوعاً في ثلاثة أيام لكي يصل لنا في وقت مبكّر لاطلاعنا وللمعاونة في صد الهجوم. كان الرفيق عَلَه رَش (علي الأسود) عضواً قديماً في الحزب ومقاتلاً جسوراً وبطلاً.

وبعد بضعة أيام علمنا أن مصلحاً وقوته، سيشنون هجوماً علينا في الليل بدعم سري مِن قِبلَ الحزب الديمقراطي الكوردستاني، فتهيأنا لهم وأعدنا العدة وتم تبليغ الرفاق بأن مهمتنا ستكون دفاعية لدرء المخاطر عن أنفسنا والذود عن مقر قيادة الحزب ويُمنعُ أن تستهدف بنادقنا الرفاق الذين انطلت عليهم حِيلة مصلح، سينصب هدفنا في هذه المعركة على ردهم على أعقابهم وإجبارهم على التقهقر والتراجع. ويبدو أن مصلح مصطفى قد أفهمهم أن عددنا لا يتجاوز خمسة عشر شخصاً ليلقي علينا القبض بيسر وسهولة. بدأتُ والرفيق إبراهيم بتبليغ مقاتلينا فردا فرداً بهذه المعلومات وتوضيح الموقف والوضع لهم، أدركنا أن الحقيقة تُكشَف لهم في أقرب وقت وفرصة وسيتخلون نهائياً عن هذا الخائن. تقدموا ليلا في سيارات عدة من (كلاله) صوب ناوكيلكان. ما إن اقتربوا حتى فتحنا نيران أسلحتنا فوقهم ولاحقناهم مشياً على الأقدام، وهربوا شمالاً وعجزوا عن إنجاز أي شيء. بحثت بناظوري عن مصلح، لم ألمحه لأنهم كانوا يركضون زرافات ويختفون في العتمة.

أصبحت هذه الحادثة بداية أفول نجم مصلح، تفرق الشمل الصغير حوله، وعاد عدد آخر منهم إلى صفوف الحزب. وكما تنبأنا سابقاً، التحق مصلح، وحَمَه أمين پينجويني معه، بالحكومة العراقية وتوظف كل واحد منهما في دائرة حكومية!

ذكريات إعادة تأسيس تنظيمات الحزب

لم يكن هناك شيء أحلى لديّ من القدرة على استعادة الرفاق المنقطعين عن الحزب والتنظيمات المهمشة والمشتتة أو الواهنة، إلى الارتباط بالحزب وسعيه الجاد لتأسيس اللجان والخلايا.

في الفترة التي أذكرها، عملنا وناضلنا في حزب لم تتورع الفاشية في بغداد عن قتلنا وشنقنا واعتقال الآلاف من أعضاء ومؤيدي القيادة المركزية، وتضرجت قبضاتها الخبيثة بدمائنا الزكيّة. وأستطيع جازما أن أقول أنه لم يرتفع أي صوت في تلك الظروف احتجاجا على تلك المجازر الوحشية من المنادين بحماية حقوق الإنسان فقد سكت وتواطأ الجميع تواطأً مريبا.

لم تحرك الحركة الشيوعية العالمية التي قادتها التحريفية السوفيتية ساكنا، في وقت كانت تتسارع لإدانة أصغر جرائم البلدان الأخرى. راق لها تضرج رفاقنا بدمائهم وكل ذلك بسبب انقياد الحزب الشيوعي العراقي (اللجنة المركزية) وراءها. فسَّرت اللجنة المركزية هذه الحملة الدموية ضدنا بأنها نتيجة لنزوعنا وميولنا اليسارية، وَغَضت الطرف عن هذه الجرائم الكبرى وانشغلت باتفاقها مع الحكم الفاشي في بغداد، فادى ذلك إلى اختيار طريق المذلة والتوجه صوب (الجبهة الوطنية) مع حزب البعث، واشتركت أخيراً في حكومته. وبغية إذلالهم أكثر منحتهم حكومة البعث إحدى الوزارات (وزارة العدل)!! فقبلوها بترحاب شديد وأصبحوا جزءاً من الحملات الوحشية ضدنا. وخرج من بين الخائن صفوفنا مصلح مصطفى كما ذكرتُ وألحق بنا أضراراً بالغة وشغلنا لفترة طويلة بصراعات كثيرة.

اجتزنا هذا الظرف الصعب بلا دعم أو مصدر تمويل خارجي، اجتزناه بعسر بالغ ولكن بإباء أيضاً. ولولا المساهمات الشهرية من الأعضاء ودعم رفاقنا من مدن كوردستان ومن بغداد بالأخص، لَتَعَرَضنا لضائقة مالية وجوع أكثر ولشلت حركتنا لإعادة وتنشيط تنظيماتنا في كوردستان ومحافظات العراق، فبدون الإمكانيات المالية لا يمكن تدبير وإدامة حياتنا اليومية والسياسية والتسليحية والتنظيمية بمختلف جوانبها.

ففي الصراعات والأزمات المتفاقمة المطروحة أمامنا حاصَرَنا الخصوم والأعداء بكل ما كان في وسعهم لتضييق الخناق علينا، ولإخماد الشعلة التي استنار بها الحزب الشيوعي والحركة الوطنية في كوردستان والعراق، ولجأوا إلى كل الأساليب الإجرامية واللاإنسانية وبعيدا عن كل أخلاقيات العمل السياسي بدءاً من تغذية الصراعات إلى زرع أشخاص في تنظيماتنا ومقراتنا وصولا إلى حملاتهم الخبيثة لتسميمنا وزرع الألغام لتفجير مقر قيادتنا. سآتي على هذا في موضع آخر من الفصول القادمة. لقد نُفذت بحقنا هذه العمليات بدون أن تتمكن من إزاحتنا عن مسيرتنا على درب الشجاعة الثورية.

إن ما أذكره مفصلا ليس لاستعادة الذكريات فقط بل هو جزء من التاريخ الذي حدث وأجده ضروريا لجيل الحاضر والمستقبل، ليستفيدوا من هذه التجارب وليعلموا أن أعداء النضال الطبقي والفكري يستخدمون كل الوسائل والأسلحة لقهرنا، ولا يقيمون وزنا لنهج العدالة والإنسانية وهم في الأساس يناصبونها العداء.

شائعات الحوار بين الثورة وحكومة البعث

في مطلع العام ١٩٧٠ تصاعدت شائعات وأخبار حول نشوء علاقة بين الحزب الديمقراطي الكوردستاني والحكومة العراقية وذلك ببدء الحوار على مستوى رفيع بينهما. بدا أن الأحداث بدأت تمضي مسرعة، فأحسسنا من جانبنا بهذا الوضع الجديد على نحو مباشر.

ها هي سيارة عسكرية لمسؤول عراقي تمر أمامنا، ورأينا بأم أعيننا في تلك الأيام صدام حسين وحردان التكريتي. بَلّغنا رفاقنا أن يبنوا سيطرة مؤقتة أمام قرية ناوكيلَكان ويعطوا كل من يأتي من أمثال هؤلاء صحفنا وبياناتِنا الحزبية ليحسوا بوجودنا ويعلموا أننا معارضون ونعتبر حزب البعث حزبا سفاكا وعدوا للشعب الكوردي وكوردستان والشعب العراقي بأجمعه.

أدركنا أن حكومة البعث أخذت تفقد قوتها وتمضي نحو هاوية الضعف والخواء، وكلتّ تماماً وخارت قواها عن الاستمرار في شن حملاتها على كوردستان، وتكاثر على

الصعيد السياسي أعداؤها في الداخل والخارج، أما على الصعيد المالي فقد أثقلت ثورة كوردستان كاهلها بنفقاتها الباهظة، ومن هذا المنطلق تلجأ إلى الحوار والمفاوضات لاغتنام الفرص والاستفادة من الوقت لتنظيم نفسها وتقويتها على الأصعدة العسكرية والسياسية والمالية، ولا يتسنى لها ذلك إلا بإيقاف نزيف الحرب في كوردستان.

رسالة من الأخ إدريس البارزاني، وردي على الرسالة

قبل توصّل الطرفين، حكومة البعث والحزب الديمقراطي الكوردستاني إلى الاتفاقية وإعلان بيان ١١ آذار ١٩٧٠، وصلتني رسالة من الأخ إدريس البارزاني، أمرَنا فيها بإخلاء ناوكيلكان والانتقال في ظرف يومين إلى وادي شَهيدان. ويقضي الأمر بالابتعاد عن المنطقة والذهاب إلى وادي شهيدان، وهو مكان وعِر يتعسر فيه الاتصال بالناس، باختصار يُعد أمر الانتقال هذا ضرباً من الإقصاء.

كتبتُ رداً أكدتُ فيه أننا حزب حر ولسنا مستعدين لتنفيذ أوامركم، وإن كنتم تودون ألا نكون أحراراً في مناطق كوردستان المحررة، نقول نحن الذين نعتبر أنفسنا مناضلين وأبناءً بررة ومخلصين لهذا البلد، سنقوم في هذه الحالة بنشر إعلان ونبين أننا من الآن فصاعداً نلجأ في كوردستان، كباقي مناطق العراق، إلى العمل السري في التنظيمات والفعاليات العسكرية.

تَعاوننا في تلك السنين وناضلنا علناً مع الديمقراطي الكوردستاني ضد الحكومة، وقبل بيان ١١ آذار كنت مسؤول العلاقات بين القيادة المركزية والحزب الديمقراطي الكوردستاني والثورة.

في اليوم نفسه، بعد رسالتي الجوابية إلى أدريس البارزاني، وعند حلول المساء زارَ مقرَنا الشخصية المعروفة في المنطقة الأخ عزت سليمان بيك دَركَله، وقال إن جناب البارزاني يطلب أن تحضر الليلة أنت وأحد من قياديكم ليقابلكما في مقر الرئيس في قرية ديلمان. قصدنا أنا وخضر سيد سلمان (أبو جعفر)، عضو قيادة الحزب، ليلاً قرية ديلمان. وهناك استقبَلَنا الأخ إدريس وذهبنا معاً لمقابلة البارزاني.

لقاء مع الملا مصطفى البارزاني

كانت هذه المرة الأولى التقى فيها ملا مصطفى البارزاني وحيداً أو بصحبة ثلاثة أشخاص. تبادرت أشياء كثيرة إلى ذهني ودار بخَلَدي سؤال، تُرى كيف سيكون اللقاء، خصوصاً إن هذا اللقاء يجري في أعقاب رسالة ابنه إدريس. تُرى هل يُستهلُ بالغضب؟ أم سيكون طلب حضوري بغية تهدئة التوتر؟.

كان البارزاني شخصية مهيبة ورزينة، تبدو على ملامحه سمات قائد ذي تجربة وممارسة، في تلك الغرفة العادية في ديلمان عاصمة الثورة الكوردية، وُضِعت منضدة وعدة كراسي بعيدة عن الأبهة وفي غاية البساطة، قياساً بمعايير ذلك الزمن وليس زماننا. جلستُ قريباً من المنضدة وكان أمامه قصاصات ورق وأقلام. استعجل في طرح الأسئلة عليّ. قال: أنت ابن ملا مصطفى؟! قلتُ: أجل أنا ابنه[١]. قال: فلِم تَفعل هذا؟

قلتُ وماذا فعلتُ؟ قال: وهل بقي شيء لم تفعله؟ لِمَ وضعتَ نقاط التفتيش في طريق حردان وصدام في أثناء مجيئهما إلي؟ من أنت؟ حاولت الإجابة، لكنه سبقني في غضب خفيف وقال: لا تقاطعني، أمهلني لأنهي كلامي. قلتُ: تفضل. قال: لِمَ تقطع سلك خط الهاتف الذي مدته الحكومة لي من رواندوز ونحن في الحوار؟ من أنت ولِمَ تقدم على هذه الأفعال؟

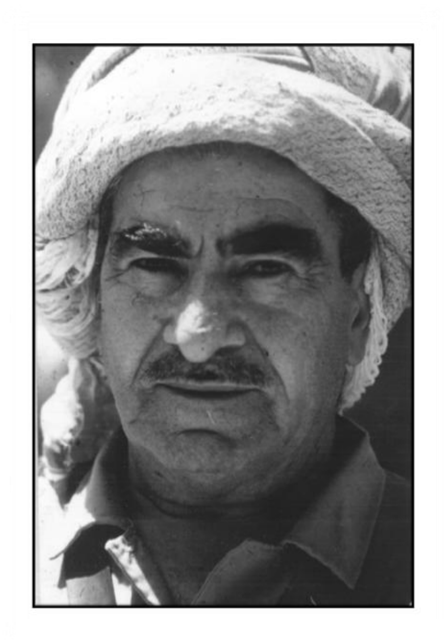
– هل لي أن أجيب يا سيادة البارزاني؟

– كلا.. هلاّ قلت لي من أين حصلتم على المال واشتريتم ١٥٠٠ بندقية كلاشينكوف وقعت كلها في أيدينا على الحدود السورية، في وقت تتسلمون منا مبلغاً يسيراً لشراء السكر والشاي؟ (وكان يكرر كل مرة في توتر أنت من أنت) والآن هاتِ جوابك.

كان عمري آنذاك يبلغ تسعة وعشرين عاماً، وكان البارزاني في السابعة والستين من عمره. حسنا يا سيادة الرئيس أجل نحن وضعنا نقطة التفتيش وأعطيناهم

---

[١] كان والدي (ملا مصطفى صفوت) من العلماء الثلاثة الذين درَّسوا مصطفى البارزاني حينما نفي إلى مدينة السليمانية عام ١٩٤٣. انظر (فرانسوا حريري، مجلة متين، العدد، ١٠٠).


ملا مصطفى البارزاني

صحفنا وبياناتنا باللغة العربية لكي يفهموا ويفقهوا. والآن أسأل حضرتكم سؤالاً، لِمَ لا تستفيدون من إقدامنا على هذا العمل بدلاً من أن تستشيطوا غضباً؟ قال البارزاني: كيف؟ قلتُ: أن تقولوا لهم، إن الناس والأحزاب الأخرى غيرنا لا يرضون بالاتفاق معكم، واجعلوها ذريعة وورقة ضغط لأخذ مكتسبات أكثر منهم.

بهذا الكلام بدت على وجهه أمارات الارتياح والرِّضى فقال: حسناً ولِمَ تقطعون خط الهاتف؟ شرحت له أنه ليس صادراً منا، هناك رعاة وأغنام وحيوانات وذئاب في سفوح الجبل وبين الوديان والطرقات. والحكومة مدت خطوط الهاتف على الأرض وفوق الأشجار عبر هذه المسافة الطويلة، نحن لا ندري أي شيء تسبب في قطعه، نحن نعرف أنهم يأتون ويقطعون مسافات طويلة بالسيارات من رواندوز فلو أردنا أن نسيئ إلى هذا الحوار فما أسهل من أن نعترض طريقهم أو نطلق الرصاص عليهم. صَدِقنا لسنا من فعلوا ذلك.

راق له هذا الجواب أيضاً فساد الفرح وجهه على نحو أكثر وقال: وماذا عن الأسلحة التي وقعت في قبضتنا على حدود سوريا؟ فقلتُ في حزن وضيق: وهل صادرتموها؟ أجاب ضاحكا: أجل ولكن قُل من أين جئتم بها؟

قلت: يا سيادة الرئيس قبل أن أرد على سؤالك هذا دعني أسأل سؤالاً.. إنك تكرر في كل مرة وتقول أنت شنو.. من أنت وتستصغرني ولا تقيم وزنا لي، لو

تمكنتُ أنا من وضع نقاط التفتيش لحردان وصدام حسين وقطعتُ أسلاك الهاتف وجلبتُ إلى داخل الوطن ١٥٠٠ كلاشينكوف هذا يعني أنني شيء!

حين تفوهت بهذا الكلام صمت البارزاني لثوان ومن دون أن يطرف له جفن حدَّق في وجهي وفجأة بدأ يضحك.

قال: حسنا قل لي الآن من أين جلبتم الأسلحة. قلتُ هناك عشرات الآلاف من الكلاشينكوفات والأسلحة يحملها البيشمركة والمواطنون هل ابتعتموها بأنفسكم؟ مَن يمكنه شراء هذه الأسلحة كلها؟ فُتحَ لكم بابٌ، ولنا فُتِحت نافذةٌ صغيرة، في الحقيقة جاءت عبر سوريا، لا تغلقوا هذه النافذة ربما يحل يوم تحتاجونها وتفيدكم.

بدا لي أن البارزاني يستحسن كلامي فتغيرت لهجته تماماً. قلتُ لأشرح لك الحقيقة يا حضرة البارزاني. منذ أن طُرِدَ مصلح مصطفى انقطعت علاقاتنا معكم على الصعيد المالي، نرجو أن تدققوا وتعرفوا في أي قائمة لا تزال تَرِدُ أسماؤنا لتحققوا فيها! بعد انتهاء هذا الكلام بدأنا بالحديث عن الظروف والمستجدات السياسية وقلت للبارزاني أرجو ألا تذهب للحوار، ولا تذهب حتى الى روانـدوز للجلوس مع الوفد الحكومي. فسألني: لِمَ وما قصدك؟ قلتُ: البعث غدار وجائر قد يكون هذا كله خطة مدبرة لاغتيال جنابكم! ضحك كثيراً وبعد ذلك احتضنني وقبلني وقال: ابقوا في مكانكم لا تغادروه، أنتم رجال، ومخلصون لنا ولكوردستان. وانتهت الجلسة بطلبي أسلحتنا وعادت علاقاتنا إلى مجراها ومسارها الطبيعي.

❊ ❊ ❊

هنا لابد لي من أن أتحدث عن تلك الأسلحة المحجوزة التي جلبناها من (اليمن الجنوبية) يومَ كان يحكمها الحزب الاشتراكي على أسس ديمقراطية وكانت بيننا علاقات طيبة جداً، وهذه الأسلحة جلبها من سوريا الكادر السياسي والبيشمركه الرفيق مصطفى جاورَش.

اتفاقية ١١ آذار ١٩٧٠

تعد هذه الاتفاقية حدثاً هاماً في تاريخ ثورة أيلول والكورد عامة. قبل بيان ١١ آذار كانت وفود الحكومة تهبط بطائرات في رواندوز، ومن هناك تمر أمام مقراتنا في ناوكيلكان بسيارات نحو مقرات الحزب الديمقراطي الكوردستاني في ناوبردان (ناوپردان) و (حاجي عمران).

كانت جولات الحوار والمفاوضات تتم بقيادة وإشراف صدام حسين نائب رئيس الجمهورية أحمد حسن البكر آنذاك، وأسفر عنها بيان ١١ آذار.

اعتبرت الثورة الكوردية هذه الاتفاقية نصراً عظيماً، وفي الوقت نفسه عُدتها الحكومة العراقية نصرا، إذ أنها تكسب الوقت لإعادة النظر في خططها بعد أن تبين لها عجزها عن القضاء على الثورة ودحرها عن طريق الحروب والحلول العسكرية، إضافة إلى أن قدراتها المالية والعسكرية أوشكت على التعطل والانهيار.

لأول مرة في تاريخ العراق وكوردستان العراق اعتُرِفَ بحقوق الشعب الكوردي في إطار الحكم الذاتي، وإدارة ذاتية تتعاون مع الحكومة العراقية. على هذا الأساس اشترك بعض الوزراء الكورد في الحكومة العراقية، وعُين ثلاثة محافظين لمحافظات السليمانية وأربيل ودهوك، رشحهم الحزب الديمقراطي الكوردستاني، كانوا من الحزب أو من شخصيات موثوقة لدى الثورة، كما تم الاتفاق على تولي مناصب أخرى في سلك الشرطة وتعيين رؤساء الوحدات الإدارية في بعض الأقضية والنواحي.

تزامناً مع هذه الخطوات وَسّعَ حزب البعث أجهزته الحزبية في كوردستان، لتصبح مراكز لشراء الضمير، واستعد على نحو أوسع لإعادة تشكيل قوات لجحوش مرتزقة من الكورد.

* * *

إيران وشاه إيران

كانت الاتفاقية بين الثورة الكوردية والحكومة العراقية صدمة كبيرة بالنسبة إلى إيران والشاه، صدمة أجفلته بقوة، ولم تتوقع الحكومة الإيرانية شيئاً من هذا القبيل من الثورة الكوردية ولا من قائدها مصطفى البارزاني.

الفصل السادس

حتى استئناف الثورة

نماذج من مؤامرات البعث

قلت آنفاً إن حكومة البعث استهدفت ضرب الحركة الكوردية والقضاء النهائي عليها، وما أعلنته لم ينجم عن قناعتها واعترافها الحقيقي بحقوق الشعب الكوردي. ففي زيارة قام بها الأخ المرحوم إدريس البارزاني والوفد المرافق له إلى بغداد في شهر كانون الثاني ١٩٧٠، دبر البعثيون مؤامرة لاغتيالهم. لم يصب الأخ إدريس بأذى إلا أن الثائر المغوار والشخصية الثورية المعروفة (عريف حميد) أصيب بجروح بليغة.

مؤامرة ٢٩ أيلول ١٩٧١

عُرِفَت هذه المؤامرة بـ(مؤامرة تفجير ونسف مجموعة من رجال الدين أنفسهم).

منذ بدايات الاتفاقية بدأت تظهر هنا وهناك في المناطق المختلفة لكوردستان أحداث وتوترات واضطرابات. ولتمويه الحقائق وتغطية التجاوزات أرسلت الحكومة وفوداً غير رسمية للإفصاح عن رأي الحكومة وتبرئة نفسها مما يحدث، لتظهر أن لا ضلع ولا أي علم لها فيها.

في يوم ١٥ أيلول، بعد أن حمل رجلان من رجال الدين، وكان أحدهما عبدالجبار الأعظمي، مقترحاً من الحكومة إلى البارزاني تلقيا جوابه على المقترح، وعادا إلى بغداد. تلاه ذلك وفد مكون من ثمانية إلى تسعة أشخاص عادوا إلى منطقة (حاجي عمران)، وحسب ما قيل في وقته إن مصطفى البارزاني قد وصل إلى مضيف (حاجي عمران) لملاقاتهم واستقبالهم.

بدأ عبد الجبار الأعظمي يسهب في شرح آراء وتوصيات الحكومة لمعالجة المشاكل القائمة بين الطرفين، ما إن فتح البارزاني فمه حتى سمع صوت تفجير، في أثناء ذلك كان قهوجي المضيف ويدعى شريف، داخل الغرفة فأردي قتيلا هناك، وصار درعاً للرئيس مصطفى البارزاني.

وفي النتيجة اتضح أن أحد الملالي ويدعى إبراهيم الخزاعي قد أصيب و قُتِل فوراً بأثر التفجير.

وظهر في البداية وأثناء التحقيقات أيضا أن إبراهيم الخزاعي نفسه لَم يعرف أن جهاز المسجل الذي ربط به كان ملغوم أساساً.

ذهبتُ إلى (حاجي عمران) لاستطلاع وتجلي الوضع. في إحدى الجلسات نظر إليّ البارزاني والبسمة تعلو شفتيه، قلتُ ربما يتذكر قولي (إن البعث غدار ويسعى لاغتيال حضرتكم.). في أثناء الحادث ضربت شظية جبينه وكان أثر الجرح مغطى بضمادة من الجانبين.

يوماً بعد يوم تجلى أن البعث لا ينوي منح الشعب الكوردي حقوقه، وأنه لجأ إلى الاتفاقية لتلافي ضعفه، وأرغمه عليها عجزه، وعندما يستعيد قواه سيقوم بخرق بنودها، ولا يفوتني إعادة القول إن بيان ١١ آذار كان من جانب آخر نصراً كبيراً للكورد، حيث غدا اعتراف ذلك العدو العنيد بحقوق الكورد في إطار الحكم الذاتي مرحلة جديدة في نضال الشعب الكوردي.

عودة قادة جناح (م. س) للحزب الديمقراطي إلى الحزب

حدث في منتصف الستينات انشقاق واقتتال في صفوف الحزب الديمقراطي الكوردستاني نجم عنه انفصال جناح المكتب السياسي عن البارتي (الحزب الديمقراطي الكوردستاني) استمر ذلك الصراع والنزاع الدموي مدة ولم يتوقف حتى قُبيل إعلان بيان الحادي عشر من آذار ١٩٧٠.

تصالح الجناحان واختار جناح المكتب السياسي السلم مع الديمقراطي الكوردستاني. وفقاً لبنود الاتفاقية رجع القادة المعروفون والبارزون لجناح المكتب السياسي إلى مناطق قيادة الثورة.

استقروا فورَ عودتهم في قرية (قسري) ومنطقة (بابَكر أوا رايات) تَرددتُ إليهم كثيراً، كان هناك الأستاذ إبراهيم أحمد، ومام جلال، وعلي العسكري، وعمر دَبابه، ونوشيروان مصطفى، والأخ حامد قادر المعروف بـ(حامد قەره) الذي جاء معهم.

كان الأخ نوشيروان مصطفى في ذلك الوقت الأقرب إلي بينهم، وتعود علاقتنا إلى

مرحلتي الدراسة المتوسطة والثانوية في السليمانية. كنت قد التقيت سابقا الأستاذ إبراهيم أحمد مرات عدة في بغداد، كان بينه وبين والدي وشائج صداقة وطيدة، وتحدث بفرح إليّ مراراً عن والدي وحسه القومي الكوردي.

أما بالنسبة إلى علي العسكري وعمر دبابة فَلم يسبق أن التقيت بهما كثيراً، بعد تلك السنوات ازدادت علاقتي معهما وبالأخص مع الأول. أما علاقتي بمام جلال فكان مام جلال في السليمانية عندما صدر أمر حكومي باعتقالي في العام ١٩٦٨. أراد ابن عمي فؤاد ملا محمود، الكادر المتقدم في جناح المكتب السياسي والشخص المقرب إلى مام جلال أن ألتقيه علّه يسعفني. بلّغته شكري وعرفت أن تهمتي كبيرة لذا اضطررت إلى الاختفاء وممارسة النضال الثوري سرّاً. بعد ذلك تلاقينا في بيروت ومنذ الجلسة الأولى نمت بيننا صداقة حميمة ومحبة دافئة.

* * *

بدأت أتردد إليهم منذ عودتهم واستقرارهم في (قسري). دعوتهم إلى ناوكيلَكان. أمضينا يوماً حتى المساء على ضفاف نهر جارٍ أمام مقرنا. كنا قد بنينا سقيفة جميلة. تناولنا الغداء هناك وتطرقنا مع الرفيق إبراهيم علاوي وبعض الرفاق الآخرين والأصدقاء إلى الأحاديث السياسية.

بعد مدة سافر الأخ نوشيروان إلى فيينّا واستقر هناك. توطدت وترسخت علاقتي مع مام جلال يوماً بعد يوم، زرته مرات عدة قرب (ناوبردان) وسهرنا معا ليالي كثيرة، نتبادل الكلام، وتلذذتُ بكلامه اللطيف وأحاديثه عن تاريخ حياته السياسية والثقافية.

في مواضع أخرى لاحقة سأتحدث عن صداقتي مع مام جلال في أماكن وفترات مختلفة. ومنذ ما يربو على تسعة وأربعين عاماً حتى وقت كتابة هذه السطور تتعمق تلك المحبة. لم أجد لدى الآخرين من الصفات والخصال مثل تلك التي لمستها في مام جلال. كما صرتُ منذ ذلك الوقت صديقاً مقرباً إلى علي العسكري. مرة قال لي: فاروق، أود أن أحدثك بصراحة تامة. وقبل الدخول في صلب الموضوع أريد أن

تفهمني بصدق وقلب رائق، فلا أنا ضعيف حتى أعجز عن الإفصاح ولستَ أنت ذا سلطة هائلة حتى أخشى منك. هناك حديث عني تردده الألسن وأنا أروي حقيقته لتسجله للتاريخ: يقال إنني أسرت شيوعياً في واقعة في منطقة بمو عام ١٩٦٣، وأطلقت النار في فمه، صدقني إنها حكاية ملفقة ولا صحة لها بتاتاً، وأقول لك إنني لست رجعياً، ففي سنوات إقامتنا ببغداد نشرتُ مقالات لي ومقالات ترجمتها تخص النهج الماركسي والاشتراكية في جريدة هاوكاري باسمي المستعار (شالاو).

ناوكيلَكان مرة أخرى

ناوكيلَكان تلك القرية الصغيرة المحاطة من جهاتها الأربع بجبال شماء، لولا مقرنا فيها والأحداث التي وقعت فيها، ولولا وجود مركز ثوري لكوردستان والعراق فيها، لَما ذاع صيتها ولَظلَّت قرية عادية أسوة بباقي قرى المنطقة. منها بدأنا مجدداً بحراك موسع لِلمِّ تنظيمات الحزب في كوردستان وربطها ببعض، وبنشاطات أخرى لتطوير الحزب من كل الأوجه. أصبحت هذه القرية مركزاً لتنظيم الحزب في العراق من جديد، ومن هناك أُرسِلَت شبكاتُ علاقاتِنا إلى مدن بغداد والفرات الأوسط وجنوب العراق.

تمكنت حكومة البعث من جرِّ (الحزب الشيوعي العراقي – جناح اللجنة المركزية) إلى جانبها وإلى دائرة الجبهة الوطنية، لتواجه قوى المعارضة المناهضة، وخلقت ظرفاً خاصاً ملائماً لها في العراق. وباستثناء الثورة الكوردية والحزب الديمقراطي الكوردستاني ونحن (القيادة المركزية في العراق) لم يبق في الساحة السياسية من يناهض تلك السلطة.

وقد حاول البعث التقرب إلينا، ومن مساعيه في هذا الخصوص القيام بتوسيط شخصيات عراقية للاتصال بنا بهدف التحاور. ووصلت تلك المساعي إلى حد أن زارنا ذات ليلة شخصية كبيرة وشهيرة في ناوكيلكان وأبلغنا رسالة شفوية من صدام حسين مفادها إننا (القيادة المركزية) الجهة الوحيدة في العراق وكوردستان التي لا

ترضى بالتحاور معهم، كـان هـذا في وقـت اشـتركت فيـه اللجنـة المركزيـة في الحكومـة، ووقَّعَ الحـزبُ الـديمقراطي الكوردسـتاني اتفاقيـة ١١ آذار معهـا عـام ١٩٧٠. وتلخصـت الرسالة الشفوية في أن تنضم القيـادة المركزيـة إلى الجبهـة الوطنيـة وتُعطيهـا الحكومـة وزارتين، تكون وزارة التخطيط إحداهما. كُنا أنا والرفيـق إبـراهيم عـلاوي حاضـرَين في الجلسة فَرَفضَنا الطلبَ بلا أي شرح وتفسير ومناقشة.

وفي مسعى البعث نفسه لجرّ القيادة المركزية، جاءنـا شـخص صـديق أرسـله نـاظم كزار محملا برسالة تَخيَّرنا بين قبول الاشتراك في الحكم أو انتظار إبادتنا.

كنتُ هـذه المـرة في مقـر الحـزب وكـان الرفيـق إبـراهيم عـلاوي في طريـق السـفر إلى الخارج، وعلى الشاكلة السابقة نفسها أجبنـا الصـديق المبعـوث، بعـدها شُـنت سلسـلة حملات عنيفة وخبيثة علينا.

علـى سـبيل المثـال قـاموا مـرات عـدة بإرسـال أغذيـة مسـمومة إلى ناوكيلَكـان لتسميمنا. ولَم تثبط الأمراض وسياسة التسـميم والترهيـب مـن همتنـا بـل أغلظـت في نفوسنا الضغينةَ وعمَّقتها ضد الفاشية.

وبحجة الهدايا أرسلوا إلينا مرات عدة الألغام لتتفجر وقتَ فتحهـا لتبيـد مَـن يحضـر حولها.

في الطريق المؤدي من ناوكيلَكان نحو (كَلالـه) ومراكـز ومقـرات الحـزب الـديمقراطي الكوردستاني وقيادة الثورة، كان يوجد مقهى يدعى صاحبه قـادر بيكەس، مـن كـورد كوردستان إيران، أقام مـع عائلتـه في ناوكيلكـان. يشـبه قـادر الممثـل الكـبير شـارلي شابلن في بعض ملامحـه وحركاتـه وسـيره وسـكناته. كـان رجـلا في غايـة الطيبـة وذو كلام مريح. كان الشـك يسـاورنا في أن يكـون ذا ارتبـاط بـأجهزة (باراسـتن) أي جهـاز استخبارات الحزب الديمقراطي الكوردستاني. وصلتنا مرات كـثيرة علـى عنوانـه هـدايا وبخاصة من أربيل، كالأغذية والرز والدهن والسكر والشاي. وفي هـذا الوقـت راح البعـث ينتهـز الفرصـة ويبعـث إلينـا جواسيسـه أو شـيوعيين منهـارين تحـت ضـراوة وآلام التعذيب لأغراض مختلفة – منها مثلاً زرع خلية قوية في المقر وبين تنظيم الحزب.

بدورنا كلما شككنا في أشخاص كهؤلاء بدأنا بالتحقيق معهم للحصول منهم على معلومات عن العدو وكيفية تحركه ضدنا.

مرةً قلتُ لقادر بيكەس، إن العدو يرسل إلينا ألغاماً مزروعة في أشياء باسم الهدايا، فَكُن حذراً ولا تلمس أياً منها، نرجو أن تُنَبِهنا وتُنبئنا في هذه الحالات، لدينا رفاق ماهرون ذوو معلومات دقيقة لإبطال مفعولها ودرء مخاطرها.

محاولة لاغتيالي في ١٩٧١/١٢/٢٦

في تلك الأيام أقبلَ أحد رفاقنا قائلاً أن قادر بيكەس يقول بلغوا الرفيق فاروق بأن ثمة هدية وصلته، قُلتُ له فوراً هيّا أسرع إليه وَقُل له ألا يلمس أي شيء ريثما أصل. كانت المسافة بيننا وبين المقهى لا تتجاوز مئة أو مائة و خمسون متراً، هُرعت بدوري إلى المقهى، في منتصف الطريق سمعت دويّاً هائلا ورأيت الدخان والنار يتعاليان في السماء. بعد مدة تبين أن المحاولة كانت تستهدفني.

لَقي بعضُ الأشخاص مصرعهم في هذا الحادث وَفَقَدَ البعضُ أبصارهم فيما أصيب آخرون بجروح بليغة وطفيفة. رَوى لنا الحاضرون أن قادر بيكەس قد قال، لأفتح الهدية المُرسَلة إلى كاك فاروق وأعرف ما فيها، انفصل رأسه عن جسمه لأنه كان الشخص الأقرب إلى المظروف الملغوم، وأصبح شهيداً لدرب تحرير هذا الشعب. وفَقَد الرفيق سامي فَيلي إحدى عينيه في الحادث.

وفي تلك الأيام أيضاً تم تفتيش سيارة في سيطرة بَرزيوه (بەرزيوه)، وهي أول نقطة تفتيش لقوات البيشمركة على طريق رواندوز باتجاه مناطق كوردستان المحررة، وصلتنا هويةُ سائقها لاحقا. وجد المفتشون في صندوق سيارته حقيبة، فسألوا السائق عن وجهته ومقصده فأجاب إنه شيوعي وذاهب إلى ناوكيلكان، فطلبوا منه أن يفتح الحقيبة، فلم يمتثل السائق لأمر البيشمركة فاضطر الأخير إلى فتحها بنفسه، للأسف انفجرت الحقيبة وأودت فوراً بحياته، ولاذ الجاسوس الحكومي بالفرار، وأدركه الآخرون وَأردوه قتيلاً.

أدى تواجدنا في ناوكيلكان إلى خلق مشاكل مختلفة لنا وللثورة أيضاً. كانت ناوكيلكان تقع على الطريق الوحيد المؤدي إلى كَلاله وحاجي عمران وقرى وقصبات المنطقة، حيث تواجدت في أكثرها مقرات سياسية وعسكرية للثورة. في سنوات بيان ١١ آذار، فُتِحَت أبوابُ المنطقة على مصاريعها لمرور كل الناس ولكل من هبَّ ودبَّ. من جانب يَسَّر هذا الانفتاح المروري المجالَ لوصول رفاقنا إلينا ومن جانب آخر أصبح بإمكان العدو أن يصل ويتسرب إلينا بسهولة.

أما بالنسبة إلى الثورة فقد خَلَقَت الطريقُ مشاكل عديدة لها مع حكومة البعث، فهم أي الحزب الديمقراطي الكوردستاني في سلم ووئام مع الحكومة بل يتعاونون معها ولهم وزراء في حكومة بغداد وإدارات مدن كوردستان، وفي الوقت نفسه فإن وجودنا وتمركز مقرنا على تلك الطريق الوحيدة خلق نزاعاً ومشكلة لموقف الحكومة تجاه الثورة، لكوننا نعادي الحكومة ولنا فعالياتنا ونشاطاتنا ضد حكومة البعث في كوردستان والعراق عامة، وحذرت الحكومة الحزبَ الديمقراطي الكوردستاني من تلك الوضعية، وبلا شك كانت تطالبهم بوضع حد لفعالياتنا وتحركاتنا.

رداً على سياسة الترهيب والألغام المرسَلة إلينا كنا نرد على هجمات الحكومة بالعديد من العمليات والفعاليات الثورية حسب الإمكانيات المتوفرة لدينا، بخاصة في بغداد إذ قمنا بهجمات على مقراتِها العلنية والسرية بالرصاص والقنابل، وألحقنا بها أضراراً جسيمة، وحاولنا توسيع رُقَع ومساحات فعالياتنا بخاصة في أرياف وسط وجنوب العراق والتهيؤ للكفاح المسلح، وجرت بيننا وبين قوات الحكومة اشتباكات ومصادمات مسلحة عدة، وبالأخص في أرياف الحلة والديوانية والبصرة.

التدريب على أسلحة مختلفة

في مقر ناوكيلكان شرعنا في تدريب قواتنا البيشمركة على نحو خاص، ورفاق الحزب على نحو عام، على تعلم استعمال الأسلحة المختلفة. كذلك كانت تجري دورات تثقيفية تلقى المشتركون فبها معلومات في شتى المجالات السياسية والاقتصادية

والتاريخية وفي تاريخ الحركة الوطنية في كوردستان والعراق بشكل عام. كنت واحداً ممن أداروا هذه الدورات، وبالأخص التدريب على آر بي جي (RPG) لكوني ضابط في الجيش سابقاً.

أشرف الرفيق الشهيد (أبو سميرة) على دروس صنع الألغام وإبطالها. كان الرفاق القادمون من تنظيمات بغداد والوسط وجنوب العراق يتلاقون مع رفاق تنظيمات السليمانية وأربيل وكركوك وخانقين ويتبادلون الخبرات والتجارب، أتذكر يوماً لا أنساه، حين قَدِمَ إلينا أربعة رفاق من منطقة شوان للاشتراك في دورة التعلم وكانوا من مواطنين قرى التابعة للمرحوم (حَمَه سور) رئيس الطرف الثاني لطائفة (حَقه) ولسنتين متتاليتين، بعث إليّ حضرته عن طريقهم سبحات مصنوعة ومنظومة من البطم الجبلي، مع تحاياه إلى القيادة المركزية.

وكان فخري (خليل الغزالي) رفيقاً مثقفاً وشجاعاً ترك الجامعة في منتصف دراسته في كلية الطب –جامعة بغداد و فَرَّ من جور البعث، أصبح مسؤولاً عسكرياً لمركز ناوكيلَكان وظل مسؤولاً بعد أن نَقَلْنا القسمَ الأكبر لمقرنا من ناوكيلَكان إلى (كاني سبيندار). أدى فخري أعماله وواجباته ببسالة وكان أحد معلمي الدورات التدريبية.

قَدِمَ إلينا رفيقٌ باسم حركي مستعار (مهدي) من تنظيم جلولاء (قَرَغان) للتدريب لمدة شهر. ذات مساء اختفى في أثناء تناول العشاء على سفرتنا الجماعية، بعد التحري تبين أنه مُضرب عن الطعام، لأن الرفيق فخري الغزالي عاقبه بجلب ثلاثة أحمال حطب من الجبال القريبة من مقرنا. قال رفاقنا إن الرفيق فخري عاقبه لأنه أكول. أحزنني هذا الحادث، وناديتُ الغزالي وانتحيت به جانباً وأفهمته أن مؤونتنا وموادنا الغذائية لا تساوي شيئاً حتى تُعاقِبَ عليها رفيقاً لإفراطه في الأكل، ومهدي يحضر الدروس والتدريبات كلها ويبقى ضيفا لدينا لمدة شهر لا أكثر. فقال فخري ضاحكاً: تناول مهدي حصة أربعة أو خمسة أشخاص من الصمون والعدس، وهذا ديدنه، ينبغي أن يُمَرِّن نفسه على نحو آخر!

وعلى المنوال نفسه أعاد مهدي الكرة وتغيب عن موعد الغداء مدة ثلاثة أيام. وقد تساءلت كيف لهذا الرفيق ذو القامة الطويلة أن يتآلف مع الجوع ورجوت بعض الرفاق الاستعلام إلى متى سيستمر إضرابه؟ فأجابوني بوجوه ضاحكة، لا تَغتَم يا رفيق فهو يذهب في فترة استراحة الظهيرة إلى ضفاف النهر وهناك يقتل سرطانات ويستخرج لحمها ويلتهمه بشغف ولذة.

أنهى الرفيق مهدي عمله وعاد من حيث أتى، واتضح لنا لاحقا أنه في وضع مالي جيد، فأرسل من هناك خمسين زوجاً من الأحذية الخاصة إلى ناوكيلَكان تعبيراً عن شكره الجزيل وحبه العميق لرفاقه.

لمزيد من الحديث عن حياتنا في مقرات الحزب أقول، أمضينا الحياة نقتات على أبسط وأرخص الأغذية ولكن ممزوجة بمتعة ولذة.

في بعض الأحايين كان صيد السمك من النهر الجاري أمامنا مصدراً آخر لغذائنا، وكان الصيد عملاً بسيطا في موسم الصيف ويغدو أمراً غريباً في الشتاء. ففي عز الشتاء وصلابة الجليد، كان بعض رفاقنا يرمون رمانات يدوية في عمق النهر ويسبحون في الماء البارد بحثا عن الأسماك ثم يقذفون بها إلى حافة النهر لتشوى على الأحطاب. كان بطل هذا النشاط المتكرر رفيق من جنوب العراق يدعى (جاسم).

أما الحديث عن الفرن الذي بناه الرفيق مصطفى جاورَش مثل بَناء ماهر، وصمونه وخبزه الحار فلا ينفد أبداً. كان لصمونه وخبزه الشهي نكهة خاصة قَلَّ مثيلها، وبالأخص في الصيف وكنا نأكله مع الطماطم الطرية الطازجة التي يأتي بها الرفيق (عهزه رهش).

كانت تصل ناوكيلكان باستمرار أعدادٌ من الرفاق الهاربين أو من الذين قدموا إلى مقر الحزب للشؤون التنظيمية والانضمام إلى البيشمركه من بغداد وباقي المحافظات العراقية الأخرى. وكان بعضهم أعضاء حزبيون انقطعت علاقاتهم بتنظيماتهم بسبب حملات البعث على الشيوعيين، لأن أغلب التنظيمات تعرضت للضربات وزج بعدد كبير من الرفاق في غياهب معتقلات البعث.

ظهر من بين هؤلاء الهاربين عدد من مجهولي الهوية، إذ لَم يعرفهم الرفاق المتقدمون، فقد حاولت أجهزة البعث إرسال الجواسيس من كل حدب وصوب لزرعهم بيننا، وكان الخوف والرعب وراء سقوط ومجيء بعضهم، انقسموا إلى ضربين: ضرب أفشي بالحقائق والأسرار لدينا، وآخر أخفي نفسه لفرصة مواتية كي يلعب دوراً خبيثاً ومعاديا ضدنا.

في تلك الظروف المعقدة أشاعوا برعاية العضو القيادي خضر سيد سلمان (أبو جعفر)، أقاويل وتحركات منافية لنهج الحزب والعلاقات الودية، قامت على أن قيادة فرع كوردستان لها ارتباطات خفية بالحزب الديمقراطي الكوردستاني.

عقدنا نحن من الرفاق الكورد والعرب أكثر من مرة اجتماعات علنية عامة معهم وطلبنا منهم الكف عن ترويج مثل هذه الأقاويل والتصورات الخاطئة، لكنهم أعطونا الأذن الصماء ولم يغيروا سلوكهم بأي شكل من الأشكال. كان لـ(أبو جعفر) مسؤولياته عن تنظيمات بغداد والوسط ولعب دورا تخريبيا في غاية الوضوح. كان كورديا من أهالي زاخو وذا حياة حزبية مديدة ونضال طويل، لكن أفعاله وتصرفاته أثارت الريبة حول ارتباطه بأجهزة الحكومة. وما زاد من شكنا هو تغيبه وتواريه عن الأنظار بين حين وآخر ويبرر ذلك بانشغاله بتنظيمات الحزب في بغداد. وصادف أن كان الرفيق ابراهيم علاوي خارج الوطن في تلك الأوقات، بهدف زيارة الصين واليمن وسوريا لترسيخ الروابط السياسية والأممية للحزب. طلب الرفاق من مثيري الشغب هؤلاء أن يخرجوا من مقر ناوكيلَكان، فابتنوا سقائف (كبرات)[١] على النهر قريباً من القرية. حرصنا على إبقاء العلاقات معهم واستطعنا أن نعيد بعضهم إلينا بواسطة تزويدهم بالأسلحة والذخائر والمؤن، ومع ذلك دام انفصالهم حتى عودة الرفيق إبراهيم علاوي من الخارج.

ما أثارَ انتباهَنا واستغرابنا هو استشهاد مجموعة من رفاقنا في الفرات الأوسط تزامنا مع محاولة الانشقاق تلك.

---

[١] كَبر: كلمة كوردية شاعت بين العراقيين، وهي سقيفة تُبنى في الصيف من الأشجار وأغصانها وفروعها. (المترجم)

بصفتي مسؤول علاقات الحزب مع الحزب الديمقراطي الكوردستاني حضرت جلسة أبلغني فيها الأخ مسعود البارزاني أن لديهم معلومات وافية تؤكد أن بيننا شخصا قيادياً متقدماً قد تم تجنيده سرا وأصبح رجلاً للحكومة. لما عاد الرفيق إبراهيم أطلعته على الخبر فقال لي وما رأيك أنت؟ قلتُ له: كنت أشك في تحركات هذا الرجل قبل أن يُطلعنا الأخ مسعود على تلك المعلومات.

نجم خلاف كبير مع (أبو جعفر) بسبب قيامه بأرسال عدد كبير من الأسلحة التي عانينا صعوبات بالغة في الحصول عليها، إلى الفرات الأوسط بلا وجود أي خطة، فأدى بالنتيجة إلى فقدان الأسلحةِ واختفاء أثر ومصير نُخبةِ من رفاقنا المناضلين.

من جانب آخر، تطورت واشتدت مؤامرات وهجمات الحكومة علينا وعلى مقر ناوكيلَكان وأصبحنا نعاني من مخاطر إرسال مشبوهين كُثُر، لذا قررنا نقل مقرنا الرئيس مع إبقاء ناوكيلكان مقراً مصغراً. وفي جو حزين وكئيب نقلنا مقرَنا إلى قرية كويزان (گوێزان)، قرية كانت على الطريق الترابي بين (كَلاله و شيركاوا) باتجاه بارزان.

وحصلنا في قرية (كويزان) على بضع دور وزرائب للحيوانات، بذلنا جهداً جهيداً لتنظفيها إلا اننا وجدناها مليئة بالقمل والبرغوث ورائحة روث البهائم وفضلات الخيول.

حين دخلنا قرية (كويزان) عولج موضوع انشقاق ناوكيلَكان. في أعالي قرية (دارالسلام) وأسفل قرية (كويزان) بدأنا ببناء قرية لنا بين تلك الجبال بعيداً عن القرى، أنهينا العمل في وقت قصير معتمدين على جهودنا وسواعدنا ومهاراتنا في الأمور الهندسية. كان جارنا الوحيد من بين القرويين هو العم أحمد الذي أقام مع زوجته وابنته الوحيدة وسط مزرعته في أعالي قريتنا.

اشتمل مقرنا، فضلاً عن قاعات عدة وغرفة كبيرة وأخرى صغيرة، على غرفة للمطبعة، وأخرى للحمام وبضعة مرافق صحية ومخبز ومطبخ وغرفة أشبه بمقهى.

استأجرنا قطعة أرض زراعية ذات مساحات واسعة على غرار ما كان لنا في ناوكيلَكان، وانهمك مسؤول المقر الإداري الرفيق المرحوم (عەزه رەش) في الأمور الزراعية بشتى أنواعها في مرابعنا الجديدة عاونه في ذلك رفاق آخرون.

طرأ تغير واضح على حياتنا ومكان استراحتنا وعاودنا نشاطنا وانصرفنا لتنظيم أمورنا. ابتعدنا عن الطريق العام، وكان في أعلى موقعنا ومقرنا درب وحيد ترابي يمر من هناك إلى كَلاله وبارزان، كنا نستقبل رفاق التنظيمات وَنَمورُ ونضجُ بالحركة ونشاط أشبه بخلايا النحل.

أدت لجان محلية أربيل وبادينان وكركوك والسليمانية وخانقين المهام الحزبية والجماهيرية بشكل أكثر تماسكًا من ذي قبل، وَقِس عليها نشاطات رفاق مناطق بغداد والوسط وجنوب العراق.

وَضَعَنا حضورُ سكرتير الحزب في المقر ومراجعةُ الخلافات المختلقة في السابق أمام مسؤوليات كثيرة. بعد تحقيقات دقيقة عن أصل الوثائق والشهود واعتراف بعض الخَوَنة تيسر لنا تبديد الشكوك للرد على بعض قادة اللجنة المركزية الذين جعلوا من أنفسهم محامين يدافعون بدعاياتهم وكلامهم وكتاباتهم عن أبي جعفر ويسكبون عليه الدموع. سأكتب هنا الحقيقة: حين قبضنا على جاسوس كبير من جواسيس حكومة البعث اختفى أبو جعفر على الفور واتضح انه هرب ولاذ بالحزب الديمقراطي الكوردستاني للحفاظ عليه. طلبنا من الحزب الديمقراطي تسليمه إلينا لنجري معه بعض التحقيق وقلنا إنكم أبلغتمونا آنفا أن له ارتباطات سرية وخفية بالحكومة العراقية، فقالوا في جوابهم، هذا صحيح، لكنه التجأ إلينا وبوسعكم أن تحققوا معه لدينا وبحضورنا. أبينا ذلك ولَمْ نقتنع بكلامهم وكان سببنا الرئيسي هو ألا ندع ونسمح للباراستن (جهاز استخبارات الحزب الديمقراطي الكوردستاني) بالتغلغل في صفوفنا من خلال ما سيطلع عليه من أسرار عملنا الحزبي في حال إجراء التحقيق بوجودهم ومقرهم، وعليه ظل محتجزاً لدى الحزب الديمقراطي الكوردستاني.

في تلك الأيام كانت اللجنة المركزية في غمرة الحوار والدخول إلى الوزارات والجبهة الوطنية للبعث. وقد انكشف فيما بعد أن (أبو جعفر) قد اتصل بهم في (بَرسيرين) حسبما ذكره الأخ كريم أحمد في مذكراته، وجاء متخفياً إليهم أو إلى الحكومة في صدر سيارة (بيكاب) لِنَقل المرمر عبر طريق (كلاله) وانحدر نحو جهة الجنوب. وكان

لابد من أن يمر أمام مقرنا الصغير الذي أبقيناه في ناوكيلَكان. وكان يُخفي بيشماغه الطرف الأعلى من وجهه كيلا يراه ويعرفه الرفاق، لكنهم شاهدوه ولاحقوه بدون أي إيعاز رسمي وبدون أية أوامر مسبقة من الحزب بذلك وأطلقوا عليه الرصاص قرب قرية بَرسيرين مركز ومقر اللجنة المركزية. ولَم يكن دافع الرفاق الموجودين وراء ذلك سوى الحماس والحسرة على استشهاد بعض رفاقنا في منطقة الحلة والديوانية، وَتَرَكَز الشك في مسؤولية (أبو جعفر) وضلوعه في ذلك، بدليل أنه لجأ إلى الحزب الديمقراطي الكوردستاني، بصفته السلطة الرسمية الحاكمة في المنطقة، فورَ إلقائنا القبض على الجاسوس البعثي الكبير المشار إليه.

أسهبتُ في سرد هذا الموضوع كرد على الذين نشروا الحادث وتطرقوا إليه على نحو آخر بعيد عن الصحة (وأغلبهم قادة في اللجنة المركزية)، الذين لَمْ يولوا أي اهتمام بمقتل عشرات الرفاق على يد البعث وأجهزته القمعية بقدر انصرافهم إلى تناول ذاك الموضوع، لأنهم كانوا منتشين بعرس اتفاقهم مع البعث.

ومن أجل الحقيقة التاريخية أذكر أن الرفيق إبراهيم علاوي كان أشدُنا وأكثرنا حزنا على ذلك القتل غير المدعوم بأي قرار. ولم يهدأ له بال إلا بعد عام ٢٠٠٣ وسقوط صدام، حين اطّلعَ على ملفات الأمن التي ثبتت صحة كافة الشكوك بخصوص (أبو جعفر).

مقابل (أبو جعفر) قبض الحزب الديمقراطي الكوردستاني على رفيقين لنا وَلَم يكن أحدهما على علم بالحادث بتاتاً وصار ضحية حكم عاجل ومتسرع للحزب الديمقراطي الكوردستاني وأقدموا على هذا الفعل بلا أي اعتبار لعلاقاتنا معهم فأعدموا مع الأسف. ألف تحية إلى روح الشهيد رشيد مخموري وكادرنا الحزبي المتقدم الرفيق حسين (عبد الرزاق).

ما فعله الحزب الديمقراطي الكوردستاني كان بعيداً عن العدالة وتقدير علاقة حزبين متعاونين معاً، حيث قاموا بإعدامهما بدون إجراء أي تحقيق معهما وبدون إعلامنا وإخبارنا قتلوا هذين الرفيقين ولم يكن لأحدهما، كما أسلفت، أي علم بالموضوع لا من قريب ولا من بعيد.

الطباعة والمطبعة وأول لقائي مع مام جلال

كان لقائي وعلاقتي الأولى بمام جلال في عام ١٩٦٨، وجدته أنسانا ذو أفق مفتوح ورائق، رجل مثقف ومحب للأدب بل أديب وكاتب لامع، سياسي متواضع بلا تكبر ولا ترفع.

أصبح مام جلال صديقاً مقرباً لمجموعة من الشخصيات الفكرية والسياسية من مناضلي إيران عملوا في منظمة ماركسية لينينية ملتزمة بالخط الفكري والسياسي لماو تسي تونغ.

وعن طريقه تقربت إليهم ومن تنظيمهم: المنظمة الثورية لتودة إيران، وكان الدكتور جلال والدكتور إبراهيم وإسماعيل من قادتها البارزين. كان الدكتور جلال طبيباً اسمه الحقيقي كورش لاشايي. حملت صحيفتهم اسم (ستارەی سورخ) أي النجمة الحمراء وبدا عليها طابع الفكر الماركسي – اللينيني واضحاً.

على الرغم من النتائج والعواقب المحزنة لحياة بعض هؤلاء المناضلين الشجعان فأن ذلك ليس دليلا على خطأ الخط الذي انتهجوه، كما أن النصر أو تسنم زمام الحكم ليس دليلا على صحة أي حركة وتقييمها تقييماً صائباً ونابعاً من وجدان حي. كان دورهم في تلك الفترة وعملهم الجدي هو لتطوير الوعي والثقافة الطبقية والشعبية واقعياً وبشكل سليم وواضح. المهم هو مدى قدرتهم في تلك المرحلة لدفع منظمتهم وتنظيمهم إلى الأمام على نحو واضح وبارز، ومقدار الخدمة التي قدموها إلى قافلة ومسيرة نضال وكفاح شعبهم.

* * *

كان اجتماعي الرسمي الأول مع هؤلاء الرفاق ممثلاً عن الحزب الشيوعي العراقي – القيادة المركزية، في كركوك في بيت رفيقنا الشهيد المحامي فتح الله عزت واستغرق أياماً بلياليها. كان بيت الرفيق فتح الله في حي إمام قاسم، وكان للدار بابين يطل كل واحد منهما على زقاقين مختلفين. وتألف وفد رفاق المنظمة الثورية من السادة الدكتور جلال والدكتور إبراهيم وإسماعيل.

تناولنا بالتفصيل العلاقة بين الحزبين والحركة الشيوعية في العراق وإيران.

تقاربت آراؤنا بصدد المخاوف من التحريفية العالمية الكبيرة على الحركة الشيوعية والاشتراكية في العالم، وحول تقييد حرية الحزب والمنظمات الحزبية في العالم وربطها بمركز انحصر في الحزب الشيوعي السوفيتي، على غرار ما وجد لدى الحزب الشيوعي العراقي الذي أصبح في ارتباطاته وعلاقاته تابعا للنهج السوفيتي التحريفي بعيدا عن النهج (الماركسي – اللينيني)، وراح بمجاراته المركز وإطاعته العمياء لتنفيذ ما يصدر منه من الأوامر والنصائح يُلحق الضرر الكبير بالحركة الشيوعية المحلية والعالمية، ومن أبرز ما أدى إليه هذا النهج انهيار أنظمة أوروبا الشرقية والاتحاد السوفيتي، والخواء الفكري والتخبط السياسي الذي تعيشه تنظيمات الحزب الشيوعي العراقي وحزب توده الإيراني والأحزاب المماثلة على صعيد الحركة الشيوعية العالمية.

قادة المنظمة الثورية الإيرانية كانوا أصدقاء مام جلال كانوا يقدرونه ويشكرونه لدعمه وعونه الكثير للجبهة. تحدثنا أيضاً عن طباعتنا ومطبوعاتنا، توفرت لديهم أجهزة جيدة إذا قيست بمعايير ذلك الزمان.

وأخيراً تبين لي أنهم تحدثوا مع مام جلال حول اجتماعنا وأبدوا لديه ارتياحهم بالتعرف علينا وتطرقوا إلى الحديث حول تزويدنا بمطبعة.

جهاز الطباعة والمطبعة

مرت مسيرتنا النضالية في القيادة المركزية بمشاكل ومعوقات وحالات عوز وضائقة مالية ونزاعات وخصومات مختلفة. ومع القتل والمصائب التي دهمت قيادة الحزب، خاصة في بغداد، بعد الانقلاب الدموي الثاني للبعث في العام ١٩٦٨، امتدت وتوسعت حملات البعث وشملت أجهزة المطابع ومؤسساتنا الإعلامية.

لم يكن في كوردستان سوى أجهزة طباعية قليلة بالرونيو وتعرضت خلال مشاكل مصلح مصطفى، إلى التلف والضياع إلى حد أننا اضطررنا حين قررنا

إصدار بيان خاص بطرد مصلح، إلى طبعه بآلة عبارة عن إطار خشبي تُشدُ عليه قطعة قماش (كريشه) وكان الإطار أكبر من ورق A4 للكتابة بقليل، نكتب عليها الموضوع على ستنسل ونلصق الستينسل على الإطار، ونسكب عليه الحبر ونسحب عليه (رولة) بقدر سعة عرض الجهاز، كنا نطبع ورقةً بهذا الشكل وتتلوها الأوراق الأخرى على هذا المنوال.

وطبعنا أعداداً من صحيفة (ريكاى كوردستان) أي (طريق كوردستان) بهذا الشكل. كان الرفاق الذين عاونوني في تلك العملية حامد شيخ حَمَه نوري، وملا عزيز، وعلي كريم. بعدها حصلنا على أجهزة رونيو عديدة وانتفت حاجتنا إلى الإطار!

الطباعة والمطبعة الجديدة

في لقائي الأول مع مام جلال، بعد الاجتماع الذي عقدناه مع رفاق المنظمة الثورية، قال مام جلال: لدينا جهاز طبع قديم يسرني أن أهديه إليكم، وشكرته بدوري. تستحق حكاية الجهاز وتسلمه وإيصاله إلى مقر الحزب أن تروى.

لإنجاز العملية زرتُ السليمانية مختفياً، على نحو الزيارات السابقة وصلتُ سرجنار ليلاً وتسللتُ إلى المدينة ودلفت من الباب الخلفي إلى بيت صديقي سردار مصطفى الذي كان عضوا في الحزب ويعمل بجد ووفاء، وكنا صديقين منذ الصف الأول الابتدائي في مدرسة الفيصلية، زوجته (ألوَن) الأخت الجليلة ذات المنزلة الاجتماعية الرفيعة أسدت إليّ خدمات كثيرة وجليلة في وقت كانت تعرفُ تمام المعرفة بأنني محكوم بالإعدام حكماً غيابياً.

كنا معاً في مراحل الدراسة إلى سنة تخرجنا من كلية التجارة والاقتصاد في جامعة بغداد. بعد ثورة تموز ١٩٥٨، انتمى سردار إلى الحزب الشيوعي العراقي. في الليل فَتحتُ موضوعَ جهاز الطبع وتَسلُمه وإخفائه لعدة أيام ثم نرزمه جيداً لأنقله على ظهر بغل إلى خارج المدينة. فقال سردار إن بيتَ والدتي في حي العقاري هو أحسن وآمن بيت ملائم لذلك.

كانت والدته عائشة خانم وأخته نسرين تعيشان وتقيمان معاً، بعد أن أفهَمْنا نسرين، ركبتُ ذات ليلة سيارة سردار الجديدة (من نوع أوبل)، بدون أن يكون له علم بالمكان الذي سأجلب منه جهاز الطبع وبدون أن يستفسر أو يسأل. كان ينتظرني في منزل والدته. كانت المطبعة مُخبأةٌ في بيت صديقنا الراحل العزيز الأخ حَمَه جاوشين: كانت عبارة عن جهاز طبع ثقيل وقالبين كبيرين، على ما أتذكر، كان كل واحد منهما بأبعاد ٦٠ X ٨٠ سنتمتراً، وكل طبقة تحتوي على ألف خانة صغيرة، صُنِفَت فيها الحروف، وكان لأغلب حروفها ثلاثة أنواع: على سبيل المثال، كان لحرف العين ثلاثة أشكال (عـ، ـعـ، ع) لبداية الكلمة ووسطها وآخرها. واستطعنا أنا وكاكه حَمَه وشقيقه طه أن نلملم أقسام وأجزاء الجهاز ونضعها في الصندوق الخلفي وعلى المقعد الخلفي لسيارة سردار وعدت بالسيارة إلى بيت سردار.

كان حَمَه جاوشين، أي (محمد ذو العين الزرقاء) شيوعياً من الإعدادية وتعود معرفتي وصداقتي به إلى تلك السنوات وكنت أعزه وأحترمه. وقد انضم في فترة لاحقة إلى صفوف الحزب الديمقراطي الكوردستاني ثم إلى الاتحاد الوطني الكوردستاني. أنزلنا جهاز الطبع في بيت نسرين مصطفى مظهر. هي وسردار عاوناني كثيراً، أنزلنا الجهاز ثم أخرجنا الحروف من القوالب والخانات، وَفصلنا لها أكياسا من الأقمشة ووضعنا كل نوع في كيس خاص.

بعد انقضاء أيام اتفقت مع الرفيق أحمد حَمه صالح عضو اللجنة العمالية للحزب في السليمانية الذي ارتقى بعد سنوات إلى عضوية لجنة محلية السليمانية، ونقلنا جهازَ الطبع إلى خارج المدينة بسيارة (فولكس واغن) قديمة الرفيق أحمد. وهناك وبالاشتراك مع جمال علي فائز ورفيق آخر، حملنا الجهاز على ظهر بغلين أعدا لهذا الأمر، وبدأنا السير مشياً على الأقدام وأوصلناه إلى مقر حزبنا في قرية (كويزان) بخمسة أيام بلياليها.

* * *

أفرحَ وصول الجهاز رفاقنا في مقرنا بقرية كويزان. وشرعنا فوراً في إعداد مكان مؤقت للمباشرة بتعليم بضعة رفاق لينصرفوا إلى شؤون المطبعة وتنضيد الحروف

وتحويلها إلى كلمات وتثبيتها على القوالب الحديدية لطبع الأوراق، ورقه تلو ورقة. قلت (مكان مؤقت) لأن الرفاق كانوا منشغلين بتشييد بناية للمقر في كاني سبيندار (أي نبع سبيندار) قرب قرية كويزان.

مؤتمرات الحزب في تلك السنين

مؤتمر تنظيمات محافظة السليمانية

بعد إقصاء وطرد مصلح من الحزب، قررنا عقد مؤتمر لتنظيمات محافظة السليمانية على نحو عادي وطبيعي لتسيير وتطوير التنظيمات.

في شهر تشرين الأول ١٩٧٠، عقدنا مؤتمراً بين تلال بحيرة قضاء دربندخان دام يومين وليلة واحدة. وقمنا بصياغة الخطة المستقبلية لتوسيع حزبنا وتطويره في محافظة السليمانية. نوقشت وحدة الحزب والاعتناء بالتطوير الفكري للخلايا واللجان بصورة عامة والخط الثوري للحزب في كوردستان والعراق قاطبة – أديرت شؤون المؤتمر بإشرافي أنا كمسؤول لفرع كوردستان، وشيخ علي برزنجي عضوا للفرع.

ولأن كتابة وتسجيل هذه المذكرات تأتي بعد مرور عشرات السنين وأعول فيها على الذاكرة، لذا فقد تخونني هذه الذاكرة فأستميح العذر ممن كان حاضرا من الرفاق ولم أورد أسمه.

أذكر من الحضور: الرفاق حامد شيخ حَمَه نوري، حَمَه غريب رشيد، أحمد حَمَه صالح، شيخ محيي الدين، ملا عزيز، أكرم محمد أمين (أكرم حَبسه)، ملا رؤوف، فاتح، أستاذ ظاهر، حَمَه كريم، ياسين، حَمَه فرج بانيبي، أحمد حاجي علي، عَلَه رَش (أي علي الأسود)، درويش، حَمَه أمين رشيد البريد... الخ.

وفي الختام انتُخِبَت لجنة محلية جديدة مكونة من: حامد شيخ محمد نوري، وحَمَه غريب رشيد، وشيخ باقر برزنجي، ورفاق آخرون.

بعد إتمام أعمال المؤتمر شهدت تنظيمات السليمانية تقدماً ملحوظاً.

مشهد لا ينسى من ذكريات السنين

سبق لي أن نشرتُ وصفاً لتلك الذكرى باسم مستعار (زَريا) في إحدى المجلات. استذكاراً لها أعيد تدوينها مع ذكر الأسماء الحقيقية لشخصياتها.

كنا في مقر قيادة الحزب قد تلقينا خبراً يفيد أن مصلح مصطفى، يكثر من إرسال تهديداته لبعض رفاقنا. وقد وَرَدَ اسمي واسم فتح الله عزت في تلك التهديدات. أنا لم أكن في متناول يده. كان مصلح آنذاك في هيئة أمن البعث الفاشي في كركوك، أما الرفيق فتح الله عزت، فكان محامياً بارزاً ومشهوراً في كركوك، وفي الوقت نفسه كان مسؤول لجنة محلية كركوك لحزبنا سراً، وعضوا لفرع كوردستان أيضاً. ارتأيت على الفور لحظةَ سماع الخبر أن أهرع إلى السليمانية وأرسل في طلب فتح الله عزت. في وقت مبكر من الصباح انطلقنا أنا والرفيق أكرم حَمَه أمين (الشهيد أكرم حَبسه) من مقر الحزب في (كانى سبيندار) قرب قرية (كويزان) نحو (كَلاله) ومنها إلى قرية (وَرتى). كان الثلج يسقط بغزارة ولم يُبقِ إلا بعض النقاط السود على الجبال والدروب، فتشكلت منه لوحة بيضاء كبيرة. بعد مسير أربع ساعات أو أقل على الأقدام عرجنا ظهراً على بيت مختار القرية كويخا عبدالله.

سرنا بعدها أربع ساعات في الطريق. على مقربة من تلك القرية التقينا بأربعة رفاق كانوا قد اجتازوا لتوهم الطريق الوعر المعروف بـ(زينو أستيركان) الذي كان علينا اجتيازه. وحين لمحونا ننوي السير في ذلك الطريق، لم يسألوا أولاً عن صحتنا وحالنا ومقصدنا بل نظروا إلينا مندهشين مذهولين، وأراد أربعتهم أن يسألوا سؤالاً واحداً، قال الرفيق طارق حاجي سعيد: "إلى أين تذهبان وسط هذه الثلوج الغزيرة والجو الغائم المضبب؟!" وفي هذا الوقت المتأخر من العصر؟! لن نسمح لكما أن تذهبا نحو (زينو وبلنكان) لأنكما لن تواجها سوى الموت ولن تجدا من ينجدكما، هيا لنرجع إلى هذه القرية القريبة. امكثا معنا الليلة إلى أن ينجلي الوضع صباحاً."

كان يوماً شتائياً رطباً، والثلج يهطل بغزارة وشدة، لم يعهد القرويون مثيلا له منذ سنين طوال.

غطي الوديان والجبال الشامخة والغابات والسفوح والقمم بدرجة لَمْ تكن تبصر بينها بقعة صغيرة من السواد، وامتلأت أغلب الوديان بانهيارات وتراكمات ثلجية.

لم نذعن ولَمْ نستجب لكلام رفاقنا، توغلنا في الدرب آملين أن نقتفي أثر خطاهم في نزولهم ونهتدي بها، تسلقنا المرتفع واشتد انهمار الثلج أكثر، وكلما صعدنا المرتفع جمَّد الهواء القارص أنفينا ووجهينا، فعصبنا رؤوسنا ووجوهنا بأشمغتنا ومضينا بتسلق المرتفع.

قال أكرم: لم أخش في حياتي من شيء، إلا أن هذا الثلج يخفيني ويرعبني كثيراً، أخشى أن نضل الدرب، ولا أعتقد أن أحدا آخر يمكن أن يسلك هذا الدرب المخيف في هذا الوقت المتأخر.

لا أريد أن أقول إنني كنت أشجع من أكرم، لكنني كنتُ أعرف لِمَ ينبغي أن نسلك هذا الدرب ونقطعه في هذا اليوم الثلجي العاصف، لهذا قلت له في ضحكة مصطنعة: يا أخي نحن سلكنا معاً هذا الدرب عشرات المرات ونعرف أشجاره وصخوره، ألم نَقُل كل مرة لو ربطوا عيوننا ودفعونا نحو تلك الدروب فلن نتيه أبداً؟ قلتُ هذا الكلام، وكانت آثار أقدام رفاقنا الذين لقيناهم عند قرية وەرتي، قد اختفت تحت ركام الثلوج المنهمرة، وَلَمْ يكن بوسعنا العثور عليها. وبدأ الثلج المتساقط يمحو شعاب الدرب كلها. والأنكى من ذلك، وما زاد من مخاوفنا من أن نضل الطريق، هو تكاثف الضباب الذي حال دون رؤية أكثر من بضعة أمتار أمامنا.

كلما خطونا خطوات غاصت أقدامنا في أعماق الثلوج لتنتزع فردة من حذائنا الخفيف غير المبطن ولنضطر إلى أن نجثو ونمد الذراعين بحثاً عنها لنلبسها وهي مملوءة بالثلج. من جديد ونخطو خطوات أخرى. وكانت بقايا الثلج في أحذيتنا تذوب وتستحيل ماءً مثلجاً أثناء تحركنا من جديد يجمد أصابع أقدامنا، وبعد مدة كان دفء القدم يجعل الماء فاتراً، ولولا تسرب الثلج من جديد إلى الحذاء، لقلَّت ضراوة الدرب بذلك الدفء القليل.

بصعوبة بالغة تغلبنا على وعورة وارتفاع الطريق، ودنونا من قمة جبل (زينو).

وحسب تقديري لَم يبق أمامنا غير مائـة مـتر لبلـوغ القمـة، وفجـأة لمحنـا شـيئا اسـودّ أ مامنا، وارتبنـا ثـم سـارعنا إلى تلـك السـوادة في هـدوء، فأبصـرنا شـاباً متمـدداً علـى ظهره، يرتدي سروالاً وقميصاً ومعطفاً قصيراً وقد أرغمه الـبرد القـارص في تسـلقه إلى القمة من الجانب الأخر على أن يلف رأسه ويشده بيشماغه. كان واضـعاً يـده اليمنـى على قلبه وقد انقطعت أنفاسه. حرَّكنا جسده كـثيراً ولم يجد ذلـك أي نفـع. يبـدو أن الإرهاق والبرد الشديد أثناء صعوده قد بلغا أشـدهما وأنهكـاه واسـتنزفا قـواه تمامـاً حين ارتقـى قمـة جبـل زينـو (زينـو أسـتيركان) وضـربته الـريح العاتيـة الدائمـة. هنـا تصبب العرق من أجزاء جسمه وجمدته الـريح ولفـظ أنفاسـه الأخـيرة فـوق قمـة ذلـك الجبل العظيم.

حدق فيه أكرم بشفقة وعطف شديدين ورفـع رأسـه ونظـر إلـي نظـرة تستفسـر مـا الـذي يجـب أن نفعلـه؟ أنـا بـدوري وبإحسـاس مماثـل ألقيـت نظـرة أخـيرة علـى هـذا الشاب البائس الذي فارق الحياة، واضطررنا إلى تركه حيث لا يمكننا فعـل أي شـئ في هذا الظرف الحرج، وطلبتُ من أكرم أن نحث الخطـى لأن الليـل قـد حـلَّ وأظلـم تمامـاَ وأمامنا مسافة ساعتين للوصول إلى قرية (بلنكان).

حلّ الظلام لكن الدنيا اشتدت بياضاً، وكان حديثنا في درب هذا الجانب مـن الجبـل منصباً على الشاب وتجمده. على مقربـة مـن قريـة (بلنكـان) اسـتقبلَنا نبـاحُ الكـلاب، وبصعوبة وصلنا إلى مدخل القرية ونادينا الأخ عبدالرحمن، الـذي أصـبح بيتـه مضـيفاً يؤوينا صيفا وشتاءً كلما عرجنا علـى هـذه القريـة، فاسـتقبلَنا بترحـاب شـديد وكـلام طيب، ودلفنا إلى الغرفة وجلسنا حول المدفأة الخشـبية الـتي اتقـدت مـن كـل جوانبهـا كما الجمر. بدأنا نـدفِّئ أنفسـنا ونجفـف ملابسـنا. وعـبر التلـذذ بالبرغـل تحـدثنا عـن أهوال الدرب لكاكه عبدالرحمن. وقد سَبَقَنا كاكه عبد الرحمن في الاستفسار عـن رجـل يحمل المواصفات التي وجدناها لدى الشاب الميت.

قال: حاولتُ كثيراً معه وألححت عليه ألا يـذهب فأجـابني: يـا خـالي وكيـف يهـاب الرجل الثلجَ إن كان رجلاً حقاً.

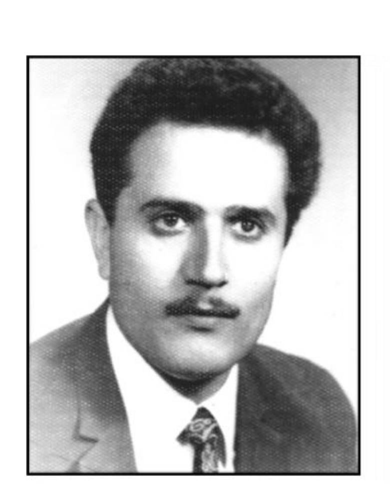
حين أخبَرْنا كاكه عبدالرحمن أن الشاب الذي تقصده أنت ألفيناه ميتاً في الجهة الأخرى للجبل، قهقه قهقهة غريبة. وقد صدق ما قاله للشاب أثناء محاولته لثنيه عن الذهاب لئلا يتجمد ويموت ولكنه لم يحمل كلامه على محمل الجد!

قلت لأكرم: آلا تعتقد أن الأصدقاء الذين حاولوا منعنا من المجيء في هذا اليوم القاسي لئلا نتجمد في الطريق، كانوا سيقهقهون على قلة عقلنا، إن كنا لاقينا الموت مثلما يقهقه كاكه عبدالرحمن الآن؟

* * *

في وقت مبكر من صباح اليوم التالي اتجهنا نحو قرية (كاني ماران) وسط تراكم الثلوج وقطعنا مسيرة أربع ساعات تقريباً، وبعدها قطعنا مسيرة سبع ساعات أخرى متباعدة نحو السليمانية تقريباً.

دنونا من المدينة ليلاً وتسللنا إليها بعيداً عن نقاط التفتيش. وفي الصبح بكرتُ في تكليف شخص للذهاب إلى كركوك، ليتصل بالشهيد فتح الله عزت، فجاء مسرعاً إلى السليمانية.



الشهيد فتح الله عزت

قلنا له وَرَدَنا خبرٌ يؤكد أن مصلح مصطفى قد هدد وتوعدنا أنا وأنت، على أثر ذلك جئتُ إلى السليمانية، لابدَّ من أن تمكث هنا، لا ترجع إلى كركوك. فقال، حسنا سأمتثل لأمركم ولكن دعوني أرجع إلى كركوك وأبقى أياما هناك لأنهي دعاوى قضائية متراكمة لديّ لمراجعين أغلبهم معوزون وفقراء، سأصفّي أعمالي وألتحق بالجبل أو أي مكان يختاره الحزب.

كان الشهيد فتح الله من أسرة ثرية صاحبة أملاك كثيرة، لم يفكر في المال والثروة وحياة

الرفاهية والرخاء والغنى. كان عضوا في الحزب الشيوعي العراقي قبل ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨. أمضى سنوات طويلة من حياته في اتحاد طلبة كركوك وكلية الحقوق في بغداد، وبعد تخرجه أيضاً ظلَّ مناضلاً جريئاً وأبياً. بعد انقضاء أيام وفي أوان الغروب قيل إنه كان ينزل من مكتبه القانوني فأحاطته طغمة لحكومة البعث وانقضوا عليه. وصاح بصوت عال، يا ناس أنا المحامي فتح الله عزت وها هم يريدون خطفي.

لَمْ يصلنا أي خبر منه، أكيد أنه قد فارق الحياة تحت التعذيب وضحى بروحه الطاهرة من أجل حزبه وشعبه ولم يعلم أحد حتى الوقت الحاضر كيف قُتِلَ وأين دُفِن إن كان له قبر.

كنت مسؤولاً عن تنظيمات فرع كوردستان لحزبنا لمدة طويلة ، أثناء ذهابي إلى كركوك كنتُ أمكث في إحدى دور والده الحاج عزت آغا، واختفي فيها، أصبحت الدار وكرا لاجتماعات لجنة محلية كركوك ولجان أخرى للحزب بغية الإشراف عليها.

* * *

أثناء فترة مسؤوليتي تلك، أي بصفة مسؤول فرع كوردستان للحزب، زرتُ أربيل أيضاً وتفقدتُ التنظيمات وبقيت مرات كثيرة في بيت إسماعيل خوشناو، وحاجي طاهر، وهو من أقاربي، ومن منطقة بهدينان بالأساس، خَدموني كثيراً وأُحِطتُ بالتقدير والاحترام.

في إحدى زياراتي إلى بيت الرفيق إسماعيل، قالت لي والدته، كم يوماً تبقى معنا؟ قلت: عشرة أيام. فقالت وكيف حالك مع البرغل ومأكولات حياة النضال في الجبل؟ وأنا المتعود على خبز ولبن وعدس المقر، كان يروق لي البرغل فقلت لها البرغل، البرغل لذيذ جداً يا عمة. في المساء الأول رصفوا الدجاج وصنفين من التمن والمرق. في المساء الثاني تحول حسب طلبي إلى التمن والمرق فقط وفي الثالث استُبدِلَ بالبرغل. وفي الصبح لملمت أغراضي لأذهب، قالت والدة الرفيق إسماعيل: لِمَ تنصرف ألَمْ تقل سأمكث عشرة أيام؟ فقلتُ ضاحكاً: من نوعين ممتازين من التمن يتنزل الطعام إلى البرغل، سأذهب قبل أن يتحول إلى الخبز واللبن الخاثر. قالت والدة إسماعيل: قلتَ لي

أهوى البرغل وأستسيغه كان ذلك نزولاً عند رغبتك. أفهمتها أن كلامي ذاك لم يكن إلا مزحة، وعليّ أن أتفقد أماكن أخرى في غضون عشرة أيام. حقا إنهما، أقصد رفيقي إسماعيل خوشناو ووالدته الشفيقة الحنون أسديا إليّ خدمة كبيرة.

أسفاري إلى سوريا

سافرت مرات عدة إلى سوريا. في المرة الأولى اصطحبت الأخ مصطفى جاورَش وكان دليلي في الطريق.

هناك ملاحظات في هذا الصدد، أتحدث عن بقائي وأعمالي الحزبية في سوريا ولبنان. وللدقة أنقل أولا ما كتبه الأخ مصطفى في مذكراته:

مرة أخرى إلى سوريا:

بعد اتفاقية ١١ آذار، سَهُلَ ذهابي وإيابي إلى سوريا. وَخَفَّت ضغوطات وأسئلة السيطرات ونقاط التفتيش. كان برفقتي هذه المرة الرفيق (فاروق ملا مصطفى)، حيث كنت المرشد والدليل. انطلقنا معاً إلى سوريا من أربيل، ربطنا اليشماغ الأحمر. كان ذلك سهلاً، والسياسي يبحث دوماً عن وسيلة يخدع بها خصمه. من أربيل ذهبنا إلى الموصل، قصدنا نقليات (كراج) قرية (طاووس) حيث سيارة القرية تأتي إلى الموصل صباحاً وتعود إليها بعد ظهر كل يوم. في الموصل وفي الشارع المؤدي إلي النقليات رأينا يحيى الجاف الذي كان قائمقاماً في قضاء دهوك.

كان يحيى يعرف كاك فاروقاً ولا يعرفني، تجاهلناه لكونه من رجالات الحكومة. استأجرنا سيارة أجرة لتأخذنا إلى قرية طاووس حيث لَمْ تحضر سيارة القرية ذلك اليوم. لم نكن نعرف الطريق جيداً ولم تتوفر لدينا معلومات حول الطريق الذي يؤدي بنا إلى القرية. اتجهت التاكسي نحو ربيعة، فارتعبنا، قال الأخ فاروق سنقتله لو عرفنا أنه يبيت سوءاً. قبل وصولنا ربيعة مال السائق يمينا إلى قرية طاووس. وصلنا بيت الأخ حميد فاستقبلنا بترحاب، حللنا ضيوفا عليه، كان الوقت مساءً

دخلنا الغرفة. بعد التأكد من صحته وحاله عرَّفتُه بالأخ فاروق، قَدِمَت زوجة حميد وأوقدت المدفأة (الموقد) بالبعرور وروث الحيوانات. لا حطب هناك. أدخلتْ الروث في المدفأة وباليد نفسها ملأت القوري بالشاي، من دون مسحها وغسلها. لَمْ يشرب فاروق الشاي، قلتُ له إنه أمر طبيعي هنا، شربتُ الشاي، بعد العشاء رافقنا شخصُ حتى قرية (قولدمان) وهي قرية سورية، جاء معنا والتف خلف مخفر قرية طاووس. وصلنا في غضون أقل من ساعة وهناك استقبلونا بحفاوة وأحاطونا بالتقدير والاحترام. أوصلنا الليل بالنهار، في الصبح المبكر ركبنا سيارة (جيب) وانطلقنا صوب (قامشلو) وعلى هذا المنوال قطعنا بقية الأشواط إلى دمشق. وقتَ وصولنا دمشق نال منا التعب والإرهاق والجوع. دخلنا مطعماً. وفيما بعد وجدنا رفاقنا. بقينا معاً في سوريا. أنجز الأخ فاروق الأعمال الحزبية وكنتُ دليله. ومن الأجدى أن أقف هنا لأقول: عند سفرنا من كلالة حاجى عمران أعطانا الحزب عشرة دنانير. في الموصل صرفت ديناراً ونصف الدينار لأبتاع اللحم لبيت حميد الذي ضَيَّفنا وأعاننا في العبور. ربما كان لدى كاك فاروق مبلغ أكبر، كانت إمكانيتهم المالية أحسن. هكذا كنا دراويش الحزب، السفر إلى دمشق بعشرة دنانير، ربما تستغربون وقد يكون هناك من لا يصدق كلامنا.

* * *

الشام

تركزت أعمالي ومهامي في الشام وبيروت في الالتقاء بأطراف سياسية وعقد الاجتماع مع رفاق التنظيمات والمنظمات الأخرى لحزبنا في الشام بالذات، وبعض الدول الأخرى.

في الشام استأجر حزبنا دارين، أقام الشاعر مظفر النواب في إحداهما، وعدد آخر من الرفاق سكنوا في الأخرى، منهم الرفيق حسن الذي ترك الدراسة في كلية الطب – جامعة بغداد، للتفرغ لشؤون الحزب.

كان المهندس منير الجلبي مسؤول الحزب في سوريا، وهو شقيق الشهيد محمد الجلبي.

تتعدد أسماء الرفاق، علي الشبيبي، وعادل وصفي الذي اشتهر فيما بعد باسم عادل العراقي واستشهد على يد البعث في بيروت. ضَيّفني عادل كثيرا وكان طالبا في كلية التجارة – جامعة دمشق وعضو لجنة سوريا للقيادة المركزية هناك.

في الشام عثرتُ على عناوين أقاربي، عرفت بعضهم بأسمائهم الحقيقية من السليمانية، كانوا أبناء وبنات الدكتور (محمود صاحب). كنتُ صغيراً حين أقام الدكتور محمود صاحب في السليمانية لسنوات وامتهن الطب، كنت أتذكر ابنيه (خالد وحسام). كان (يسار فخرالدين صاحب) أقربهم إليّ وكان هو وزوجته وأخواته ووالداه يسرون برؤيتي ولَمْ يقصروا في رعايتي. عمل يسار ضابطاً في الجيش، نقلوه بسبب السياسة إلى وظيفة مدنية.

ووجدتُ حس القرابة لديهم قوياً للغاية، ورغبوا في استضافتي يومياً لكن المجال لم يسمح لي بتلبية رغباتهم. أم أحمد من قريبات الدكتور فخرالدين، امرأة لطيفة المعشر، وجدتُ جعبتها مليئة بالنكات واللطائف. ذات ليلة أصرت في المنزل الصيفي للدكتور فخرالدين، بـ(بلودان) على أن أغني لها أغنية كوردية، فحاولتُ أن ألبي طلبها بصوتي المزعج فأجهشتْ بالبكاء. واستغرب أبناء وبنات الدكتور فخرالدين من بكائها. قالوا ما الذي حدث؟ قالت: "ذكرّني فاروق بشاب يدعى فاروق



فاروق ملا مصطفى

بيروت، ١٩٧٢

منعني أهلي من الزواج منه وأكرهوني على الاقتران بـ(أبو أحمد) لمجرد ثرائه، لا رحمة الله عليه، كان ثرياً وكهلاً، كان يشاكسني ويبحث عن أي شيء ليطعنني به. عندما كنتُ ارتدي لباساً عادياً كان يقول، إنك لا تزينين نفسك لي، وحينما أرتدي زياً باهراً واستعمل ماكياجاً جميلاً يقول لي، لِمن تجملين نفسك؟! لا عافاه الله وليكن في قعر الجحيم.

زرنا ومصطفى ضريحَ مولانا خالد في حي الأكراد وأتمنى أن تسمح الظروف السياسية لأعود إلى الشام لأُكَبر وأزين الضريح وأُشيد له منارة تطل على الشام كلها، خصوصاً أن مزاره في سفح جبل، ويغدو ذلك رمزاً أوضح لعظمة مولانا خالد، هذا المفكر الكوردي الكبير في التاريخ والابن البار للسليمانية الذي اشتهر في أكثر البلدان الإسلامية وتطورت طريقته، الطريقة النقشبندية الخالدية، وطبقت شهرته الآفاق.

في بيروت التقيت جهاتٍ سياسية فلسطينية ولبنانية لتطوير علاقاتنا معها. كان لنا دور جيد في قواعد الفدائيين الفلسطينيين وبالأخص مع الجبهة الديمقراطية ونايف حواتمه وكان لقاعدة (بئر الحسن) دوراً رئيسياً.

كانت لنا كذلك علاقات مع (الجبهة الشعبية) لجورج حبش ومع منظمة (فتح) التي كانت ولاتزال أكبر المنظمات الفلسطينية. كنت أتجول بهوية منتحلة لمنظمة فتح وباسم مستعار وبرتبة نقيب. ذات مرة حملتني سيارة أجرة من الشام إلى بيروت، كان السائق فلسطينياً. سألني إنك تبدو فلسطينياً وقتما تُبرِزُ هويتك لدى نقاط التفتيش لكن لهجتك عراقية صافية. قلت: يا أخي ألَمْ نتشتت نحن الفلسطينيين المطرودين من ديارنا المحتلة في بقاع وربوع الدنيا؟ أنا من مواليد ١٩٤٨ مدينة يافا ومنذ طفولتي المبكرة لجأ والداي إلى العراق، أما أنا فعدتُ وانخرطتُ في صفوف الفدائيين دفاعاً عن حقوق شعبي المسلوبة، فاغرورقت عين السائق بالدموع، وسالت العبرات من عيني أيضاً، هو لفلسطين وأنا حزنا على مدينتي السليمانية.

* * *

التقيتُ هـذه المـرة ومـرات تلتهـا الراحـل (مصـطفى الجـاف) في بـيروت. كـان الأخ مصطفى مهندساً قديراً ويعمل في احدى منظمـات الأمـم المتحـدة، تعارفنـا عـن طريـق الرفيق إبراهيم علاوي، درسـا معـا في لنـدن وكانـا متقـاربين جـداً. التقـدير و الامتنـان يليقـان حقـاً بزوجتـه نـازنين قفطـان، امـرأة بشـوش ومضـيافة للغايـة، صـار منـزلهم مضيفاً لاستقبال المناضلين من الكورد والعرب.

مرة أخرى إلى سوريا و لبنان - صيف ١٩٧٣

انطلقتُ هذه المرة مـع الرفيـق (عـەزە رەش) مشـياً علـى الأقـدام. ووصـلنا زاخـو خلال بضعة أيام.

سلمني الأخ إدريس البارزاني رسالة إلى (عيسى سوار) في زاخـو ليعيننـا في عبورنـا إلى سوريا. قَدَّم عيسى سوار مساعدة بسيطة إلينـا، نـادى (بهجـت) وهـو مـن مقاتليـه البيشمركة وقال له أن يستأجر لنا سيارة علـى حسـابنا لتوصـلنا إلى فيشـخابور ومـن هناك إلى سوريا، وقال له لتكنْ هوية السائق معروفة لديك.

وانطلقنا ليلا بسـيارة عتيقـة رديئـة، كـان لزامـاً علينـا الوصـول والعبـور إلى الجهـة الأخرى قبل انبلاج الفجر لئلا يرانا ويكشفنا المخفر العراقي القريـب. في الطريـق انفجـر أحد إطارات سيارة الجيب، نزلنا لاستبداله فألفينا أن السـائق لـيس لديـه مِفـك (ويـل اسبانة) كان لديه بلايس كبير، وبمشقة وتعب فككنا براغي الويل واستبدلنا الإطار.

لما وصلنا مياه فيشخابور كانت الدنيا مغبشة. وهكذا صعدنا قوارب صـغيرة نحـو قرية (خانك)، ومن هناك إلى قامشلو ووصلنا دمشق بعد يوم آخر.

إضافة إلى لقاء الرفاق والعمل لترشيح بعض الأشخاص للمشـاركة في مـؤتمر الحـزب على مستوى العراق هذه المـرة، كـان الرفـاق يسـعون للحصـول علـى جـواز سـفر لـي بهدف ترتيب سفر حزبي إلى ألبانيا.

وطلبـوا مـن الجبهـتين (الجبهـة الديمقراطيـة لتحريـر فلسـطين) و(الجبهـة الشـعبية لتحرير فلسطين) المساعدة في تدبير جواز السفر، وهو مـا يتطلـب بعـض الوقـت لـذلك طال مكوثي في بيروت والشام أكثر من المرة السابقة.

المسافة بين بيروت والشام بقدر المسافة بين السليمانية وكركوك (١١٠كم) وتكررت تنقلاتنا بين بيروت والشام. كان صديقي الرفيق إبراهيم علاوي خارج العراق لشؤون حزبية. احتفظنا بعلاقات طيبة مع رفاق (اليمن الجنوبية) (حكومة اليمن الديمقراطية الشعبية) وحزبها الاشتراكي وقادته عبدالفتاح إسماعيل، وسالم ربيع علي المعروف بـ(سالمين) وعلي ناصر، زودونا بمختلف أنواع الأسلحة وكان الفلسطينيون يدعموننا في إيصالها إلى بيشمركة حزبنا في كوردستان، وزعنا عددا كبيراً منها على تنظيمات الحزب في وسط وجنوب العراق. كان حزب الجبهة الديمقراطية اليمنية يتبنى الاشتراكية والفكر الماركسي – اللينيني.

حدث تحولان كبيران في سوريا واليمن ألحقا أكبر الأضرار بنا، سقوط جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية أو اليمن الجنوبية، والآخر هو تغيير حكومة نورالدين الأتاسي ويوسف زعين في سوريا. أفرز هذان الحدثان تأثيرات سلبية علينا، لأن الطرفين كانا يدعماننا كثيراً في السفر وتسهيل المرور والتدريب العسكري إضافة إلى التقارب الفكري الموجود بيننا وبينهم (حكومةً وحزباً) بخاصة في الإيمان بالاشتراكية والديمقراطية، وكان تقييمهما للتعاون والتضامن مع القيادة المركزية لصالحنا ولصالح الحركة الثورية في العراق.

* * *

ذات يوم زرتُ مع مظفر النواب، الذي كان عضوا معروفا معنا، قيسَ السامرائي الشخصية الثانية في الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين بعد نايف حواتمه. سبق أن زرت قيس السامرائي في بغداد، كانت هذه الزيارة جزءاً من تفقدنا الأحزاب والمنظمات المختلفة في الساحة السياسية.

قلتُ لقيس: سبق أن التقينا في بغداد في اجتماع للأحزاب والتنظيمات. قال: ولأي مناسبة كان الاجتماع؟ قلتُ له: كان ذلك عَقِب الحرب بين العرب وإسرائيل عام ١٩٦٧ من أجل تأييد الثورة الفلسطينية، باستثنائي أنا اتفق المجتمعون نحاول أن نحصل على إجازة بتأسيس منظمة أو جمعية لدعم الحركة الثورية الفلسطينية، باسم

شخصيات شيوعية واشتراكية ومن القوميين العرب، وجاء ذكر أسماء صفاء الحافظ وإبراهيم علاوي، وخيرالدين حسيب، أنا فقط من بين الحضور قلتُ، لا يمكن بأي شكل من الأشكال تحقيقه وتنفيذه ولا تمنحُنا الحكومة إجازة بأسمائنا وأسماء تلك الشخصيات المعروفة. فقال قيس السامرائي مستغرباً، يعني إنك تريد أن تقول لقد دار بخلدك أن نطلب الإجازة من الحكومة العراقية، معقول! كلا إنني لَمْ أقل شيئا مِن هذا القبيل! فقلتُ له ضاحكاً: أجل كنا أنا وفائق بطي و د. صباح الدرة حاضرين في الاجتماع الذي عُقد في منزلكم!

حين خرجنا قلتُ للرفيق مظفر النواب: من الأجدى ألا ننتظر أي وعد من أمثال هذا الرجل!

والتقيت بـ(محسن إبراهيم) سكرتير حزب العمل اللبناني، وكتبتُ في صحيفته (الحرية) مقالاً عن حقوق الشعب الكوردي.

في فترة انتظار استكمال جوازَ السفر، حُدد لي وللأخ شهاب شيخ نوري، موعد من جهتين مختلفتين قرب منطقة الروشة في بيروت، انتظرنا هناك. توقفتْ أمامنا سيارة مرسيدس قديمة، وركبنا، كان فيها الشهيد الدكتور وديع حداد وكان آنذاك الشخصية الثانية للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وبعد مسير نصف ساعة، سَلَّمنا الدكتور وديع جوازي السفر.

في بيروت والشام قضينا أنا والأخ شهاب وقتا ممتعاً بالحديث عن السفر وذكريات السليمانية. كان محبوباً وطيب المعشر. تقدمي من الأعماق، وأحبَّ الحركةَ الشيوعية.

قَدِم مام جلال إلى الشام. ذات يوم دعانا للغداء. قال في حزن وضجر، كنا جالسين مع عشرة إلى خمسة عشر شخصاً، ومنهم مظفر النواب الذي بالكاد عرفني! قلتُ إنه شاعر وربما شرد خياله وذهنه. سأدعوكم الليلة إلى مأدبة وأجعله يقدم اعتذاره لكم، إنني موقن إنه يحبك كثيراً.

وفي منزل أحد أصدقائي راح مظفر يقرأ الشعر ويغني بصوته الشجي حتى الهزيع الأخير من الليل. قضينا ليلة ممتعة للغاية. إضافة إلى الأخ شهاب، حضر

معنا تلك الليلة شاسوار شيخ جلال (الشهيد آرام)، العائد من ألمانيا بعد انتهاء مهرجان الشباب هناك، وفي طريق عودته إلى بغداد عرج على الشام. ومن رفاقنا الذين حضروا تلك الليلة، الرفيق الدكتور سليمان اللوس، والرفيق الدكتور فخري الغزالي.

من سوريا إلى ألبانيا

غادرتُ الشام بالطائرة إلى فيينا في تشرين الأول ١٩٧٣، استقبلني ابن عمي وصديق طفولتي (فؤاد ملا محمود) في مطار (فيينا). وكان لذلك اللقاء نكهة خاصة جداً نظرا لأننا لم نلتق بعضنا منذ أكثر من سنتين. قضينا أياماً وليالي رائعة وما زاد من روعتها حضور الأخ نوشيروان مصطفى الذي كان يدرس الدكتوراه وقتذاك. كان بيننا أنا ونوشيروان مصطفى ودٌ وصداقة منذ مرحلة المتوسطة والإعدادية، كان اتجاهي الحزبي والفكري مختلفاً عنهما لكن الفكر والثقافة والحس الوطني والإخلاص والصداقة اختصرت المسافات بيننا.

حين هبطت من الطائرة أثار شيئان ضحك فؤاد وضحكي أيضاً. قال لي هيا لنذهب ونتسلم حقيبتك. ضحكتُ وقلت ها هي حقيبتي أحملها بيدي. قال: أقصد حقيبة ثيابك. قلتُ: هذه هي كل ما أملك! حملتها معي داخل الطائرة وتحتوي على منامة وأدوات الحلاقة وقميصين وبنطلون واحد. فقال لي: هل جئتَ إلى (كَلالـه) أم إلى فييّنا ! ! كانت نفس الحقيبة التي كنت أحملها على ظهري في جولاتي السياسية وخارج المدينة وفي حياة كفاحنا الثوري تلك السنين.

والشيء الثاني، عندما سألني كم تحمل من النقود؟ قلت: عزيزي فؤاد لديَّ ما يكفيني، سأبقى ثلاثة أيام لديك وحسبتُ حساباً دقيقاً لمنامي وأكلي وشربي، بالتأكيد لا يقبل ابن عم وصديق مثلك أن استعمل ما في جيبي. أملك مائة دولار ولديّ بطاقة الطائرة من بلغراد إلى تيرانا. تعجب واندهش، قطع لي بطاقة السفر من فيينا إلى بلغراد، ودعني، وانطلقت إلى (بلغراد) عاصمة يوغوسلافيا.

وفي الصباح اتصلتُ بقنصلية ألبانيا، منحوني بطاقة الطائرة وودعوني إلى تيرانا عاصمة ألبانيا.

كم كان نزولي في تيرانا حدثاً رائعاً وتاريخياً بالنسبة إلي، ها أنا أجد للمرة الأولى حزباً شيوعياً أوروبيا أقارنه بالقيادة المركزية لدينا، لقد قللت من حدة معاناتنا من معاداة التحريفيين لنا في علاقاتنا الحزبية الأممية.

اتسع الفكر والخط السياسي للحركة الشيوعية في العالم لتيارات مختلفة بارزة عدا التيار السوفيتي الذي اعتبرناه يمينياً تحريفياً، وأثبت التاريخ صحة وسلامة تقييمنا وتقييم الأحزاب الأخرى له، تطور تيار ماوتسي تونغ الذي عرف بالماوية في العالم قاطبة. اختلف التيار الثوري لألبانيا بقيادة أنور خوجه بدوره الواضح عن تيار ماوتسي تونغ. جيفاراً وتنظيرات ريجيس دوبريه لفكره عن "الثورة في الثورة" أصبحا رمزين كبيرين للشيوعية والثورية في العالم. اقتربنا نحن – القيادة المركزية– من خط ماو ومن ألبانيا. ذاق الحزب الشيوعي العراقي مرارة الذيلية والتبعية والطاعة العمياء. تمتعت ألبانيا في عهد أنور خوجه، بحرية واستقلالية عن خط وتيار الماوية الصينية، وأصبحت مثالاً وشعلة جديدة للحركة الشيوعية العالمية. أحد التقييمات الصحيحة والإيجابية لعظمة الثورة وفكر حزب العمل الألباني هو تحرير ألبانيا بالثورة والمقاومة ضد ألمانيا وإيطاليا المحتلتين، وليس عن طريق الجيش الأحمر السوفيتي مثلما وجدناه لدى أغلب بلدان أوروبا الشرقية.

في غضون ثمانية أعوام من حياة الاختفاء والكفاح الثوري في الجبال، اُتيحت لي بشكل رسمي فرصة ثمينة من قِبَل حزبنا، حيث أرسلت أو دعيت إلى ألبانيا في زيارة استغرقت شهراً للاجتماع مع قيادة حزب العمل الألباني والاطلاع على تجربتهم عن كثب.

في المطار استقبلني الرفيقان (بيرو) و(آكيمي) عضوا المكتب السياسي لحزب العمل الألباني. كان بيرو وزيراً للخارجية الألبانية وترك الوزارة ليتفرغ للعمل الحزبي.

اتبع حزب العمل الألباني بقيادة أنور خوجه نظاماً خاصاً أوجب على كل كادر

حزبي أن يعود في كل سنة شهراً إلى عمله السابق، أي العودة إلى مركزه الوظيفي السابق بعد تسنم منصبه الجديد في الحكم. كان محمد شيخو رئيس مجلس الوزراء يعود في كل عام شهراً إلى عمله السابق، أي إلى مزرعة عَمِل فيها سابقاً.

ألبانيا كانت الدولة الوحيدة التي تم حظر الدين فيها. قبل ذلك كان معظم المواطنين مسلمين ومارسوا الطقوس الدينية مع أقلية مسيحية. أحالوا أغلب الجوامع والمساجد والكنائس إلى مدارس ومستشفيات ومتاحف. ارتكبوا خطأً فادحاً من هذا الجانب لأن منع الدين عنوة وقسراً يُخَّلفُ تأثيراً سلبياً.

نزلتُ في مضيف حزبي بدلا من الفندق وقالوا إن حزباً إيرانياً حل ضيفاً هنا، كان جلهم أطباء ودكاترة، توقعت رأساً أنهم كانوا رفاق (المنظمة الثورية لتوده إيران) ولا تزال وذكرياتهم خالدة، الدكتور جلال والدكتور إبراهيم وإسماعيل.. إلخ.

كان الألبان يفتخرون كثيراً ببطل وطني لهم أقاموا له نصبا في أجمل ميادين تيرانا، وهو يمتطي صهوة حصان ويمتشق سيفاً. دام الاحتلال العثماني لألبانيا أربعمائة سنة، وفي الأخير استطاع إسكندر بيك تحرير ألبانيا وتوحيدها في غضون خمسة وعشرين عاماً من النضال والكفاح.

كنتُ في ألبانيا عندما اندلعت نيران الحرب بين العرب وإسرائيل في ١٩٧٣/٦/٥، أي في أواخر أيام زيارتي التي أفادتني كثيراً من الناحية الفكرية والسياسية، واستمعت خلالها إلى محاضرات للرفيق (أكيمي) الذي كانوا يسمونه فيلسوف الحزب. وزرتُ عدداً من المدن، مثل (شكودرا) و (دوريس) وشاهدتُ بعض القرى والأرياف التي أثبتتْ فعلا أن الفروق بين المدن والقرى يمكن أن تزول بوجود مراكز الدراسة والخدمات الطبية والعمل والمشاريع الخدمية كالماء والمجاري والكهرباء فيها، وهذا جرياً على تنفيذ نهج اشتراكي وفكر ماركسي – لينيني.

بعد انتهاء مدة سفري عدتُ عبر بلغاريا إلى تركيا ومنها إلى سوريا فالشام (دمشق).

أتذكر في صوفيا عاصمة بلغاريا التقيتُ جلال مظهر صدفة، بعد التعارف قلت له لديّ مشكلة كبيرة في السفارة التركية في صوفيا، إنني أنوي العودة إلى الشام عبر

تركيا لكنهم لا يمنحونني تأشيرة الدخول ويقولون لا علاقة لنا ببلدكم. قال جلال، وكيف ذلك؟ فأعلمته بانني أملك جواز اليمن الديمقراطية وليس جوازاً عراقياً. عالج الأخ جلال الأمر ببساطة، عاد معي إلى القنصلية التركية وقال لي أنا ماهر في شؤونهم وأعرف أماكنهم وشُعَبِهم، أشار إلى موظف وقال لي حاولْ أن تلهي هذا الرجل بالكلام، وكان ختم الفيزا على منضدة بجانبه، وقال سأختم الجواز بهذا الختم، وأنا أعرف أشكال وأنماط تواقيعهم. هكذا عالج مشكلتي وأسدى إليّ خدمة كبيرة لا تُنسى.

وتبين لي في هذه الزيارة، إنني السياسي الكوردي الوحيد الذي يزور ألبانيا وسجلتُ ذلك في دفتر ملاحظات الزوار في أحد متاحف تيرانا.

الفصل السابع

سنوات الجبل

محطات متنوعة من سنوات حياتي في منطقة بالَك

ذات يوم زارني في مقر حزبنا في منطقة بالَك صديقاي الشاعر شيركو بيكەس وشيركو ابن الشاعر هَزار موكرياني. تذكرتُ أنني التقيت شيركو هَزار موكرياني مرات عدة في بغداد، أما شيركو بيكەس فكان من أصدقائي الأقربين.

أعطاني شيركو هَزار بياناً لـ(كازيك)[١]، وطلب الاثنان مني قراءته وبيان الرأي فيه. للحقيقة أقول خاطبني شيركو هزار رسمياً باسم (كازيك) وأيده شيركو بيكەس في محتواه. قلتُ لهما فور انتهائي من قراءته إني استحسن خطه السياسي لكونه قد طرأ عليه تغيير جذري يختلف عما سمعت من الأفكار والانطباعات عن (كازيك).

وردت في البيان نقاط رئيسية استأثرت باهتمامي:

– إدانة واتهام الأشخاص الذين ارتكبوا جرائم (كاني ماسي) وقتلوا مجموعة من الشيوعيين المناضلين، ومَن كانوا وراء الجريمة.

– طالبَ البيان بوضوح بتأسيس جبهة وطنية تضم (كازيك) أي (جمعية تحرر وانبعاث الكورد) والحزب الديمقراطي الكوردستاني والحزب الشيوعي العراقي – جناح القيادة المركزية.

– تطرق البيان إلى التآخي بين العرب والكورد.

في صدد الصفوف الداخلية لـ(كازيك)، أشاروا إلى طرد وإقصاء وتجريد البعض من العضوية وكان أغلبهم من القياديين البارزين، بتهم الجبن والخيانة.

استأثرت الخطوط السياسية للبيان باهتمامنا واستنسخنا أعداداً وفيرة منه برضاهم وموافقتهم.

لابد أن أُشير هنا إلى مقال لـ(جمال نبز) تحدث فيه عن هذا الموضوع واعتبرني أحد المشاركين في إصدار البيان، رغم أنه يقول إنه التقى شيركو هَزار في ألمانيا وقال له شيركو: إن فاروق لَمْ يشترك في كتابة وصياغة البيان. وأقول لـ(جمال نَبَز)

---

[١] كازيك باللغة الكوردية مختصر لأسم تنظيم قومي كوردى تغير اسمه فيما بعد الى باسوك.

بصراحة، لقد راق لي الخط السياسي للبيان ونشرت منه نسخاً كثيرة. وفي تلك الأيام استفسر الأخ مسعود البارزاني عن البيان فأجبته على الشاكلة نفسها.

* * *

معركة سَرچيا

حدثت اصطدامات مسلحة بين البيشمركَة وجحوش مرتفعات (سَرجيا). بعد تغلب البيشمركَه عليهم، تَندمَ الجحوش وشملهم العفو الصادر عن الثورة وعادوا إلى صفوفها. مرة كنتُ في زيارة الأخ إدريس البارزاني وكان مشغولاً بصرف ودفع المال والمؤونة لأحد مسؤوليهم. بعد انصراف الرجل قلت لكاك إدريس لديّ مقترح لكم! فقال وما هو؟ قلتُ من الأحسن دفع الرواتب والأسلحة لمسلحيهم مباشرة لا عن طريق مسؤوليهم ورؤسائهم. المسلحون فلاحون فأبعِدوهم عن رؤسائهم في الوقت الحالي. وحتى عندما كانوا مع الحكومة كانوا يتصورون أن رؤساءهم يرزقونهم، وإذا استمر الحال على هذا المنوال فلا يتخلون عنهم! !

* * *

ذكريات تلك السنين كثيرة للغاية بصالحها وطالحها، مُرها وحلوها في ذاكرتي، وكأنني الآن في مقرات سبيندار أعيش مع هؤلاء الرفاق الأعزاء. اجتماعات ومناقشات وكتب المطالعة والتدريب المتنوع ومزاح الرفاق في قاعة المقر الكبيرة وتنضيد الحروف في غرفة المطبعة والتحقيق مع الجواسيس وتوديع فصائل البيشمركة إلى جبهات القتال، منظر خيمتي الصغيرة في أعلى المقر المحاطة بالخضرة وأشجار كثيفة وكذا منضدتي الخشبية الصغيرة وفوقها الطابعة مع بضعة أقلام وأوراق.

ذات يوم تعرضنا إلى قصف جوي مكثف فأطلقنا النارَ على الطائرات المغيرة. ضرب صاروخٌ قصريَ الجميل المصغر. عَقِبَ انتهاءِ القصفِ وَجَدنا الخيمةَ والمنضدةَ والطابعةَ محطمةً تتعإلى منها ألسنة الدخان.

يحضرني مشهدٌ أليمٌ من مشاهد القصف والمعارك، كنا قرب جبل زوزك في هجوم عنيف شنَّه العدو، قصفتنا الطائرات وكانت قريبة من الأرض بحيث أحسسنا أنها تكاد تلتصق بالأرض. كان الشاعر سامي شورش عضوا في الحزب وقد خرج من المدينة لتوه والتحق بنا، كان أكثر الرفاق حزناً ضجراً، أثناء اشتداد القصف ناداه مصطفى جاورَش ليلجأ إلى حفرة حفرناها أنا ومصطفى جاورَش لاتقاء شر الطائرات، فقلتُ لسامي: وَلَكنْ احذر ففيها حية رقطاء، وكنتُ صادقاً فيما قلت ولم أكن أمزح، ولولا انتهاء القصف الشديد والمُرَّكَز لكان سامي قد لفظ أنفاسه الأخيرة فَرَقاً. في اليوم التالي أرسلناه إلى مقر اتحاد أدباء الكورد في منطقة مضيق رايات، حيث كان يديره الأديب القاص حسين عارف، في مكان آمن بعيد عن الحرب والقصف اليومي للطائرات الحربية.

بخصوص الحديث عن القصف والحُفَر المخصصة لدرء مخاطره، تبين أن الأماكن التي نحفر فيها مليئة بآثار و ولقى وأشياء أثرية قديمة، فبدأنا بالتنقيب عن آثار كثيرة كان بعضها في أعماق الأرض، عثرنا على حوالي خمسين قطعة معدنية وفخّارية.. سلمنا هذه الأشياء الأثرية إلى الأخ دارا توفيق الأمين العام للثقافة وإعلام الثورة ، وكان لها وللموقع الذي لم يرد اسمه ضمن المناطق الأثرية أهمية بالغة. وأقيم لها معرض كبير لإبراز الوجه الساطع لكوردستان، افتُتِحَ المعرض قبل اتفاقية الجزائر المشؤومة عام ١٩٧٥ بعدة أشهر، وكنت ضمن المدعوين لحفل افتتاحه، فوجدتُ الآثارَ كلها معروضة بحضور عشرات الأجانب من السياسيين والصحافيين، وهم يصورون محتوياته وقد كُتِبَت على كل قطعة من الآثار عبارة : هدية الأستاذ فاروق ملا مصطفى إلى متحف الثورة. في المعرض قلتُ للشهيد دارا توفيق أشكركم للعرفان بذلك. ألف تحية إلى روح الشهيد دارا توفيق.

مكتبة آزادي في كَلالة

للمرة الأولى بعد سنوات بيان ١١ آذار ١٩٧٠ في تـاريخ منطقـة (كَلالـه) و(بالَكـايَتي) أسسنا مكتبة في كَلالـه بعنـا فيهـا كتبـاً ومجـلات عـن الماركسـية والأفكـار التقدميـة، طغتْ عليها كتب وكراسات ماوتسي تونغ، اقتنينا معظمها بأسعار مناسـبة مـن مكتبـة (بـيري نـوي) في بغـداد لصـاحبها الشـهيد شـهاب شـيخ نـوري، كـان أحيانـا يرفقهـا برسالة، وكنت أقول في معرض إجابته إننا ننشر هـذه الأفكـار في هـذه المنطقـة، فقـلْ لأصدقائك الصينيين أن يخصموا لَكم شيئاً من أسعار الكتـب. كنـتُ والشـهيد شـهاب نتبادل الطُرف والكلام الطيب.

طبعنـا بعـض الكراسـات وأعـداد (ريكـاى كوردسـتان) لسـان حـال فـرع كوردسـتان للحزب الشيوعي – القيادة المركزية، وكانت جريـدة (طريـق الشـعب) لسـان حـال قيـادة الحزب تُوزعُ بأعداد هائلة في المكتبات، زادت زيارة الناس لمطالعة ورؤيـة هـذه المصـادر والمنابع المضيئة يوماً بعد يوم. كانت كَلاله في تلك السنين بمثابة عاصمة ثورة أيلول.

علي زردشتي : ظاهرة غير منسية
- من ١٩٦٩ لغاية ١٩٧٥-

علي زردشتي من الشخصيات المعروفة والفذة لمنطقة بالَك في تلك السنين..

في الأيام الأولى من وصولي سمعتُ اسم علي زردَشتي، رَجُلٌ أشـيعت عنـه أحاديـث وروايات متنوعة. مـنهم مـن اعتـبره رجـلاً فكِهـا مسـتملح الكـلام، ومـنهم مـن اعتـبره همّـازاً لمّـازاً ومجنونـاً يـتهجم علـى الجميـع. ولا يمكـن لأي رأي مفـرد مـن هـذه الآراء وحده ليوصف به هذا الرجل وصفاً تاماً، الـذي أسـتطيع القـول إنـه فـذّ ولَـمْ أر حتـى ذلك اليوم مثيلاً له. رجل مسنّ، مزيج من الحقيقة والصدق والتجربة والمهـارة اللغويـة، رجـل يفتخـر ويتبـاهى بنفسـه، سبَّـاب، يشـتم شـتماً موجعـا ولاذعـاً، مجنـون، عـالم. انطوت شخصيته على هذه النقائض.

وكان آخرون يعدونه صاحب تجربة ومثقفاً ولغوياً.

اشتقتُ، وتلهفتُ إلى لقاء هذا الرجل المعمر الذي كان مجهول الأصل لدى من يتحدثون عنه، من أين جاء وأين كان يقيم؟

كانت المسافة بين (ناوكيلَكان) و(كَلاله) نصف ساعة بالسيارة. حين زرته وعَرَّفت نفسي، فابتهج كثيراً، وفي أول لحظة من لقائي نشأ ونما في نفسي حبي له. رجل مسن وبشوش. كان يعرف العربية والتركية والفارسية والإنكليزية والهندية إضافة إلى لغتنا الأم. وما اجتذبني قبل كل شيء هو دكانه الكبير الكائن على الطريق العام في الشارع الرأيسي و الوحيد في كَلاله. كان جزءٌ منه مكاناً لكسب رزقه واتخذ من جزئه الآخر بيتاً يقيم فيه، فصله عن الجزء الأول بستارة. احتوى الدكان على نوعين من البضائع: الأوراق والأقلام والدفاتر والمماحي، أما النوع الثاني فكان عدد كهربائية وصناعية بسيطة، وابر ومواد لاصقة وبلاكات وبلايسات وغيرها من العدد الكهربائية والميكانيكية.

كان علي زردشتي الرجل الوحيد الذي يرتدي البنطلون والسترة في منطقة كَلاله، وكنتَ ترى بضعة كراس صغيرة داخل الدكان لجلوس الزائرين، وكلما زاد عدد الرواد والزوار راحوا يتجمعون أمام الدكان على الرصيف ليتحدث إليهم الأستاذ، أحاديث تتضمن خليطاً من النصح والموعظة والتاريخ والسياسة، وانتقادَ الناس والمسؤولين ونتفاً من سيرته الشخصية، من بداية تعيينه عاملاً في شركة نفط كركوك إلى اشتغاله في هندستان، واشتراكه في جمهورية مهاباد، وأحيانا كان يختم كلامه بقراءة أحد أشعاره.

كانت كَلاله عاصمة الثورة، لذا كان يؤمها جميع القادة السياسيين والعسكريين، وشخصيات مشهورة في تلك الأيام.

في مستهل علاقتي معه سألته، من أين ومِمَ جاء هذا الاسم (زردشتي)؟ فأجابني، انه (زَرْتشتي) وليس (زَرْدشتي)، ثانيا، لقد جربتُ الأديان كلها فلم أقتنع بأي واحد منها، لا أومن بأي معتقد ديني أساساً!

لم تمض فترة طويلة حتى أصبحتُ تلميذا من تلاميذه المطيعين وبعد مرور مدة

منحني لقب ورتبة (الخليفة) وقال إن الشعب يفقه نسبة ٥٪ من أفكاري، أما فاروق فَيَفْهَم منها خمسة وتسعين بالمئة. وقال المفتش التربوي في كلاله، الأخ (حَمَه علي) وهو من أهالي أربيل أساساً: حسناً وماذا عني أنا يا أستاذ زردشتي، كم تكون نسبة فهمي أنا من أفكارك؟ فقال: أنتَ.. أنت صفر من مائة لأنك تلبس الرباط مع (رانكوجوغه)[1] في منطقة كَلاله، إذن كيف تفهم شيئاً مني!

ذات يوم التقيتُ الفنان المرحوم رفيق جالاك، تبادلنا حديثاً قصيراً متنزهَين قلتُ له أتعرف علي زردشتي؟ قال نعم. قلت، فلنزره. قال لا أزوره! قلت ولِمَ لا تزوره؟ قال الأخ رفيق جالاك، العالم يتقون شرَ لساني الحاد، لكني أخاف من ابن الكلب هذا. وقال سأسرد لك حكاية: بينما أنا في إذاعة الثورة ويشق صوتي عنان السماء، سمعت أن بائعاً في كَلاله يُدعى علي زردشتي يتهمني ويقول: في تلك السنة داهم رفيق جالاك بيتي ليلقي القبض عليّ فهربتُ من الباب الآخر. جمعتُ مجموعة من البيشمركة وارتدينا (بوزوانه وكليته)[2] واتجهت برفقتهم إلى دكانه، كان عشرة أو خمسة عشر شخصاً يتحلقون حوله، وما أن رآني حتى صاح (كنا نتحدث عنك يا رفيق جالاك، أتذكر يومَ أتيتَ إلى بيتي لإلقاء القبض عليَّ فنجوتُ هارباً من الباب الثاني؟) ثِقْ يا فاروق كنت مُهيِّئاً نفسي لأقول له: أي باب وزقاق ومدينة تقصد يا عديم الضمير! لكن الدهشة عقدت لساني وَلَمْ أستطع أن أجيبه وبَلعتُ رَيقي حين وجدته على هذه الفظاظة وهذا النوع من الجواب! وأنت الآن يا كاك فاروق تنوي أن تأخذني معك لزيارة هذا المجنون!

ألححت على كاك رفيق جالاك فاستجاب أخيراً.

حين وصلنا رأينا دكانه مليئاً بالمستمعين والمريدين، لَمَّا شاهَدَنا وألقينا تحية

---

[1] رانكوجوغه: زي كوردي عبارة عن قطعتين وهو بمثابة السترة والبنطلون، أي سترة و سروال كوردي، يُلبَسُ في الصيف فقط. (المترجم)

[2] بوزوانه: جوارب كوردية متينة خاصة بالكورد تُلبَسُ في الشتاء، وكليتة طاقية كوردية أكبر من العرقجين. (المترجم)

قال على الفور، هذا هو رفيق جالاك يا أصدقائي، لأوجه إليه سؤالاً. فرحبَ رفيق جالاك بسؤاله. فسأل: مَن أسس الحزب الشيوعي العراقي يا رفيق؟ فقال رفيق جالاك: فَهْد هو مؤسسه. فقال له علي زردشتي: كلا لم تعرف، حسين كربلائي هو مَن أسسه. فقال رفيق جالاك: هذا تاريخ يا أستاذ زردشتي لا يمكنني إنكاره. فبدأ علي زردشتي يسهب في الحديث عن رفيق جالاك بدءاً من فهد وأنتقل إلى إلصاق عشرات التهم برفيق جالاك. فقال له رفيق جالاك: حسناً أنت مصيب يا أستاذ لقد فاتني أن الكربلائي الذي ذكرتَه هو المؤسس، ثم رمقني وقال: أهذا حق يا حضرة كاك فاروق؟!

زردشتي والأخ نوري أحمد طه

كان المناضل المعروف والعتيد نوري أحمد طه، مقيما في كَلاله في تلك السنين. كان من ضباط الجيش العراقي وترك صفوفه عام ١٩٤٦، وانضم إلى صفوف جيش جمهورية مهاباد. بعد سقوط جمهورية مهاباد الكوردية عاد إلى كوردستان العراق وأمضى بضع سنين من الحياة ببسالة وعزة ورجولة في زنازين العراق، وأصبح فيما بعد قيادياً بارزاً في الحزب الديمقراطي الكوردستاني. ولأن الحديث هنا يدور حول علي زردشتي فلا أريد التطرق إلى تاريخ حياة الأخ نوري أحمد طه، ولكنني كتبتُ هذه المقدمة للجيل الجديد لأنهم لا يعرفونه. لَمْ يَعد للأخ نوري أحمد طه بعد سنوات ١١ آذار ١٩٧١، ارتباط سياسي مباشر بالحزب الديمقراطي، وأقام في منطقة بالَك وكَلاله. وكان هو ممن يترددون إلى دكان علي زردشتي ويربط الود والمحبة بين قلبيهما، فجأة انقلبت الموازين وساءت العلاقة بينهما!!

ذات يوم التقيتُ كاك نوري في كَلاله وألفيته ضَجِراً بعكس ما عهدنا فيه من البشاشة والبهجة والتعليق على الأحداث وعلى الآخرين، قال لي، أحتاج إليك يا فاروق فأنجدني. توقعتُ وظننتُ أن سوء تفاهم قد حدث بينه وبين أحد قادة الثورة، أو بينه وبين المقر الرئيس للثورة. قلت له ماذا جرى يا كاك نوري؟ فقال

لي: لقد ساءت علاقتي مع ابن الكلب على زردشتي هذا، بسبب سؤاله فيما إذا كان الكورد (ماعزاً) أم (قبجاً)[1] فلم يرتح من جوابي!! فقلتُ له، لا تزره من الآن فصاعداً ولا تتردد إلى مجلسه يا كاك نوري وكفى. فقال لي: يا أخي لَمْ تعد المسألة مسألة الزيارة والتردد، ففي كل يوم يجمع طغمة على الطريق ويقرأ لهم أشعاراً يهجوني فيها ويعيبني.

قلتُ وَلِمَ حدثَ ذلك؟ قال، ناقَشَني علي زردشتي وقال: للكوردي طبع الماعز، امسكْ لحيته وَجرّه يتبعك أينما شئت. فقلتُ له، كلا إنه يشبه القبج، يشدو على الينابيع حتى تتجمع قبوج أخرى كي يصطادها الصياد!! فتحول لديه هذا الحوار إلى حقيقة وألَّف أشعاراً يهجوني فيها ولا يكف عن طعني. سارعتُ إلى أستاذي علي زردشتي واستفسرتُ عما جرى بينه وبين كاك نوري وأسهبت في شرح تاريخ حياته وذكرته به، لكنه لَمْ يكترث ولَمْ يأبه بكلامي وقال لي، أولاً لأقل لك إنني صيَّرتك خليفة لي، ولَمْ أقلْ لَكَ حق التدخل في شؤوننا العائلية. أثار كلامه استغرابي فقلتُ له، عن أي شأن عائلي تتحدث أنت؟!

فقال: ألا تعلم أن نوري أحمد طه هو زوج نجيبة بنت الخال عبده السائق؟! فقلتُ له: وما دخلك أنت بموضوعهم؟ قال، وكيف لا، إن عبده ابن عمتي!! وَمِن هنا عَلمتُ أن الأستاذ زردشتي من أهالي السليمانية ومن مواليد حي (بيرمَسور). بذلتُ جهدي فأخذت منه أشعاره البالغة مائة وعشرين بيتا وكلها هجو فظيع بعيد عن حقيقة وشخصية نوري أحمد طه.

* * *

انتقل علي زردشتي من كَلاله إلى جومان والأصح أن أقول نُقِلَ إلى جومان لعزله من الناس. وأصبحت جومان وقتذاك مركزاً تجارياً وسياسياً واجتماعياً كبيراً.

ذات يوم جاء حبيب محمد كريم، إليه وأراد أن يحادثه مازحاً، قال زردشتي، دعك الآن من هذا الكلام، لأعطيك بعضَ مقترحاتي. كان حبيب يهوى النكات

---

[1] القبج: الحجل وهو طائر معروف في كوردستان ويسمى بالكوردية (كەو).

والطُرَف ورغم كونه سكرتيراً للحزب الديمقراطي الكوردستاني ومن الكورد الفيليين المقيمين في بغداد، ويعرف اللغة الكوردية، إلا أن إمكانيته في المحادثة باللغة الكوردية لم تكن في المستوى المطلوب، لذا يتكلم على الأغلب باللغة العربية الدارجة، فقال لعلي زردشتي باللغة العربية: هَسه مو وَكتها هذا.. خليلياها بتنكه ودزلياها للمكتب السياسي.

فقال له زردشتي: حسنا أمهلني لتسمع هذا الكلام فقط وهو يعود إلى أيام طفولتنا في حي بيرمَسور في السليمانية، كنا نتجمع ونجهز نوعاً من الطعام يسمى (جيشته قولي)[١] فقال حبيب: وما هو (جيشته قولي)؟ قال زردشتي كان كل واحد من الصغار المتجمهرين يأتي بشيء من بيته.. أحدهم يأتي بقِدر، وآخر يُحَّضر حفنة من الرز، وثالث يأتي بباقة أو حزمة من الأعواد، وكان هناك مَن يوكل إليه إحضار الملح وإلى صبي آخر إحضار كمية من الدهن.. وفي الأخير قالوا لي، وأنتَ يا عَلي ماذا تجلب؟ فقلتُ لهم، أنا، أنا في الحقيقة أنا عليّ النفخ. فاستغربوا قائلين: النفخ ، وما هو النفخ يا علي؟ فقلت أجل، عندما نضرم النار فلابد أن ينفخ أحد في النار كي تشتعل وتلتهب وتذكى.. نعم.. وكيف لا! ويبدو يا حضرة كاك حَبيب إنك أيضاً ليس عليك في هذا المقام الرفيع في الحزب سوى النفخ في النار ولا غيرها ! !

علي زردشتي و ماوتسي تونغ

لم يكن علي زردشتي يتفقد المقرات السياسية والعسكرية للأحزاب، ولكن مقراتنا ومراكزنا حظيت باستضافته. بلا شك يُعزى السبب الرئيس إلى صداقتي وعلاقاتي معه.

ذات يوم قَدِمَ إلى ناوكيلَكان. وحضرَ هناك الرفيق صبري مسؤول السرية العسكرية من بيشمركة الحزب في منطقة شوان قرب كركوك. قال صبري: ما رأيك يا

---

[١] جيشته قولي: يشبه الطعام المشكل وهي تسمية خاصة بعلاقات الصغار اليومية. (المترجم)

أستاذ زردشتي بالرفيق ماوتسي تونغ، أجابه علي: أنا أسألك سؤالا يا صبري، لو سَلمتُكَ في رواندوز قطيعَ أغنام، هل يكون بوسعك إيصاله كله إلى هذا المقر في ناوكيلَكان سالماً؟

كان الرفيق صبري عربياً من الجنوب لكنه تَعلمَ اللغة الكوردية وأتقنها، فأجاب: كلا، يصعب عليَّ الإتيان به عبر كل هذه الجبال والوديان والغابات الكثة! فقال علي زردشتي: إن ماوتسي تونغ يدير شؤون مليار نسمة ولا يخفى شيء عليه، هذا هو رأيي، بيني وبين ماو فارق واحد: هو عاقل وحصيف ويستجيب له شعبه ويستنيرون بآرائه.. أما أنا فعاقل ولكن شعبي لا يحمل كلامي على محمل الجد ولا يصغي إليّ.

علي زردشتي وعزيز

صديقنا الساخر.. الراحل عزيز حاجي أحمد جولا

كان عزيز من أبرز الشخصيات الكوميدية الساخرة في السليمانية، كان له معارف وأصدقاء كُثرُ، أقربهم الأخ ملازم عمر وكاتب هذه السطور.

ترك عزيز المدينة والتحق بالثورة، ذات يوم دار هذا الحديث في دكان زردشتي في جومان، بينه وبين علي زردشتي. كان عزيز شاباً وسيماً، يرتدي (رانكوجوغه) ويشماغا وحزاماً متيناً، ويحمل الكلاشينكوف ومنظاراً، تحدث علي زردشتي عن نضاله وتعرضه إلى السجن والملاحقة وكيف صبَّ الطورانيون في كركوك التيزابَ على وجه والدته فاستُشهِدَت. فقال عزيز: وما أهمية هذا الحدث قياساً بما جرى لي! قال له زردشتي: وماذا دهاك أنت؟ فقال عزيز: أنت تجهل ما جرى لي، إني أترفع عن ذكره ولا أعلنه.

زردشتي: حسناً قل لي ماذا حل بك.

عزيز: ينبغي على المرء ألا يذكر ويضخم ما يجري وما يحل به، مادام ذلك في سبيل الكورد. عار عليك.

زردشتي: اشرح لي ما جرى.. لقد انفطر قلبي.. هيا تكلم!

قال عزيز: أنا كنتُ في الحزب!!

زردشتي: أعماك الله، وما أهمية الحزب!!

عزيز: وأديتُ ما لم يُذكر في المنهاج الداخلي للحزب في سبيل النضال، أديته ببسالة.. وأنت ماذا فعلتَ، هكذا تفخم وتعظم نفسك فقط؟

زردشتي: يا بني قل لي ماذا جرى لك؟ لقد نفد صبري، قل لي.

فقال عزيز: اُعتُقِلْتُ في آمرية الانضباط العسكري في السليمانية، بعد أن أشبعوني ضرباً بالركل والرفس.. جاء ستة جنود ضخام وأولجوا ست مرات (قضيب..ب..ه..م) في دبري، فهل تعرضتَ أنت لمثل هذه.. أيها الدعي؟

دهش علي زردشتي وجحظت عينه..

فقال: لا والله.. لا.

بعد أن كان يتغيب عزيز، تعلم الأستاذ علي زردشتي أن يتلفت يمنة ويسرة ويقول ضاحكا: حسنا، ما أخبار (المنيوك)!!

وفي الأخير لابد لي من أن أكتب نص وصيته من دون أي زيادة أو نقصان:

"عندما أموت ضعوا عشرة أحمال من الحطب على الأرض.. وضعوا عليها جثتي، ثم انشروا عشرة أحمال أخرى عليها واحرقوها."

آخر مرة التقيتُ علي زردشتي صادفتْ أيامَ نكسة آذار ١٩٧٥، في جومان، ودَّعني وقال لي اُيمم وجهي شطر مدينة سردشت في كوردستان إيران. كانت العبرات تسيل من عينيه فأشجاني ذلك وبدأت أنتحب بحرقة.

لقاء الإعلام والصحافيين معي

في سنوات ١٩٧١–١٩٧٥ زارَ صحافيون وكُتاب وشخصيات سياسية المناطق المحررة من كوردستان، وكانوا يبغون إجراء اللقاءات وكتابة المقالات والريبورتاجات. شملت تلك الجولات والزيارات مقرَنا، وبحكم مسؤوليتي في الحزب

أجـروا معظـم اللقـاءات معــي. الــذين وفــدوا إلينــا مــن طـرف الحــزب الــديمقراطي الكوردستاني رافقهم مترجمون أو مساعدون.

ذات مرة كنا منشغلين ببناء دار من الطين والآجُـر في قريـة (كـاني سـبيندار) زارنـا صـحفي أوروبـي يرافقـه الأخ جيـا عبـاس بيـك صـاحبقران. كـان جيـا عبـاس مثقفـاً يسارياً. جذب عملنا الجماعي المشترك اهتمامهما، كنتُ أعمل بجد مع الرفـاق، وأتـولى مهـام المسـؤول الأول في مقـر قيـادة حزبنـا. مـرة أخـرى وَفـدَ إلينـا صـحافي فرنسـي لرؤيتنا. وجاء معه الدكتور أحمد عثمـان لـيترجم لـه. وللتـذكير أقـول، بعـد ثـورة ١٤ تمـوز ١٩٥٨ أصـبح أحمـد عثمـان مسـؤولا للقسـم الكـوردي لإذاعـة بغـداد كشـخص مستقل محسوب على الحزب الشيوعي العراقي، وفيمـا بعـد حصـل علـى الـدكتوراه في التاريخ الكـوردي في موسـكو وَعُـينَ أسـتاذا في كليـة الآداب – جامعـة بغـداد. كـان لـه طبعه الخاص في العلاقات لأنـه كـان لا يهـوى أن يحييـه مـن هـو أصـغر منـه في السـن والمستوى الدراسي والتحصيل العلمي، فكيف أن يجالسك ويجري اللقاء معك!!

مرة كُنا في بغداد سألوه لِمَ لَمْ ترد على تحية فاروق عنـدما سـلم عليـك؟ فقـال لهـم "هو طالب من طلاب أحد طلابي.. مَن هو حتى يُسلِّم عليّ."

والآن ها هو جالس يترجم أمامي وأنا مسؤول الحزب، وهو مجرد مترجـم قـادم مـع صحافي فرنسي، فغـر فمـه وذهـل، قلـت لـه: لا تسـتغرب يـا أسـتاذ ولا تتشـنج وأنـت تضطر الآن لتترجم أقوالي وليس للحـديث معـي فحسـب. إن تَقَـدم طلابـك وازدهـارهم ليس منقصة لَكم بل عزة!

طلب مني أن أنهي كلامي وألا أستطرد ولا أفضـي بهـذا إلى هـذا الرجـل. بعـد قليـل من الحديث والحوار فهم الرجل أن فرنسية د. أحمـد ليسـت جيـدة، فسـأله الصـحافي، وكيف أنتَ يا دكتور في اللغة الإنكليزية؟ فقال أجود من مسـتواي في الفرنسـية. وهكـذا بدأ الحديث بالانكليزية. سألني الصحافي الفرنسي عـن رأي حزبنـا بخصـوص الفـوارق بين الاتحاد السوفيتي والصين الشـعبية، كنـت مـع الصـين في الفكـر والخـط السياسـي للحزب الشيوعي الصيني بقيادة الرفيق ماوتسي تونـغ وضـد الخـط السياسـي للحـزب

الشيوعي السوفيتي. تحدثتُ بالتفصيل حول هذا الموضوع. وكان الدكتور أحمد عثمان يترجم بعض أقوالي بحذافيرها وينقل أغلبها بشكل معكوس.

قلتُ له، لِمَ تفعل هذا يا أستاذ؟ أنا أعرف الإنكليزية، أنت هنا مترجم ليس إلا، وليس لك أن تعبر عن رأيك الشخصي، بل عليك الالتزام بما أقول بدون أي تصرف. فقال ورأس أخيك كلامي أصدق من كلامك! حين شرحتُ للصحافي الفرنسي السرَ الكامن بيني وبين الدكتور أحمد عثمان وما جرى في أثناء ترجمته ضَحكَ كثيراً وقال لَمْ نعد بحاجة إلى هذا الصديق، لنتحادث أنا وأنت باللغة الإنكليزية.

سيكون لهذا السرد نكهة خاصة لدى معارف الدكتور أحمد عثمان من زملائه الأساتذة وطلابه.

* * *

لقاء مع صحافي سويدي

نُشر هذا اللقاء في صحيفة سويدية أجراه معي عام ١٩٧٥ صحافي سويدي، بعث به إلينا مشكوراً الأخ العزيز الدكتور أحمد بامرني عندما كان سفيراً للعراق في السويد.

اشترك الدكتور أحمد في النضال والعمل السياسي للثورة قبلَ تسنمه هذا المنصب. واحتفظ بنسخة من الصحيفة التي نشر فيها اللقاء عام ١٩٧٥. وقد نشرت صورة لي بالزي الكوردي مع اللقاء.

مقتطفات من هذا اللقاء

موقع ومكان الجيش العراقي هو (الجولان) وليس كوردستان

يقول فاروق:

يعمل الاتحاد السوفيتي من أجل مصالحه على حساب مصالح الشعوب الأخرى.

فاروق يترأس الفرع الكوردي للحزب الشيوعي الماركسي— اللينيني، القيادة المركزية. أجرى يورانلوندين لقاءً مع الرفيق فاروق حول الأسباب الكامنة وراء

الانشقاق الذي حدث داخل صفوف الحزب الشيوعي العراقي بين جناح اللجنة المركزية ودعاة التغيير حول تحليل الوضع العراقي والنظرة إلى الاشتراكية الإمبريالية.

– ما الدافع وراء انشقاقكم عام ١٩٦٧ عن الحزب الشيوعي؟

إن المهمة الرئيسة لكل حزب شيوعي هي إشعال فتيل الثورة وتسلم السلطة لمصلحة العمال والفلاحين. نحن نعتز بحزبنا، في الاربعينات و الخمسينات كنا أكبر كيان في العراق وتوفرت أمامنا فُرص لاحتواء السلطة والاستيلاء عليها عن طريق انتخابات حرة، لكن قيادة الحزب الشيوعي ظنت أنها تمتلك فهما مغايراً ورؤية خاصة للتحولات والتغييرات، مثلت القيادة خطاً أيد ودعمَ السلطات التي يُعينها البرجوازيون. على سبيل المثال، انظر إلى نظام عبدالكريم قاسم في ١٩٥٨–١٩٦٣، وإلى حزب البعث في الوقت الراهن، ترى أن الحزب الشيوعي قد عدل عن رأي الأكثرية وعن فكر الماركسية – اللينينية.

إن أجندة الحزب اليوم تمثل الاتحاد السوفيتي بالنيابة وليست من أجل الجماهير العراقية، نضرب مثلاً برؤية الحزب الشيوعي (جناح اللجنة المركزية) حول المسألة الكوردية التي تصب في دعم السلطة لإبادة الكورد. وهذا طبقاً لبرنامج الاتحاد السوفيتي وحفظ مصالحه.

– وماهي مصالح الاتحاد السوفيتي في العراق؟

إن الحركة الوطنية التي ظهرت في أرجاء العالم هي في الحقيقة سباق. يصون الاتحاد السوفيتي مصالحه على حساب الشعوب الأخرى، بعبارة أوضح يروم الهيمنة على النفط عن طريق الخليج العربي.

– ما نوع الاستياء والتذمر وعدم الرضا في العراق؟

لحزب البعث سلطة تامة ويمثل الطبقة البرجوازية في العراق. للبرجوازيين مصالح مشتركة مع الاشتراكية الإمبريالية والإمبريالية الأمريكية. التذمر والصراع الرئيس في بلدنا يدور بين البرجوازية البيروقراطية ومن يعاونها وبين الشعب. ليس الشعب مُنظَما بشكل عام، ولكن توجد معارضة، يقودها الآن الحزب الديمقراطي

الكوردستاني في الوقت الحالي. عدا هذا الحزب، نحن هنا أيضاً ونعمل بجد ونواصل الكفاح المسلح مع ثلاث أو أربع فرق وأحزاب اشتراكية. حالَ قمع البعث وأعماله الجائرة دون تمكن الشعب العراقي على نحو عام من القيام والوقوف علناً بوجهه.

يمثل البعثيون مصالح البرجوازيين على صعيد السياسة الخارجية، ما يثير العجب ويعتبر أمراً غريباً بل سخرية هو إعلان العراق دعمه للقضية الفلسطينية.

وينبغي ألا ننسى أن البعثيين يَتبعون سياسة قصيرة الأمد كي تكون هناك مشاكل كبرى عالقة و قائمة على الدوام.

لنرجع إلى سنوات قليلة خلت، إلى فترة ارتكاب الجيش الأردني مجزرة في الأردن ضد الثوار الفلسطينيين، وقتذاك كان للجيش العراقي حضور في الأردن فلجأ الفلسطينيون إليه، فَلَم يوفر لهم الأمان ولَمْ يكترث لهم. لو أراد النظام العراقي اتباع سياسة سليمة فيجب ألا يستخدم جيشه ضد الكورد بل عليه إرساله إلى الجولان وسيناء.

– وما هو رأيك حول الصراع والنزاع الدائر بين العراق وإيران على الخليج العربي؟

البرنامج الإيراني في غاية الوضوح، ينوي شاه إيران السيطرة على منفذ ومدخل تصدير النفط وضمان تحكمه فيه.

– بأي وسيلة ممكنة يسقط البعث؟

بالكفاح والثورة المسلحة في ربوع العراق، وهذه الثورة التي أقصدها قائمة الآن في كوردستان فقط لذلك يجب علينا دعمها.

كلانا نعادي البعث الفاشي ونسعى لبناء وتشكيل سلطة ديمقراطية ينتخبها الشعب عن طريق انتخابات حرة تضمن الحكم الذاتي للشعب الكوردي. وإليك أسماء الأحزاب التي تقف معنا ضد البعث (إضافة إلى الحزب الديمقراطي الكوردستاني): البعث اليساري، الحركة الاشتراكية العربية، المؤتمر الوطني العربي، حزب الاتحاد العربي، الحزب الاشتراكي.

إن السلطة العسكرية في العراق من أهم وأبرز السلطات المتحكمة بالدولة، ولا تزال

تُستخدمُ لأغراض خاصة وينبغي ألا ننسى أن الجنود يُكرَهون على تنفيذ الأعمال القمعية للشعب، إنهم أبناء الفلاحين والعمال ويمثل الضباط الطبقة البرجوازية. يعاني البعثيون دوماً من أمراض الشكوك، الارتياب من الجيش العراقي فيقومون بعمليات انتقاء وتصفية، يزجون بالضباط في السجون أو يشنقونهم، هذا ما يؤثر فيهم ويحفزهم على الانقلاب والقيام بالثورة داخل الجيش، المشكلة هي أنه قد جرت عمليات تصفية مستمرة للأشخاص ذوي قابليات وإمكانيات هناك.

– هل إن البارزاني هو القائد الأقوى للثورة؟

نعم. اليوم نعمل معاً لهدف واحد لوجود مصالح مشتركة بيننا، نُناضل من أجل سلطة ديمقراطية في العراق. نحن لا نلتفت إلى الماضي لنعرف ونرى ماذا جرى وما حدث.

أضرب لك مثالاً، كنا مختلفين وغير متفقين في أثناء اتفاقية ١١ آذار ١٩٧٠، نحن نعتقد أن الكفاح المسلح يجب أن يستمر، كانت هناك فرصة ذهبية لإسقاط البعثيين، فقد أخفق الجيش العراقي بشكل تام في تحركاته وأُلحِقَت به أضرار فادحة في الجبال، بَيدَ أن الاتفاقية فَوَّتت هذه الفرصة الذهبية ومنحت البعثيين وقتا اغتنموه لاستعادة قوتهم بغية استئناف القتال. ومازلنا على رأينا بصدد هذا الموضوع. لا يمكن الاتفاق مع البعثيين الفاشيين وكل محاولة معهم تخفق وتبوء بالفشل.

الآن تظهر بين البعثيين آراء مختلفة، في حالة استمرار الحرب تحدث انقلابات بين قادة البعث. لتهدئة الوضع والتخلص من تلك الأزمات والمشاكل، جنحوا إلى السلم واستأنفوا الحوار مع الحزب الديمقراطي الكوردستاني، بالتأكيد يؤدي هذا الأمر إلى أن تحدق بحركتنا المخاطر، لذا علينا أن نكون حذرين جداً.

6



"Irakarméns plats är på Golan Inte i Kurdistan"

— Sovjetunionen företräder sina egna intressen på andra nationers bekostnad, säger Faruk, ordförande för den kurdiska grenen av det marxist-leninistiska kommunistpartiet — Centralkommandot.

Göran Lundin har intervjuat kamrat Faruk om varför Centalkommandot bröt med revisionismen, om partiets analys av läget i Irak och synen på socialimperialismen.

• Varför bröt ert parti med Irakiska kommunistpartiet 1967?

— Varje kommunistpartis huvuduppgift är att göra revolution och överta makten åt arbetarna och bönderna. Vi är väldigt stolta över vårt partis utveckling under 40- och 50-talen då vi var det största partiet i landet och hade stora möjligheter att vinna makten i fria val.

Men i partiet hade insmugit sig personer med revisionistisk uppfattning. Dessa förespråkade i stället en linje som gick ut på att stödja olika regimer rekryterade från bourgeoisin, bl a Kassems regim 1958-63 och nu senast Baath-partiet. Därmed har IKP på ett tydligt sätt fjärmat sig från massorna och från de marxist-leninistiska idéerna.

Idag är revisionistpartiet ett språkrör för Sovjets intressen, inte folkets. Titta t ex på partiets ställningstaganden i den kurdiska frågan. IKP kollaborerar öppet med en regim som bedriver terrorkrig mot kurderna. Det gör man i den sovjetiska revisionismens intresse.

• Vilka intressen har Sovjet i Iran?

— Den nationella kampen i hela världen är en del av klasskampen. Sovjetunionen företräder sina egna intressen på andra nationers bekostnad. Konkret innebär detta att Sovjet vill kontrollera oljan i Irak och utfarten i Arabiska/persiska viken.

• Vilka är motsättningarna idag i Irak?

— Baath-partiet, som innehar den egentliga makten, är representanter för bourgeoisibyråkratklassen i Irak. Bourgeoisin har gemensamma intressen med socialimperialismen, men också med USA-imperialismen.

Huvudmotsättningen i vårt land går mellan byråkratibourgeoisin — med vilka revisionisterna är lierade — och det övriga folket.

Folket är till stora delar oorganiserat men ett visst motstånd existerar. KDP — Kurdiska Demokratiska Partiet — går f n i spetsen för detta motstånd. Utöver KDP finns vårt eget parti, som bl a också aktivt deltar i den kurdiska väpnade kampen, och tre — fyra andra nationella och socialistiska partier. P g a Baath-partiets effektiva förtryckarapparat är det dock mycket svårt att föra kampen i Irak.

Baath representerar bourgeoisins intressen även i utrikespolitiken. Detta kan synas konstigt då Irak gjort sig känt för att stödja den palestinska saken. Men vi måste komma ihåg att Baath för en kortsiktig politik med inslag av värsta opportunism. Vi behöver bara gå tillbaka några få år då den jordanska armén genomförde slakten på den palestinska gerillan. I Jordanien fanns vid denna tidpunkt en stor kontingent irakiska soldater. Palestinierna sökte skydd bakom irakierna men dessa rörde inte ett finger för att understödja eller skydda dem.

Om Irak försökte praktisera sin politik skulle man inte låta sin armé döda kurdiska bröder utan placera den på Golanhöjderna och i Sinai.

• Vilken uppfattning har ni beträffande den iransk-irakiska konflikten i Arabiska/persiska viken?

— Irans syften är klara. Shahen vill kontrollera utloppet för att trygga sin egen oljeexport. Samtidigt bekämpar han befrielserörelserna i Dohfar och Oman.

Men det står samtidigt klart att den härskande klassen i Irak långt ifrån gör allt för att försvara det irakiska folkets intressen i viken. Genom att sluta fred på ett demokratiskt sätt med kurderna skulle landet mycket bättre kunna motstå den iranska imperialismen i området. Idag använder Baath konflikten som ett slagträ mot kurderna och som en förevändning att föra kriget.

• På vilket sätt kan Baath störtas i Irak?

— Endast genom väpnad kamp i hela Irak. Idag är denna kamp begränsad till Kurdistan och då är det vår plikt att understödja den.

Vi är båda emot det fascistiska Baath och strävar efter att upprätta en demokratisk regering, *vald* av folket. Och ge det kurdiska folket en verklig autonomi.

De partier som ingår i vår front mot Baath är förutom vårt eget parti, KDP, vänsterflygeln av Baath, arabiska socialistiska rörelsen, Nationella arabiska kongressen, Arabiska unionistpartiet och socialistpartiet.

Den irakiska krigsmakten är en av de betydelsefullaste krafterna i Irak. Fram till nu har den tjänat huvudsakligen reaktionära syften. Men vi måste skilja mellan soldaterna, som ofta är tvångskommenderade och själva söner till bönder och arbetare, och officerarna, som representerar bourgeoisin.

Baath lider dock av sjuklig misstänksamhet även mot denna del av armén och företar titt som tätt ordentliga utrensningar. Officerare spärras in eller avrättas. Detta har bl a lett till en utarmning av krigspotentialen i den irakiska armén. Man saknar helt enkelt kunnigt folk.

• Har general Barzani alltid företrätt en progressiv linje i kampen?

— Idag samarbetar våra båda partier därför att vi har gemensamma intressen: att upprätta en demokratisk regering i Irak. Vi tittar inte tillbaka på vad som varit tidigare.

Men som exempel kan jag nämna att vi var oense med Barzani och KDP om 11:mars-överenskommelsen 1970. Vi ansåg att den väpnade kampen skulle ha fortsatt. Det fanns ett utmärkt läge för att fullständigt krossa Baath. Deras militärapparat var totalbesegrad och armén hade lidit svåra nederlag i bergen. Men nu gav överenskommelsen Baath det andrum det behövde för att kunna återuppta kriget.

Vår uppfattning står fast idag: Det finns inte plats för överenskommelser med Baath-fascisterna. Alla förhandlingar leder till nederlag. Inom Baath råder f n stora motsättningar. Om kriget fortsätter tillräckligt länge kommer motsättningarna att resultera i kuppförsök och komplotter mot olika ledande personer inom partiet. För att få andrum då, är det inte otänkbart att Baath försöker få igång förhandlingar med KDP igen.

Det blir då som vår rörelse sätts på prov. Det är då det gäller att vara på sin vakt.

نص اللقاء باللغة السويدية

الفصل الثامن

حول نكسة ثورة أيلول

نكسة ثورة أيلول ١٩٧٥[١]

قضيتُ حياتي منذ أواخر عام ١٩٦٨ حتى مطلع ربيع عام ١٩٧٥، بين الاختفاء والعمل الحزبي السري، في السليمانية، وكركوك وأربيل. تستحق كل ذكرى مِنَ هذه الذكريات الرفيعة في قرداغ وكرميان وسفوح بمَو، وكورَكازاو، ووادي شهيدان، وسَفْرَ ورَزون و شاخه رەش، وناوكيلَكان وكويزان، وناوبردان، وقسري، وديلمان، أن أكتب عنها قصة كاملة.

في السنوات التي كنت فيها في منطقة بالَك، استقرت معظم مراكز ومقرات قيادة ثورة أيلول والسياسيين الكورد في تلك الأطراف، وكنت مسؤولاً عن العلاقات بين الحزب الشيوعي العراقي– القيادة المركزية، والحزب الديمقراطي الكوردستاني، وعليه عرفتُ أغلب سياسيي تلك الأيام وشاهدتُ بنفسي الأحداث كافة.

مرت الثورة الكوردية وقتذاك بمرحلة حساسة جداً. وَجَرَّ اتخاذ الموقف منها وتقييمها، كثيراً من الناس والأحزاب والدول إلى دوامات وإشكاليات فهم تلك المعادلات التي تشكل منها الوضع السياسي آنذاك. لم تكن للثورة رؤية واضحة، لِنَقُل على نحو أدق لم يكن أمامها أفق واضح معين، تعددت الأسباب والعوامل التي منعت القيادة السياسية من التمكن من تفسير وتحليل الوضع السياسي الداخلي المعقد الذي كانت تواجهه.

وعزا بعض المؤرخين والكتاب أحد أهم الأسباب المؤدية إلى إخفاق الحركة الكوردية، إلى غياب الدبلوماسية، وفسروا عدم اهتمام القوى العالمية العظمى بالقضية الكوردية بجهل الساسة الكورد وعدم إدراكهم كيفية إنشاء العلاقات والتعامل مع القوى العالمية المتنوعة، واستخلص هؤلاء الكتاب آراءهم من النتائج التي آلت إليها السياسات المتبعة، وعَدَّوا نجاح أو إخفاق الثورة وعدم تحقق طموحاتها وأهدافها دليلاً على ذلك.

---

[١] نشرتُ هذا البحث في العدد (٣) آذار ١٩٩٥ لمجلة (دواروژ).

سأسرد ههنا بعضَ الذكريات وأسلط الأضواء على جوانب من ثورة أيلول بخاصة حول إخفاقها ونكستها الكبرى في آذار ١٩٧٥.

إن دراسة الانتصارات خطوة خطوة، وكذلك الخطوات الصحيحة والخاطئة تُلقي الضوء على طريق المستقبل وتساعد على رسمه، وتردم ثغرات الأعمال الناقصة وغير المكتملة. ويُعين التحليلُ والدراسة النقدية الحركاتِ والأشخاص مستقبلا في حالة نمو وظهور ظروف سياسية مماثلة أو شبيهة بما ظهر في الماضي، بالأخص لِمنْ يريدون استقاء العِبَر من تجاربهم الماضية أو من تجارب الأمم الأخرى.

* * *

بعد الحرب العالمية الأولى قسمت وجزأت الدول الإمبريالية العظمى، كوردستان وفقا لمصالحها المشتركة على دول الإقليم في المنطقة، العراق، وتركيا، وإيران، وسوريا.

ففي حساباتها وضعت الأنظمة والدول الرأسمالية العالمية مطالب الكورد لتأسيس كيان قومي في مقابل موقف الحكومات العراقية والتركية والإيرانية والسورية الرافض لهذه المطالب، فرجحت الثانية، لأن أهمية مصالحها مع تلك الدول الإقليمية تفوق الحقوق القومية المشروعة للكورد، لذلك فرضوا التقسيم على كوردستان.

ومنذ ذلك الوقت وتلك الدول الإقليمية الأربع، تعد القضية الكوردية خطراً مشتركا، فاتفقت معاً على عرقلة وإحباط الثورة الكوردية، وإذا التفتت دولة أو دولتان منها إلى المسألة الكوردية فأنها كانت لاستغلال الكورد وقضيتهم العادلة في سبيل مصالحها ولتسخيرها ضد خصومها وأعدائها، وفي النتيجة اتفقت على حل الخلافات فيما بينها بإخماد الثورة الكوردية وجعل الكورد ضحية في هذا الصراع، والأمثلة لهذا كثيرة لا حاجة بنا إلى الإشارة إليها.

اتهم رجال الإنكليز وخَدمه السابقون وبعض المؤرخين والقراء السُذج، الشيخ محمود الخالد بجهله في أسلوب التعامل مع الإنكليز، واعتبروا هذا سببا حال دون تثبيت (حكومة كوردستان الجنوبية) في ظل راية الإنكليز، مما أدى بها إلى الانهيار.

ليس هذا نقداً خاطئا فقط لكيان حكومة الشيخ محمود بَلْ يُعدُ إجحافا سافرا وجائراً بحقه. ولا يخفى أن الشيخ لم يكتف بطلب العون من الإنكليز فقط، بل استغاث بالحكومة السوفيتية لتسعف الشعب الكوردي، في وقت لَم تمض سنتان بعد على ثورة أكتوبر، ولكن لم يكن في ذهن الإنكليز وسياستهم إنشاء دولة كوردية أو تقديم أي شئ للكورد. كان بإمكانه أن يستقدم أحداً من الكورد الموالين لسياسة الإنكليز، وهم كُثُر، ويسلمه زمام حكم و إدارة كوردستان مثلما منح بعضهم مناصب ومراكز هامة في وزارات وهياكل الحكومة العراقية.

انظر إلى الزعيم الشهيد قاضي محمد فقد أراد أن يستغل الدوامة والظرف المضطرب ومستجدات الوضع الدولي في المنطقة بعد الحرب العالمية الثانية، فأعلن دولة كوردية (جمهورية مهاباد أو جمهورية كوردستان)، لكنَ تفاقم الأزمات واضطراب الوضع آنذاك ومصالح القوى العالمية العظمى في المنطقة أغرقت الجمهورية في الدماء واختار رئيسها قاضي محمد الطريق إلى ساحة الإعدام بنفسه.

وهذا هو ملا مصطفى البارزاني، طيلة سنوات قيادته للثورة الكوردية لم يبق باب لم يطرقه ولا حكومة لَمْ يرتبط بها بحثاً عن سند قوي وملاذ آمن لثورته واستمداد العون المادي والتضامن السياسي.

صحيح إن العوامل الداخلية لتأسيس وتقوية ونجاح أي حركة أو ثورة في نهاية المطاف هي العامل الرئيسي فيها، لكن العوامل الخارجية في بعض الأحايين تؤدي دوراً مؤثرا سواء أكان سلبيا أم إيجابيا.

لم يكن من مصلحة القوى العظمى إلى اليوم ضمان وتوكيد استقلال ووحدة أرض كوردستان المحتلة والمجزأة والمقسمة على دول عدة أو إقامة ضرباً من الحكم الذاتي، وإن كان في إطار كل دولة من الدول التي اُلحِقَت بها كوردستان.

إن الحديث بدقة عن صفحات تاريخ الثورة الكوردية ومجمل الحركة السياسية الكوردية في ربوع كوردستان وتحليلها مهمة مخلصة وعمل جد ضروري، وبخاصة في هذا الوقت الحساس، كما ينبغي مقارنة بعض التجارب السياسية وتقويمها وكشف

واستخراج الأسباب الكفيلة بتقوية وتمتين مواجهة التجربة الراهنة للكورد ومستقبلها الغامض ونتائجها المجهولة.

التفاؤل والثقة التامة بأقوال ووعود إيران

في شتاء ١٩٧٤ وجهتُ سؤالاً إلى الدكتور محمود علي عثمان عضو المكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكوردستاني، حول احتمال اتفاق إيران والعراق والتقارب بينهما وعما يحدث أثناء ذلك، وماذا سيكون بوسع الحزب الديمقراطي الكوردستاني فعله، وكيف يكون موقفه؟ أجاب: غير محتمل، هذا أمر لا يمكن حدوثه ! للتأكيد على سؤالي رويت له خبراً لصحيفة لندنية مفاده أن (وزيرا خارجية العراق وإيران يجتمعان سراً في جنيف) لكن الدكتور محمود قال: يُطلعنا الإيرانيون على كل شئ، وعلى كل جديد يحدث، ولا يمكن إجراء أي اتفاق بدون علمنا !

إن هذا الكلام يعكس التفاؤل المجرد من أي أساس ومبدأ، والثقة الكاملة لقيادة الثورة الكوردية في ذلك الوقت بإيران، بعدئذ صار كل شئ هباءً منثورا وذهب أدراج الرياح.

الوضع الدولي للمنطقة قبل اتفاقية ٦ آذار ١٩٧٥

للمرة الثانية في ١٧ تموز ١٩٦٨ تسلم حزب البعث الحكم في العراق عن طريق انقلاب عسكري.

تم انقلاب ١٧ تموز، مثلما أعلنوه بالتعاون بين حزب البعث وكبار ضباط الجيش في عهد عارف. في ٣٠ تموز ١٩٦٨ قام حزب البعث بمحاولة انقلابية ثانية وأبعد الضباط أمثال عبدالرزاق النايف رئيس الوزراء، وإبراهيم الداود وزير الدفاع، عن الحكم بذريعة اتهامهما بالعمالة لأمريكا. كان الانقلابان المذكوران أبيضين انتهيا بلا إراقة للدماء وبدون اللجوء إلى العنف والقوة.

وفي الأخير أميط اللثام والقناع عن أسرار الانقلاب، فتبين أن السبب الرئيس وراء الانقلاب هو تخوف أمريكا وبريطانيا من ضعف حكومة عبدالرحمن عارف، وتطور

نضال وحراك الشيوعيين وتقدمه خاصة بعد انتفاضة ١٧ أيلول ١٩٦٧ وظهور أول انتفاضة مسلحة (للقيادة المركزية) في أهوار جنوب العراق، التي أرعبت الإمبريالية والرجعية في العراق، وبالقدر نفسه حز في نفس قادة الاتحاد السوفيتي ومعتمديهم من الحزب الشيوعي (اللجنة المركزية) في العراق هذا النهوض الثوري للقيادة المركزية في حينه، فطفقت حكومة البعث في تقتيل أعضاء القيادة المركزية وتقطيع أوصال أكثر من خمسين شخصاً من قادتهم وكوادرهم في غضون أيام تحت ضراوة التعذيب، كانت الحكومة السوفيتية تتقرب يوما بعد يوم إلى حكومة البعث ذات الوجه الأسود! وكان الحزب الشيوعي جناح (اللجنة المركزية)، يسارع إلى توسيع خطواته بهدف التعاون مع هذا النظام.

أثناء تصاعد وتنازل العلاقات العراقية مع الشرق والغرب، وفي أعقاب سياسة البعث الرامية إلى المساومة الكبرى مع هذا أو ذاك، بغية الحفاظ على بقائه وتقوية نفسه، اعترف بحكومة ألمانيا الشرقية، فضمَّن هذا الاعتراف مكاسب دعائية طائلة على البعث، وكانت الحكومة العراقية أول حكومة خارج إطار الحكومات (الاشتراكية) تخطو تلك (الخطوة التاريخية). وفي فترة لاحقة وقعت الحكومة العراقية معاهدة التضامن والصداقة والدفاع المشترك مع الاتحاد السوفيتي، وفي حزيران ١٩٧٢ قررت وأعلنت تأميم النفط.

حدت هذه المواقف والتحولات السياسية العراقية في مضمار المساومات الدولية بالغرب إلى توطيد العلاقات مع أصدقائه القدامى، فَلَم يسمح أن تُرَجَّحُ كفة ميزان هذه الصداقة المتقدمة وتميل إلى الاتحاد السوفيتي.

وكانت منطقة الخليج ولا تزال، المركز الأكبر للنزاعات والصدامات والطموحات الرأسمالية بسبب احتوائها على أكثرية احتياطي النفط العالمي.

كانت إيران كقوة إقليمية كبرى في المنطقة وفي كنف الشاهِ (شاه آريامهر)، تسمى رأس رمح الغرب، وكلب حراسة الخليج، طمحت إلى أن تكون إمبراطورية المنطقة وتقود البلد إلى تطور رأسمالي عالي وتبني صرح إمبراطورية كبرى بين دول العالم

العظمى. دعم الغرب بقيادة أمريكا الحكومة الإيرانية وأرشدها سياسياً في صياغة السياسة الإقليمية والدولية.

تمحور الصراع بين العراق وإيران حول (شط العرب)، كما كانت بعض الأماكن والمواقع الحدودية جزءاً آخر من تلك النزاعات التاريخية بين هاتين الدولتين، حيث احتدم الصراع على نحو أكثر، أثناء الحرب الباردة واشتدادها واحتلال الجزر الثلاث في الخليج من قِبَل إيران.

في هذا الظرف الجديد بدأت إيران تقترب أكثر من قيادة الحركة الكوردية، وتزامن مع هذا الاقتراب إشاعة شعوذات عرقية كإعادة نسب الكورد والفرس إلى أرومة آرية واحدة. وكانت سياسة قمع الحركة الكوردية في إيران في أوجها وَهُمشت حقوق الكورد تماماً هناك. أما نزعة استخدام واستغلال القضية الكوردية لأغراضهم ومصالحهم الخاصة فقد أصبحت سياسة خاصة لشاه إيران وأمريكا والغرب قاطبة.

وقعت الثورة الكوردية كحركة تاريخية لشعب مُستغَل ومظلوم بين قطبي رحى الإقليم والعالم. ولم تعد تبصر أفقاً لصداقة أية جهة أخرى وأحدقت بها مخاوف سحقها من قبل البعث.

بين الاعتراف بالخطة التي وضعها البعث لتنفيذ اتفاقية ١١ آذار ١٩٧٠، التي لَمْ تكن في الأساس خطة بل مؤامرة بعيدة الرؤى لاحتواء المسألة الكوردية وإفراغها من محتواها القومي والديمقراطي، وبين تعهد إيران و أمريكا للوقوف مع حقوق الشعب الكوردي، التي أعطيت شفهياً و لَم تُكتَب على الورق، بين هذين الأمرين خامر القلق والتردد قادة الثورة الكوردية. انتهي هذا التردد والقلق بين صفوف قيادة الثورة الكوردية بعد حوارات سرية ثم علنية مع حكومة بغداد، وذلك بالإصرار على تنفيذ شروط الثورة، ولم تلتزم الثورة الكوردية في الأخير بتعهدات حكومة البعث، نتيجة تمسكها بوعود إيران وأمريكا واستنادها إليها.

وبسبب تحسن الوضع الاقتصادي لحكومة بغداد بعد تأميم إنتاج النفط وتسليح جيشها على نحو أحسن، بعد معاهدة الصداقة والتضامن العراقية – السوفيتية،

بدأت الحكومة العراقية تجازف وتغامر أكثر من ذي قبل، وجعلت من عدم استجابة الثورة الكوردية فرصةً تاريخية ومواتية لإشعال فتيل الحرب مجدداً والسعي لتصفية الثورة الكوردية. ولم يقتحم البعث ساحة المعركة بلا خطة وإعداد، إنما حمل إضافة إلى الحرب، سلاحين آخرين بيده، الأول: المحاولات القطبية الدبلوماسية والمساومات الدولية، الثاني: سياسة التضليل والتظاهر بالاعتراف بحقوق الشعب الكوردي وذلك بتأسيس المجلسين (التشريعي والتنفيذي) جنبا إلى جنب حملة دعائية واسعة، لدعم سياسته هذه داخل وخارج العراق.

نكسة آذار ١٩٧٥

تُعدّ ثورة أيلول (١٩٦١–١٩٧٥)، من أطول الثورات الكبرى في تاريخ الشعب الكوردي. حررت هذه الثورة جزءاً كبيراً وواسعاً من كوردستان العراق من سلطة الحكومة وفرضت سيطرتها التامة لأربع عشرة سنة على القرى وبعض القصبات التي تجاوز عدد سكانها المليون نسمة.

حتى ذلك الوقت لم تملك أي ثورة أخرى مثلها عدداً هائلا من المقاتلين بين صفوفها ولا دعماً وإسهاماً جماهيريا مثلما وجدنا لديها.

استطاعت ثورة أيلول من عام ١٩٦١ ولغاية ١٩٦٩، أن تتصدى لجيش ضخم وجرار و تدحر خمس حملات جد واسعة شنت بشتى الأسلحة الفتاكة والمتنوعة، وبعد انقلاب البعث في ١٩٦٣ تمكنت من دحر هجمات شرسة واسعة للقوات العراقية و السورية المشتركة.

بعد خوض حروب ومعارك ضارية في ثورة أيلول، وبعد حوار ١١ آذار ١٩٧٠، ثبتت وحققت ونفذت حكومة العراق نمط وشكل (الحكم الذاتي) لكوردستان العراق. ورغم أن هذا الاعتراف كان ضمن خطة البعث لإسكات صوت الحركة الكوردية وتحجيم آمالها وأهدافها وإعادتها إلى دائرة سيطرتها، إلا أن اتفاقية ١١ آذار تعتبر مرحلة جديدة من التقدم الدستوري لقضية الكورد في العراق.

والآن نتساءل: لِمَ بوغتنا في لحظة غير متوقعة بنكسة ثورة واسعة أرادت تحقيق الأهداف والغايات والحقوق القومية المشروعة للشعب الكوردي وحلت بها تلك الكارثة الكبرى في آذار ١٩٧٥؟

معظم القوميون الكورد يعزون أسباب الكارثة والنكسة التي ألمت بالشعب الكوردي إلى عوامل خارجية ويغضون الطرف عن الأسباب الأخرى.

صحيح إن مؤامرة ٦ آذار ١٩٧٥، بين العراق، وإيران خططت منذ مدة بعيدة، وكانت لها جذور، وشاركت في نسج خيوطها الواسعة دول عديدة، ولكن لم تكن المؤامرة الوحيدة ضد تلك الثورة بل سبقتها مؤامرات وحملات داخلية ودولية خارت وانهارت أمام صلابة ومقاومة الثورة.

لقد أحدثت الأسباب الداخلية هذه المرة ثغوراً وشقوقاً واسعة في صفوف الثورة، ومع شدة وضراوة ضربة اتفاقية ٦ آذار ١٩٧٥، أصيب قادة الثورة بهزة ورجفة كبيرة، فتوحدت الأسباب بأنواعها الخارجية والداخلية وتمخضت عنها تلك الكارثة الفاجعة.

ذيوع وانتشار أنباء اتفاقية ٦ آذار

أذيعت أنباء اتفاقية الجزائر التي وقعها شاه إيران (محمد رضا)، وصدام حسين بواسطة الرئيس الجزائري هواري بومدين، من الإذاعات ووكالات الأخبار العالمية، ووسم بها جبين الأعداء والمتآمرين في الإقليم والعالم، أولئك الذين يخنقون حرية ملايين الناس في الدول المحتلة ويدفنون الملايين تحت أقدامهم من أجل مصالحهم الاقتصادية.

وقتَ تلقي الخبر، كنتُ في مقر قيادة الحزب في سفح شاخه رەش (الجبل الأسود) قرب قرية (كويزان) جوار سلسلة جبال (سَري حسن بيك). سارعت إلى مقر المكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكوردستاني.

لم أبصر فورَ وصولي المكتب السياسي، حبيب محمد كريم – سكرتير الحزب

الديمقراطي الكوردستاني، ولا الدكتور محمود علي عثمان – مسؤول الهيئة العاملة للمكتب السياسي وكدأبهما كانا يعملان معاً في كل الأوقات. غير إنني رأيتُ المرحوم نوري شاويس في مكانهما.

توجس نوري شاويس خيفة وشراً من الاتفاقية، وخاف ألا تسمح الحكومة الإيرانية بعودة البارزاني إلى كوردستان، واستنتجتُ من كلامه أن البارزاني استدعي وبصحبته الدكتور محمود عثمان إلى إيران قبل إعلان اتفاقية الجزائر.

التقيتُ ذلك اليوم عدداً كثيراً من الكوادر ومسؤولي البيشمركة، أثار الحدث استغراب معظم الناس، كانوا يرنون في خوف وقلق إلى موقف (الأقرباء)[١] في المستقبل القادم، وكان أمام كل واحد منهم بضعة خيارات.

موقف الحزب الشيوعي العراقي - القيادة المركزية

كانت القيادة المركزية احدى القوى المعارضة لحزب البعث. ولها مقراتها ومقاتلوها المسلحون في المناطق المحررة. منذ اللحظات الأولى من سماع خبر اتفاقية الجزائر، أعلنت موقفها الواضح عبر الكتابة ووسائل أخرى مختلفة، أجل أعلنت موقف مواصلة الثورة ومقاومة حملات الحكومة ورفض اتفاقية ٦ آذار سبيلا ثورياً صائباً للحزب.

كانت الثورة الكوردية بأمس الحاجة إلى مراجعة نفسها على نحو عميق وواسع لكي تُجري تغييرات جذرية في الفكر والتنظيم وأسلوب الكفاح.

في تلك الآوِنة أفصحت القيادة المركزية عن موقفها وأعلنته على الملأ وفي كافة الجهات وشخصت نواقص الثورة الكوردية وقدمت مقترحات لتلافي الأخطاء ومعالجة الأزمات. وأثبتت أنباء بطولات البيشمركة في بعض جبهات القتال أن المقاومة ضد البعث في حال انسحاب القوات الإيرانية والتعويل الأساسي والكلي على النفس، تذكي روحَ الحماس الثوري للبيشمركة وتؤجج حس الفداء

---

[١] في تلك السنوات استخدمت كلمة (قريب أو الأقرباء) للإشارة إلى إيران.

والتضحية. تعرض الحزب الشيوعي العراقي – القيادة المركزية، منذ اليوم الأول من انفصاله عن الخط اليميني التحريفي للحزب في أيلول ١٩٦٧، إلى هجمات من أقطاب مختلفة، حكومة البعث بسياسة القتل والملاحقة وأنواع الوعيد، ومن اللجنة المركزية التحريفية باتهامنا بالمغامرة والمجازفة والنزعة اليسارية الخطيرة، لتحريض البعث ودفعه لتكثيف حملاته، تزامناً مع هجمات الأحزاب والحكومات المسماة بالاشتراكية في أوروبا الشرقية، على رأسها الاتحاد السوفيتي، بأشكال وأنماط مختلفة.

في تلك الأوقات التي اختارت القيادة المركزية دربَ الكفاح المسلح لمقاومة الفاشية، وسارت في كوردستان على طريق التعاون الصائب مع الحزب الديمقراطي الكوردستاني، أي طريق الاشتراك في الثورة الكوردية لا معاداتها. أقول لَم تُدعم القيادة المركزية في تلك السنوات دعما مالياً من أي جهة، عدا مساعدات وتبرعات أعضائها ومؤيديها. وفي كوردستان، منذ طرد الخائن (مصلح مصطفى) من الحزب، لم يعد لنا أي ارتباط مادي بالحزب الديمقراطي الكوردستاني ومؤسسات الثورة، عدا دعم بسيط قدمته الثورة لمسلحي ومقاتلي حزبنا، أقصد الذين كانوا في صفوف البيشمركة.

يومَ أُعلنت اتفاقية ٦ آذار ١٩٧٥، كانت القيادة المركزية في كوردستان تملك مبلغاً ضئيلاً جداً قُدر بأقل من ألفي دينار! حيث لَم يكف لشراء بضعة بغال، الوسيلة الوحيدة لنقل أسلحتنا ومعداتنا ومكتبة الحزب.

بصفتي (مسؤول القيادة المركزية) في كوردستان، تحدثت في البداية مع الأخ إدريس البارزاني حول الحدث والوضع السياسي الجديد وطلبنا منه أن ينظم لنا لقاءً مع البارزاني الأب. كان كلامه مبعث الأمل والسرور يومذاك، لمقاومة أعداء شعبنا، وفي ذات اليوم سمعت من لسان أحد مسؤولي البيشمركة، وهو الأخ عزت سليمان بيك دَركَلَه، خبرَ عودة البارزاني من إيران وقال ان البارزاني يرى (إننا بدأنا الثورة بالاعتماد على عشرين بيشمركة فكيف نتخلى في أوج قوتنا وعزنا عن الثورة).

انسحاب القوات الإيرانية

حسب اطلاعنا وعلمنا ووفقا لما رأيناه بأم أعيننا، جلب الإيرانيون كتائب مقاومات جوية عدة إلى منطقة (حاجي عمران) ونشروا مدافعهم في المناطق القريبة من جبهات القتال، شوهد بوضوح حضور فصائل من الجيش الإيراني والمخابرات الإيرانية في بعض مواقع كوردستان، ولكن فورَ انتشار خبر اتفاقية الجزائر المشؤومة عادت هذه القوات مع مدافعها وأسلحتها الثقيلة إلى إيران، بدون وداع ولا استئذان!

أدى هذا الضرب من الانسحاب إلى بث الرعب والقلق والتشاؤم في نفوس من آمنوا بصداقة شاه إيران، وفي الوقت نفسه زاد من نقمة الذين اعتقدوا أن النظام الإيراني الرجعي عدو الديمقراطية وحقوق الشعب الكوردي، زود الكورد باسم التعاون بمساعدات ضئيلة، من أجل مصالحه الذاتية لا غيرها.

التلاقي والتقارب والتلاحم بغية التحدي والمقاومة

إضافة إلى حزبنا الذي تصدر الدعوة إلى المقاومة، كان الشهداء علي العسكري وطاهر علي والي بيك، في مقدمة الصف الداعي إلى المقاومة والتحدي واستعادة روح الصمود.

تعود علاقتي وصداقتي مع الشهيد علي العسكري إلى ١٩٧٠، علاقة اتسمت بالمتانة والصفاء، أما مع الأخ الشهيد طاهر علي والي، فتعود إلى مرحلة المتوسطة في متوسطة السليمانية للبنين يومَ جمعتنا خلية لاتحاد الطلبة التابع للحزب الشيوعي العراقي في العام ١٩٥٥.

وَضَّحتُ لهم موقف حزبنا، وشرعنا نُقَيمُ مجمل الأحداث والقوى والإمكانيات التي يمكن التعويل عليها في المقاومة.

تزامناً مع تلك الرؤى والتفاصيل جلسنا مع رفاق العصبة الماركسية – اللينينية لكوردستان، العاملة بسر وخفاء في صفوف الثورة، وتبادلنا الآراء والتوقعات ودرسنا مستجدات اليوم والمستقبل القادم.

عبَّر الشهيد شهاب شيخ نوري والأخ فريدون عبدالقادر، عن موقف العصبة لنا واتفقنا على عقد لقاءات يومية والعمل معاً من أجل المقاومة وتواصل الثورة.

واجتمعنا مرات عدهَ مع الشهيدين طاهر وشهاب في منزل الأخ بابا طاهر شيخ جلال الحفيد في (ناوبردان)، وكان هو الآخر يؤيد المقاومة وتواصلها.

ومن الشخصيات المشهورة المعروفة بميلهم الواضح إلى المقاومة والصمود والتصدي لأي هجوم تشنه الحكومة هو الشهيد نوري حَمَه علي. كان الشهيد نوري مع تواصل الثورة، وكان معه عدد من المسؤولين والبيشمركة أبدوا استعدادا كاملاً للمشاركة والتعاون في استمرار الثورة التي انصب تركيزنا واهتمامنا فيها.

لابد ألا يفوتنا، ونحن نستذكر تلك المواقف الشجاعة، موقف الأخ نوري ملا مارف، الذي شجَّعَنا جميعاً بلهفة وحماس وأعلن استعداده للمقاومة والميل إليها. كان المناظل نوري ملا مارف، من الضباط العسكريين في ثورة أيلول، وشعر هو الآخر بالغبن مثل كوادر وضباط آخرين، لِما لاقى من الإهمال وعدم إناطة الدور الملائم لهم.

ذات مرة رَوَى لي كاكه نوري: "زرتُ البارزاني وقلت له، نحن صفوة من الضباط لم يسند إلينا أي دور، بالتأكيد لو أنيط إلينا دور أو أفسح المجال لنا لا نُلحق أي ضرر بالثورة ولا نقوم بالانقلاب عليها بل نخدمها !" ثم قال: "وَقَّعَ البارزاني أمراً بتنصيبي (قائداً لقوات المقاومة الشعبية).. وهذا يعني "لا شئ".

وفي منطقة بهدينان اتصلنا لغرض المقاومة بالأخ رشيد دوسكي، واحتفى بالفكرة وتعهد بالتعاون معنا.

تبليغ غير متوقع ومباغت

مع حلول مساء أحد أيام آذار، عدنا مع بعض رفاقنا إلى مقرنا، طفحت قلوبنا بنشوة حصيلة نشاط ذلك اليوم من أجل التهيؤ للمقاومة. كانت طائرات الحكومة تغير وتقصف وتحرث مدافعها الأرضَ ولَمْ يَعُد الدوَّي والصخب يسكت لحظة، لكن الروح الثورية الجريئة

التي بدت واضحة لدى الكثيرين تغلبت على الخوف والوجل والرهبة والقصف والبؤس ونزيف الدم المتدفق.

كنا نأمل أن تخطو الثورة نحو النصر بعد انسحاب القوات الإيرانية من كوردستان، في حلة قشيبة وقامة أعلى ومحتوى ثوري أعمق، لكن بغتة زارَنا الشهيد دارا توفيق في ذلك المساء وأبلغنا توصية من الأخ إدريس البارزاني التيَّ أفادت بإلغاء ما اتفقنا عليه في جلساتنا السابقة وأن الحزب الديمقراطي الكوردستاني قرر الانسحاب إلى إيران، وعلى القيادة المركزية أن تحاول الذهاب إلى سوريا.

في تلك اللحظة التاريخية المليئة بالحسرة وألم المحنة، أشار الشهيد دارا توفيق في حزن شديد إلى أن هذه الثورة ليست الأولى وليست خاتمة الثورات التي تجعلها الإمبريالية ضحية مصالحها الذاتية. هذا ديدن القوى الدولية. رَوى لي الشهيد دارا في حينه قصةً تتعلق بتعامل الحكومة السوفيتية مع الثورة الكوردية، وكيف كلفه عام ١٩٦٣ بوريس بوناماريوف المرشح للمكتب الساسي للحزب الشيوعي السوفيتي ومسؤول العلاقات الخارجية للحزب، ليوصل توصية إلى البارزاني يحثه فيها على محاربة البعث ويتعهد له بدعمه وتزويده بالأسلحة والألبسة والتموين الغذائي وإيصالها عبر رميها بواسطة الطائرات، ولكنْ حالما اتفق النظام السوفيتي مع البعث تراجع عن وعوده وآثر بل فضَّل التعاون مع البعث على التعاون مع الشعب العراقي والحركة الكوردية.

لقاء مع البارزاني

كان البارزاني من أهم وأبرز قادة التحرر القومي الكوردي في القرن العشرين. ففي عهده بلغت الحركة والثورة الكوردية مرحلة لم تبلغها في العهود السابقة. كان البارزاني الخالد رجلاً مهيباً وصاحب شخصية قوية، كنتَ تقرأ في وجهه أعواماً طويلة من النضال والتعب. في تلك الليلة ذهبتُ للقائه وجلست معه ساعات عدة بحضور معظم أعضاء اللجنة المركزية للحزب الديمقراطي الكوردستاني.

بدا في وجهه وملامحة وصوته وناظريه الألم والحسرة. رغم انه أراد كبت شعوره العميق بتلك الأزمة والكارثة الكبيرة برباطة جأشه وشخصيته القوية، لكن شخصاً مثلي التقاه عدة مرات وخبره عن كثب في السراء والضراء، كان يحس بما يمور في قلبه المفعم بالألم العميق والحسرة السحيقة في أعماقه.

نظر إلي وطلب مني إبداء رأيي الشخصي حول الأحداث. نقلتُ بدوري رأي الحزب الذي يفيد أن اتفاقية الجزائر لا تثير عجباً كثيراً لدينا، بل يكمن العجب في موقفكم (الكلام موجه إلى البارزاني) أنتم صاحب تاريخ الجرأة والكفاح وتخليكم عن تواصل الثورة وانسحابكم إلى إيران، إلى حيث يتسلط المتآمر!

فقال البارزاني: صدقت، حقا إنها لمؤامرة كبيرة، ندرس المسألة ونقلبها على وجوهها، فنصل إلى نتيجة تؤكد عدم تمكننا الآن من مقاومة حملات الجيش العراقي ومعاداة الحكومة الإيرانية في آن واحد. سندفع ثمن ذلك غالياً. إزاء هذا الظرف المستجد لا أرى طائلاً ومنفعة في التضحية بأرواح أبناء الكورد أكثر من هذا. أمامنا فُرَص وأوقات كثيرة، فإذا ناصَبتنا الحكومة الإيرانية العداء، سيتخذ وضع الكورد أبعاداً خطيرة، يستحيل توفير الأسلحة والأعتدة والمواد الغذائية، بالتأكيد تصعب إدارة جبهات القتال هذه.

تحدثتُ بالتفصيل عن مخاطر التخلي عن الكفاح الثوري المسلح واللجوء إلى إيران، وطرحت تصوري للوضع القادم بشكل آخر. كنا مؤمنين بإعادة النظر في الثورة مجدداً وتحوير مضامينها على أسس أكثر ثورية والتعويل على نحو أكثر على الجماهير المضطهدة والكادحة في كوردستان، وتحويلها بدايةً من المواجهة الجبهوية المباشرة إلى حرب العصابات، حينئذ تخف حدة الحصار الخطير المفروض على الثورة الكوردية من قِبل الإمبريالية وأذناب النظام العراقي. وتزامنَ عاملٌ مساعد مع هذا التوجه، خاصة حين نُظمَت قبل شهرين مظاهرات عامة صاخبة وناجحة ضد حكومة الشاه في جامعة طهران، إضافة إلى ذلك كانت الحركة المعادية للشاه وحكمه تتطور وتتصاعد باستمرار. ورأينا أن إخماد لهيب هذه الثورة سيؤثر سلباً على

الشعب الكوردي، وستشمل سياسة التعريب والتبعيث كافة مناطق كوردستان.

اشترك الأخ رشيد سندي، أحد أبرز قادة الحزب الديمقراطي الكوردستاني والبيشمركة، في النقاش وعدَّ آرائي نوعاً من التشاؤم، ولتأكيد رأيه المخالف لطروحاتي، عرضَ رحلةَ مصطفى البارزاني وقتَ انهيار جمهورية مهاباد الكوردية في إيران، وانسحابه عبر ثلاث دول إلى الاتحاد السوفيتي، ثم عودته إلى العراق وإعلانه الثورة مجدداً. في معرض الجواب قلتُ له إن الزمن والمكان يختلفان، لزام علينا ألا نُفوِّت الفرصة المتاحة اليوم بآمال مستقبلية.

وبعد مشاركة بعض الأشخاص في الحوار، منهم السادة، صالح اليوسفي و سامي عبدالرحمن و الدكتور محمود عثمان، طرحتُ باسم حزبنا هذا البرنامج:

١- إعلان الثورة الدائمة.

٢- شجب وإدانة موقف الثالوث الإيراني والأمريكي والجزائري.

٣- تأسيس جبهة وطنية في كوردستان.

٤- انضمام الحزب الديمقراطي الكوردستاني إلى جبهة (التجمع الوطني العراقي) التي تجمعت فيها سبعة أحزاب عراقية وكانت القيادة المركزية طرفاً رئيساً فيها.

٥- الاستيلاء على الأسلحة والمتفجرات المتبقية وإخفائها وتوزيعها على المناطق التي تصبح مراكز رئيسية في مستقبل الثورة.

٦- الإسراع إلى إعادة تأسيس تشكيلات قوى البيشمركة على نحو ملائم مع حرب العصابات، على أن تشترك في إدارة الأعمال كلها، كافة الأحزاب والفِرق في الجبهة الموحدة القادمة.

وبعد تبادل بسيط للآراء وبعض المناقشات، طلبتُ من البارزاني أن يضمن لنا مستلزمات البقاء والتواصل في حال بقائنا واستمرارنا.

واستفسر البارزاني عن تلك المستلزمات، فحددتها ببعض المبالغ وكمية من الأسلحة. فالتفت إلى الشهيدين صالح يوسفي وسامي عبدالرحمن طالباً منهما إبداء الرأي، وأيَّد كلاهما مطالبنا. حين أتينا على تحديد الكم، اقترح المرحوم إدريس

البارزاني أن يُناقَشَ هذا الموضوع على انفراد بيني وبينه، وألا يشترك فيه جميع المجتمعين وسنتفق على التفاصيل.

بخصوص المال والمساعدة المالية، بيَّن إدريس البارزاني مثلما طرحه والده، أن وضعهم المالي سيئ للغاية إلى حد لَمْ توزع (المساعدات) منذ شهور عدة على البيشمركة. وفي النتيجة أحالوا الموضوع إلى الأخ محمد عزيز، الذى أعطى ممثلُنا رسالةً للأخ إدريس كُتبُ فيها تخصيص وصرف مبلغ (٦٠٠) دينار لنا، فأرسل محمد عزيز كتاباً إلى الأمانة المالية، وحين وصلَنا المبلغُ رأيناه قد صار ألف دينار بدلاً من ٦٠٠ دينار، ولَمْ نَدرِ أيهما زاد المبلغ الأخ محمد عزيز أم الأخ علي عبدالله الأمين العام للمالية؟.

أما بخصوص الأسلحة فَلَمْ نُمنح أي شئ، اتفق الأخ أدريس البارزاني مع أحد مسؤوليهم على أن نلتقي معاً في موقع خلف قلعة دزه ونتسلم منهم كمية من أنواع الأسلحة المختلفة، وكان من المزمع أثناء انسحاب قواتنا من منطقة بالَك إلى شاربازير تسلمها في المكان والموعد المحددين، لكن قبل وصول قواتنا اعترضت طغمة مسلحة طريقها وحدثت اشتباكات بين الطرفين، جرح منهم شخص وألقي القبض على اثنين منهم كأسرى. بعد سنين انكشف لنا اسم المسؤول الذي أمره إدريس البارزاني بمنحنا الأسلحة وقد انتظرَ في المكان المحدد قواتِنا لكن الاشتباك المسلح مع تلك الطغمة التي اعترضت طريقها أخرت قواتِنا وأجبرتها على تغيير المسار فحال ذلك دون وصولنا في الموعد المحدد، فانسحب المسؤول مع قوته إلى إيران بعد أن ملَّ الانتظار، وكان ذلك المسؤول المكلف من قِبل إدريس البارزاني هو العريف درويش.

عَقِبَ اللقاء مع البارزاني وقادة الحزب الديمقراطي الكوردستاني، انطفأ بصيص أمل المقاومة وإدامة الثورة. بعد ذلك اللقاء الأخير مع البارزاني في حياتي، التقيتُ في احدى غرف مضيف البارزاني في حاجي عمران الكاتب الشهير جرجيس فتح الله. كان الوقت فجراً وقد ملَّت عينه الكرى كان يتأوه ويغمغم، تجاذبنا أطراف الحديث وقال

لي في خاتمة النقاش (أنتم قاوموا.. وأنا في الخارج أكتب عنكم). ورغم الجو الذي سادته الخيبة، بدأنا باتصالات سريعة مع الجهات والمسؤولين والأشخاص الذين اتفقوا معنا على تواصل الثورة لا التخلي عنها.

كانت نكسة الحركة هائلة بحيث كنا نسمع ساعة بعد ساعة ويوماً بعد يوم أنباءً جديدة تزرع التردد بين صفوف من وعدوا بحمل راية الثورة الجديدة.

بعد اللقاء بين القيادة المركزية و العصبة الماركسية – اللينينية، و مع الشهيد طاهر علي والي بيك، الذي التقيته في مضيق رايات، اتفقنا على أن نتلاقى في منطقة بنجوين ونبدأ من هناك بالتخطيط للمقاومة وإدامة الحركة المسلحة. كان الشهيد طاهر نائب آمر قوة (خبات)، وقبل ذلك تولى مهام آمر القوة، كان مقره في بنجوين، و أتفقنا أن نتخذ من منطقة شاربازير مركزاً للقوى والفعاليات في البداية.

كان لنا أي (للقيادة المركزية) في تلك المنطقة مقر و قاعدة عسكرية للبيشمركة المقاتلين. ورأينا أن قربنا من السليمانية التي تُعد مركز قوة و نشاط العصبة الماركسية – اللينينية والقيادة المركزية سيغدو عامل قوة وقاعدة ثورية في المنطقة. نحن في القيادة المركزية رحنا ننقل ما استطعنا نقله إلى منطقة السليمانية، وخبأنا تحت الأرض ما عجزنا عن نقله بسبب عدم تمكننا من شراء بغال لهذا الغرض، على أمل استخراجها واستعمالها في المستقبل.

وحسب اتفاق مضيق رايات، وصلنا منطقة بنجوين، ولَمْ نلتق منهم غير الأخ طاهر علي والي، أما الآخرون فكانوا قد عادوا إلى مدينة السليمانية.

في المساء الذي وصلنا فيه قضاء پينجوين، كانت معارض ودكاكين الثورة تُنهب وتُسلب ويتعالى أزيز البنادق[1] وكان البيشمركة المقاتلون يرمون أسلحتهم ويتجهون

---

[1] تصوير دقيق وصادق لفوضى تلك الأيام، وللتأكيد أقول كنتُ حينذاك في قرية (بناوَسوته) الحدودية التابعة لقضاء بنجوين، كان يوجد فيها محل تجاري كبير للثورة لبيع شتى أنواع المواد، رأيت بأم عيني كيف كان يُنهب من قبل الناس، قلتُ لأخي لطيف: إنها الثورة تأكل نفسها. (المترجم)

جماعات وفرادى إلى إيران أو يعودون إلى العراق. استقبَلنا الشهيد طاهر بترحاب شديد وأبلغَنا بعودة الجميع إلى العراق باستثنائه. وبعد المناقشة والحوار وجدناه هو الآخر مقتنع بغياب أمل المقاومة، وان على الحركة الثورية أن تهيئ نفسها لفرصة مواتية قادمة، وأضاف إنني سأُعدَم حال عودتي إلى العراق، فاضطرُ للتوجه صوب إيران، وقال أرى أن بقاءكم وحدكم لا يجدي نفعاً ويخلو من إمكانية الصمود والكفاح المسلح، ومن الأفضل أن تعودوا إلى العراق وألا تقدموا على تقديم تضحيات لا تجدي ولا تنفع في هذا الظرف. اجتاحنا حزن شديد لِما حلَّ بكل جهودنا المبذولة لمقاومة هجمات الأعداء.

في الصباح الباكر تقدمنا نحو منطقة كورَكازاو (كوڕەکاژاو)، ودَّعنا الأخ طاهر علي والي وفصائل من البيشمركة حتى حدود قرية (راوكان)، ومن هناك ودَّعنا بعضنا وحزن الفراق يغمر قلوبنا، ظلت في حوزته بندقية زائدة أهداها إلينا وقفل راجعاً إلى مكانه.

سرنا عبر طريق حاجي مامند إلى برزنجة (بەرزنجە)، ومنها إلى قرية كازاو، في كازاو، اجتمعنا، أي أعضاء قيادة الحزب الموجودين في كوردستان، مع عدد من قادة فرع كوردستان للحزب وكوادر متقدمة، وتناولنا بالتفصيل وضعَ كوردستان وأبعاد المستجدات، و ناقشنا ما يلي:

١- بقاءنا لوحدنا في ساحة المعركة.

٢- إمكانياتنا العسكرية.

٣- وضعنا المالي المتردي.

٤- حدة وعنف النكسة وتأثيرها السلبي على جماهير كوردستان بما فيها المناطق والقرى المتموضعة فيها مقراتنا.

٥- وصول أنباء تفيد أن احدى القوات الكبرى المستسلمة للتو، أُعدت لضربنا.

٦- احتمال وصول إمدادات مالية إلينا من خارج العراق، وكان احتمالاً ضعيفاً، لا تفي بالغرض ولا تسد شيئاً إن وُجِدت.

بعد مناقشة النقاط أعلاه توصلنا إلى نتيجة أكدت استحالة تواصل الثورة ومقاومة حملات الحكومة كحزب (ماركسي – لينيني) يعاديه الحزب الشيوعي العراقي جناح (اللجنة المركزية) المنضم إلى جبهة البعث، وتخلت كافة قوات الثورة الكوردية عن ساحات القتال والمقاومة ووصلت إلى إيران، أو ارتضت بالعودة إلى العراق وشمولها بالعفو الصادر من حكومة البعث القاضي بالعفو عن كل المشتركين والمساهمين في الحركة الكوردية المسلحة. وعَقَدنا الأمل على إعادة تنظيماتنا وانتظار فرصة ملائمة في المستقبل القادم. وتعاهدنا أن نُبقيَ رؤوسَ شهدائنا وحزبنا عالية شامخة لا يطأطأها الخذلان. وكجزء من حركة وطنية تحطمت قواها في تلك الأيام، وقع على عاتقنا قسطٌ من ذلك الحمل الثقيل ولكن كنا آخر جهة وآخر الأشخاص الباقين في القافلة.

تقييم العلاقة بين الحزب الديمقراطي الكوردستاني والقيادة المركزية

كان الحزب الشيوعي العراقي (القيادة المركزية)، الحزب الوحيد الذي مارس نشاطه علنا في كوردستان وأقام علاقات مع الحزب الديمقراطي الكوردستاني. لم يجتمع هذان الحزبان في جبهة وطنية أو وفق معاهدة داخلية رسمية مدونة، لكن التعاون والصداقة على الصعيد السياسي والعسكري قربهما من بعضهما.

إن إيمان الحزب الشيوعي العراقي (القيادة المركزية)، بحقوق الشعب الكوردي في تقرير مصيره وتحقيق آماله وأهدافه القومية والديمقراطية، واعتقاده بأن الاضطهاد القومي جزء من الاضطهاد الطبقي، مهد أرضيةً لعلاقة مبدئية مع الحزب الديمقراطي الكوردستاني.

فتحت القيادة المركزية خمسة مراكز في المناطق المحررة من كوردستان، وشاركت في الحرب ضد الجيش العراقي في المراكز الخمسة. ومارست في المدن فعاليات سياسية وثورية وعسكرية كثيرة.

وفي خارج العراق رفع حزبنا صوتاً جريئاً وصريحاً، في وقت رام بعض القوى

السياسية العراقية تضييق الخناق على الثورة الكوردية في منابر الحركات التحررية الفلسطينية، واليمن الديمقراطية، وسوريا، ولبنان، وأوروبا و إخفاء وجهها التحرري الديمقراطي الناصع، ليُبرز جانبَ ارتباطها بإيران وأمريكا فقط.

استطاعت القيادة المركزية الدفاع عن الثورة الكوردية والحزب الديمقراطي الكوردستاني بكل السبل المتاحة على منابر تلك البلدان.

كانت القيادة المركزية من أهم الأطراف القوية في جبهة (التجمع الوطني العراقي) التي تأسست في الشام، وأصبحت في تلك الجبهة العراقية الواسعة من دعاة تثبيت مطالب وأهداف الشعب الكوردي، وسهلت طريقَ الصداقة والتضامن معه.

في عام ١٩٧٤، طلب منا المرحوم إدريس البارزاني أن نتصل بالحزب الشيوعي الصيني، ونبذل الجهد لالتقاء الطرفين، استأثر الطلب باهتمام حزبنا، فسعى لتحقيقه. كانت الحكومة الصينية تنظر بارتياب إلى العلاقة القائمة بين إيران والثورة الكوردية، وعدّت الطلب ضرباً من اللعبة السياسية في ساحة السياسة اليومية، بَيدَ أن القيادة المركزية تمكنت من تغيير بعض وجهات النظر الصينية حيال الثورة الكوردية، ولو تأخرت نكسة عام ١٩٧٥ بعض الوقت، لأستقبل الرفاق الصينيون وفداً مشتركا للقيادة المركزية والحزب الديمقراطي الكوردستاني. وكان هنالك مقترحاً بأسماء الوفد من السادة ادريس البارزاني و سامي عبدالرحمن و د. ابراهيم علاوي وكاتب هذه السطور.

وماثل رأي ونظرة حزب العمل الألباني الموقف الصيني، ففي ١٩٧٣ زرتُ ألبانيا، كما أسلفت، ممثلاً عن الحزب الشيوعي العراقي – القيادة المركزية، ناقشتُ القادة الشيوعيين في (تيرانا) العاصمة، ثم لاحظت أن تغييراً قد طرأ على بعض آرائهم حول الثورة الكوردية.

حاول الحزب الديمقراطي الكوردستاني بقوته الهائلة وجماهيره الواسعة، احتكارَ السلطة والساحة السياسية لنفسه وتعمقت هذه الرغبة لديه يوما بعد آخر، وبدلاً من الانصراف إلى تعاون حقيقي وتأسيس جبهة واسعة ويخطو نحو أوسع

آفـاق الديمقراطيـة، لَـم يتعمـق ولَـمْ يـدقق النظـر في تعاونـه مـع القيـادة المركزيـة، وبـالعكس دبـر الخطـط لتضـييق وتقليـل حركتنـا وفعالياتنـا وتحجـيم مقراتنـا، وفي حال حدوث أدنى مشكلة كان يوجـه ضـرباته إلينـا ولم يكـن يكـتم فرحـه بنتائجهـا وعواقبها.

بوسعنا أن نجمل أسباب تلك التصرفات في النقاط الآتية:

الأولى: الرغبة في تطبيق سياسة سلطة الحزب الواحد أو القائد الأوحد في كوردستان.

الثانيـة: الحفـاظ علـى تـوازن معادلـة علاقـات الحـزب الـديمقراطي الكوردسـتاني بالحكومة الإيرانيـة ومـن يعاونهـا مِـن جهـة، ووجـود الحـزب الشـيوعي حليفـاً وصـديقاً للديمقراطي الكوردستاني في الثورة مِن جهة أخرى.

الثالثة: ضـعف أو غيـاب علاقـة الحـزب الشـيوعي العراقـي (القيـادة المركزيـة) مـع مركز دولي مؤثر.

هذا إضافة إلى بعـض الأسـباب الإيديولوجيـة والطبقيـة العميقـة. وبـاءت محاولاتنـا كلها لتأسـيس جبهـة وطنيـة في كوردسـتان بالفشـل، وكنـا نطـرق الحديـد البـارد كمـا يقول المثل الكوردي الشائع[١].

أسباب نكسة ١٩٧٥

بعد هذا المرور على الأحداث التي سـبقت نكسـة ١٩٧٥ والوضـع السياسـي الـذي سـبقها، يمكننـا أن نقسـم أسـباب النكسـة إلى قسـمين رئيسـيين: أسـباب داخليـة وأخرى خارجية. تلاحم السببان وأثرا معـاً علـى الوضـع المتعلـق بكيفيـات الثـورة. اتحدت الأسباب الداخلية والخارجية، ووجه توقيع اتفاقية الجزائر ضـربة قاضـية إلى جسد تلك الثورة العظيمة للشعب الكوردي ودفعها إلى هاوية مصير مشؤوم.

---

[١] ترجمة حرفية لمثل كوردي (يطرق الحديد البارد) ويفيد اللاجدوى من الاسـتمرار في عمـل أو مناقشة لا تجدي نفعاً. (المترجم)

الأسباب الداخلية

١- ضعف وتدني مستوى الوعي السياسي والثقافي.

دفع الحس القومي والوطني أعضاء التنظيمات السياسية والعسكرية للانخراط في صفوف الثورة والحزب الديمقراطي الكوردستاني، بأمل إجراء تغييرات في جميع مجالات حياتهم. كان المفروض تربيتهم باستمرار وفق برنامج ثوري لتثقيفهم ورفع وعيهم ومستواهم الفكري لتعميق فهمهم للعالم، وما يحيط بهم ويقودوا الكوادر نحو تلافي النواقص، مع ضبط الجانب التنظيمي السياسي والعسكري بين صفوفهم.

بعد اتفاقية آذار ١٩٧٠، أدت تلك الأسباب إلى تناخر وتآكل التنظيمات وحالت دون أن تستقيم وتتطور وتسير على نحو سليم.

٢- تغيير قوات البيشمركة وتحويلها من قوى ثورية إلى جيش نظامي وبلا تدريب. فالفلاحون الذين التحقوا بالثورة طوعاً لأداء الواجب القومي والوطني اقتنعوا في البداية بالخبز الجاف والبرغل وقليل من السكر والشاي، لكنهم تغيروا كثيراً، خاصة بعد اتفاقية ١١ آذار ١٩٧٠ إذ استقروا في إطار قوة عسكرية نظامية وتحسنت أمورهم وأوضاعهم الاقتصادية وبلغت مستوى أرقى. في البداية تشكلت من بعضها قوات (حرس الحدود)، وفي مرحلة ثانية دُفعت لكل أفراد قوات البيشمركة رواتب شهرية، كل حسب رتبته.

مع هذه التغييرات، كان يتعين، أن تتدرب تلك القوة العسكرية تدريباً ملائماً ومنسجماً مع قابلياتها، كي تَطَّلِع على فنون الحرب والتخطيط وقابليات الخصوم، مثلما يحدث في الجيوش النظامية من تعليم الضباط والجنود أساليب استخدام السلاح والمخططات الحربية وفق دروس يومية، كان يتحتم قيادة وتدريب قوات البيشمركة على هذه الشاكلة والمنوال.

٣- ظهور التفاوت الطبقي بين القادة والمسؤولين والبيشمركة. ففي أعقاب اتفاقية ١١ آذار، طرأت تغيرات على الوضع المالي للثورة في البيئة الجديدة. وتيسر تمييز المستفيدين من الوضع الجديد عن الآخرين بوضوح. اختلف نوع مشرب

ومأكل وألبسة القادة المسؤولين وآمري القوات والبتاليون[1]، عما لدى الآخرين في سرعة. ومنهم مَن كانوا في ضائقة مالية عامة فأصبحوا أصحاب سيارات فخمة وفارهة.

أحدث هذا التفاوت الطبقي بؤساً ونقمة في نفوس البيشمركة وسَكَنَة المناطق المحررة. ربما لا يؤثر ذلك النوع من المشاعر في أوقات السلم أو في الأوضاع العادية على الأوضاع كثيراً، ولكن بدا واضحاً انه سيكون عاملاً مؤثراً لتقليل وتخفيف الحماس الثوري في روح البيشمركة المقاتلين وبين جماهير الشعب عامة.

٤– اللاجئون في إيران: في آذار ١٩٧٤ أصدرت الثورة قراراً تحث فيه المواطنين وتشجعهم على ترك المدن والتوجه نحو المناطق المحررة، كضغط على الحكومة العراقية لتبيان جماهيرية الثورة، وتمخضت عن ذلك نتائج غير متوقعة. أغلب الذين غادروا المدن ظنوها تظاهرة مؤقتة ولم **يحسبوا** حساباً دقيقاً لتعرضهم إلى القصف الدائم بالمدافع والطائرات، إلى حد أن بعضهم تركوا بيوتهم وأماكنهم مع كافة أعضاء أسرهم. بالتأكيد لا يخلو هذا الحماس الجماهيري من الصدق والإخلاص والاستعداد لتقديم التضحيات إلا انه ولَّدَ وَخلَّف عدداً من المشاكل المستعصية. نعم أصدرت قيادة الثورة هذا القرار إلا أنها لم تدرس وسيلة ضمان وترتيب شؤون هذا العدد الهائل من المواطنين الذين لبوا النداء، خاصة في حالة استئناف القتال، مثلما رأيناه، لذا تشبثوا بإيران لحل المشكلة. ورأينا كيف ازداد عدد اللاجئين في إيران، خاصة بعد قيام الحكومة العراقية بقصف حلبجة وقلعة دزة قصفاً وحشياً وراح اللاجئون من الطبقة المعدَمة والفقيرة يسكنون في المخيمات المهلهلة وسط البؤس والفاقة والعوز، أما الأثرياء منهم فكانوا يقطنون في المدن الكبيرة والصغيرة حسب درجة ثرائهم.

---

[1] بتاليون: كلمة كانت تستعمل في الصفوف العسكرية للبيشمركة وقد شاعت في جمهورية كوردستان (مهاباد) في إيران لأول مرة عام ١٩٤٦–١٩٤٧ نتيجة احتكاك الكورد المباشر بالقوات السوفيتية المساندة ، ومنها انتقلت إلى ثورة أيلول في الستينيات. وهي كلمة أجنبية في الأساس. (المترجم)

شَكلت هذه المخيمات حملاً ثقيلاً وصعوبة بالغة في أمور إدارتهم وبالتالي أصبحت إحدى المشاكل التي هزت وزلزلت رُكَب آلاف البيشمركة والمسؤولين، بل أصبحت ذريعة وحجة بيد المتآمرين، إذ اشترط الشاه التزام الثورة بنتائج اتفاقية الجزائر والكف عن مواصلة القتال، وإذا بدر ما يخالف رغبة وأوامر الشاه، فستُحجَزُ لدى النظام الإيراني الآثم الآف العوائل بنسائها وأطفالها وشيوخها.

٥- بقاء التقاليد العشائرية بدون أن يطرأ أي تحول اجتماعي يتلاءم مع الوضع الثوري:

بالرغم من التحاق عدد هائل من الفلاحين والكادحين والطلبة بصفوف الثورة وتصاعُد مد التأييد المديني لها، وإلا أن العلاقات العشائرية والقبلية بقيت سائدة في الثورة بل طغت في بعض الأحايين على العلاقات الحزبية نفسها. ولم يكن ذلك صدفة محضة، بل انبثق من الطبيعة الطبقية والاجتماعية لقيادة الثورة، حتى أنها منحت المرتزقة من الكورد المشمولين بالعفو مرتباً شهريا ومؤونة عن طريق رؤسائهم، وكان المفروض وفق الموقف الجاد والتعامل الصائب تنحية رؤسائهم والتعامل المباشر مع مسلحيهم العائدين إلى الثورة، كي تنفصم عرى العلاقة بينهم وبين الرؤساء.

من جانب آخر كان على قيادة الثورة الالتفات إلى مصالح الفلاحين وكادحي كوردستان والاعتناء بمعالجة المشاكل الاقتصادية والطبقية وتوجيههم نحو مقاطعة العلاقات القبلية وإقامة علاقات اجتماعية مبنية على أسس جديدة.

لم تهتم قيادة الثورة بتعميق مضامين الثورة، ما أدى إلى أن تسود عوامل إضعافها وتحطمها في حالة الانتكاسة بدلاً من صمودها وتقويتها.

٦- غياب برنامج وخط سياسي واضح ومحدد. تَكونَ الحزب الديمقراطي الكوردستاني من طبقات مختلفة، وقاد تمثيله لتلك الطبقات وصراعها الفكري والسياسي الدائم حول المنهج والموقف والعلاقات السياسية داخل وخارج البلد، إلى صراع دائم، وعكست الثورة الكوردية تلك الحقائق منذ البداية، لأن الحزب الديمقراطي الكوردستاني قادها لوحده. فمنذ أيام الخلاف والنزاع القائم بين جناحي

حمزة عبدالله من جانب، وإبراهيم أحمد و مام جلال من جانب آخر، ثم نشوء الخلاف القوي بين جناحي إبراهيم أحمد – مام جلال و جناح الملا مصطفى البارزاني والحزب الديمقراطي، أصبحت الثورة الكوردية ميداناً وساحة للنزاع والاشتباك العنيف المتواصل بين الجناحين. إن تلك الصراعات مستمرة حتى اليوم وتتجلى أسسُ ظهورها أهدافها في الهيمنة على قيادة الثورة الكوردية والانفراد بالسلطة السياسية في كوردستان.

خلقَ العنفُ الكامن والظاهر في هذا الشقاق، حالة تربص كل طرف للآخر، فكلما أنجز أحد الطرفين عملا أو شيئاً مهما كانت قيمته عاداه أو نفاه الطرف الآخر، هذا السبب وأسباب أخرى عرقلت في النتيجة طريقَ تقدم وازدهار الديمقراطي الكوردستاني والثورة، ومنعت كعوامل مؤثرة ظهورَ برنامج محدد وخط سياسي واضح أمام قيادة الثورة. علاوة على وجود مد وجزر وتصعيد وخفض الكثير في شعارات ومطالب الثورة، منذ المطالبة في البدء بتحقيق مطالب الكورد، اللامركزية، الحكم الذاتي، الحكم الذاتي الحقيقي، فالفيدرالية.

لم تنطو هذه المطالب على رؤية واضحة وبرامج مدروسة وحدود وأطر قانونية. حتى في الحوار بين ممثلي الثورة والحكومة العراقية، لم تصل بعض القرارات إلى صيغة نهائية، وطُرِحَت على مائدة التفاوض أشياء أخرى إضافية لصالح الحكومة بدون أن تتخذ جهة الثورة أي موقف منها.

في حوارات سنوات ١٩٧٠–١٩٧٤، وقبل استئناف القتال تخللت مطالب وشعارات الكورد اضطرابات كثيرة. تراوحت البرامج والخطوط السياسية للحزب الديمقراطي الكوردستاني، بين الحوار مع الحكومة العراقية وبين إبقاء العلاقة مع الحكومة الإيرانية، ووقعت في دوامة، فاحتار الحزب في موضوع الاختيار والترجيح بينهما.

لقد زعزعَ غيابُ تقويم واقعي للوضع القائم والافتقار إلى الوضوح ودقة النهج السياسي الذي صاغهُ الحزب الديمقراطي، الصفوفَ وخلخلها وأحدث فيها ثغرات كثيرة.

في أواخر شهر آذار ١٩٧٥، وقتما تعرضت جبهات القتال إلى الصدمة والاندحار، بَعَث المكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكوردستاني رسالةً مفتوحة إلى الحكومة العراقية وحزب البعث يدعو فيها إلى الحوار السلمي (وقد بثت إذاعة بغداد تلك الرسالة المفتوحة) وَلَمْ يكن الأمر في ذلك الحين تكتيكا فاشلاً فقط، بل أصبح القرار مرآة عكست الاضطراب السياسي ودل على غياب الرؤية الواضحة في البرنامج والنهج والخط السياسي.

الأسباب الخارجية

كوردستان محاطة ومحاصرة بدول عدة تقف ضد استقلالها والتمتع بحريتها، لأن استقلالها يهز أركان تلك الدول، ويعرض مصالحها للمخاطر. على امتداد سنوات الثورة سدت تركيا الأبواب بوجهها، وخاصمتها عسكرياً بين حين وآخر وفقاً لسياستها الإقليمية.

في عام ١٩٦٣ عندما كان نظاما البعث في سوريا والعراق متوائمين، أرسلت الحكومة السورية جيشها إلى العراق لدعم الجيش العراقي في ضرب الثورة الكوردية. وبعد أن ساءت العلاقات بين البعثين ونشأ الصراع بينهما راحا يكيدان ويخططان المؤامرات ضد بعضهما، ولَمْ يتجاوز الدعم والتعاون السوري للكورد في ذلك الوقت وبعده، حدودَ إيواء بعض السياسيين والدعاية الإعلامية والسماح لهم بالمرور والعبور، ولَم يتعد ذلك المستوى. ومع السعي الجاد والجهد الكثير الذي بذلته جبهة (التجمع الوطني العراقي) لَمْ ترفع الحكومة السورية العلاقة والدعم إلى مستوى أفضل، رغم كون جبهة التجمع الوطني تضم حزب البعث اليساري العراقي الموالي للحكومة السورية.

بعد انتصار ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، وانقطاع حلقة هامة من حلف السنتو في العراق، بدأت الحكومة الإيرانية تعادي العراق. وقبل اندلاع ثورة أيلول، اتصلت الحكومة الإيرانية ببعض الإقطاعيين والعشائر الكوردية. ومع بدء ثورة أيلول، اغتنمت إيران الفرصة للاتصال والتدخل في شؤون وخطوط الثورة. ومنذ ذلك الوقت أنشأت الثورة

الكوردية بدايات علاقة صداقة مع إيران نتيجة لافتقارها إلى جهة صديقة، استناداً إلى المعادلة القائلة (عدو عدوي صديقي).

في الحقيقة لَمْ تربط الصداقة ولا العلاقة الديبلوماسية إيران الشاه بالمسألة الكوردية، ولَمْ تبغ في علاقتها هذه سوى تنحية الثورة الكوردية وعزلها واستعمالها كأداة في الأوقات والفرُص المناسبة.

بعد مرور أربع عشرة سنة من الصداقة والتعاون وصل الموقف الإيراني عبر اتفاقية الجزائر إلى:

١– الانسحاب الفوري لقواتها من كوردستان العراق.

٢– قطع كافة الإمدادات والمساعدات المالية والعسكرية المقدمة إلى الثورة.

٣– منع استيراد وتصدير كافة المواد الغذائية وقطع سبل المواصلات والحركة التجارية.

٤– التهديد بغلق المنافذ الحدودية أمام الثورة في حال استمرارها.

٥– التهديد بضرب أي تحرك قرب حدودها.

٦– حجز آلاف عوائل البيشمركة واللاجئين الكورد في مخيمات إيران.

٧– إنشاء حزام أمني مشترك على الحدود العراقية الإيرانية بالتعاون مع الحكومة العراقية.

وفي الوقت نفسه تخلت الحكومة الأمريكية عن المسألة برمتها، وبموقفها الواضح هذا أعلنت عداءها الإمبريالي الأمريكي السافر إزاء الشعب الكوردي.

إن القيام بدراسة الموقف الإيراني والأمريكي تجاه ثورة أيلول، ليس من أجل تصفح أوراق الماضي ودفاتر التاريخ، بل له أهمية كثيرة من مختلف الجوانب، خاصة ونحن نخوض اليوم تجربة حساسة جداً وعلينا أن نستفيد بجد ودقة وعمق من التجارب المريرة والكوارث التي شهدناها في الماضي. وفي هذا العالم الذي يشهد يومياً أحداثا سياسية كبيرة، ينبغي البحث عن صحة المواقف بعين فاحصة وندرس المساومات الدولية السابقة، لنميز الأسود من الأبيض.

لنلق نظرة فاحصة على هذه الوثائق الهامة ونستقي منها الدروس[١]:

في العام ١٩٧٦ شُكلت لجنة لدراسة النشاطات والفعاليات السرية لجهاز المخابرات الأمريكية برئاسة (أوتيس بايك) ونشر تقرير اللجنة باسم رئيسها. ولأن الحكومة الأمريكية غدرت بالحركة الكوردية كثيراً، لهذا لم ترد نشر التقرير بأي شكل من الأشكال.

يثبت التقرير أن مصطفى البارزاني اتصل عام ١٩٧١ برئاسة المخابرات الأمريكية من طهران طالباً منها الدعم ضد الحكومة العراقية.

وظلت الرسالة بلا جواب. وفي العام ١٩٧٢ أعاد الطلب، وفي هذه المرة وجه الطلبان إلى (لجنة الأربعين) التي تشرف على مجمل الفعاليات السرية للمخابرات الأمريكية. وكان هنري كسنجر يرأسها في ذلك الوقت.

وقد ورد تقرير أوتيس بايك على الشكل الآتي:

إن الدلائل التي جمعتها اللجنة تثبت أن القرار اتخذ في الدرجة الأولى، من أجل طمأنة إيران الحليفة التي نتضامن معها بإخلاص، وتعتقد إيران أن هناك أخطاراً تهددها من العراق جارها، حيث العداء بينهما قديم، وليست خلافاتهما أساساً ناتجة من خلافات عقائدية، ولكنها في هذا الوقت تَهُم الولايات المتحدة.

وجاء في التقرير أيضاً: إن هدف الولايات المتحدة من مساعدة الكورد لم يكن من أجل تمكينهم من إحراز انتصار يساعدهم على الحصول ولو على حق الاستقلال الذاتي. إن حصول الكورد في العراق على هذا الحق يمكن أن يؤثر على الكورد في إيران، وهذا يسبب مشاكل للشاه، وبالتالي، فلقد كان المطلوب هو ضبط حدود المساعدة للملا مصطفى بحيث تظل دائما على مستوى معين! مستوى يستطيع عنده استنزاف قوات الجيش العراقي وإنهاك أسلحته وقيادته وأفراده، وفي الوقت نفسه في مستوى لا يستطيع معه إحراز انتصار مؤثر يحقق الاستقلال، ويؤثر على كورد إيران.

---

[١] وردت هذه الوثائق والنصوص في كتاب (ثورة كوردستان ومتغيرات العصر – نضال وكفاح الجبال أم انتفاضة المدن) لمؤلفه حكمت محمد كريم (ملا بختيار).

يُستَنتج من التقرير، أن المساعدات الأمريكية والإيرانية لَم تنبع من قيم إنسانية بل قُدِمت من أجل مصالح خبيثة استغلت لها ثورة شعب، ولم تكن القيادة الكوردية عميلة، لأن العميل لا يُستغنى عنه ببساطة.

واذا كانت القيادة البارزانية مستعدة لأن تبيع نفسها لأميركا وايران، لتلقت المساعدات الكبيرة كسائر الحركات المرتزقة ولما خافت أميركا وايران من أن تحرز هذه القيادة انتصارات كبيرة.

ويتضمن القسم الأخير من التقرير حقيقة تاريخية، أو اعترافاً سافراً بالغدر الكبير الذي اقترفته الحكومة الأمريكية بحق الشعب الكوردي (لقد كانت سياستنا غير أخلاقية إزاء الكورد، فلا نحن ساعدناهم، ولا نحن تركناهم يحلون مشاكلهم بالمفاوضات مع الحكومة العراقية، لقد حرضناهم ثم تخلينا عنهم).

إن الاعتراف الأميركي هذا واضح لدرجة بحيث لا يحتاج أي تفصيل وتأكيد آخر حول لا أخلاقيتهم إزاء الشعب الكوردي. والآن فلنعرف ماذا يقول شاه ايران وكيف يعبر عن موقفه.

ففي المقابلة التي أجراها معه (محمد حسنين هيكل) ونشرتها جريدة الأنوار اللبنانية في ١٩٧٥/٢/٩ يقول صراحة: "نعم لقد ساعدنا الثورة الكوردية وكنا في الآونة الأخيرة القوة الحاسمة خلفها بحيث عندما أوقفنا عنها تأييدنا حدث ما حدث. أريد أن أقول إنني لم أخلق ثورة الكورد، بل رأيتها حقيقة واقعة. على مدى السنين الماضية تعودت الأنظمة الحاكمة العراقية على معاداتنا. كنا نتعرض لحروبهم الإعلامية العلنية وعداواتهم وهجماتهم التخريبية. وقد حدثت مراراً اصطدامات مسلحة.

إنني لاحظت في الثورة الكوردية فرصة لنا. قلتُ لنفسي لماذا لا أستغلها؟ فاستغليتها.. لمَ لا؟ هل أنني أريد أن أُشعِلَ المشكلة الكوردية؟ بالطبع لا.. لا تنسى لديَ في إيران أقلية كوردية كبيرة

ويعرض تقرير لجنة بايك بصراحة تامة حقيقة علاقات أمريكا بالثورة الكوردية، التي تتلخص في النقاط التالية:

١- لقد استصغرت المخابرات الأمريكية المسألة الكوردية بدرجة استنكفت عن رد طلب مصطفى البارزاني حتى لو كان على نحو سلبي، الذي طلب منهم العون والمساعدة ضد النظام العراقي في آب ١٩٧١.

٢- إن الخطوة الصغيرة التي اتخذتها الحكومة الأمريكية أخيراً تجاه القضية كانت لطمأنة حلفائها الإيرانيين المهددين من طرف جارتهم الدولة العراقية.

٣- يوضح التقرير على نحو تام حقيقةً، وهي أن المساعدات التي قدمتها الحكومة الأمريكية إلى الكورد لَم تكن بهدف إحراز النصر ونيل حقوقهم حتى وإن كانت في إطار الحكم الذاتي. لأنَّه في هذه الحالة ستؤثر هذه الخطوة على كورد إيران وتوقظ حماسهم، وتخلق مشكلة لشاه إيران.

إن هذه الحقيقة واضحة ولا تتطلب تحليلاً عميقاً، وتبدي لنا موقف أمريكا إزاء المسألة الكوردية بعيدا عن اللف والغموض. فالمصالح الأمريكية هي التي تحدد قراراتها ونوعية موقفها تجاه شعوب العالم بعيدا عن الادعاء بالالتزام بأي ممارسة ديمقراطية وتقدير لمبادئ حقوق الإنسان. تُستَغَلُ هذه المفاهيم والمصطلحات لمصلحة الرأسمالية الأمريكية، للاستيلاء على نفط هذه البلدان، بغية تطوير اقتصادها وإبقاء سيطرتها على رقاب معظم بلدان العالم.

ويرسخ شاه إيران في الحوار الذي أجراه معه محمد حسنين هيكل، هذه الحقيقة ويقول، إنه قد استغل الحركة الكوردية لأهدافه ومآربه الخاصة والخبيثة في الوقت الذي رأى أن ذلك يصب في مصلحته .

عاملان حَسَما توقيت التخلي عن المواصلة

أولاً:

توجست الحكومة الإيرانية شراً وخوفاً من الانحدار الذي تعرضت له الثورة الكوردية في معركة خريف ١٩٧٤، أمام هجمات الجيش العراقي المتتالية، وظهرت لها قوة الجيش العراقي الذي أعاد سيطرته على المناطق المحررة أكثر من مرة، ولَمْ

يَعد بإمكان الثورة الكوردية استعادتها. ربما خافت إيران من أن لا تحمد عقبى الأمور وتصل المعارك إلى حدودها المتاخمة، رغم علمنا أن الجيش الإيراني مدرب ومسلح وضخم لكنه لَمْ يخض حتى ذلك الوقت أي حرب ليَمتحن ويجرب نفسه وطاقاته، مقارنةً بجيش العراق الذي يحارب الثورة الكوردية منذ عام ١٩٦١، ويدربُ نفسه على الدوام.

ثانيا:

خضعت الحكومة العراقية لمساومة ذليلة أمام الحكومة الإيرانية، وتخلت عن حقوق العراق في الماء والأرض والسيادة الوطنية. كانت هذه فرصة تاريخية فأصاب الشاه هدفين بسهم واحد:

أ– ما يبغيه من الصراع الدائر بين العراق وإيران تحقق له من خلال اتفاقية دولية معترفة بها.

ب– تخلص من قلاقل ومخاوف وصول نيران الحرب إلى الحدود وداخل إيران.

لم تحسب قيادة الثورة الكوردية حساباً دقيقاً لعلاقاتها مع الحكومة الإيرانية، وتناست تجربةَ جمهورية كوردستان (جمهورية مهاباد)، وتَعامُلَ الشاه الجائر معها. ولتقوية علاقاتها مع حكومة إيران، ارتكبت أخطاءً كبيرة بخصوص معاداة الحركة الثورية الكوردية في كوردستان إيران، ووصل الأمر إلى سجن وملاحقة وقتل العديد من قادة وكوادر ثوريي كوردستان إيران، وتسليمهم أحياء أو قتلى إلى الحكومة الإيرانية.

يقول كريم سعيد مصيفي، في كتابه المعنون (٣٠ سنة من النضال ووطن مهدم، الطبعة الأولى، السويد) (قدمت قيادة الثورة ثمنا باهظا بسبب تيهها، وغدت مبعث الضجر في صفوف الثورة وبين جماهير كوردستان إيران أيضاً.) ويستطرد قائلاً (عندما أشاحت قيادة الثورة بوجهها عن إيران في ١٩٧٢، أرسل شاه إيران رسالة إلى قادة الحكومة العراقية، مؤكِدا أن الحكومة الإيرانية مستعدة لقطع مساعداتها وإمداداتها عن كورد العراق، إذا أبدوا، أي قادة الحكومة العراقية استعدادهم لتنفيذ مطالب إيران المتعلقة بالحدود. في البداية لَمْ تبد الحكومة العراقية الليونة أمام

المطالب، وما أن تجددت الحرب حتى تبين لها عجز جيشها عن محاربة الثورة، ثم تذكرت مقترحَ الشاه، وفي النتيجة وقعت الاتفاقية في الجزائر) انطر إلى المصدر السابق (ص٥٥–٥٩.)

لم تقدر قيادة ثورة أيلول، ولَمْ تعِ ضبط ميزان التعاون مع إيران كدولة، ومع الحركة القومية والوطنية الكوردية في إيران لمصلحتها، بل أضعفت مَن أعقبها. وظهر ذلك بوضوح بعد اتفاقية ٦ آذار ١٩٧٥، حيث أثر سلباً على الثورة في كوردستان.

إن آخر انتقاد تاريخي يمكن توجيهه إلى قيادة ثورة أيلول في نظري، هو شكل خاتمة تلك الحركة وانسحاب قواتها إلى داخل الأراضي الإيرانية بصمت وهدوء وسكوت مطبق وبدون إصدار بيان أو توضيح للجماهير وحتى للبيشمركة تُحَلَلُ وتُبيَنُ فيه أسباب ونتائج النكسة ويتضمن استشرافا إلى المستقبل.

غدت مؤامرة آذار ١٩٧٥ الكبرى ضد الشعب الكوردي، وتحت تأثير الأسباب الداخلية لضعف الثورة، آخر سبب من الأسباب المؤدية إلى نجاح التآمر والنكسة الكبرى التي شهدتها الثورة الكوردية، وأنهت حياة إحدى أهم وأقوى الثورات الكوردية. وبسط النظام الفاشي البعثي جناحيه الأسودين على كوردستان وضرب بجذوره على نحو أعمق في كافة أنحاء العراق.

ورغم كل الملاحظات والانتقادات الموجهة إلى ثورة أيلول، لابد أن ننظر بعين التقدير إلى بطولات وتضحيات وآلآم آلاف الشهداء والمناضلين المشتركين في سنوات ثورة أيلول من بداية ١٩٦١ حتى نكسة ١٩٧٥. ولـلآن تعتبر ثورة أيلول من ثورات الشعب الكوردي الكبرى التي قامت وناضلت دفاعاً عن الأهداف القومية المشروعة لشعب كوردستان ونضاله الدامي المديد، رغم جميع النواقص وجميع الانتقادات. وأوضحت وأثبتت نتائج النكسة في تلك الأيام والوثائق المتعلقة بما تلاها، أن قيادة ثورة أيلول التي وقعت في أخطاء كبيرة، وظهرت في مسيرتها نواقص، إلا أنها لم تكن خادمة أو عميلةً لأي قوة أو دولة من الدول.

الفصل التاسع

مرحلة مابعد النكسة

مابعد النكسة

كانت أياما سوداء كئيبة، قلوب ملأى بالحزن والألم وضباب مستقبل غير واضح. الإحساس باندحار حركة ثورية زاخرة بالبطولات لشعب مضطهد على يد أحقر نظام دكتاتوري فاشي متوحش.

وقف الأصدقاء والرفاق العائدون من خنادق الثورة إلى المدن مرفوعو الرؤوس، لَم يحزنهم شئ سوى الزلزال الذي حدث اثر التآمر الدولي الحقير، تذكروا بفخر واعتزاز سنوات الثورة والتضحيات وبطولات البيشمركة القدامى، قلما رأيتُ من ينكس رأسه أمام الخونة الذين باعوا أنفسهم للبعث بثمن بخس بل بالعكس نزدريهم ونشمئز منهم.

بعد انتكاسة ١٩٧٥ وعودتنا إلى المدن، تعاملت الأجهزة الحكومية بهدوء مع الأشخاص والبيشمركة العائدين و بدأت تسعى بكافة السبل إلى إرضاء الناس على أمل أن يحل حزب البعث محل الأحزاب السياسية في كوردستان. كان هذا في وقت تعاونَ الحزب الشيوعي العراقي (اللجنة المركزية)، وعدد من الشخصيات المستقلة مع الحكومة العراقية وعمل في المؤسسات الحكومية وفي اللجنتين التنفيذية والتشريعية للحكم الذاتي، قاد حزب البعث ورأسَ الجبهة الوطنية ومَن انضوى تحت لوائها، وانحصرت الصلاحيات والسلطات والأمور في يده، وشرع يبذل قصارى جهده لترضية من بقوا بعد النكسة في إيران ودعاهم للعودة إلى العراق وأرسل وفودا كثيرة للاتصال بهم، وحالف مسعاه هذا النجاح إلى حد كبير وواضح.

تلبية لطلب ونداء رفاقنا المقيمين في خارج العراق وحسب إطلاع وموافقة بعض كوادر الحزب، سافرنا أنا والرفيق إسماعيل (عفان جلميران) العضو القيادي لحزبنا (القيادة المركزية)، إلى لبنان للالتقاء بسكرتير الحزب الرفيق إبراهيم علاوي الذي سافر إلى لبنان قبل مؤامرة ٦ آذار ١٩٧٥. تحدثنا بالتفصيل عن الوضع السياسي لتلك الأيام وتوصلنا في النتيجة إلى ضرورة عودتنا أنا وإسماعيل إلى كوردستان، لنبلغ الرفاق قرارَ الحزب القاضي بسعيه في الخارج لحماية التنظيم الموجود، ونعمل

نحن في داخل البلد بهدوء لحماية أنفسنا ونتظاهر بغياب فعالياتنا التنظيمية ونعقد الأمل على إعادة تنظيم حزبنا في مستقبل آخر بعد حماية كرامتنا السياسية.

ومن السنوات ١٩٧٥ إلى ١٩٩٠، سافرتُ أربع مرات إلى خارج البلد، وفي كل مرة إلى مكان: لبنان، ألمانيا، فرنسا، بريطانيا للالتقاء بالرفيق إبراهيم علاوي. وسافر رفاق آخرون باطلاعي إلى الخارج للغرض نفسه.

* * *

بعد انتكاسة ١٩٧٥ والظروف الصعبة التي مَرَّ بها حزبنا (القيادة المركزية)، نشر بعض أعضائنا المقيمين خارج البلد نداءً باسم (وحدة القاعدة) وأصبحوا تنظيماً مختلفاً. في الحقيقة جاء الاسمان الأولان اللذان تصدرا قائمة الأسماء إلى الحزب من حركتين بعيدتين عن الحركة الشيوعية، وبدون أن يتبوءا أي منصب أو مسؤولية حزبية بل كانا عضوين عاديين فقط. ولَمْ يستطع هذا التنظيم كسب أحد، عدا بضعة أشخاص كانوا أصدقاء لهم قبل انتمائهم إلى القيادة المركزية. افتقرت هذه الحركة إلى التوسع والانتشار. وألحقت تصرفاتها أضراراً بالغة بنفسها وراحت تردد كلام أشبه بأحاديث المراهقين، وفي نهاية المطاف تركوا السير على خط الحركة ومال بعض الأشخاص المتقدمين فيها إلى تنظيم وحركة بعيدة عن الفكر الماركسي والعلماني، وصاروا جزءاً من الحركات الإسلامية.

* * *

بعد ما حل بالثورة الكوردية عام ١٩٧٥ تلقينا نحن القيادة المركزية قسطاً من ضربات النكسة.

ففي الوقت الذي كان فيه عدد من أعضاء قيادة الحزب مقيمون منذ زمن في الخارج، كنا نحن الرفاق المقيمين داخل البلد، ذوى مستويات مختلفة من الوعي والتفكير إزاء ذلك الحدث الكبير. وبصفتي الشخص الوحيد في المرتبة الحزبية كمسؤول لفرع كوردستان وأنشطهم في الحزب، أسندت إليَّ أغلب الأعمال وشؤون الارتباط بأقسام الحزب الأخرى في العراق عندما كان الرفيق ابراهيم علاوي خارج

الوطن. في تلك الأزمـة العميقـة سـبقتُ رفـاق الحـزب كلـهم في إعـلان الموقـف المسـاند للمقاومة، وبدأت بحراك واسع وعقدنا جلسات كثيرة مع الرفاق الآخرين لهذا الغرض.

سـرعان مـا بَـيَّن وبعـث لـي الرفيـق إبـراهيم عـلاوي موقفـه مـن المقاومـة والصـمود، وأوضح أن الصمود الذي رفعتَ رايته عمل جرئ وكبير، ولكـن النجـاح لا يحالفـه حسـب رأينـا وتحليلنـا للوضـع السياسـي المسـتجد. ويعـود بـى هـذا إلى سـنوات تلـت ١٩٧٥، والأسـباب الرئيسـة لعـدم نجاحنـا لوحـدنا في المقاومـة والصـمود، وأعـود إلى سـلبيات ونواقص القيادة المركزيـة. بعـد الحمـلات الـتي شـنها البعـث في عـام ١٩٦٨، واستشـهاد المئات من أعضائنا والعشرات من قياداتنا وكوادرنا المتقـدمين بـين هـذا العـدد، وانهيـار سكرتير الحزب عزيز الحـاج، بعـد حمـلات القتـل والقمـع. بـلا شـك كـان الحـزب ضـعيفاً للغاية على صعيد تنظيماته الواسعة ومن حيث نوع الكادر ومستوى بعـض القـادة الـذين بـدا علـيهم الضـعف الفكـري والتنظيمـي، ومنـذ اليـوم الأول مـن لَـمِّ شمـل الأعضـاء والمنظمات المتفرقة عن بعضها نتيجة لحملات البعث الخبيثـة مـن جانـب، ومعـاداة الحـزب الشـيوعي العراقـي (اللجنـة المركزيـة)، الـذي عمـل بشـكل رسمـي في بغـداد وكافـة أنحـاء العراق في الساحة السياسية بالتعاون مع البعث ضدنا بشكل عنيف، من جانب آخر.

عانينا نحن القيادة المركزية بشكل واضح من الأزمة الماليـة بحيـث شـلت سـواعدنا فعجزنا عن مساعدة كوادرنا بهدف التنقل أو لـدعم كوادرنـا المخـتفين في المـدن وإدارة مسـلحينا في وسـط و جنـوب العـراق، واستشـهد كـثيرون مـن رفاقنـا المتقـدمين ولَـمْ نتمكن من إغاثتهم مادياً على مستوى ملائم يليق بهم. ففي تلك الفـترة استشـهد قـادة متمكنـون لنـا، أمثـال، نـاجي صـبري (أبـو محيسـن)، و (رافـع الكبيسـي)، و (زهـير علاوي)، وكان ذلـك جـزءاً مـن مخططـات وحمـلات البعـث وخـدَمهم، أدى إلى إضـعاف التنظيم ونال من قوة مناضلينا في الوسط والجنوب.

تكونت المسـاعدات والمعونـات الماديـة الـتي وصـلت الحـزب، مـن تبرعـات الرفـاق المقيمين خارج العراق، وكان معظمهم من الطلبة في أوروبـا، وبعضـها مـن بـدل شـهري للرفاق والمؤيدين في داخل العراق وكان ذلك في أدنى المستويات.

بذل رفاقنا في خارج البلد جهداً متواصلاً لجمع الأسلحة لبيشمركتنا في كوردستان ولتنظيماتنا في وسط وجنوب العراق، وجاءنا معظمها من رفاق الحزب والحكومة في اليمن الجنوبية الديمقراطية، ووَصَلَنا بصعوبة بالغة جداً إلى كوردستان.

جف هذا النبع بعد تدهور وضع الحزب الاشتراكي اليمني وانقسامه إلى جناحين. نعم بعد سقوط تلك الإدارة التقدمية التي اغتيلت كـ(ثورة شهيدة) ودخلت صرح التاريخ من أوسع أبوابه، فقدنا أصدق وأقرب مصدر إلينا. وفي كوردستان كنا على صلة بالحزب الديمقراطي الكوردستاني، وانصب التعاون في الأغلب في تزويد بيشمركتنا المقاتلين ببعض المال والأسلحة، لكنهم كانوا يضربوننا بين حين وآخر بقبضة مشدودة لئلا نتوسع أكثر!

كان الفارق الرئيس بيننا وبين الطرف أو الجناح الآخر من الحزب الشيوعي العراقي، يكمن في قناعتنا التامة بالكفاح المسلح الحقيقي، وبذلنا ما كان في وسعنا من أجله. بدءاً من انتفاضة أهوار جنوب العراق بقيادة الرفيق والصديق الحميم خالد أحمد زكي، الذي استشهد مع رفاق آخرين، وصولاً إلى محاولة ثورية انقلابية مسلحة داخل الجيش.

نعم لم ننتصر في محاولتنا لإسقاط النظام، لكننا زرعنا فكراً جديداً بين الجماهير في العراق وكوردستان، وربَّينا آلاف الشباب بروح التضحية والثقافة الثورية، وهذا بالتأكيد يُعَّدُ نصراً كبيراً لمستقبل قادم.

لقد حلت بتنظيمات القيادة المركزية تلك الكوارث، لكننا نفتخر بتاريخنا.. نفتخر بأن الشعلة لَمْ تنطفئ ولا تخمد. اشتركنا في تربية جيل جديد، يوشك، بجهود قافلة جديدة يقودها بعض الرفاق المناضلين السائرين على النهج نفسه، أن يتمخض عنه تنظيم جديد ثوري يسهم في تحقيق وطن حر تسوده التقدمية والديمقراطية، ويتوارى فيه اضطهاد الإنسان من قبل أخيه الإنسان — إن أكبر أملي في الحياة هو أن تتحول هذه المحاولات إلى بداية صحيحة وثابته— لتأسيس تنظيم موسع متمسك بتلك المناهج يقود شعبنا إلى الحضارة والعدالة.

من هذا المنظور ومع النجاح في مشاريع اقتصادية مفيدة لوطننا وشعبنا، وهي خدمات واضحة، تحسنت وتقدمت بها قدراتي وإمكانياتي المالية، لَمْ أبرح أفكاري وقناعاتي، وأعاون العديد والكثير من المنظمات اليسارية والفعاليات المدنية ومئات الطلبة في المراحل المختلفة وكذلك الفقراء والمحتاجين، وغدا ذلك برنامجاً متواصلاً في حياتي. وعاهدت نفسي على أن لا أتخلى ولا أبتعد قيد أنملة عن حبي ووفائي لآرائي ومعتقداتي، وأن لا ينقص بل يزيد حبي لشعبي ووطني، ولن تغيب عن بالي وذاكرتي دماء رفاقي الشهداء بكل معانيها ودلالاتها.

دار والدي وبداية العمل

على صعيد حياتي الشخصية، كانت أسرتنا تملك داراً صغيرة ورثناها عن والدنا. ولدت فيها وظلت والدتي تقيم فيها، وبين حين وآخر كان أحد أبناء أخواتنا يسكن معها ليؤانسها ويعاونها في حياتها اليومية. تلك الدار التي ولدت فيها وبدأت أحبو وتفتق لساني بين جنباتها، وأحنُ إلى كل زواياها وحصرمها وأعنابها والأكياس التي كانت تخيطها وتفصلها أمي لتحمي وتحرس بها العناقيد المتدلية من شر ولسعات الزنابير، واشتاق إلى سطحها المحاط بالجيغ[١]، حيث كنا ننام فيه في فصل الصيف، وأتذكر لهونا مع أصدقاء طفولتي باللعب فوق السطوح التي انعدمت بينها الحدود فكنا نقفز ونعدو فوقها سطحاً تلو سطح ونلتهم أحياناً سراً وعلانية التوتَ والحصرمَ والعنبَ والرمانَ من أشجار الجيران.

تضج ذاكراتي بأحلى الذكريات والأوقات التي قضيتها مع أبي ووالدتي و أخي وأخواتي منذ طفولتي ودخولي المدرسة بمراحلها الثلاث ومغادرتي السليمانية وذهابي إلى بغداد للدراسة في الجامعة.

بعد انقضاء مدة تربو على سبع سنين من حياة الاختفاء والكفاح الثوري ها

---

[١] جيغ: سياج من القصب كان يُنصب صيفاً فوق السطوح وينامون فيه ليلاً ويعطي الرائي البهجة والسرور. استعمله الناس في المدن على الأكثر. (المترجم)

أنذا في هذه الدار القديمة التي تسكن فيها والدتي، بلا عمل وذهني يمور بخطط لمستقبل الحياة، ويؤسفني أن أقول إن أول خطة لي هي بيع هذه الدار عَلَّني أعثر على عمل بمبلغها.

ذات صباح كنا نتناول الشاي والفطور مع والدتي، فجأة دلفتْ إلى الداخل جارتنا شمسة خان وهي تبكي وتنتحب، وقالت، سمعنا إنكم تبيعون الدار، بالله عليكم لا تظلمونا ولا تغدروا بنا، في الحقيقة إن هذه الدار كمرقد لولي من الأولياء في نظر أهل الحي ! !

بعد موافقة والدتي وإخواني وأخواتي وعدتهم أن أمنح كل واحد منهم ضعف حصته، كان كل واحد منهم ومنهن صاحب بيت خاص، فاستأجرنا أنا ووالدتي داراً بـ ١٨ دينارا شهرياً. بيعت الدار بـ ٣٢٠٠ دينار، اشتريتُ سيارة فولكس واغن قديمة بـ(٩٠٠) دينار وبدأت أعمل في مشاريع صغيرة بما تبقى من المبلغ.

هنا أود أن أتحدث بالتفصيل وبصراحة تامة عن قصدي من سرد حكاية خوضي غمار العمل الحر وتجنب الوظيفة الحكومية لغرضين: الأول يتعلق بذكرياتي، والثاني كتجربة جديدة لشخص أمضى منذ المراحل الدراسية حتى تخرجه في الكلية سنوات في اختبار وظائف حكومية في البنك وخارج إطاره، فضلا عن كون الحياة ضرباً من الإدارة. قضيت أكثر أوقاتي بالتفرغ للعمل الحزبي وتلتها ثمانية أعوام من الكفاح المسلح في الجبل والعمل سراً في المدن وها أنا أعيش في عالم متقلب، وانغمر في حياة مختلفة واضطر لأختبر معترك العمل الحر.

هكذا بدأت تجربتي وتصاعدت شيئاً فشيئاً، وصرتُ صاحب أعمال ومشاريع متميزة مختلفة أراها تفيدني وتفيد شعبي ووطني، في وضع يزخر بالكدح والجرأة والمشاكل الكثيرة.

فلتكنْ هذه الحياة وهذه التجربة درساً يجاريه الجيل الجديد ويثبت أن الإنسان يمكنه إحراز النجاح بقدراته وإرادته القوية واستعمال عقله والاستفادة من تجارب الآخرين، بدون أن يتشبث بالأحزاب أو ينقاد وراء الآخرين، أو يختار درب الوصولية والانتهازية والمذلة.

بعد تخرجي في كلية التجارة – جامعة بغداد، عملتُ أربع سنوات موظفاً في البنك التجاري العراقي، وعَقبَ التفرغ من العمل اليومي في البنك التجاري كنتُ أعمل مساءً محاسباً في شركة أهلية أدارها رجلان طيبان وهما الحاج جلعوط الهيتي، والمهندس خليل الدوري، واكتسبتُ مهارة ودقة في جوانب عديدة من المقاولات والشؤون التجارية. في تلك السنين كان خليل الدوري والحاج جلعوط، من أكبر مقاولي ورجال الأعمال في بغداد.

كان البنك مكاناً حسناً للتعلم، ومن خلال ذينك المكانين الوظيفيين اكتسبتُ قدرات ومهارات عالية برز أثرها في تنميتي وتقدمي وازدهاري في العمل.

منذ بداية دخولي عالم العمل الحر، اعتقدت أن العمل ضئيلا كان حجمه أم كبيرا يتطلب التخطيط، وينبغي أن تكون مصراً في البداية على تنفيذ مخططك، والأهم من ذلك هو متابعة التنفيذ. على صاحب العمل أن يثق باستشارة ومعلومات من هو أدق وأمهر منه، وتنير تجارب الآخرين الناجحة دربه، بدون ذلك لا يحالفك النجاح.

في شهري أيلول وتشرين ١٩٧٥ كنت أكدُ بحثاً عن عمل ما، سمعتُ خبرَ توفر عمل مقاولات لتصليح سُرُر وكراسي ومناضد الأقسام الداخلية للطلبة في جامعة السليمانية. حصلنا مع صديقي الأخ شاسوار حَمه آغا، أوراق المناقصة طبقاً للتعليمات الواردة في إعلان الجامعة، وملأناها بسعر قليل وملائم، وفي الأخير لم يُدخلوا طلبنا ضمن مسابقة العمل – فَهمتُ أن الموظف المسؤول قد خاف من أن يوكل إلي العمل! إذ لم يجدني مستحقا لهذا العمل الصغير.

كانت محاولتي الثانية هي تعمير جدار ومجرى مائي لدار تابعة للإدارة المحلية في السليمانية، وكانت المقاولة من نصيبي بـ(١٤٠) ديناراً. استغرق العمل أسبوعا أظنني ربحت ٢٠–٣٠ ديناراً. وفي بلدية السليمانية مُنحتُ مقاولات لبناء مجرى صندوقي كان يكلف ثمانية آلاف دينار، كان خمسة عشر متراً منه في نهاية (شيوي قازي)، وخمسة عشر متراً أخرى في نهاية (شيوي جولَكان). عمل متعب وعويص، لأن الوادي وماؤه الجاري يمران قرب أسفل جدران الدور، كما كانت الدور كلها

مبنية من الطين والآجرُ، ولو حدث أدنى انهيار أو تَساقطَ جزء ما لَخَلَقَ لي مشاكل معقدة مع أصحابها. حين باشرت بالعمل فهمت أن الثلاثين متراً من الطول الذي أعطاني إياه مدير بلدية السليمانية ومَنَّ عليَّ كثيراً، هو في الأساس جزء من ٣٠٠-٤٠٠ متر لمجرى صندوقي منحه لأحد أصدقائه، وأعاد الثلاثين مترا إلى بلدية السليمانية لأن مكانه يقع في (شيوي قازي) و (شيوي جولَكان) فخاف من انهيار الدور المبنية على جانبيه.

استغرق العمل بضعة أشهر مليئة بقلقي وتخوف أسطا كريم حاجي الذي أدار لي العمل. وفي الأخير ربحنا حوالي ٥٠٠ دينارا.

لا أنسى ما حييت ما واجهني وقتما حصلتُ على عمل صغير جديد في الإدارة المحلية في السليمانية قُدرَ بـ(١٥٠٠) دينار. أذ لَماَّ شرعنا في العمل بحفر أرض التلة، تبيَّن اننا واقعون في سهو وخطأ بارزين وأن المهندس الذي عاونني حَسِبَ أن الحفر سيكون في التراب، لكن الأرض كلها كانت صخرية. ساعدني المرحوم فتاح بابان، مهندس الإدارة المحلية كثيراً وأكمل لي بكومبريسرهم حفر الأرض، فأصبحت هذه تجربة صغيرة أخرى. والكورد يقولون في أحد أمثالهم (من كل خسارة عقل)[١].

بسبب زياراتي المتعددة إلى بغداد وتعرفي على الحاج جَلعوط وخليل الدوري، وبعض معارفي الآخرين من أصحاب الأعمال والمشاريع، والمعامل الضخمة، بدأتُ أفكر في نقل حجر الموزاييك - مرمر من السليمانية إلى بغداد للبيع. حتى ذلك الحين كان بعض الأشخاص يزاولون هذا العمل، حين طرحتُ الموضوع لدى المرحومين عمر حاجي عبدالرحمن، وجمال ميرزا حَمَه سعيد، اللذين كانا ينقلان الحجر من بنجوين إلى بغداد، رحّبا بفكرتي فصرنا زملاء نعاون بعضنا، وكنت بدوري أعرف أصحاب معامل كبيرة للكاشي والمرمر في بغداد، انشغلنا مدة بذلك العمل، وقد حافظا حقا على منتهى الصدق والأمانة والمحبة والنزاهة في العمل.

---

[١] ترجمة حرفية لِمَثل كوردي ويعني الإستفادة من عاقبة كل خسارة وذلك بالتوجه نحو الإمعان والتروي في خطواتنا القادمة. (المترجم)

بعد مضي مدة دار بخَلَدي سؤال وهو، ولِمَ لا ننقل هذا الحجر مجروشاً إلى بغداد؟

لأول مرة اشتريت كسارة لطحن الحجر من بغداد في شارع الشيخ عمر بـألف دينـار ونصبتها في تانجرو. حالف النجاحُ العمـل، يسـمى الحجـر المكسـر (موزاييـك)، وكنـت أبيعه في بغداد وبعض معامل السليمانية وأربح منه (١٥٠٠) دينار شهرياً.

تزامن هذا العمل مع محاولتي لنقـل معمـل بلـوك كـونكريتي إلى السـليمانية بـدعم مالي لصديقي المخلص وصاحب المواقـف ماجـد عـلاوي، حيـث تحـدثت معـه ومـع صديقنا العزيز فؤاد قاسم الأمير، حـول هـذا الموضـوع وقلـتُ لهمـا إن هـذا المعمـل سيكون ناجحاً في السليمانية ويضاف إلى اثنين آخـرين موجـودين فيهـا. مـا اخترتـه واقترحته كان متوسطاً وحسب تقديري كلف أربعة عشر ألف دينار. قال لي ماجـد، غداً سأسلمك المبلـغ وابـدأ بالعمـل، فأسسـتُ معمـلاً (زينيـت Zenith) في تـانجرو، وجهزت له في غضون شهرين إلى ثلاثـة اشـهر، الأرضَ وجلبـتُ الآلات مـن ألمانيـا إلى تانجرو في السليمانية.

كنـتُ أنهـضُ في السـاعة الخامسـة مـن كـل فجـر مبكـراً وأركـب سـيارة (بيكـاب) قديمـة، وأذهـب إلى قـرى زركـويز (زرگـوێز)، وسَـدو بيسـت، بَردكَـر (بەردەكـەڕ)، وسَماوات حتى قرية رمضان لأجمع العمال وأذهب بهم إلى المعمـل في تـانجرو. وقـتَ إنشاء المعمل في عام ١٩٧٦، استأجرتُ أرضـه مـن المرحـومين عبـدالله كـونجريني، وعثمـان قـادر آغـا. وكـان ذلـك أول معمـل وإعمـار رأى النـورَ في تلـك المنطقـة بـين الجسر القديم والجسر الحالي الجديد الذي لم يكتمل في حينه.

في الأصائل كنتُ أوصل العمال إلى قراهم وأعود إلى تـانجرو لأحمـل المشـرف علـى المعمل المرحوم علي سعيد إلى مكتـب عملنـا الكـائن في شـارع پیرەمێـرد، لَـم يتجـاوز الدكان الذي استأجرته مـن صـديقي الحبيـب ياسـين خليـل، بـدينارين شـهرياً ثمانيـة أمتار مربعه، لا أنسى أبـداً ذكريـاتي مـع الأخ المخلـص علـي سـعيد، المثـال السـاطع للنزاهة والإخلاص.

في تلـك الآونـة كـان سـعر البلـوك الواحـد (١٢٠) فلسـاً، وكـان الإقبـال علـى إنتـاج

معملنا، مثلما قيل، كثيراً، لجودته وصلابته، وازداد يوماً بعد يوم. وكما أسلفت كانت تكاليف تأسيس المعمل المالية من ماجد علاوي وإدارة العمل مني أنا، والربح قسم مناصفةً بين الإثنين.

بعد مرور سنة أحسست بنمو قابلياتي لأدير أعمالا أكبر فَبِعتُ المعمل مع قوالب وأجهزة معمل يدوي للشتايكر، اشتراه الشقيقان كريم وكمال سعيد طه كويي، بإثني وأربعين ألف دينار، الرجلان المعروفان بطيبتهما وصدقهما في العمل، ولا يزال مكان المعمل وبعض غرفه باقياً وشاخصاً على ضفاف نهر تانجرو.

هذه كانت بداية ربح جيد بالنسبة لذلك اليوم وتبعاً لرأسمالي ورأسمال صديقي القليل.

خطوتُ أولى خطواتي إلى عالم المقاولات مع الأخ أكرم صالح رَشَه والأخ جميل نوري، وذلك في بناء وحدات سكنية على أرض التكية الطالبانية في السليمانية، وهي الاسم الرسمي لهذه البناية التي شيدت سابقاً في مكان جامع (تكيه روته) وهي من ممتلكات دائرة الأوقاف في السليمانية.

مع مواصلة العمل اليومي وفهم سياسة السوق والمقاولات، وسعَّتُ خطواتي، بهوية مقاولين من بغداد وهما المرحومان المهندسان عبدالله جابر وإلياس بطرس، حيث حصلت على عمل لتشييد مشروع بنايات من ستين شقة لـ(مديرية الري في قضاء دوكان)، على أن يدفعا هما المبلغ المطلوب وننجز نحن العمل وننفذه، آنذاك أشركت المهندس دلشاد رشيد (وهو مِن أقاربي)، وصديقي الأسطا محمد أسطا حَمَه أمين (حەمەی حەپسە)، ولا تزال البنايات باقية بحالة جيدة.

ارتأيت تغيير وتبديل المهنة والعمل لأنتقل إلى ميدان أعمال أضخم بعد أن تطور العمل وازداد المورد، لقد زرعت ثقتي بقدراتي المتطورة وهذا التفهم الدقيق أملا كبيراً في أعماقي.

في ١٩٨٥ وأنا في مسعاي الحثيث بحثاً عن أعمال ومشاريع جديدة، سمعتُ أن وزارة الزراعة في بغداد تستورد أربع عشرة مجزرة جديدة لذبح و جزر الدواجن، وتحصل كل محافظة من محافظات العراق على واحدة منها. بعد بحث ومتابعة الخبر

والتحقيق من ربح وخسارة هذا المشروع بدأت أبذل الجهد للحصول عليه. قررت ذلك انطلاقاً من حاجة أسواق البلد الماسة إلى العديد من المجازر للدواجن لأن معظم هذه المواد والأطعمة الغذائية واللحوم تُستورَدُ من الخارج وبالأخص من أمريكا والبرازيل. إن الشرط الأول المتوفر لنجاح أي منتوج هو الطلب والإقبال الهائل عليه، وكان هذا دافعي الأساس للبحث عن المشروع بجد.



من اليمين: كمال، الشهيد أكرم اسطا حَمَه أمين (أكرم حبسه)، فاروق ملا مصطفى، جميل نوري، أكرم محمود صالح رَشه – تكية روته، السليمانية، ١٩٧٩

كانت في كوردستان مجزرة واحدة حكومية صغيرة نصف أوتوماتيكية استأجرها رجل أعمال السيد أحمد إسماعيل، وسعى لبناء وإنشاء مجزرة أخرى من المجازر المستوردة حديثاً إلى العراق التي ذاع صيتها. كانت في بغداد مجزرة أكبر وأضخم اشتهرت بمجزرة (أبو فارس)، وكان هو صاحب الرقم الأول لهذا العمل في العراق. زرتُ (أبو فارس) وكان أسمه (يحيى ياسين) فشرح لي التفاصيل الدقيقة للعمل

ورافقنا أنا ودلشاد إلى داخل مجزرته وأعاننا بتزويدنا بمعلومات دقيقة وشَجَّعَنا لئلا نتريث فيها وقال: "أنا حاضر لأي دعم تريد."

وهكذا دخلتُ عالمَ عمل جديد ضخم برأسمال كبير، أسعفني ما جنيتُ من عملي في معمل البلوك والكسارة وبعض المقاولات التي درت عليَّ أرباحاً جيدة، أما دلشاد وأسطا محمد، اللذان جعلتهما شريكين لي في العمل فامتلكا مبلغاً قليلاً. شمرنا عن سواعد الجِدِّ، وانهمكنا في تشييد البناية وتحضير كافة المستلزمات من الأجهزة والآلات التي استوردناها من هولندا، وتجشم ثلاثتنا عناء تحضير وتهيئة ذلك.

من أين سنحصل على المال؟ رَهَنْتُ داري التي بنيتها في حي (توي مَليك) في البنك الزراعي، ولجأت هذه المرة أيضاً إلى ماجد الذي كان شريكي في هذا المشروع الكبير ولبى طلبنا وربح هو أيضاً ربحاً جيداً من المشروع.

ولكي يفهم الكثيرون عن عملي ورأسمالي، أقصدُ جزءاً كبيراً من أشخاص الجيل الحالي، أقول إن الجرأة والإرادة القوية وسعادة الإنسان ورغبته في الإسهام في اقتصاد بلده تمحو وتزيل العراقيل، وتربط العلاقات الحسنة والصدق والنزاهة بين الناس وتقود أعمالهم الجماعية المشتركة إلى النجاح.

بدأنا بالعمل اعتماداً على ٣٠٠ آلف دينار لماجد، وسبعين ألف دينار لي، ورهن داري واستلاف مائتي آلف دينار من البنك، وعشرين ألف دينار لكل من دلشاد وأسطا محمد.

وكان المشروع في ذلك اليوم أضخم مشروع أو معمل إنتاج في السليمانية. شرع الأصدقاء والتجار وأصحاب العمل يتهافتون على هذا المشروع للاستمتاع برؤية منظره الجميل. عادل الدينار العراقي آنذاك ٢,٥ دولار بالعملة الأمريكية، وقبل ذلك عادل ثلاثة دولارات أمريكية.

في صدد حديثي عن سلسلة أعمالي وتبديل هذا النوع بنوع آخر من العمل، أود ألا أخلط العلاقات السياسية بهذه الأحاديث، سأعود في خاتمة مرحلة ما إلى تلك التواريخ لأتطرق إليها.

في ذلك الحين واجهت إدارةَ المجـزرة بمواصـفاتها الحديثـة مجموعـة مـن المعوقـات. ففي سنوات الحـرب العراقيـة – الإيرانيـة اسـتجد ظـرف جديـد إذ تَطَلـبَ ارتفـاع سـعرُ الأدوات الاحتياطيـة، وغيـاب أو قلـة الكـادر الفـني المهـني وقتـاً كـثيرا لإدارة وتطـوير العمل والإنتاج.

كانـت حقـول الـدواجن في السـليمانية وأطرافهـا محـدودة وقليلـة، مـع تقـدم عملنـا انهمك كثيرون في إنشاء حقول الدواجن وازدهرت هـذه المهنـة بشـكل ملحـوظ واسـتفاد منها المواطنون. رويدا رويدا استطعنا أن نربـي كـوادر مـاهرة. ولتبيـان هـذه الحقيقـة أقول، نحن الآن في ٢٠١٦ والسنة موشكة على الانتهاء نجد أن أحسـن مـوظفي وعمـال الكهرباء والميكانيك في شركة آسياسيل هم مجموعة مـن الشـباب الـذين كـانوا يعملـون في تلك السنين في مجـزرة الـدواجن، نضـجوا ونشـأوا هنـاك عمـالاً عـاديين وتـراهم الآن يتمتعون بدرجة عالية من العمل الفني في شركة آسياسـيل. ولأن مشـروعنا كـان واقعـاً في الحدود القائمة تحت سلطة النظام الحكومي قـرب قريـة (ألهـي) وبـين سـلطة وحكـم البيشـمركة في المنطقـة، تعرضـنا لتعامـل وسـلوك متشـنج وعنيـف مـن قِبَـل الأجهـزة الحكومية، عِلما إننا آوينا عدداً من الجنود الهـاربين وأصـبحنا محطـة لنجـاة أشـخاص كثيرين أرادوا العبور إلى المناطق المحررة.

صارت مجزرة بازيان سبباً لتوفر فرُص العمل لمئـات الأشـخاص وإعـداد آخـرين للارتقاء إلى مستويات أعلى في العمل، ولأن حقول دواجن السـليمانية لَـمْ تكـن تسـد الحاجـة الكاملـة لـذا كانـت شـاحناتنا الخاصـة في حركـة مسـتمرة بـين السـليمانية والموصل وبغداد، وفي بعض الأحيان جنوبي بغداد، لشـراء دواجـن حيـة وجلبهـا إلى مجزرتنا.

نتيجـة لنجاحنـا في العمـل اعتزمنـا توسـيع المشـروع ببنـاء حقـل كـبير لتربيـة الـدواجن ومفقـس وأنشـاء معمـل كـبير لعلـف الـدواجن، وقـد اكتمـل بعضـه وبـدأنا بالإنتـاج ولكنـه لَـمْ يكتمـل تمامـاً بسـبب انـدلاع الحـرب العراقيـة الكويتيـة وهجـوم الجيش العراقي على مشاريعنا.

في ١٩٨٨ اشتركتُ في مشروع كبير للدواجن البيض، ضمن تعاون كبير بيني وبين شركائي، الصديق الراحل الدكتور رؤوف عزيز و الأخوان عمر سعيد (أسطا عمر) وحاجي جمال شانَكَر وأخيه حاجي كامل وجمال حَمَه رشيد وطلعت نادر بنسبة ١٥٪ .

اشترينا هذا المشروع في إعلان مزايدة أحد المشاريع الحكومية من وزارة الزراعة العراقية في بغداد بمبلغ ٩,٥٢٠,٠٠٠ (تسعة ملايين وخمسمائة وعشرين آلف دينار) بمقدمة نسبتها ٢٠٪ والباقي يدفع بأقساط شهرية. أحرز هذا المشروع نجاحاً باهراً وفي شهره الأول ظهر تفوق إدارة القطاع الخاص على إدارة القطاع الحكومي بوضوح.

قررت الحكومة العراقية تحويل كافة مشاريع الدواجن (مفقس، علف الدواجن، تربية الدواجن، دجاج البيض، والمجازر) من ملكيتها الحكومية إلى القطاع الخاص، فأصبح هذا القرار نصراً واضحاً في هذا القطاع الهام في المجال الاقتصادي، بخاصة إنها بدأت تبيع المشاريع الحكومية في مزايدات علنية.

بعد انتفاضة ١٩٩١ وانهيار حكومة البعث في كوردستان وسحب إداراتها من مدن كوردستان، بدرت تصرفات غريبة وعجيبة من أجهزة وإدارة (الجبهة الكوردستانية) وبعدها مباشرة من أشخاص وأطراف في الاتحاد الوطني الكوردستاني ضد تلك المشاريع بحجج واهية بعيدة عن القانون وتذرعوا بأسئلة غريبة مثل: من أين لكم هذه المشاريع وكيف تبقى في حوزتكم! حتى انهم أبدوا هذا التصرف العنيف إزاء ملكية مجزرة بازيان وضدي. وكانت المساحة المخصصة للمجزرة وما عليها من الأجهزة والأدوات والغرف وما فيها، ملكنا الشخصي الخاص ولَمْ يكن لها أي ارتباط بالحكومة العراقية، واستفحل الأمر وتفاقم إلى أن وصل إلى الحملة على المشروع باستخدام سلاح (آر بي جي). كانت تلك المجزرة آنذاك المشروع الوحيد من نوعه في محافظة السليمانية. وبعد قيامي بتوزيع المستمسكات الرسمية على الأشخاص والأطراف في الاتحاد الوطني الكوردستاني، والأهم من ذلك اتصالي بمام جلال وإطلاعه على التفاصيل تخلصت من المضايقات.

في إطار هذه التصرفات والأحداث الغريبة التي وأجهتني واعترضت طريقي وبشكل أعنف من كلها، أشير إلى مشروع (فينك) الذي تَكونَ من ٨ دور مشيدة للسياحة، وقد اشتريته من شخص آخر بعد أن انتهى العمل فيه. طلبَ مني أحد قادة الاتحاد الوطني الكوردستاني في ذلك الوقت، أن أمنحه خمس دور من المشروع، حين قلتُ له وماذا تفعل بها؟ قال لإقامتي والسكن فيها. أردتُ أن أفهمه بليونة وأسلوب جد هادئ أن هذا المكان يجب أن يبقى للسياحة في هذه المنطقة بل قُلْ في السليمانية كلها، حتى يتمكن الناس الاستفادة من الدور وحدائقها الواسعة ومسبحها. لو كانت دارا لي لَكُنتُ أهديتها إليك. ولكنه لَمْ يَكفَّ عن عناده الأرعن وأصَّر على طلبه وأوصل النقاش إلى التهديد والوعيد، وإن لم أقبل الطلب يستولي عليها عنوة أو يسويها مع الأرض أو يرمينا بـ(أر بى جى).. الخ.

رددتُ عليه بأسلوب صلب وشديد وقلت له في النهاية، أنت متوهم إن كنتَ تتصور إنني أخاف من وعيدك أو من تهديد أي كان في هذه الدنيا، لا أحد بوسعه أن يسلب مني مالي الشخصي. بعدئذ سردتُ هذه الدراما لصديقي الحبيب (ملازم عمر) فحمل سماعة التلفون وراح يهاتفه بحضوري، وقال له، يا فلان، فاروق صديق مقرب إلى مام جلال وللأخ نوشيروان وليَ أيضاً، إنه رجل وطني معروف وسَبَقَنا في خوض غمار الكفاح المسلح والثورة فكيف تعنفه وتتعامل معه بهذا الأسلوب اللاذع؟

في الأخير تابع الأخ عمر والأخ نوشيروان القضية وأصرا على الأمر، وحين علم مام جلال بالموضوع أرسل إليه رداً شديدا لكي يعدل عن هذا الطريق الملتوي! ! فكف عن ذلك، وبدوري أثمن جهود ثلاثتهم ولا أنسى مواقفهم أبداً.

في بداية شهر نيسان ١٩٩١ تقدم الجيش العراقي إلى كوردستان وأعاد سيطرته على مدن السليمانية وأربيل ودهوك. هاجمت قوات (الحرس الجمهوري) مجزرة دواجن بازيان ونهبت ما يصلح فيها، واقتلعت ما فيها من المكيفات وأجهزة أخرى وأخذوا الشاحنات وسيارات البيكاب والجرارات وكسروا ما لم يستطيعوا أخذه.

ألحقت الهجمات أكبر الضرر بنا. بعد اندحار القوات وانسحابها عدنا إلى المشروع بعد صرف مبالغ كثيرة وبذل جهد كبير استغرق من ٧ إلى ٨ أشهر، مستعينين بربع طاقاتنا وإمكانياتنا السابقة، لكنه لَمْ يعد إلى عهده السابق فتعطل بعد فترة. بعد غلق المشروع اشتريت الأسهم من شركائي ويقوم الآن مشروع محاليل طبية في محله.

وأما في مشروع دواجن البيض فقد استأنفنا العمل بسرعة فائقة واستمر في الإنتاج بكل ما كان في وسعنا. ووصل إنتاج البيض خلال سنة إلى نسبة عالية فَسّد حاجات السليمانية وبدأنا بتصدير البيض إلى بغداد والمحافظات العراقية الأخرى.

خلال هذا التطور الرائج والربح الظاهر الذي حققه العمل، كنتُ أفكر في أعمال كثيرة أخرى تحتاج إلى رأسمال كبير وتتمخض عنها نتائج أجود من هذا المشروع الذي لي نسبة ١٥٪ منه ويشاطرني فيه آخرون. بعد الاستشارة بصديقي الأخ عمر حسين أحد شركائي ومدير المشروع رسمياً، والتزاما بالنهج القانوني والأعراف والعادات، قلت لشركائي إنني أبيع حصتي وإن كان من يريدها أحد منكم فلن أعرضها على غيركم، فاستطابوا كلامي ونال البيع رضاهم. بعد أيام اتفقنا أن أبيعهم حصتي باثني عشر ونصف ضعف لرأسمالي، أي أن السهم الواحد الذي سعره دينار واحد، ابتاعوا مني باثني عشر ونصف دينار، وكان هذا مكسباً ونصراً كبيراً لي.

ما زلنا أنا وشركاء هذا المشروع محتفظين بعلاقاتنا الطيبة المبنية على الود والصدق والمحبة. يسرني أنهم في تقدم مستمر، حاجي جمال، وحاجي كامل شانَدَر، وأسطا عمر سعيد فتاح. منذ ذلك الوقت نحن في تواصل دائم، بفضلهم لا يخلو بيتنا من البيض.

الزواج ومرحلة جديدة من حياتي

بعد أن اضطلعت بإدارة شؤون الحياة، حان أوان زواجي أو لأقُل بشكل أوضح، أوشكت أن أتخلف عنه.

إن الأعوام السبعة أو الثمانية التي أمضيتها بين الاختفاء في المدن والانشغال بالعمل السياسي والكفاح في الجبال لم تتح لي فرصة لإنشاء علاقة وبناء مرحلة اجتماعية جديدة في حياتي. ومع استغراقي التام في البحث عن العمل وإدارته، تحتاج هذه المهمة أيضاً نوعاً من التعقيب والتساؤل والاستشارة بغية الوصول إلى نتيجة مرضية مقبولة وملائمة. لاريب في أن هذا العمل أصعب بكثير من أغلب الأعمال والمهام الأخرى. إن اتفاق شخصين على إنشاء حياة جديدة والعيش معاً على مدى العمر في هدوء ووئام واطمئنان ليس بأمر سهل بل يدعو إلى التروي والتفكير بإمعان ودقة.

يقول كثيرون إن الزواج في بلدنا بخاصة في السنوات التي عشناها نحن لم يكن مماثلاً لزواج الوقت الراهن في السليمانية وكوردستان، حيث يتلاقى الطرفان أي الفتى والفتاة في جو يسوده ضرب من الحرية ويجتمعا ويلتقيا في الأماكن العامة ويتعرفا على آراء وأفكار وطبائع بعضهما لفترة طويلة.

في الماضي قيل إن الزواج مثل بطاقة اليانصيب، لا أحد يعرف نتيجته وعواقبه.

بعد بيع دارنا والحصول على عمل ومكسب صغير جداً، بدأت معالم وضعي المالي تتضح شيئا فشيئا. استأجرت داراً بثمانية عشر ديناراً وخصصت ١٧٠٠ دينار لشؤون الزواج والأمور البيتية، أو كما يقولون لتجهيز البيت والأثاث و جهاز العروس. هكذا بنينا عشاً بهذا المبلغ القليل. وعليَّ أن أقول إن شريكة حياتي (بخشان مصطفى المفتي)، لم تخلق أي عرقلة أمام تشييد البيت الزوجي بل تقدمت إليه بعزة لن أنساها. لَم تهتم بخشان التي أصبحت في ١٩٧٧/٢/٢٢ شريكة حياتي، في الماضي ولا في الوقت الراهن بكيفية ومستوى العيش بل كانت امرأة مسعفة في السراء والضراء، في الصالح والطالح، شفوقة عليَ وعلى أطفالنا.

وعلى ذكر زواجنا لابد ألا أنسى ذكر طيبـة ومحبـة أختها صـبيحة وزوجها أحمـد ميرزا غفور. لَمْ يكـن الأخ أحمـد عـديلا فحسـب بـل كـان أخـاً كـبيراً ذا أخـلاق عاليـة وصاحب بيت مفتوح لنا.



بدايات الحياة الزوجية

رغم ممانعة وعـدم رضـا الـبعض مـن أهـل بخشـان وأقاربهـا بحجـة أنـني شـيوعي وصدر الأمر الرسمي بإعدامي، كان الأخ أحمـد وزوجتـه صـبيحة بمثابـة الأخ والأخـت والحمو والحماة.

في القرابة الجديدة هذه ينبغي أن أتحدث بشكل خاص عن الأسـتاذ محمـد توفيـق، الذي اشتهر بـ(حَمَه ي حـلاو)، لأنـه كـان وحيـد أمـه. لقـد أصـبحتُ عـديلاً لأسـتاذي حَمَه أفندي الذي درسني في الصف الثاني من التعليم الابتدائي، وأصـبح مـن أقربـائي المقربين اجتمعنا وتلاقينا وتواصلنا علـى الـدوام. كانـت زوجتـه أخـتر، بمثابـة أخـت بالنسـبة إلـي وصـارا مبعـث أفـراح جديـدة. ولـد الأسـتاذ حَمَـه أفنـدي عـام ١٩٢٢ في السليمانية وتوفي في ٢٠٠٦/٩/٤.

وكان من شباب السليمانية الذين نُظِموا ضمن أولى خلية حزبية للحزب الشيوعي العراقي شكلت عام ١٩٤٢ وضمتَ كلاً من الأستاذ المرحوم محمد توفيق وعبدالواحد نوري ونعيم بدوي. أجريتُ في العدد الخامس من مجلتنا (دواروژ) عام ١٩٩٤ لقاءً معه تحدث لنا فيه بالتفصيل عن ذلك التاريخ المشرق في تلك السنين. وأنا أكتب الآن هذه الذكريات أقول، أنا صاحب ولدين وبنتين: زينو، زَريا، زرنك، زنوير. لزينو ولد وبنت: راسان وناره. تَخَرَجَ أبنائي من الكلية ومعظمهم يحملون شهادة (بكالوريس) وما فوقها في التجارة والقانون والهندسة والعلوم السياسية. يسعدني أن أربعتهم مالوا إلى درب وعالم القراءة والمطالعة والثقافة ويجيدون اللغات. إحدى أمنياتي في المجال العائلي هي أن يتفاهموا ويتقاربوا من بعضهم، وتفرح والدتهم المخلصة لهم بتوافقهم وانسجامهم وتوحد أبنائهم. انتظر منهم أن يراعو أملي وهدفي في السير في الدرب الوطني وحبهم للفقراء والمحتاجين، وأن يخدموا المشاريع الكبرى التي بنيتها وصنعتها بنفسي ويدفعوها إلى الأمام وألا يتسببوا في تفككها، خاصة منها ما لم يُنشأ لجني الأرباح، أقصد المشاريع الخدمية والصحية والتربوية، وأن يراعوا والدتهم بخشان ويحافظوا على صحتها ومزاجها الرائق لأنها الأم رمز الإخلاص والتضحية والمحبة الخالصة في الوجود.

وأتمنى أيضاً أن يقدروا ويحافظوا على الكوادر والموظفين المخلصين العاملين معي في مشاريعي الذين يتعبون ويعملون بجد لإدارة شؤونها، إن أهمية هؤلاء تضاهي أهمية المشاريع ذاتها، حافظوا على مراعاتهم وكونوا أوفياء معهم لتواصل هذه المشاريع تقدمها وتطورها الذي ينطوي على أهمية كبرى ودور هام في خدمة كوردستان وازدهارها.

انتفاضة ١٩٩١

لا أريد أن أسهب مثل المؤرخين في الحديث عن انتفاضة ١٩٩١ من كل جوانبها، لأنها أُشبعت ببحوث ومقالات، بأقلام المئات من الوطنيين والكتاب والمشاركين فيها، من كل الأوجه والزوايا المختلفة: إنني عرضت هنا ذكرياتي وبينت قصدي من نشرها، لذا أود التحدث بإيجاز دال عن بعض أهداف الانتفاضة ووقائعها والنتائج المترتبة عليها.

في البداية لابد من تقييم الانتفاضة ثم إبداء بعض الملاحظات عنها.

إن الانتفاضة هي نتيجة سافرة لنضال وكفاح عشرات السنين سبقت ميلادها، بدءاً من نضال السنين التي سبقت تأسيس حكومة كوردستان بزعامة الملك الشيخ محمود الخالد في العشرينيات و مرورا بتأسيس جمهورية مهاباد في كوردستان إيران وأحداث وقعت بين التاريخين المذكورين، ووصولاً إلى ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق، وبين هذه الحقب والفترات اشترك الكورد في عشرات التظاهرات والانتفاضات والإضرابات السياسية وفي مقاومة ومعارضة الأجهزة الحكومية القمعية بوسائل مختلفة للمطالبة بالحقوق الديمقراطية والقومية بدون ضعف وكلل وخضوع للأعداء.

منذ سنة ١٩٦١ ظهرت الثورة الكوردية بشكل جديد في الساحة وسجلت قفزات نوعية كبرى قياساً إلى الثورات الماضية من حيث المحتويات والمضامين، لأن ثورة أيلول ١٩٦١ بدت في انطلاقتها الأولى مثل معارضة مجموعة من الإقطاعيين في كوردستان ضد قانون الإصلاح الزراعي الذي كان يقضي بتوزيع أراضي الإقطاعيين على الفلاحين. وفي الوقت نفسه كان الحكم الوطني في العراق بزعامة عبدالكريم قاسم، قد اتخذ مسار الانفراد بالحكم وممارسة العنف حيال كافة الأصوات المطالِبَة بالديمقراطية للعراق، التي حذرت عبدالكريم قاسم من مغبة مستقبل أسود و قاتم للعراق اثر تماديه في السير نحو الحكم الديكتاتوري البعيد عن أهداف الشعب. في ذلك الحين تمادى عبدالكريم قاسم في قمع الحركة الوطنية والديمقراطية لكوردستان التي تمثلت في الحزب الديمقراطي الكوردستاني والقوى المؤيدة له، كما منع حرية

الصحافة من الحزب الشيوعي العراقي وبدأ بملاحقة أعضائه وإلقاء القبض عليهم.

واجه الحزب الديمقراطي الكوردستاني الذي يرأسه مصطفى البارزاني وكان إبراهيم أحمد سكرتيره، وضعاً سياسياً وطبقياً واجتماعياً معقداً خرج منه في الأخير بأن يأخذ زمام أمور تلك الحركة المسلحة والمحدودة ويخرجها من أيدي الإقطاعيين والعشائر ليحولها إلى حركة تطالب بحقوق الشعب الكوردي في إطار عراق ديموقراطي. وهكذا تحولت ثورة أيلول إلى الثورة التي حررت مساحات واسعة من مناطق كوردستان العراق.

بعد انقلابَي (١٩٦٣) و (١٩٦٨) للبعث، توسعت أهداف وآفاق الثورة، ومن جانب آخر وصلت حملات القتل والقمع والتهديم وإحراق قرى كوردستان حداً أو شكلاً لَمْ يشهد تاريخ كوردستان مثيلاً له.

وباستثناء فترات سلم قصيرة وفرتها الحوارات السياسية الدائرة بين حكومة بغداد وقيادة الثورة الكوردية، رزح الشعب الكوردي في كوردستان تحت ضراوة وقساوة الجيش العراقي وبعض المرتزقة من الكورد وعاني الألم والاضطهاد وتعرض إلى القتل والشنق وحملات الإعدام.

بعد انتكاسة ١٩٧٥ واستئناف الثورة الجديدة بكافة أطرافها المختلفة، بدأ العنف من جديد وذلك بتنفيذ سياسة تخريب وإحراق القرى وإبادة الإنسان واقتلاع الأشجار والغابات وتجفيف الزراعة وقتل الحيوانات وإفناء وتدمير أكثر من ٤٠٠٠ قرية في كوردستان العراق، وبدأت الحملات الفاشية الوحشية من جديد ووصلت إلى حد قصف المدن والقصبات وقرى كوردستان بالأسلحة الكيمياوية لإبادة الحياة. تحولت مدينة حلبجة إلى رمز نضال شعبنا، ودخل الحكم الفاشي البعثي التاريخ بوحشيته وتصدر قائمة الفاشيين.

لا أريد هنا الحديث عن الحرب العراقية – الإيرانية وعن حرب الخليج وهي حديثة جداً في التاريخ، كما إنني مثلما قلت آنفاً لا أكتب بحثاً، ولكن لابد من أن تؤخذ دوماً تأثيرات حرب الخليج على الأحداث التي تلتها بنظر الاعتبار.

حين شنت قوات التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة هجومها على القوات العراقية وطردتها من الكويت ولاحقتها حتى بغداد، قامت انتفاضة عارمة ضد المؤسسات والأجهزة الإدارية للحكومة. ولولا رجحان كفة ميزان السياسة الأمريكية وانحيازها إلى النظام العراقي ولولا مساوماتها مع صدام حسين، لاجتاحت الانتفاضة، أو سَمها ما شئت بغداد أيضاً ولتحطم حكم البعث وصدام حسين في تلك السنة.

ففي ذلك الظرف السياسي والعسكري اجتاحت عاصفة الانتفاضة كافة المدن ونظراً لأن قيادتها كانت مهيأة وعلى علم بما يحدث، هوجمت قوات حكومة البعث في كوردستان من اللحظة الأولى وشلت عن الحركة في غضون أيام. لقد ولَّدت النقمة المرارة لشعب مضطهد من قِبل الفاشيين وأذنابهم قوةً ثورية كبيرة ودخلت أيام انتفاضة كوردستان سجل تاريخ شعبنا والشعوب المضطهَدة الأخرى على أيدى الجائرين والطغاة.

أدى تغلب قوات التحالف على جيش صدام حسين إلى اندلاع نيران الغضب الجماهيري العارم وانتفاضتها في مدن وسط وجنوب العراق تزامناً مع انتفاضة كوردستان الشعبية، ولكنْ ما إن انقلبت الموازين، باتفاق التحالف بقيادة قوات الجيش الأمريكي مع صدام حسين في ١٩٩١/٥/٣ حتى تعرضت انتفاضات جنوب العراق إلى الهجمات الوحشية للجيش العراقي، ومسلحي حزب البعث فتضرجت تلك المدن بأنهار الدماء.

أثبتت انتفاضة ١٩٩١ أن الجائرين والطغاة مهما صلبت واشتدت قوتهم ينهارون في الأخير ما داموا بعيدين عن الشعب وجماهيره وحريته، وبعكس تطلعاتهم وآمالهم الغاشمة يكتب التاريخ المذلة والخيانة لهم ويدون العزة والكرامة للوطنيين ومناضلي دروب الحرية.

كسحت قواتُ الجماهير تحت إشراف وقيادة بيشمركة كوردستان، بجرأة وسرعة فائقة، كافةَ المؤسسات الحكومية والحزبية وأذنابها في كوردستان.

لقد صار زوال البعث نهايةً للقتل الجائر والآلام والتعذيب، أي زوال سياسة

التطهير العرقي وإبادة الإنسان الكوردي شيباً وشباباً وأطفالا ونساءً، وإبادة وهدم وإحراق أكثر من أربعة آلاف قرية، بمعنى موجز ودال كان البعث عبارة عن محاولة متواصلة لإبادة الكورد وإخلاء كوردستان وتفريغها من البشر والأحياء والكائنات وجعلها خرابة تسوى مع الأرض تنعق فيها الغربان.

إن اكتساح البعث وأذنابه ومؤسساته وأجهزته القمعية من قِبَل الجماهير يُعدُ أكبر مكسب للشعب الكوردي ليس في القرن العشرين فحسب بل طوال تأريخ الشعب الكوردي إذ لم يماثله أي عدو آخر في سياسة تصفية الأرض والإنسان والأحجار والأشجار.

إن ملاحظاتي الانتقادية من بعض أحداث وجوانب الانتفاضة وما بعدها ومن تأسيس حكومة إقليم كوردستان، لهي أصغر بكثير من الزلازل التي هزت أعداء الكورد في كوردستان وحطمت عرشهم.

انطباعات وانتقادات بعد انتصار الانتفاضة

أكدتُ أكثر من مرة أن عظمة الانتفاضة وتأثيرها الإيجابي في ذلك الزمان وفي مستقبل كوردستان أكثر من كل نواقصها وسلبياتها، وذلك باكتساح أقوى أعداء الكورد في التاريخ، ولا يمنعنا هذا من أن نوجه إليها انتقادات من حيث وجود بعض الثغرات وبعض الوقائع السلبية فيها، وذلك لتبيان وتسجيل الأحداث غير العادية ولاستقاء الدروس من بعض الأخطاء لتلافي تكرارها، ولاتخاذ المسار الصحيح نحو التقدم الاجتماعي والقانوني والحضاري.

كان لزاماً على قيادة الانتفاضة أن تمنع الهجوم الجماعي للناس على المؤسسات المدنية للحكومة، وهي في الأساس ملك الشعب، مثل دائرة الضريبة والعقار والعدل والتربية.. ومنع إحراق الدوائر ونهب ممتلكاتها، ووصل الأمر إلى السطو على أجهزة هامة كبيرة أُرسِلَت إلى الدول المجاورة لبيعها، ولقد شاعت في حينه عبارة (ئەودیوکردن) وتعني نهب أموال الشعب وممتلكات الحكومة وتصديرها إلى خارج حدود البلد) وأصبحت شبيهة بمصطلح دخل القواميس اللغوية وشاع في الكتابات

الصحافية. ولَمْ يقف البعض عند هذا الحد بل اقتلعوا كافة كيبلات الاتصالات بين المدن وباعوها على حدود دول الإقليم، وَقِس عليها الشاحنات وآلات الحفر والسيارات التي بيعت بأسعار بخسة على حدود الدول المجاورة.

في الحقيقة شكلت هذه التصرفات المشينة ضربة كبيرة وجهها التجار الكبار الطامعون ذوو القلوب السود إلى اقتصاد كوردستان، وخلقت تلك الأحداث المقيتة شريحة خاصة فاسدة تعادي القانون ومصلحة البلد وتسببت في ترسيخ أسس جديدة لهذا الفساد الذي نلمسه وهو ينخر مفاصل البلد بأشكال وأزياء متنوعة، في أوقات وأماكن مختلفة.

في المسار الصحافي والإعلامي

في العام ١٩٥٩ كنت في المرحلة الأولى من دوامي الجامعي في كلية التجارة في بغداد، استهواني عالم القراءة والكتابة الجدية. ذهبتُ إلى جريدة (آزادي – أي الحرية) لسان حال فرع كوردستان للحزب الشيوعي العراقي وكانت تصدر في مقر جريدة (اتحاد الشعب) اليومية، عمل فيها شقيقي الدكتور عزالدين، وكنت آنذاك عضوا في الحزب الشيوعي العراقي، وبدأت أعمل مصححاً للجريدة وأتابع لمساتها الطباعية الأخيرة في مطبعة (الوفاء). هذه هي بداية دخولي ميدان والطباعة والصحافة.

كمهنة يومية تم تعييني منذ عام ١٩٦٠ موظفا في وزارة الإرشاد العراقية. عملتُ في مجلة (العراق الجديد) الصادرة بلغات عديدة، لعبت فيها دور الشخص الرئيس وترجمتُ مقالات أخرى للوزارة.

في السنة نفسها كلَّفني اتحاد شبيبة العراق – لجنة كوردستان، بالمساهمة في أداء بعض النشاطات الإعلامية. أحد الأعمال التي أنيطت بي كان تقديم برنامج (شباب كوردستان) من إذاعة بغداد – القسم الكوردي، تضمنت معظم مواد البرنامج أخبار وأنباء اتحاد الشبيبة ومكاسب منظمة شبيبة كوردستان العراق، علما أني كنت مع الأخ فرهاد أحمد، نعد البرنامج أسبوعيا للبث من إذاعة بغداد.

كان الزعيم وحيد بامرني مديراً عاماً لإذاعة بغداد، كان جاهلاً من الناحية الثقافية والإعلامية. اشترط أن يقرأ هو البرامج قبل بثها ويوقعها ثم تُحَولُ إلينا، كان يشطب أي كلمة أو جملة أو أي فقرة لا تثير إعجابه، كنت اؤيد ما يقول، ولكن أقرأ في الأستوديو كل ما يشطبه هو، حين عَلِمَ بذلك قرر على الفور إقصاءنا ثم أوقف البرنامج.

من سنة ١٩٦٨ لغاية ١٩٧٥، أصبحت الكاتب والمترجم الرئيس لجريدة طريق كوردستان، و(طريق الشعب) للقيادة المركزية باللغتين العربية والكوردية.

إثر ذلك تفتحت قريحتي وتوسعت ذهنيتي، وشجعني ذلك لقراءة مختلف الكتب والمصادر الفكرية، لأن الكاتب أو المترجم لا يحقق النجاح ولا يتفرق بدون قراءة جادة ومستوى ثقافي جيد.

بعد عام ١٩٩٤ وبعد الاتصال بمجموعة من أصدقائي المثقفين، تقاربت ثقافتنا وفهمنا وآراؤنا ونظرتنا إلى الوضع الراهن والمستقبل السياسي للبلد، وبالأخص توحد آرائنا في النهج الاشتراكي المستقيم لخدمة الإنسانية جمعاء، توصلنا إلى قناعة مشتركة واعتزمنا إصدار مجلة (دواروژ) أي المستقبل. قررنا مع أستاذنا الكبير الراحل الخالد الأخ محمد أمين حسن، والأستاذ الأديب فؤاد قرداغي، اللذين عُرفا كمثقفين كبيرين يمتلكان تجربة بارزة وثمينة، قررنا إصدار المجلة، واشترك معنا صديقي العزيز القاص الرائد حسين عارف، في بعض وجوه هذا القرار والنشاط.

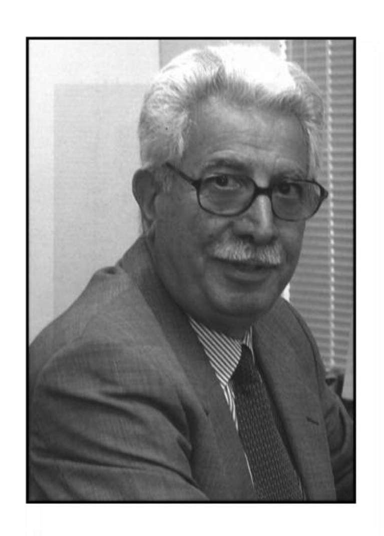


الأستاذ حَمَه أمين حسن

تضمن العدد الثاني لمجلة (دواروژ) رسالة لصديقي العزيز الرفيق الدكتور إبراهيم علاوي سكرتير الحزب الشيوعي العراقي (القيادة المركزية)، لأهمية الرسالة وقتذاك وتواصل علاقاتنا العميقة، آثرت نشرها بين هذه الصفحات:

الأعزاء في هيئة تحرير مجلة دواروژ

تحياتي إليكم، أهنئكم في مناسبة إصدار مجلة دواروژ في مطلع ١٩٩٤. أتمنى ازدهار مجلتكم خدمةً لتحقيق رسالتها المقدسة، وذلك برفع راية الفكر التقدمي والدفاع عن قضايا الشعب العراقي بأطيافه وأقوامه المتنوعة، بالأخص قضية الشعب الكوردي المناضل. إن مبادرتكم هذه ستكون مبعث فرح التواقين إلى الحرية والتقدم والاشتراكية، ومن يؤيدون الحقوق المشروعة للشعب الكوردي.



ابراهيم علاوي

تصدر دواروژ في وضع تاريخي خاص يشهد انعطافة هامة للمسيرة الإنسانية جمعاء.

لقد شهدت السنوات الأخيرة انهيار النظام السوفيتي وأزمة الفكر الاشتراكي، ومن جراء ذلك خلق هذا الأمر اضطراباً عاماً في النظام السياسي والاقتصادي الذي هيمن على العالم عقب انتهاء الحربين العالميتين الأولى والثانية. انعكست هذه الأحداث بشكل عنيف في العراق أكثر من البلدان الأخرى، في حرب الخليج الأخيرة.

إنه أمر طبيعي، أن تُحدثَ هذه الهزات السياسية في العالم تغييرات في وعي وفكر وموقف الملايين من البشر، وتخلق حالات التأمل والتساؤل و التيه الفكري، وتتطلب وتستغرق هذه الحالات فترة زمنية طويلة، لأنه رغم إقصاء الكثير من ثوابت الأزمنة الغابرة، وَتَبَدُدِ تخيلات وأوهام البيروقراطية المهترئة للحكم باسم الاستناد إلى الاشتراكية، لم تتضح إلى الآن العلل والأسباب التي أوجدت هذه الحالة على مستوى جماهير الشعب، بل لا يستثنى من هذا الكثير ممن يعتبرون أنفسهم واعين ويكافحون في ميدان النضال السياسي. وعليه فإن العمل للفكر الاشتراكي والديمقراطي أمر

يتطلب السرعة الاستعجال ويضع أصحاب الفكر التقدمي أمام مهمة جوهرية وأساسية تتطلب نضالا متواصلاً.

بين المسائل الفكرية الحديثة تظهر وتبرز مسائل لها أهميتها في الحاضر والمستقبل، كمسألة الديمقراطية مثلاً، ومن هنا لا يمكن الاكتفاء بإسقاط الأنظمة الدكتاتورية ولا تتحقق أبسط الحقوق السياسية والقومية بدون ضمان البديل الديمقراطي، بحيث يكون بمقدوره الدوام والمقاومة والصمود أمام الضغوطات الخارجية والداخلية، وبالتالي تصبح كل محاولة بهدف التغيير السياسي عملاً سطحياً ولا تعدو كونها تبديل جماعة سفاكة لتحل محلها جماعة ثانية ويبقى الشعب في ظل الحكم القمعي محروماً من أبسط الحقوق الإنسانية.

رغم أن بعض الأطراف تنادي بالديمقراطية وتُرددُها دائماً في المحافل الدولية والدبلوماسية العليا لكنها لا تزال بعيدة ونائية عن الواقع السياسي للدول المتخلفة، ومنها واقع الدول الاشتراكية السابقة.

بلا شك لا تتخطى الديمقراطية بالنسبة إلى بلد مثل العراق، دائرة رغبة خيالية لأنه لا يوضع بشكل جدي وحاسم ليمتحن ويواجه حقيقة هذه الأزمة، ولا تُعزى الأسباب إلى تفرد ودكتاتورية السلطات والأنظمة الحاكمة في تلك البلدان فقط، ولا إلى غياب الجدية في عمل الحركات المعارضة، بل لها صلات بضبابية وتعقيد أزمة الديمقراطية ومدى تحقيقها في بلد غير رأسمالي متطور. بدايةً ينبغي القول أن نمو الرأسمالية فقط لا يفرض نظاماً سياسياً ليبرالياً. ويؤكد تاريخ الرأسمالية في ألمانيا واليابان، وظاهرة الازدهار الصناعي المطرد، اليوم في بلدان الشرق الأقصى، هذه الحقيقة.

إن تحقق الديمقراطية في بعض البلدان الغربية كبريطانيا وفرنسا و الولايات المتحدة الأمريكية، تعود أسبابه إلى الحاجات الاقتصادية للتنمية الرأسمالية والتنافس بين القطاعات الخاصة للرأسمالية وأسواقها الحرة، وكان ذلك يتطلب التنافس الحر كسبب ودافع لتحقيق الكفاءة الاقتصادية.

بالنسبة إلى البلدان التي لها تاريخ طويل من مركزية الدولة وهيمنتها على المجتمع والإنتاج، كالصين واليابان والمناطق الإسلامية وبعض البلدان الأوربية كروسيا وألمانيا.. الخ، كان النمو الرأسمالي فيها في الإنتاج والتوزيع حكراً على دور الدولة بالأساس. ففي هذه البلدان لا يتيسر تحقيق الديمقراطية في إطار الرأسمالية، كما أن أنظمتها البرلمانية تشكلت بسبب عوامل خارجية. وتجلت هذه الحقيقة في روسيا بعد انهيار النظام السوفيتي. في البدء لم تظهر هذه الحقيقة البدائية في المؤسسات السياسية والأكاديمية العليا للولايات المتحدة الأمريكية، لكنها واضحة الآن فهي في صدد التحضيرات لحرب باردة جديدة.

وهل يعني هذا الأمر أن الديمقراطية لن تتحقق في بلد مثل روسيا؟ أو في حالة قريبة منها، مثلما نلمسها و نجدها في العراق.

لا أعتقد أن يكون ذلك صحيحاً، بل أرى أن الديمقراطية في هذه البلدان تتطلب نظاما اشتراكياً، ليست على النمط السوفيتي، بل وفق الشروط التي توفرها وتتيحها الظروف التاريخية اليوم، وتجمع بين تجربتي الثورتين السوفيتية والصينية في نفسها من جانب، ومن جانب آخر تأخذ بنظر الاعتبار الثورة العلمية الحالية التي تطبق وتُمارس في أعقاب انهيار القوى الرأسمالية الكبرى.

إن إثبات هذا الرأي، يثير هذا السؤال، ما هو سبب إخفاق الاشتراكية السوفيتية وعدم تطبيق وممارسة النهج الديموقراطي في الحياة السياسية ؟

أجل هذا سؤال وجيه. في نظري لا يعزى السبب إلى أن الاشتراكية محال، بل يعود إلى عدم نضوج الفكر الاشتراكي الذي لَم يفهم أن الديمقراطية ضرورة كأسس ملازمة له. ولهذا فإنهم كانوا يرون أن دكتاتورية النظام الاشتراكي الحاكم تعبر عن دكتاتورية البروليتاريا. وتناسوا أو أهملوا أن الدولة المالكة لعوامل الانتهاج، مهما كان نوعها، تكون دولة طبقة اجتماعية، أو تكون في محل طبقة مالكة وحاكمة في آن واحد. وفي هذه الحالة لا يكون التخلي عن الامتيازات السياسية والاقتصادية بحكم دعواته الإعلامية في صالح هذه الدولة.

واليوم ترى من السذاجة الإيمان بانحلال وتآكل الدولة مع بناء وتأسيس الاشتراكية، بعد أن شهد تاريخ الثورة الروسية دولة مركزية أقوى وأكثر تسلطاً من الدولة القيصرية. وتمخض عن نتائج عمل أكثر من جيلين لبناء الاشتراكية، تَجَرُدُ الشعوب السوفيتية من كل الميول والأهواء والرغبات للدفاع عن الاشتراكية.. اشتراكية أفرزت أمثال بيريا وبريجنيف يليهما غورباتشوف ويلتسين. ولهذا أرى أن التأكيد على المسألة الديمقراطية مع العدالة الاجتماعية كأساس كل نضال اشتراكي، يحالفه النجاح ويخدم الجماهير الكادحة.

وضع العراق الراهن، كيف يكون؟

لا أريد أن أتطرق إلى الظروف الراهنة والأسباب التي ساقت العراق إليها، لأن طبيعة النظام الحاكم والظروف العالمية التي أبقته وأطالت عمره واضحة للغاية، وربما لا يكون تحليل السياسة العالمية، حول تلاقي وتقارب وتضافر المصالح الدولية العالمية في العراق ملائماً، ولكن عليَّ الإشارة إلى نقطتين هامتين: الأولى هي أن ظروف العراق الحالية غير طبيعية وبعيدة عن الثبات والهدوء، لهذا قد تواجه جملة من الهزات، وربما لا يمكن التنبؤ بها بالاعتماد على مظهرها، خاصة توازن القوى والعلاقات الدولية وهي تميل إلى التغيير. والنقطة الثانية والتي هي اهم من الأولى في نظري، هي إيجاد حلول للأزمة الحاضرة التي توضحت معالمها حيث يعاني الشعب من أعباء المحنة والجوع التي خلفتها له حرب الخليج الأخيرة فضلا عن القمع والإرهاب والقتل وحرمانه من أبسط أنواع الحرية وحقوق الإنسان.

ما العمل وما هو الضروري؟ أولا: تشكيل بديل وطني ديموقراطي لهذا الوضع. لأن ساحة المعارضة السياسية العراقية فارغة وخالية للآن ولابد من السعي لإيجاد ذلك البديل.

حين نقول أن المعارضة العراقية لا وجود لها، لا نعني إنكار المعارضة التي تتحدث عنها وسائل الإعلام، بيد انها ملتزمة بالظروف الدولية التي ولدتها ومنحتها الوجود.

في هذ الظرف الجديد يغدو الشعب قوة أساسية ورئيسة قادرة على تحريك وتغيير

الأحداث، لكن حركة الشعب الفاعلة لا تتكون في الفراغ بل تحتاج إلى محاور تتجمع حولها، محور يمنحه الشعب ثقته ويحظى بتقدير وحب الجماهير، ومن هنا لا يمكن التعويل على العناصر والأجساد الهامدة التي استهلكت في المساومات الدولية وخلت من الفعالية والحراك.

ما أدعو إليه، هو تشكيل ائتلاف يضم قوى اليسار والتقدميين. هو تنظيم العمل وتوحيد القوى من أجل جبهة وطنية موحدة وموسعة بأفكارها وأطيافها وهوياتها القومية والدينية المتنوعة. على هذا النحو يتمكن الشعب العراقي، بجميع أطيافه السياسية والقومية والدينية ، أن يضمن البديل الناجح لظروف وسياسة الحاضر.

مرة ثانية أهنئكم في مناسبة المبادرة لإصدار مجلة المستقبل. أتمنى أن يدعم هذا المشعل الجديد للفكر التقدمي والديمقراطي كفاحَ الشعب الكوردي المناضل.

إبراهيم علاوي
١٩٩٤

❊ ❊ ❊

في نظري عبرت مجلة (دواروژ) عن إصراري والتزامي بنهجي الفكري والأخلاقي، ليظهر لأصدقائي ورفاقي إنني لا أزال مستمراً في طريق النضال نفسه، ومعنا الأخ الأستاذ محمد أمين حسن، الذي ناضل طيلة سنين حياته عضواً في الحزب الشيوعي، وفي انشقاقنا كان كادراً معروفا في جناح القيادة المركزية، وكذلك الأخ فؤاد قرداغي الذي ظل على النهج الاشتراكي وكان مناضلاً قديراً وصاحب تجربة.

صدر العدد الأول من مجلة (دواروژ) في كانون الأول ١٩٩٤، وصدر عددها السادس في كانون الأول عام ١٩٩٨. ورغم قلة أعدادها الستة إلا أنها وجدت موقعاً في المكتبة الكوردية من حيث غناها الفكري وسعيها في إعلان تمسكنا بقناعاتنا ونهجنا الفكري والسياسي.

كانت هذه المجلة حافلة بمقالات فكرية وسياسية قَيمة وأفكار ماركسية — لينينية، وكنا نروم أن يعرف القراء مدى حرصنا على تواصلنا وتمسكنا بهذا النهج، فضلاً عن منفعتها لجميع محبي هذا النهج. ومن جانب آخر اجتذبت أنظار كتاب من حَمَلَة هذه الأفكار، فزودوا المجلة بمقالاتهم القَيمة.

في هذا الإطار يجب ألا أنسى مطبعة (صفوت) الصغيرة التي حملت اسم والدي وطَبعتُ بها ستة أعداد من مجلتنا وعدداً من الكتب.

وأذكركم أيضاً بأثر فني للشاعر الكبير والسياسي والفنان المبدع محمد صالح ديلان بهذه المناسبة ليتضمنه كتابي هذا، وهو نص شعري أو قصيدة نشرناها في العدد الخامس لشهر تموز عام ١٩٩٨ في مجلة (دواروژ) وهي غير منشورة في أي مكان آخر، كتبها لي بخط يده. وللقصيدة أهميتها التاريخية، أنشرها رغم تضارب وتباين الآراء المتعددة حول موضوعها: ستالين.

إلى زعيم شيوعي

يا قائد الكادحين والعمال المقدام　　　يا قلعة الحرية
يا سهما استهدف قلب الجائر　　　يا موسيقى الفرح
يا حاملاً راية السلم في الدنيا　　　أمام جحافل الوغى
يا حاملاً الفانوس في درب الشعوب　　　يا كنز وذخر العلوم
يا أيها الأب المخلص لملايين البشر　　　يا طود المعرفة الشامخ
أنت من تقود الناس إلى المقصد　　　إنك منار ترنو إليه الأبصار
شعاعك الذهبي فانوس لكوردستان　　　في ليله الحالك
يا نجمة أفق البلاد اللامعة　　　لك سقسقاتك ولمعانك

❊ ❊ ❊

كان الردى يرتعد فَرَقاً أمامك　　　فاسألوه ليجاهر بذلك
كان يتربص بك ليلاً ونهاراً ويتعذب　　　ليغتنم فرصة ويفتك بك

أنيَّ كان بوسعه الدنو من اللمعان	بهذا اليسر والبساطة
أو كان كما الشمعة تدرك النور	لدروبها
حتى الموت حين يحيط بك علماً	ينكسر جناحه
يشيط ويكرش لبلوغ سريرك	انه في أضغاث أحلام
هكذا ساجداً استطاع أن يرتمي	تحت قدميك
وأن يحاذيك والعرق يتصبب منه	ليلمس سريرك[١]

* * *

خطوة جديدة في مضمار الإعلام والثقافة

منذ ما يقارب ٣ سنوات توفرت لي فرصة أخرى لتأسيس مؤسسة (دواروژ – للثقافة والإعلام).

هذه المرة أبصرت هذه المؤسسة النور بالجهود الرئيسة لصديقي الأخ الكاتب والأديب والمبدع المعروف الدكتور شيركو عبدالله، واشتملت على موقع وإذاعة دواروژ ودار للنشر وطبع كتب منتقاة للمساهمة في إيصال أحدث المواضيع الثقافية إلى القراء وإعادة النظر في المواضيع المتعلقة بالتاريخ الكوردي، وبخاصة المواضيع التي لَمْ ترَ النور حتى الوقت الحاضر، آملين تطوير هذا النهج الجديد الذي يخدم الفكر التقدمي بغية تطور شعبنا.

---

[١] محمد صالح ديلان: من مجددي الشعر الكوردي الحديث في الخمسينيات. تتسم معظم نصوصه الشعرية بضرب من الصور البلاغية الصعبة، على العكس من هذا النص السهل، وهو يتفنن فيه وكأنه يوزع شعره على بنيتين مستقلتين، فالقارئ في لغته الأصلية يستطيع أن يقرأ النص أفقياً ليكتمل معنى البنيتين، وأن يقرأ الصدر والعجز كنصين مستقلين متكاملين، لكنه في كلا الحالين يهدف من خلالهما إلى تمجيد ستالين. (المترجم)





بعض العاملين في مؤسسة دواروژ للثقافة والاعلام، ٢٠١٧

وثائق

وثيقة القسام الشرعى التى توضح القرابه بين مولانا خالد النقشبندي و أسرة الحاج الملا رسول

العدد ٩٤٨/١١٧	محكمة الشرعية السليمانية	التاريخ: ١٩٤٨/٤/١٩ ٩٤٨/٩٨

ان من سكان محلة دركزين الشيخ فتاح ابن الشيخ محمد خان توفي منذ خمسون سنه بلا زوجة عن اولاده الشيخ عبدالرحمن و الشيخ عزيز و الشيخ قادر و الشيخ محمد امين و الشيخ عارف و امنه و حبسه ثم توفي المزبور الشيخ عبدالرحمن منذ خمس واربعون سنة عن اولاده الشيخ رشيد و الشيخ شريف و الشيخ محمد .. و خديجه. ثم توفي الشيخ عزيز منذ اربعون سنة بلا زوجه عن اولاده الشيخ توفيق و الشيخ صالح و الشيخ خالد ورعنا وامنه وسلمى وخورشيده ثم توفي المزبور الشيخ قادر في عين السنة بلا زوجه عن اولاده أحمد وتمينة و ايساف و امنه و مينا و رعنا و غونجه. ثم توفي المزبور الشيخ محمد أمين منذ ثمانية وثلاثون سنة عن أولاده الشيخ سعيد و الشيخ كريم و الشيخ احمد و رعنا و بيروز، وامنه و شيرين و صافيه، ثم توفيت المزبوره، صبيحه شيخ فتاح منذ خمسة وثلاثون سنة عن اولادها ملا توفيق المتولد من زوجها المتوفي حمه آغا سليمان و عطيه من زوجها المتوفي الاخر الشيخ سعيد وفهيمه من زوجها المتوفي الاخر خضر، ثم توفي المزبور الشيخ امين الشيخ فتاح في عين السنة عن اولاده الشيخ عبدالله الشيخ جلال و رعنا و خورشيدة، ثم توفيت المزبورة خورشيدة بنت الشيخ محمد ابن الشيخ فتاح بلا زوجة من ابنها

المنفرد حمه رشيد ابن ملا توفيق بن سليمان. ثم توفيت امينة بنت الشيخ عزيز ابن الشيخ فتاح في عين السنة بلا زوجة عن ولديها محمد و رحمة من زوجها السابق رستم. ثم توفيت المزبورة خورشيدة بنت الشيخ عزيز ابن الشيخ فتاح منذ ثلاثين سنة عن زوجها الحاج عارف بن مصطفى واولادها منه محمد اديب واحمد و عاصمة، ثم توفيت المزبورة سلمة بنت الشيخ عزيز ابن الشيخ فتاح من عين سنة عن انبها المنفرد محمد بن زوجها المتوفي شريف، ثم توفي المذكور الشيخ خالد ابن الشيخ عزيز ابن الشيخ فتاح في عين السنة بلا زوجة و ولد عن اشقائه المزبورين الشيخ توفيق و الشيخ صالح و رعنا. ثم توفي المزبور الشيخ توفيق ابن الشيخ عزيز منذ ثمان وعشرين سنة عن شقيقه المزبورين الشيخ صالح و رعنا. ثم توفيت المزبورة رعنا بنت الشيخ عزيز ابن الشيخ فتاح في عين السنة عن زوجها الحاج ملا رسول واولادها منه ملا محمود و ملا مصطفى و نجم الدين و حفصة. ثم توفي المذكر الشيخ صالح ابن الشيخ عزيز منذ خمس و عشرون سنة عن ولديه الشيخ رشيد و عطية، ثم توفي المزبور الشيخ شريف ابن الشيخ عبدالرحمن في عين السنة عن ابنه المنفرد جاسم. ثم توفيت المزبورة غنجة بنت الشيخ قادر ابن الشيخ فتاح في عين السنة عن بنتها المنفردة امينة المتولدة من زوجها المتوفي احمد بن حسن ويس واشقائها المزبورين الشيخ احمد و تمينة و ايساف و امنة و مينا و رعنا. ثم توفي المزبور الشيخ احمد أبن الشيخ قادر في عين السنة بلا زوجة و ولد عن اشقائه المزبورات وعمه المزبور الشيخ عارف ابن الشيخ فتاح ثم توفيت المزبورة عطية بنت الشيخ محمد امين ابن الشيخ فتاح منذ اثنين وعشرين سنة عن اولادها حسن وحمه غريب و رعنا المتولدين من زوجها السابق محمود بن شيخة. ثم توفي المزبور حسن بن محمود شيخة في عين السنة عن زوجته خديجة بنت الشيخ عبدالرحمن و ولديه فائق وبهيه بلا زوجة و ولد عن اشقائه المزبورين الشيخ كريم و الشيخ سعيد رعنا وابنة و شيرين. ثم توفي المزبور الشيخ كريم ابن الشيخ محمد امين بلا زوجة و ولد في عين السنة عن اشقائه المزبورين الشيخ سعيد و رعنا و آمينة و شيرين. ثم توفيت

المزبورة شيرين بنت الشيخ محمد امين ابن الشيخ فتاح منذ عشرين سنة عن ابنها المنفرد رسول بن حسين. ثم توفيت المزبورة امينة بنت الشيخ فتاح في عين السنة عن زوجها أمين بن جاسم بك واولادها. منهم خسرو و ثم توفي المزبور خسرو بن امين بك تسعة عشر سنة عن والده المزبور امين بك و زوجته بهيه بنت جميل ابنه المنفرد منها محمد نجيب ثم توفيت المزبورة اجى بنت امين بك عن والدها المزبور امين بك و بنتها المنفردة آتوله المتولدة من زوجها السابق حسن آغا ثم توفي المزبور امين بك في عين السنة عن ولديه المزبورين خالد و جميلة ثم توفي المزبور الشيخ محمد ابن الشيخ عبدالرحمن منذ ثمانية عشر سنة عن زوجته رحمة بنت الشيخ سعيد وابنه المنفرد الشيخ لطيف. ثم المزبور الشيخ عارف ابن الشيخ فتاح في عين السنة من زوجته امينة بنت نور محمد واولاده نجم الدين و عاصمة و حصفة و عطية و صبرية و فاطمة ثم توفي المزبور الحاج ملا رسول عن زوجته عطية بنت الشيخ سعيد المزبورة واولاده ملا احمد و ملا محمود و ملا مصطفى و نجم الدين و حفصة ثم توفي المزبور ملا توفيق بن سليمان منذ عشرين سنة تقريبا عن زوجته سلمة بنت الحاج عزيز واولاده حمه رشيد المزبور و عبدالله و محمد و احمد و جميلة و خانم، ثم توفيت المزبورة مينا بنت الشيخ قادر عن زوجته حمه امين منصور وابنها المنفرد منه صابر، توفي المزبور صابر بلا زوجة و ولد عن والده المزبور حمه امين بن منصور ثم توفيت المزبورة رعنا بنت الشيخ محمد ابن الشيخ فتاح ثمان سنين بلا زوجة ولد عن شقيقيها المزبورين الشيخ عبدالله و الشيخ جلال ثم توفي المزبور الشيخ عبدالله الشيخ محمد منذ سبعة سنين عن زوجته فهيمة بنت ملا غفور و شقيقة المزبور الشيخ جلال ثم توفيت المزبوره فهيمة بنت ملا غفور منذ ست سنين عن شقيقها محمود ملا غفور ثم توفي المزبور الشيخ رشيد ابن الشيخ عبدالرحمن ابن الشيخ فتاح منذ اربع سنين عن شقيقته خديجة وابن اخيه الشيخ لطيف ابن الشيخ محمد ابن الشيخ عبدالرحمن و جاسم ابن الشيخ شريف ابن الشيخ عبدالرحمن ثم توفي المزبور الشيخ سعيد ابن الشيخ محمد و امين ابن الشيخ فتاح عن زوجته حنيفة بنت حمه ى

بكر و عائشة بنت حسين بك و اولاده عثمان و علي و فهيمة و خاور و صبيحة ثم توفيت المزبوره فهيمة بنت مام خضر منذ سنة واحدة بلا زوج و ولد عن اخيه من الاب صابر بن مام خضر و اخته من الام عطية بنت الشيخ سعيد و ليس له وارث شرعي آخر عدا من ذكر سواء كان حاضرا او غائبا منهم ذلك من البيان المعطي من قبل هيئة اختيارية محلة دركزين المؤرخ ١٩٤٨/٣/١٨. والاخبار الشرعي الوارد من قبل الشاهدين ملا عارف بن محمد و عبدالقادر مصطفى الساكنين في محلة سرشقام والمؤدين للبيان المذكور وعليه بموجب الفرائض الشرعية تصحح المسألة الارثية — ..... من (ثلاث وعشرون مليونا ومائتين واربعه وثمانون الف و ثمانمائة اسهم).

منها للمزبور خالد بك بن امين بك (ثمنمائة وثمانية آلاف وخمسمائة اسهم) والمزبورة جيملة بنت امين بك (اربعمائة واربعة آلاف ومائتان و خمسون سهما) والمزبورة بهيه بنت جميل (واحد وخمسون الفا وتسعمائة و خمس و سبعون سهما) والمزبور نجيب بن خسرو بن امين بك (مائتان واربعة وتسعون الفا وخمسمائة و خمسة وعشرون سهما) والمزبوره (آتوله بنت حسن آغا) (مائة وثلاثة آلاف وتسعمائة وخمسون منهما) ولكل واحدة من المزبورات (تمينه و ايساف و آمنة و رعنا) بنات شيخ قادر (خمسمائة واربعة و ستون آلاف وثلاثمائة اسهم) والمزبورة امينة بنت احمد من غنجة بنت الشيخ قادر (مائتان وسبعة آلاف وتسعمائة اسهم) وللمزبور حمه امين بن منصور (خمسمائة واربعة وتسعون الفا وثلاثة اسهم) وللمزبور نجم الدين ابن الشيخ عارف ابن الشيخ فتاح (تسعمائة و خمسة الاف و ثمانية وخمسون سهما) ولكل واحدة من المزبورات امينه بنت محمد و عطيه و حفصة و صبرية و فاطمة و عاصمة بنات الشيخ عارف ابن الشيخ فتاح (اربعمائة .... وخمسون الفا وتسعمائة وخمس و عشرون سهما) وللمزبورة خديجة بنت الشيخ عبدالرحمن ابن الشيخ فتاح (مليون واحد وعشرة الاف وثمانمائة وثمانون سهما) وللمزبور جاسم ابن الشيخ شريف ابن الشيخ عبدالرحمن (مليون واحد ومائة و ثمانية و ثمانون الفا اسهم) وللمزبور الشيخ لطيف ابن الشيخ محمد مليون واحد وتسعة و ستون الفا ومائتا اسهم) وللمزبورة رحمة من زوجتي الشيخ سعيد ابن الشيخ محمد امين (ثلاثة

وستون الفا سهم) ولكل واحد من عثمان و علي ابن الشيخ سعيد ابن الشيخ محمد امين مائتان واثنان وخمسون الفا اسهم) ولكل واحدة من خاور و فهيمه و صبيحة بنات الشيخ سعيد ابن الشيخ محمد امين (مائة وستة و عشرون الفا اسهم)، ولكل واحدة من رعنا و بيروزة و امينه بنات الشيخ محمد امين و رسول ابن حسين من فراش شيرين بنت الشيخ محمد امين (خمسمائة و اربعة الاف اسهم) وللمزبورة رعنا بنت محمود شيخه (ستون الفا وخمسمائة وثمانون سهما). وللمزبورة حمه غريب بن محمود شيخه (مائة وعشرون الفا وتسعمائة و ستون سهما) و للمزبور فائق ابن حسن سبعون الفا وخمسمائة و ستون سهما و للمزبورة بهية بنت حسن (خمسة و ثلاثون الفا ومائتان و ثمانون سهما) و للمزبور حاجي ملا عارف بن مصطفى (ثلاثة وثمانون الفا ومائة وستون الفا) ولكل واحد من محمد اديب و احمد امين المزبور الحاج ملا عارف مصطفى (تسعمائة وستون الفا و سبعمائة و اثنان وتسعون سهما) وللمزبورة عاصمة بنت حاجي ملا عارف مصطفى (تسعة واربعون الفا وثمانية مائة و ستة وتسعون سهما). ولكل واحد من المزبورون ملا مصطفى و ملا محمود و نجم الدين ابناء الحاج ملا رسول مائتنان واربعة الاف و خمسون سهما وللمزبور حفصة بنت الحاج ملا رسول (مائة والفان وخمسة وعشرون سهما) و للمزبور ملا احمد ابن حاجي ملا رسول (سبعة و ثلاثون الفا وسبعمائة و ثلاثون سهما) وللمزبور الشيخ رشيد ابن الشيخ صالح ابن الشيخ عزيز (مليون واحد واربعة و ثلاثون الفا وثنمائة و ثمانون سهما) و للمزبورة عطية شيخ صالح (خمسمائة و سبعة عشرة الفا واربعمائة واربعون سهما) وللمزبور محمد ابن رستم (مائتان و واحد وعشرة الف وسبعمائة و ستون سهما) وللمزبورة رحمة بن رستم (مائة وعشرون الالف وثمانمائة وثمانون سهما) وللمزبور محمد بن شريف (ثلاثمائة واثنان و ثلاثون الفا وستمائة واربعون سهما) وللمزبوره عطيه بنت شيخ سعيد (خمسمائة وتسعة الاف وثمنمائة و خمسة و خمسون سهما) وللمزبور صابر بن مام خضر (ثلاثمائة وستة واربعون الفا وخمسمائة اسهم). وللمزبورة سلمى بنت الحاج عزيز (مائة وثلاثة الاف وتسعمائة وخمسون سهما) وللمزبور حمه رشيد بن ملا توفيق سليمان (ستمائة

وتسـعة وتسـعون الاف و تسـعمائة و ثلاثـون سـهما) و لكـل واحـد مـن عبـدالله و محمـد و احمد ابناء ملا توفيق بن سليمان (مائة و خمسـمائة و اربعـون الفـا و خمسـمائة وثلاثـون سهما) ولكل واحدة من المزبورين جميلة و خانم بنتي ملا توفيـق (اثنـان و سـبعون الفـا و خمسة و ستون سهما) و للمزبـور شـيخ جـلال ابـن الشـيخ محمـد امـين ابـن الشـيخ فتـاح (مليونان و اربعمائة و خمسة و عشرون الفا و خمسمائة اسهم). وللمزبور محمـود ابـن مـلا غفور (ثلاثمائة و ستة و اربعون الفا و خمسـمائة اسـهم) وعلـى طالـب الـوارث المزبـور مـلا محمود ابن الحاج ملا رسول .... هذا القسام الشرعي تسجيلا في ١٩٤٨/٤/١٩ ..

عدد الاضبارة محكمة شرعية السليمانية م/ تصحيح القسام الشرعي

المدعي/ احمد مجيد مولود الساكن في محلة دركزين

المدعي عليه/ ملا محمود حاجي ملا رسول الساكن في محلة الاسكان اضافة للتركه

لقد نظم المدعي عليه القسام الشرعي الرقم ٩٤٨/١١٧ و المؤرخ ١٩٤٨/٤/١٩. الصادر من محكمة شرعية السليمانية لمورثنا المدعو الشيخ محمد امين شيخ فتاح ولكنه كتم اربعة بنات من ورثة صافية بنت شيخ محمد امين ابن شيخ فتاح حيث كان للمتوفيه صافيه المذكورة اعلاه ولدان هما حسن و حمه غريب محمود شيخه و خمسة بنات هن امنه و سلمى و سلطانة و خورشيدة لم يذكر اسم اربعة بناتها وهن كل من امنه و سلمى و سلطانه و خورشيدة بنات صافيه بنت شيخ حمه امين شيخ فتاح. بل ذكر ولديها و بنتها رعنا والمذكورين اعلاه وان وارث بنات الصافية المذكورين اعلاء والذين لم يذكر اسمائهم في القسام الشرعي المذكور هم ١. امنه توفت بلا زوج عن اولادها كل من احمد و حمه صالح و صابر و مينا و بهية اولاد مجيد مولود ٢. سلمى توفت بلا زوج عن ولديه حمه صالح عزيز ٣. سلطانة توفت بلا زوج عن بنتها امينه بنت حسن ٤. خورشيدة توفت بلا زوج عن اولادها حمه صالح و مجيد و شمسه اولاد قادر خسرو و سبب المدعي عليه من حرمان هذه الورثه المذكورة من التصرف بالدار التسلسل .... ١١١٥ الواقعة في محلة دركزين عليه جلب المدعي عليه الى المحكمة والحكم عليه بتصحيح القسام الشرعية المذكور اعلاه .... هذه الدعوة و تحميله كافة مصاريف المحاكمة اضافة للتركه ... حصتي في الدار المرقمة المذكورة تسلسل ١١١٥ محلة دركزين

المدعي المدعي القاضي

البيان الأول لثورة ١٤ تموز:

البيان رقم واحد

صادر من القائد العام للقوات المسلحة الوطنية

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الشعب الكريم

بعد الإتكال على الله وبمؤازرة المخلصين من أبناء الشعب والقوات الوطنية المسلحة، أقدمنا على تحرير الوطن العزيز من سيطرة الطغمة الفاسدة التي نصبها الاستعمار لحكم الشعب والتلاعب بمقداراته وفي سبيل المنافع الشخصية

إن الجيش منكم وإليكم، وقد قام بما تريدون وأزال الطبقة الباغية التي استهترت بحقوق الشعب، فما عليكم الا أن تؤازروه. وأعلموا أن الظفر لا يتم إلا بترصينه والمحافظة عليه من مؤامرات الاستعمار وأذنابه وعليه فإننا نوجه إليكم نداءنا للقيام بإخبار السلطات عن كل مفسد ومسيء وخائن لاستئصاله. ونطلب منكم أن تكونوا يداً واحدة للقضاء على هؤلاء والتلخص من شرهم. حركة تموز ١٩٥٨

أيها المواطنون:

إننا في الوقت الذي فيه نكبر فيكم الروح والوطنية الوثابة والأعمال المجيدة، ندعوكم الى الإخلاد والسكينة والتمسك بالنظام والتعاون على العمل المثمر في سبيل مصلحة الوطن.

أيها الشعب:

لقد أقسمنا أن نبذل دماءنا وكل عزيز علينا في سبيلكم، فكونوا على ثقة واطمئنان بأننا سنواصل العمل من أجلكم وان الحكم يجب أن يعهد إلى حكومة تنبثق من الشعب وتعمل بوحي منه وهذا لا يتم إلا بتأليف جمهورية شعبية تتمسك بالوحدة العراقية الكاملة وترتبط برباط الأخوة مع الدول العربية والإسلامية وتعمل بمبادئ الأمم المتحدة وتلتزم بالعهود والمواثيق وفق مصلحة الوطن وبقرارات مؤتمر باندونغ. وعليه فإن الحكومة الوطنية تسمى منذ الآن (الجمهورية العراقية). وتلبية

لرغبة الشعب فقد عهدنا رئاستها بصورة وقتية الى مجلس سيادة يتمتع بسلطة رئيس الجمهورية ريثما يتم استفتاء الشعب لأنتخاب الرئيس. فالله نسأل أن يوفقنا في أعمالنا لخدمة وطننا العزيز انه سميع مجيب

بغداد، في اليوم السادس والعشرين من شهر ذى الحجة سنة ١٣٧٧ هجرية، الموافق لليوم الرابع عشر من شهر تموز سنة ١٩٥٨م.

العقيد الركن عبدالسلام محمد عارف

القائد العام للقوات المسلحة الوطنية وكالة

١٩٥٨/٧/١٤

الدستور المؤقت للعراق بعد ثورة ١٤ تموز

الدستور المؤقت لعام ١٩٥٨

بعد قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ أُعلِن عن سقوط القانون الأساسي العراقي لسنة ١٩٢٥ وتعديلاته كافة، وتطبيق الدستور المؤقت لعام ١٩٥٨ رغبة في تثبيت قواعد الحكم وتنظيم الحقوق والواجبات لجميع المواطنين، وقد أشار هذا الدستور المؤقت إلى أنه واجب التطبيق في فترة الانتقال إلى أن يتم تشريع دستور دائم.

وقد أشار الدستور المؤقت لعام ١٩٥٨ إلى احترام حقوق المواطنين وصيانة حرياتهم، وأنّ العرب والأكراد شركاء في هذا الوطن، ويقرّ هذا الدستور حقوقهم القومية ضمن الوحدة العراقية، كما ركّز الدستور على حرية الاعتقاد والحريات الشخصية وحرمة المنازل وحرّية الأديان وأن تسليم اللاجئين السياسيين محظور، كما نصّ الدستور على أن يتولى رئاسة الجمهورية مجلس سيادة يتألف من رئيس وعضوين، ويتولي مجلس الوزراء السلطة التشريعية بتصديق مجلس السيادة، كما أكّد الدستور على استقلالية القضاء وأنّ القضاة لا سلطان عليهم في قضائهم لغير القانون، ولايجوز لأية سلطة أو فرد التدخل في استقلالية القضاء أو في شؤون العدالة، وينظم القانون الجهاز القضائي ولأول مرة اعتبر نظام الحكم جمهورياً بعد أن كان ملكياً مقيداً بدستور.

وإليكم النص الكامل للدستور العراقي المؤقت لعام ١٩٥٨:

لما كانت الحركة الوطنية التي قام بها الجيش العراقي بمؤازرة الشعب وتأييده في ١٤ سنة ١٩٥٨ تهدف تحقيق سيادة الشعب والعمل على منع اغتصابها وضمان حقوق المواطنين وصيانتها ولما كان الحكم السابق في البلاد الذي تم التخلص منه قائماً على أساس من الفساد السياسي إذ اغتصب السلطة افراد حكموا على خلاف إرادة الأكثرية وضد مصلحة الشعب إذ كان هدف الحكم تحقيق منافعهم وحماية

مصالح الاستعمار وتنفيذ مآربه كما جاء ذلك في البيان الاول الذي أعلن للشعب في يوم ١٤ تموز سنة ١٩٥٨ في بدء الحركة الوطنية وتضمن سقوط نظام الحكم الملكي وقيام الجمهورية العراقية.

فإننا باسم الشعب نعلن سقوط القانون الأساسي العراقي وتعديلاته كافة منذ ١٤ تموز سنة ١٩٥٨ ورغبة في تثبيت قواعد الحكم وتنظيم الحقوق والواجبات لجميع المواطنين نعلن الدستور الموقت هذا للعمل بأحكامه في فترة الانتقال إلى أن يتم تشريع الدستور

الباب الأول

الجمهورية العراقية

المادة (١): الدولة العراقية جمهورية مستقلة ذات سيادة كاملة.

المادة (٢): العراق جزء من الأمة العربية.

المادة (٣): يقوم الكيان العراقي على أساس من التعاون بين المواطنين كافة باحترام حقوقهم وصيانة حرياتهم ويعتبر العرب والأكراد شركاء في هذا الوطن ويقر هذا الدستور حقوقهم القومية ضمن الوحدة العراقية.

المادة (٤): الإسلام دين الدولة.

المادة (٥): عاصمة الجمهورية العراقية بغداد.

المادة (٦): يعين العلم العراقي وشعار الجمهورية العراقية والأحكام الخاصة بهما بقانون.

الباب الثاني

مصدر السلطات والحقوق والواجبات العامة.

المادة (٧): الشعب المصدر السلطة.

المادة (٨): الجنسية العراقية يحددها القانون.

المادة (٩): المواطنون سواسية أمام القانون في الحقوق والواجبات العامة ولايجوز التمييز بينهم في ذلك بسبب الجنس أو الأصل أو اللغة أو الدين أو العقيدة.

المادة (١٠): حرية الاعتقاد والتعبير مضمونة وتنظم بقانون.

المادة (١١): الحرية الشخصية وحرمة المنازل مصـونتان ولايجـوز التجـاوز عليهمـا إلا حسب ما تقتضيه السلامة العامة وينظم ذلك بقانون.

المادة (١٢): حرية الأديان مصونة وينظم القـانون أداء وظيفتهـا علـى أن لا تكـون مخلة بالنظام العام ولا متنافية مع الآداب العامة.

المادة (١٣): الملكية الخاصة مصونة وينظم القـانون أداء وظيفتهـا الاجتماعيـة ولا تنزع إلا للمنفعة العامة مقابل تعويض عادل وفقاً للقانون.

المادة (١٤):

أ. الملكية الزراعية تحدد وتنظم بقانون.

ب. الملكيـة الزراعيـة مصـونة بموجـب القـوانين المرعيـة إلى حـين استصـدار التشريعات واتخاذ التدابير الضرورية لتنفيذها.

المادة (١٥): لا يجوز فرض ضريبة أو رسم تعديلهما أو إلغاؤهما إلا بقانون.

المـادة (١٦): الـدفاع عـن الـوطن واجـب مقـدس وأداء الخدمـة العسـكرية شـرف للمواطنين وتنظم أحكامها بقانون.

المادة (١٧): القوات المسلحة في الجمهوريـة العراقيـة ملـك للشـعب ومهمتهـا حمايـة سيادة البلاد وسلامة أراضيها.

المادة (١٨): الدولة وحدها هي التي تنشأ القوات المسـلحة ولا يجـوز لأيـة هيئـة أو جماعة إنشاء تشكيلات عسكرية أو شبه عسكرية.

المادة (١٩): تسليم اللاجئين السياسيين محظور.

الباب الثالث

نظام الحكم

المادة (٢٠): يتولى رئاسة الجمهورية مجلس السيادة ويتألف من رئيس وعضوين.

المادة (٢١): يتولى مجلس الوزراء السلطة التشريعية بتصديق مجلس السيادة.

المادة (٢٢): يتولى مجلس الوزراء والوزراء كل فيما يخصه أعمال السلطة التنفيذية.

المادة (٢٣): القضاة مستقلون لا سلطان عليهم في قضائهم لغير القانون ولا يجوز لأية سلطة أو فرد التدخل في استقلال القضاء أو في شؤون العدالة وينظم القانون الجهاز القضائي.

المادة (٢٤): جلسات المحاكم علنية إلا إذا قررت المحكمة جعلها سرية مراعاة للنظام العام والآداب.

المادة (٢٥): تصدر الأحكام وتنفذ باسم الشعب.

المادة (٢٦): تنشر القوانين في الجريدة الرسمية ويعمل بها من تاريخ نشرها إلا إذا نص فيها على خلاف ذلك، وإذا لم يذكر فيها تاريخ تنفيذها تنفذ بعد عشرة أيام من اليوم التالي ليوم النشر.

الباب الرابع

أحكام انتقالية

المادة (٢٧): يكون للقرارات والأوامر والبيانات والمراسيم الصادرة من قائد القوات المسلحة أو رئيس الوزراء أو مجلس السيادة في الفترة من ١٤ تموز ١٩٥٨ إلى تاريخ تنفيذ هذا الدستور الموقت قوة القانون وهي تعدل ما يتعارض مع أحكامها من نصوص القوانين النافذة قبل صدورها.

المادة (٢٨): كل ما قررته التشريعات النافذة قبل ١٤ تموز سنة ١٩٥٨ تبقى سارية المفعول ويجوز إلغاء هذه التشريعات أو تعديلها بالطريقة المبينة بهذا الدستور الموقت.

المادة (٢٩): ينفذ هذا الدستور المؤقت من تاريخ نشره في الجريدة الرسمية.

المادة (٣٠): على وزراء الدولة تنفيذ هذا الدستور.

كتب ببغداد في اليوم التاسع من محرم الحرام سنة ١٣٧٨ هـ الموافق لليوم السابع والعشرين من شهر تموز سنة ١٩٥٨م.

محمد نجيب الربيعي
رئيس مجلس السيادة

محمد مهدي كبة
عضو مجلس السيادة

خالد النقشبندي
عضو مجلس السيادة

عبدالكريم قاسم
رئيس الوزراء ووكيل وزير الدفاع

عبدالسلام محمد عارف
نائب رئيس الوزراء
ووزير الداخلية

الدكتور عبدالجبار الجومرد
وزير الخارجية

الزعيم الركن ناجي طالب
وزير الشؤون الاجتماعية

مصطفى علي
وزير العدلية

الدكتور جابر عمر

محمد صديق شنشل

محمد صالح محمود
وزير الصحة

الدكتور إبراهيم كبة
وزير الاقتصاد

فؤاد الركابي
وزير الاعمار

بابا علي الشيخ محمود
وزير المواصلات والأشغال

محمد حديد
وزير المالية

هديب الحاج حمود
وزير الزراعة

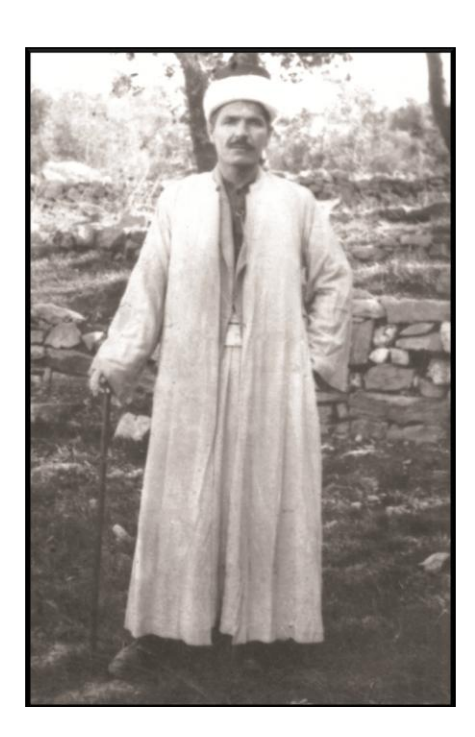
وزير المعارف

وزير الإرشاد

الصور

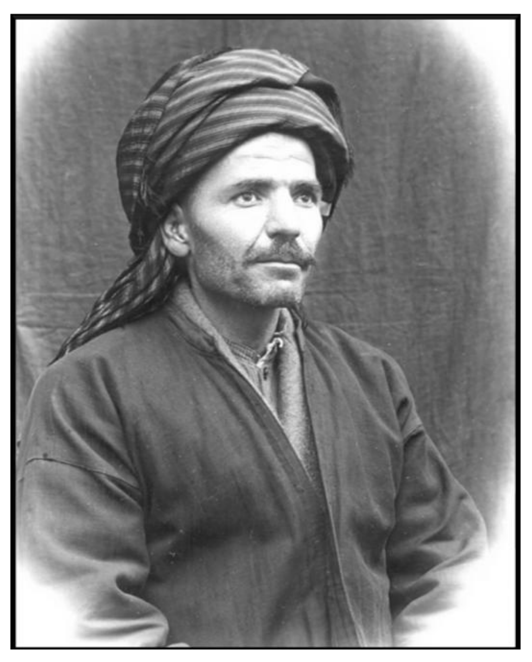


تشييع جثمان الحاج الملا رسول إلى مثواه الأخير في مقبرة سيوان، ١٩٢٧



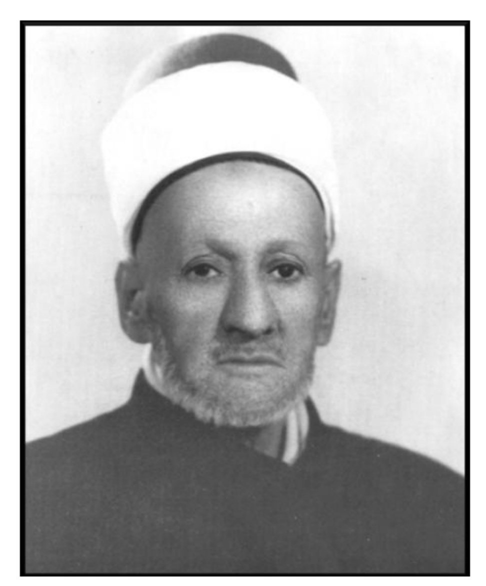
الملا مصطفى صفوت

لبنان، ١٩٤٢

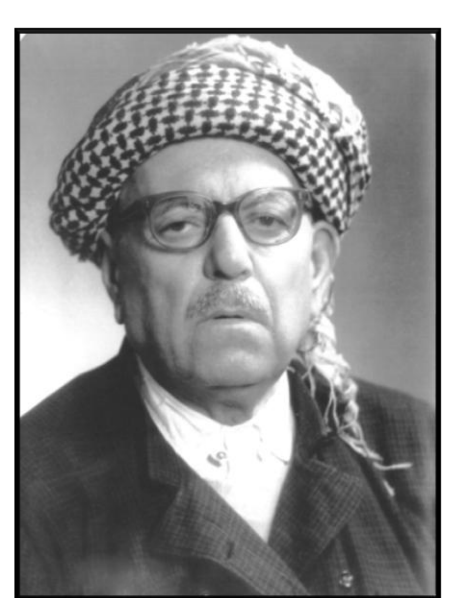


الملا مصطفى صفوت

١٩٤٤



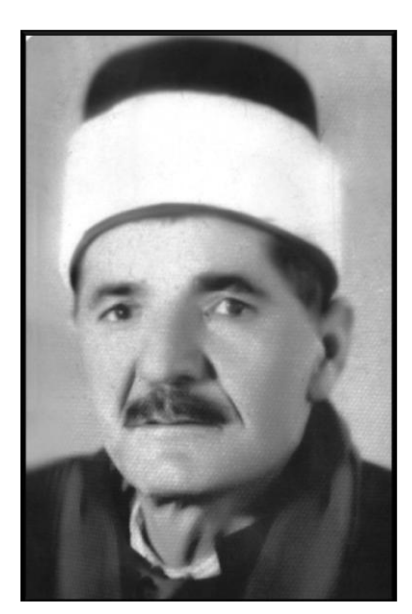
الملا أحمد الحاج ملا رسول (أحمد فائز)



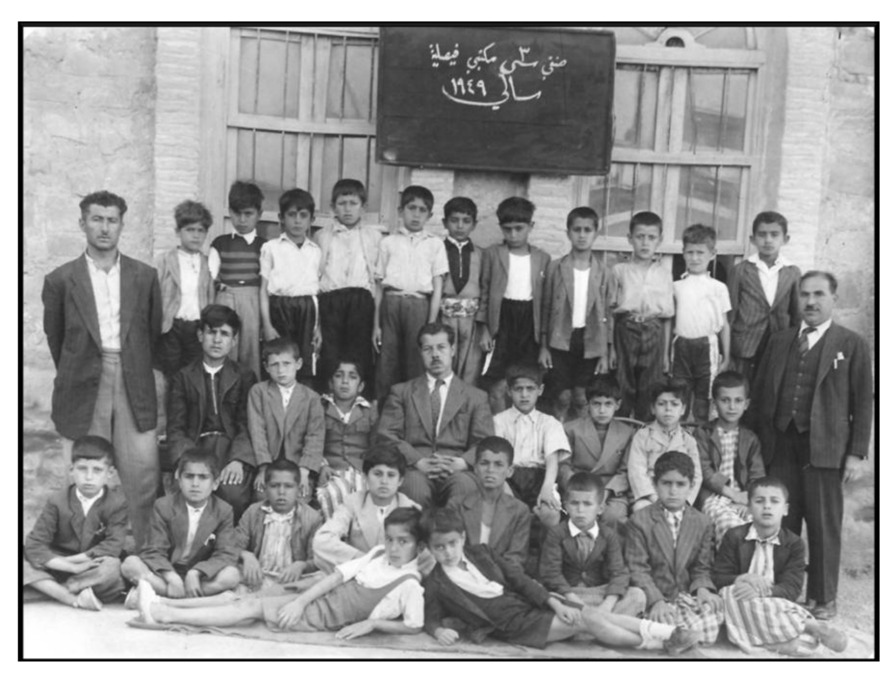
الملا محمود الحاج الملا رسول، ١٩٦٩



نجم الدين أفندي بن الحاج الملا رسول (ن. آري)، ١٩٦٨



الملا مصطفى صفوت، ١٩٤٤



من اليسار:

من الأمام، الشخصان البارزان: كمال محمد سعيد، نوشيروان فؤاد مستي .

الصف الأول، الجالسون: جمال حسين آغا، حسن اسطا أمين دلاك، أكرم حاجي حملان، أنور محمود، جميل كورون، عمر حاجي علي، جبار أحمد صابر، إسماعيل حاجي سعيد حلواجي.

الصف الثالث: الأستاذ داود أفندي، معلم الرياضة (عمر)، ( ) ، ( ) ، قادر حاجي محمد مسكَر (الصفار)، الأستاذ عبدالله، بهزاد جميل صائب، عمر حاجي حَمَه صالح، أنور أحمد سيف الله، نزهت كريم

مدير المدرسة: الأستاذ جلال محمد سيف الله

الواقفون: فاروق مصطفى رسول، نوري حاجي شيخ كريم، صلاح جلال صائب، سامال حَمَه آغا، جمال عمر ميوزه، عبدالله صبري صابونجي، نوزاد حَمَه سعيد عنبر، محمد محمود، رمزي اسحق، بكر سعيد، جالاك أحمد فهمي

مدرسة الفيصلية، الصف الثالث، ١٩٤٩



من اليسار:

الجالسون: الصف الأول: فاروق مصطفى رسول، نوشيروان فؤاد مستي، كمال حَمَه سعيد الخياط، نوزاد جلال محمد، عمر محمد صالح بيك، صفوت رشيد، إحسان غفور، جالاك أحمد فهمي.

الصف الثاني:

صلاح شيخ رؤوف النقيب، عمر محمد، محمد عبدالله نازي، برهان مصرف، سالار حَمَه آغا، كمال عزت، جيران قَزَروس، أنور محمود، بهزاد جميل صائب.

الصف الثالث: الأستاذ حسين صالح آغا، نزهت كريم بيك، جبار أحمد صابر، سالار أمين، أفراسياب مجيد ياور، محمد محمود، جمال قادر، ( ) ، اسماعيل حاجي سعيد حلواجي، جلال ابراهيم سنكَر، أنور أحمد سيف الله، الأستاذ جلال محمد سيف الله، مدير المدرسة.

الواقفون: يونس، ( )، ( )، فرج حاجي صالح، عمر محمد حمامجي، جمال سَنكَر، ( )، ( ).

مدرسة الفيصلية، ١٩٥٠ – ١٩٥١

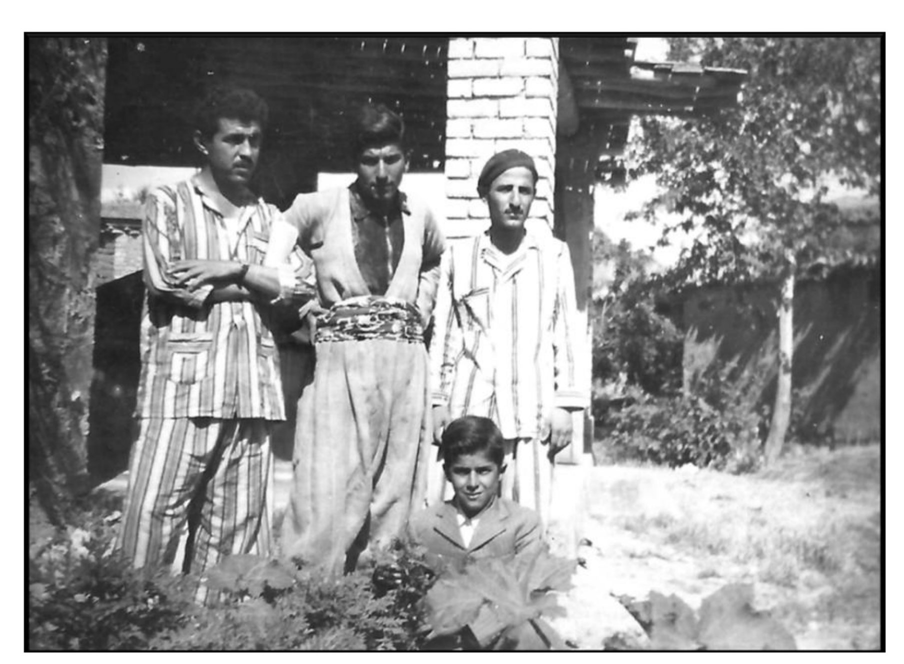


فاروق مصطفى رسول

خانقين، ١٩٥١



فاروق مصطفى رسول — سطح الدار في حي دَركَزين، ١٩٥١



الجالس: فاروق مصطفى رسول

من اليمين: زولال مجيد سليم آغا، عزالدين مصطفى رسول، علي حاجي قادر

بداية الخمسينيات



الصف الأول من اليمين: ( )، محمد جاسم، محمد محمود، حسن حسين، فائق محمد صالح، أحمد محمد سَلته، الواقف في الصف الأخير ( )، رؤوف حاجي علي، ( )، نوري أحمد كريم، محمد محي الدين

الجالسون: عطا رشيد، سردار بهاء الدين، عزت رشيد، فاروق مصطفى رسول، جلال أمين سامسون، محمد فتاح، نديم شوكت، عثمان محمد



من اليمين: جلال مـلا أحمـد ابـن الحـاج مـلا رسـول، زوجتـه (أخـتر خـان أخـت فـاروق مصطفى رسول)، فاروق مصطفى رسول — خانقين، ١٩٥٤



قادر ملا أحمد ابن الحاج ملا رسول، ١٩٥٦/٢/٢

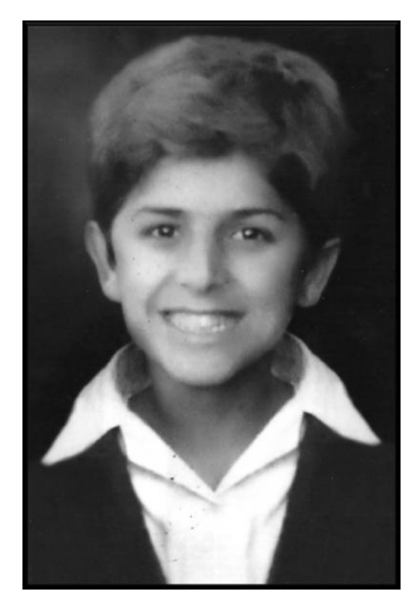


الأسماء: الأستاذ عزيز محمد، محمد سيد جاسم، فاروق مصطفى رسول، كمال رشيد ملا ابراهيم، جلال ساماغا، عزت رشيد

سهل المطار (حي العقاري)، ١٩٥٥/١٢/٢٣

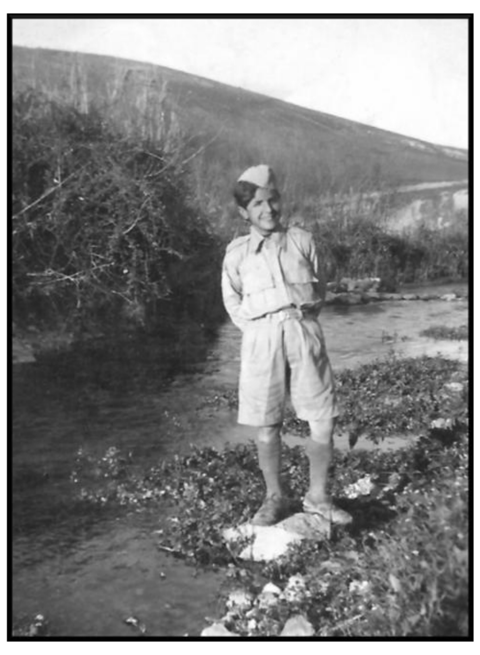


من اليمين: صالح علي، فاروق مصطفى رسول، جميل نوري — متوسطة السليمانية



فاروق مصطفى رسول

١٩٥٦/٥/٥



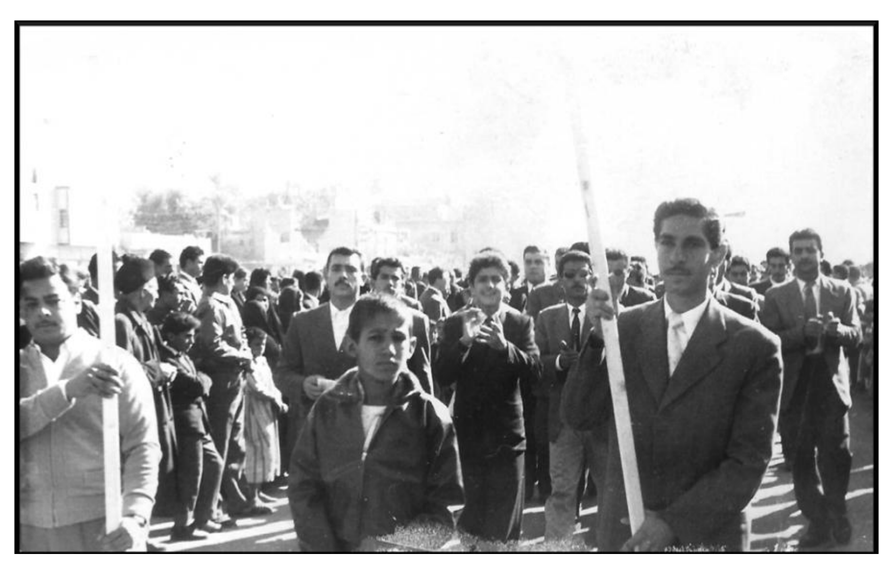
فاروق مصطفى رسول

يوم كان طالبا في متوسطة السليمانية، عندما كان في فريق الكشافة مصيف سَرجنار

١٩٥٦/٣/٢١



من اليمين: جميلة صالح قادر (والدة فاروق مصطفى رسول)، فاروق مصطفى رسول، ملا مصطفى صفوت، طلعت مصطفى رسول – كاني خان، ١٩٥٨/٣/١٣



فاروق مصطفى رسول بين المتظاهرين — بغداد، ١٩٥٨



الجالسون من اليسار: أنور عثمان، حسن عارف، قادر ميرزا كريم، فاروق مصطفى رسول — مناسبة سياسية، ١٩٥٨



من اليمين: فاروق مصطفى رسول، عثمان شيخ كريم، علي ملا عبدالله – جامع الحاج ملا رسول، ١٩٦١



من اليمين: حسين عارف، فرج أحمد، أنور عثمان، فاروق مصطفى رسول، كامل نوري
شارع الرشيد – حيدرخانه – بغداد، ١٩٦١/١/٧



من اليمين: الواقفون: حسين فتح الله، د. فيصل حَبة، جلال ساماغا، فـاروق مصـطفى رسـول، سردار مصطفى مظهر — سفرة إلى منطقة الصدور في بغداد، ١٩٦٢/٢/٢١



من اليمين: الشهيد محمود كريم، فاروق مصطفى رسـول، احسـان غفـور — الحديقـة العامـة في السليمانية



الجالسون من اليمين: فوزي ملا محمود، فاروق مصطفى رسـول، نجـم الـدين الحـاج ملا رسول، حكمت بحراني، رستم محمد رستم، فريدون

الواقفون من اليمين: فاضل ملا محمود، آزاد نجم الدين الحاج ملا رسول – سَرجنار، ١٩٦٢



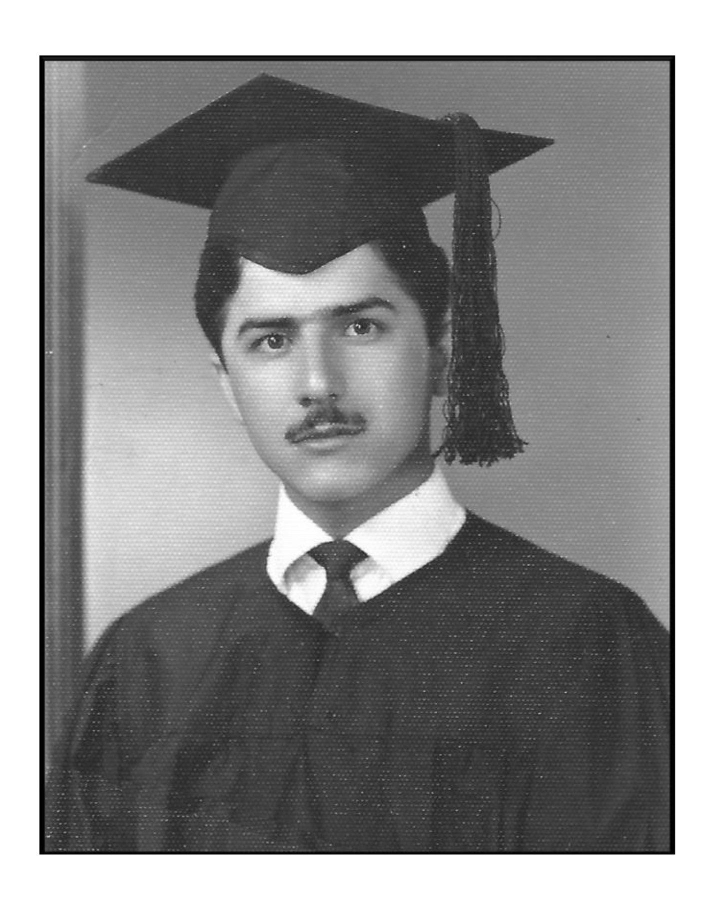
فاروق مصطفى رسول، محمد سعيد الخياط – طريق بغداد، ١٩٦٢



من اليمين: سردار مصطفى مظهر، جلال ساماغا، فاروق مصطفى رسول — سفرة إلى سدة الهندية — مدينة الحلة، ١٩٦٢



الواقفون من اليمين: الخامس (فاروق مصطفى رسول)، فريق كلية الضباط الاحتياط، ١٩٦٤



فاروق مصطفى رسول

سنة التخرج، ١٩٦٣–١٩٦٤



طلاب كورد في كلية التجارة – جامعة بغداد، ١٩٦٤



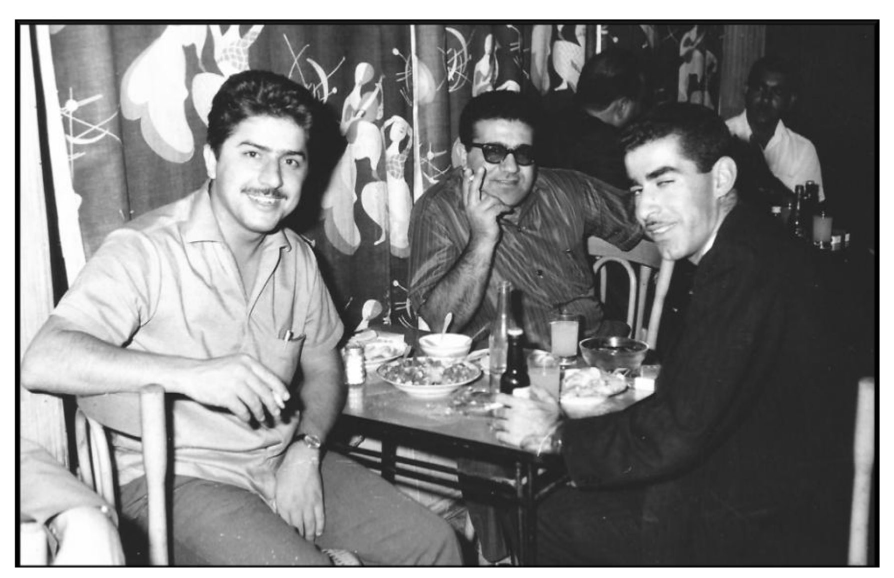
العميد سعدون حسين يسلم فاروق مصطفى رسول كأس التفوق، في مباراة كرة القدم – كلية ضباط الأحتياط، ١٩٦٥



من اليمين: فاروق مصطفى رسول، حسين فتح الله، نبيل يوسف، سامي عنتر — كلية الضباط الاحتياط، ١٩٦٥/٣/١



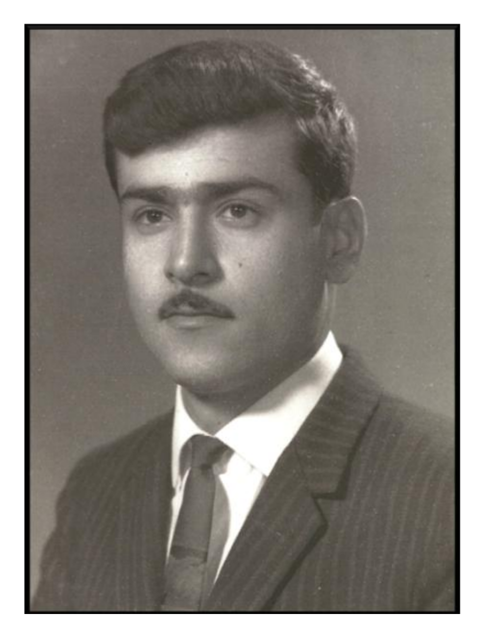
من اليسار: الأول: فاروق مصطفى رسول — النجف، ١٩٦٥



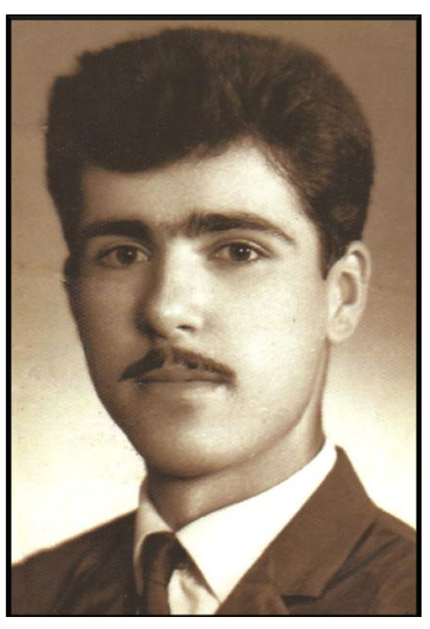
من اليمين: حسن زيور، أرجمن قرداغي، فاروق مصطفى رسول، ١٩٦٦



الطيار الشيوعي – من الأصدقاء الأعزاء فريدون عارف نجيب، فاروق مصطفى رسول – سلمان باك، ١٩٦٧



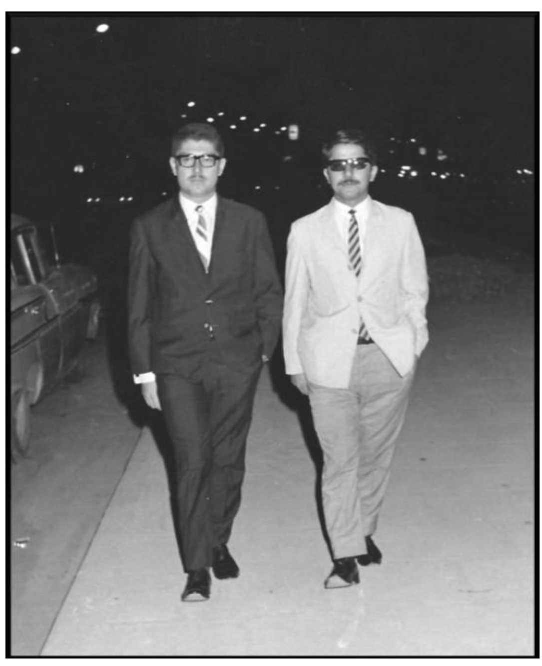
فؤاد ملا محمود — السليمانية، ١٩٦٧



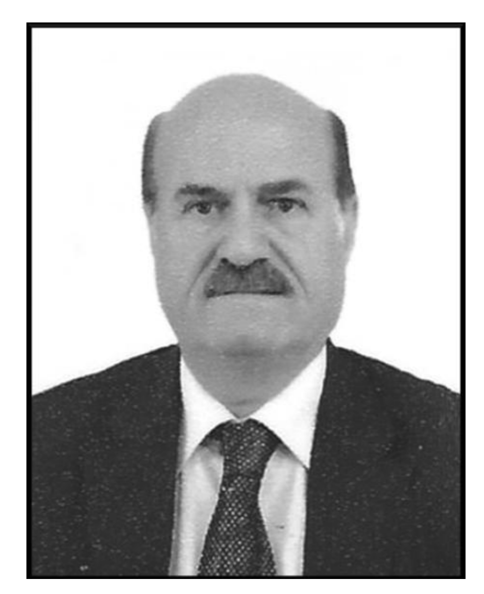
فاضل ملا محمود — السليمانية، ١٩٦٧



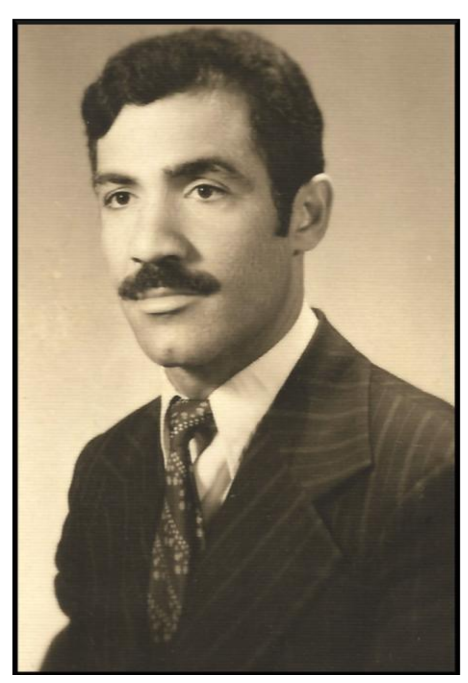
فاروق مصطفى رسول، مختفيا سياسيا في كركوك، ١٩٧١



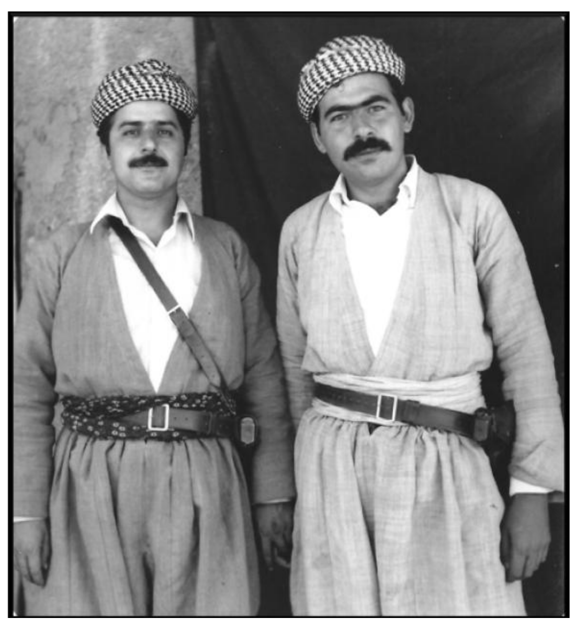
فاروق مصطفى رسول، الدكتور ماجد أحمد عزيز آغا — بغداد



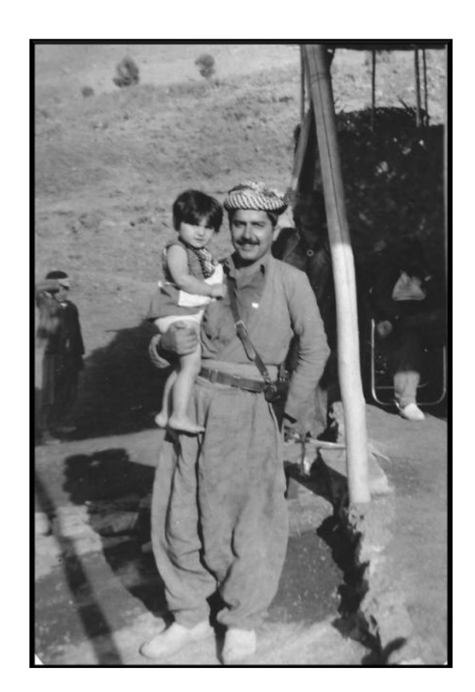
كمال شاكر



الشهيد جمال علي فائز



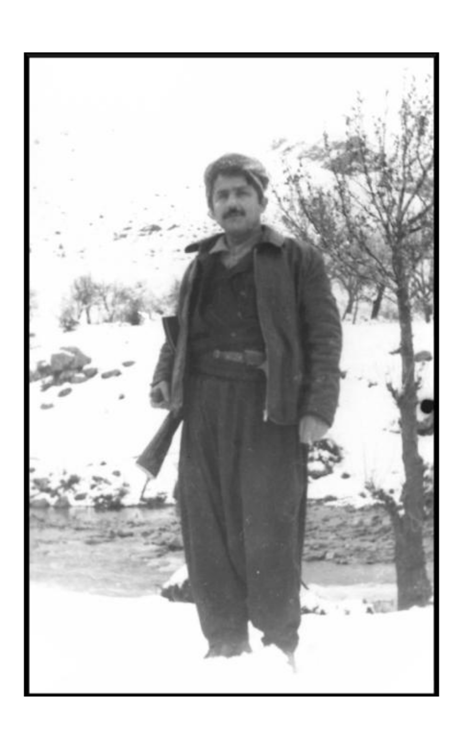
خليل الغزالي، فاروق مصطفى رسول – ناوبردان، ١٩٧١/٨/١٥



فاروق مصطفى رسول، راز ابنة الدكتور عزالدين مصطفى رسول – منطقة ئاشي شيخى، تموز ١٩٧١

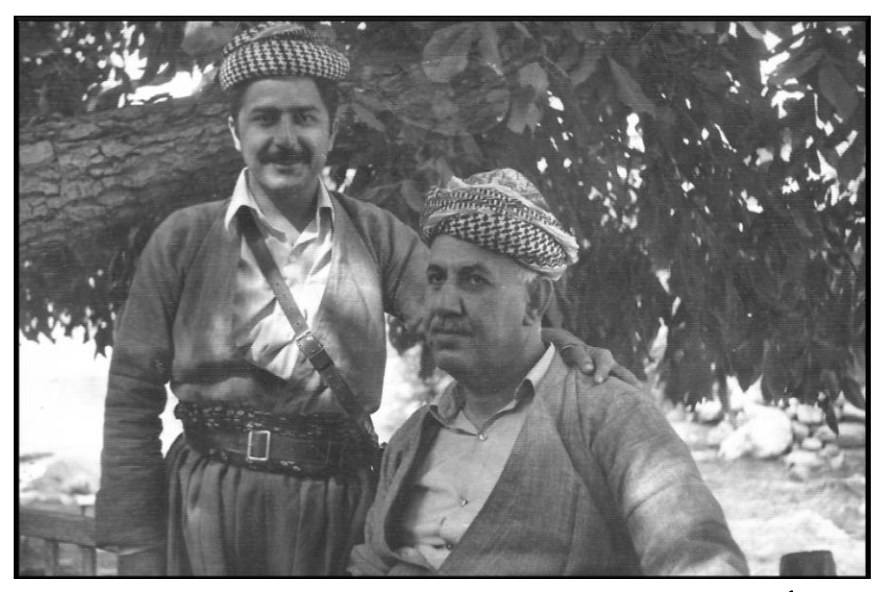


مصطفى جاو رَش، فاروق مصطفى رسول

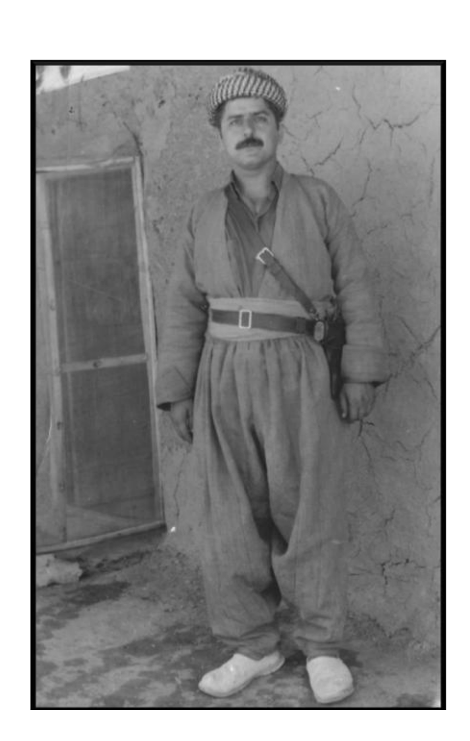


فاروق مصطفى رسول

سنوات الكفاح المسلح

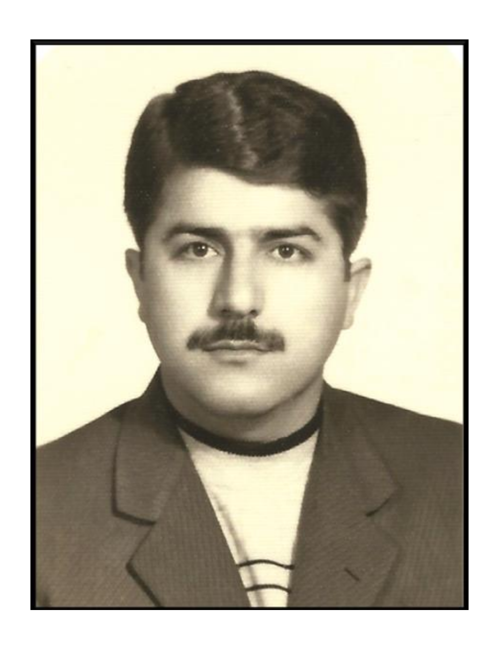


نوري أحمد طه، فاروق مصطفى رسول — مضيق رايات، ١٩٧١

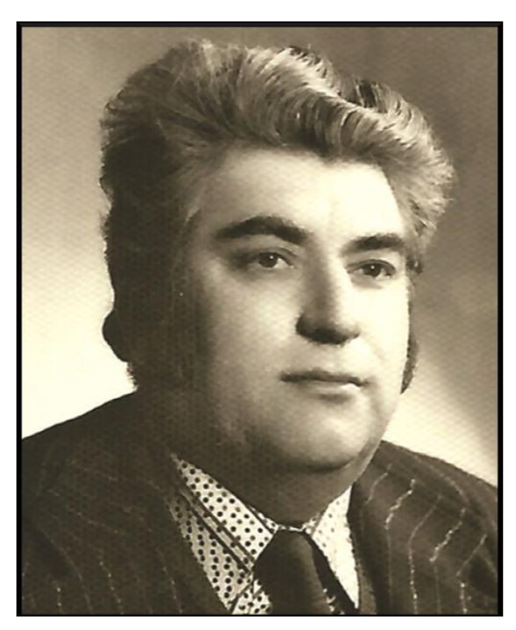


فاروق مصطفى رسول

كانى سبيندار، ١٩٧١



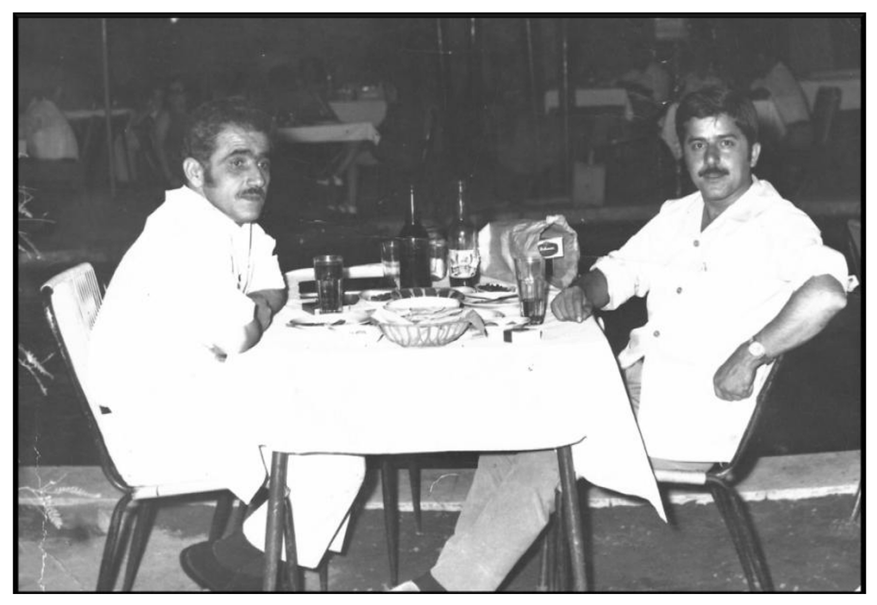
فاروق مصطفى رسول
بيروت، ١٩٧٢



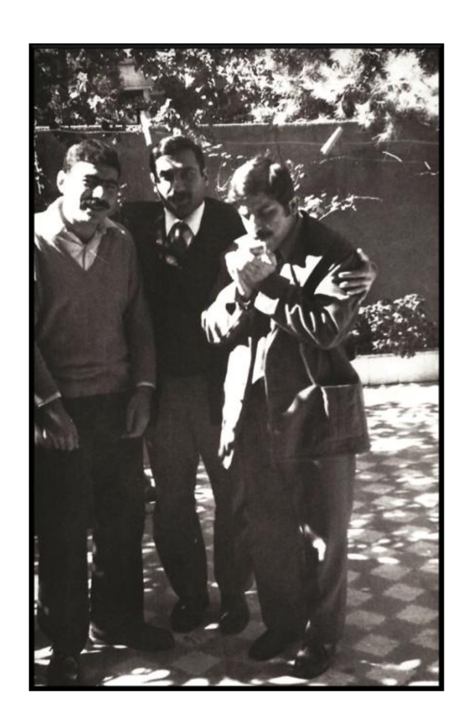
الدكتور عزالدين مصطفى رسول



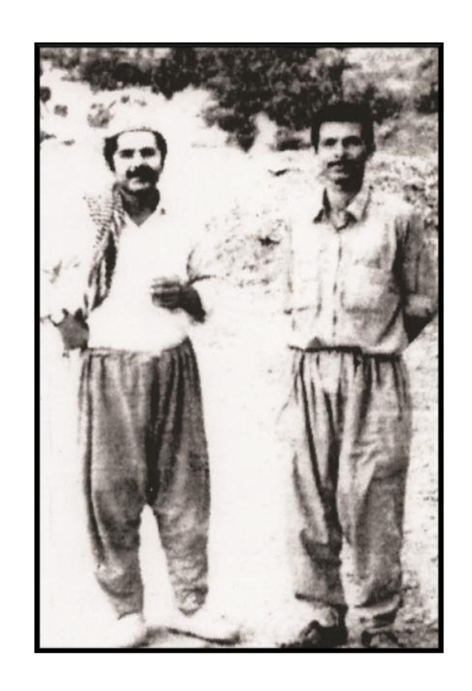
من اليمين: خليل ابراهيم الغزالي، فاروق مصطفى رسول، علي الشبيبي، عادل عبد المهدي — دمشق، ١٩٧٢



فاروق مصطفى رسول، الشهيد شهاب شيخ نوري — دمشق، ١٩٧٣



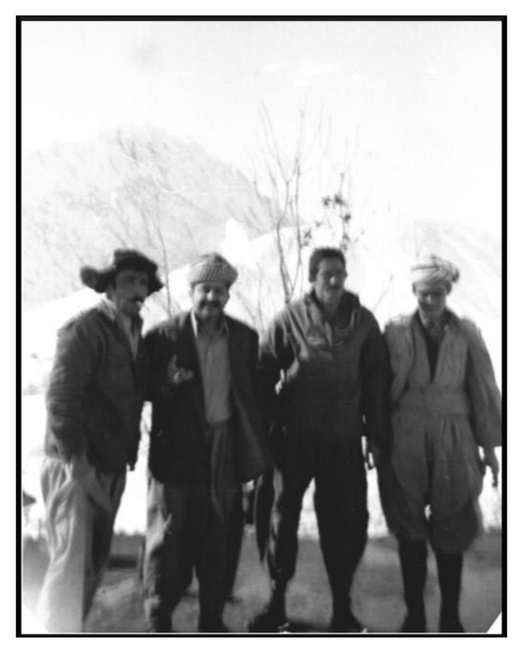
من اليمين: فـاروق مصـطفى رسـول، عـادل عبـد المهـدي، خليـل ابـراهيم الغزالي، ١٩٧٣



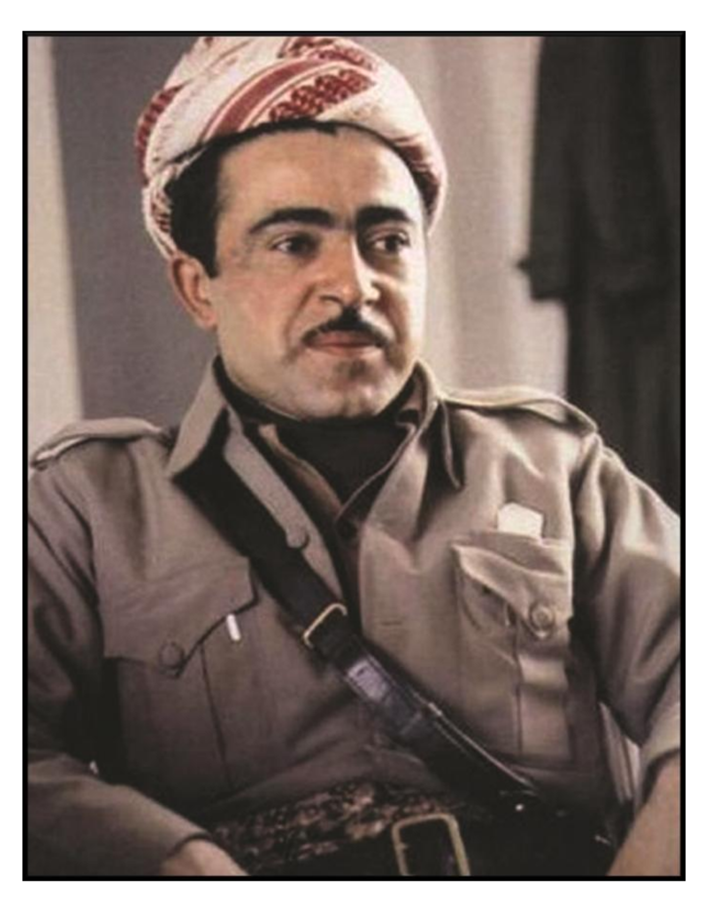
عفان چلميران (عضو القيادة المركزية)، فـاروق مصــطفى رســول، كوردســتان، ١٩٧٤



من اليمين: الشهيد اسماعيل أحمد (استشهد في ٣-١١-١٩٧٤ في معركة سَرتيز قرب جبل زوزك)، محمود قادر فرج، جمال علي فائز (استشهد ليلة ١٥ على ١٦ تموز ١٩٩١)



من اليمين: أحمد، لطيف شيخ أورحمان كاني ماراني، فاروق مصطفى رسول، عزيز أنور (عَزَ رش) — كاني سبيندار، ١٩٧٣



السيد ادريس البارزاني



من اليمين: فاروق مصطفى رسول، الشاعر الراحل شيركو بيكةس، فرج أحمد
— ثمانينيات القرن الماضي



من اليسار: د. عزالدين مصطفى رسول، ياسين خليل، فاروق مصطفى رسول، دلشاد رشيد



مـن الـيمين: د. رضـوان السـعدي، ماجـد عـلاوي، د. نـوري السـعدي، اليـاس بطرس، فاروق مصطفى رسول، زَريا فاروق — ثمانينيات القرن الماضي



فاروق مصطفى رسول، قاله (من مجانين مدينة السليمانية) — ثمانينيات القرن الماضي



من اليسار: ماجد علاوي، فاروق مصطفى رسول، المرحوم أبو حيـدر، دلشـاد رشيد، حَمَي حبسة



من اليمين: كامران محمد أحمد (كامران طابو)، جمال حَمَه سور، ياسين خليـل، فرج أحمد، مصطفى سيد مجيـد، جمـال شـادان، حَمَـي بكـر، فـاروق مصـطفى رسول، جمال حَمَه رشيد – سليمانية، تسعينيات.



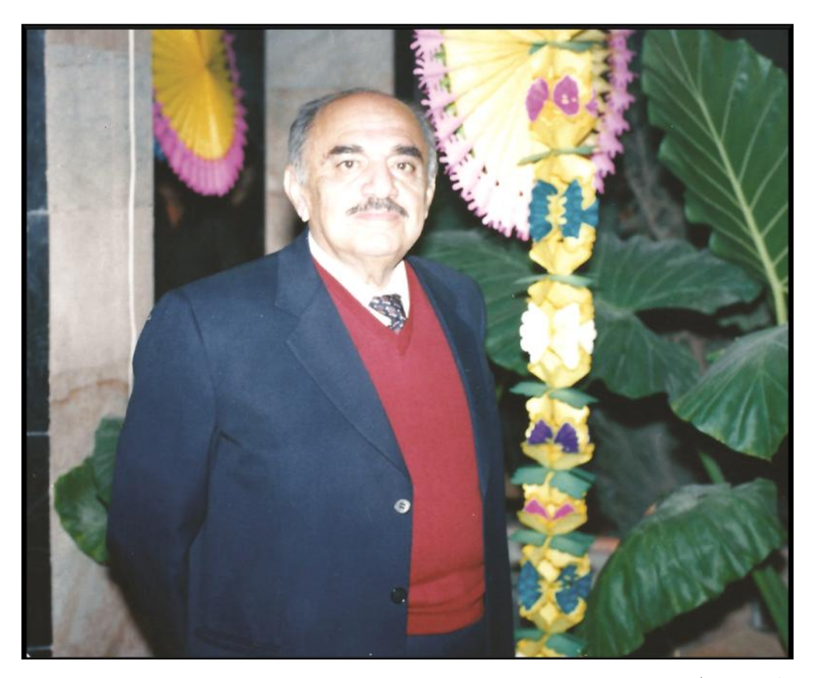
مام جلال الطالَباني، فاروق مصطفى رسول — قلعة جوالان، ١٩٩١



مسعود البارزاني، فاروق مصطفى رسول



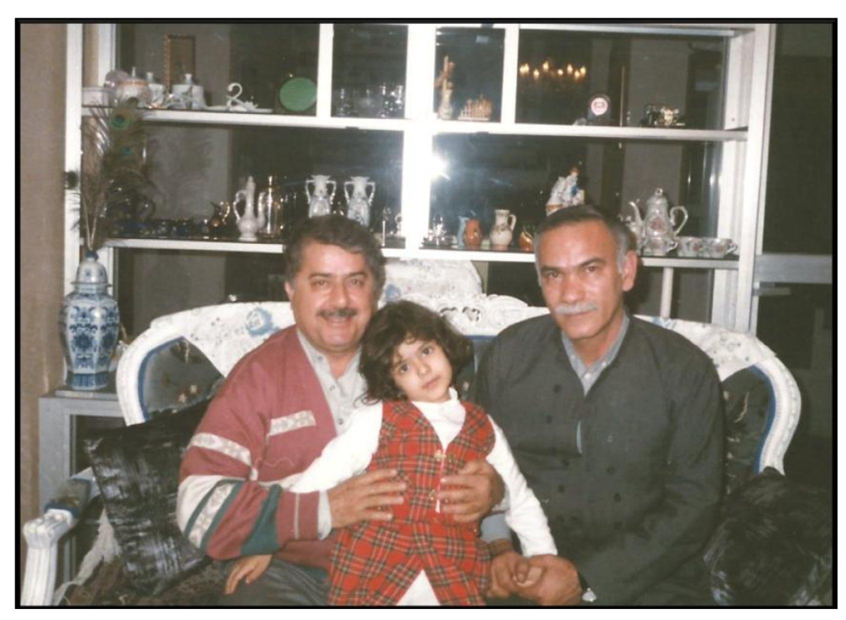
مع الدكتور رافد أديب وأسرته، بريطانيا، ١٩٧٥



ياسين خليل



مام جلال، فاروق مصطفى رسول، زَريا فاروق، زرنك فاروق — قلعة جوالان، ١٩٩١



نوشيروان مصطفى، زَنوير فاروق، فاروق مصطفى رسول



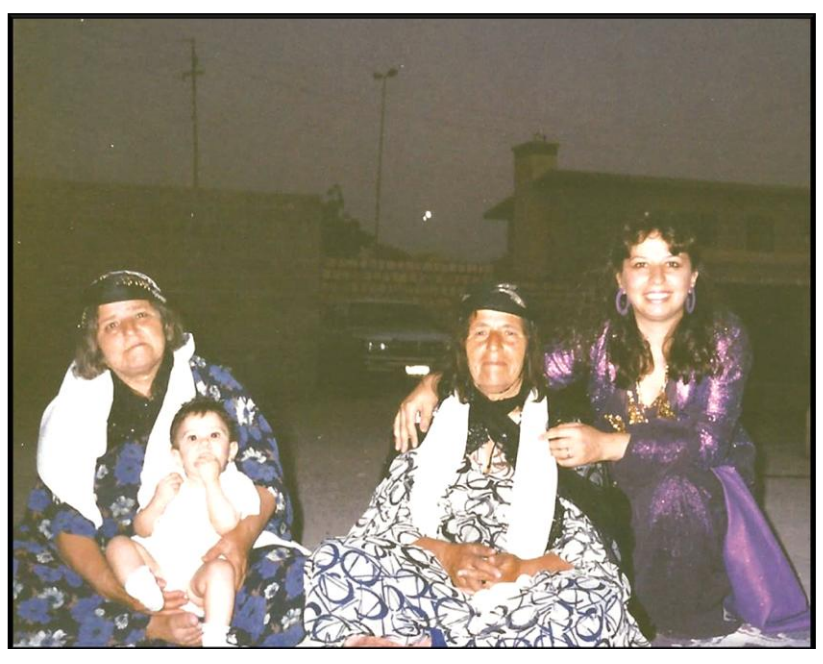
أولادي مع الرفيق عزيز محمد، ١٩٩٣



كامران محمد (كامران طابو)، فاروق مصطفى رسول



بخشان مصطفى مفتي، زنوير فاروق مصطفى

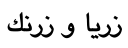


من اليسار: فاطمة (باجي)، منيرة ، دلسوز (ابنة اخت فاروق مصطفى رسول)



زرنك و زينو





زريا و زرنك



أختر مصطفى رسول، زَنوير فاروق

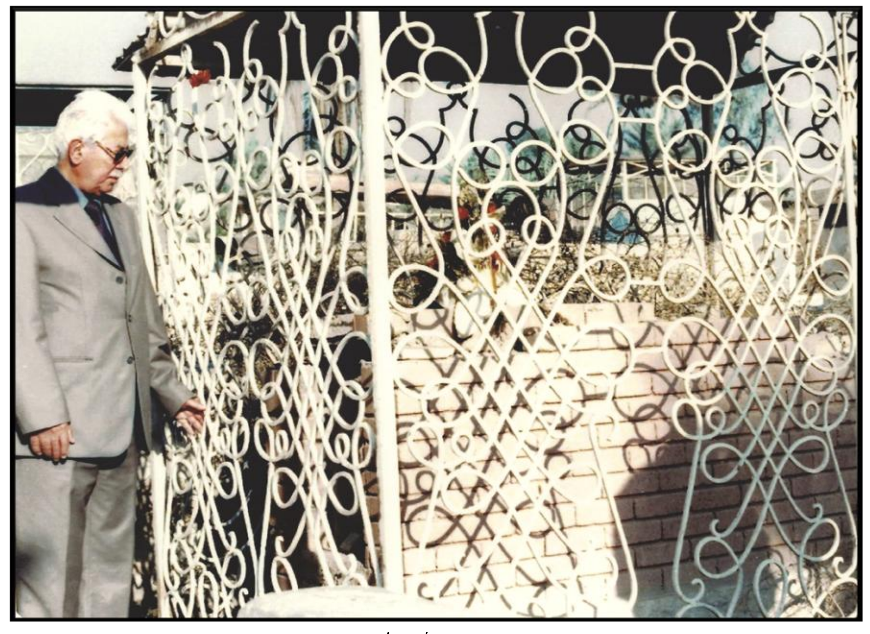
السليمانية، ١٩٩٣/٥/١٥



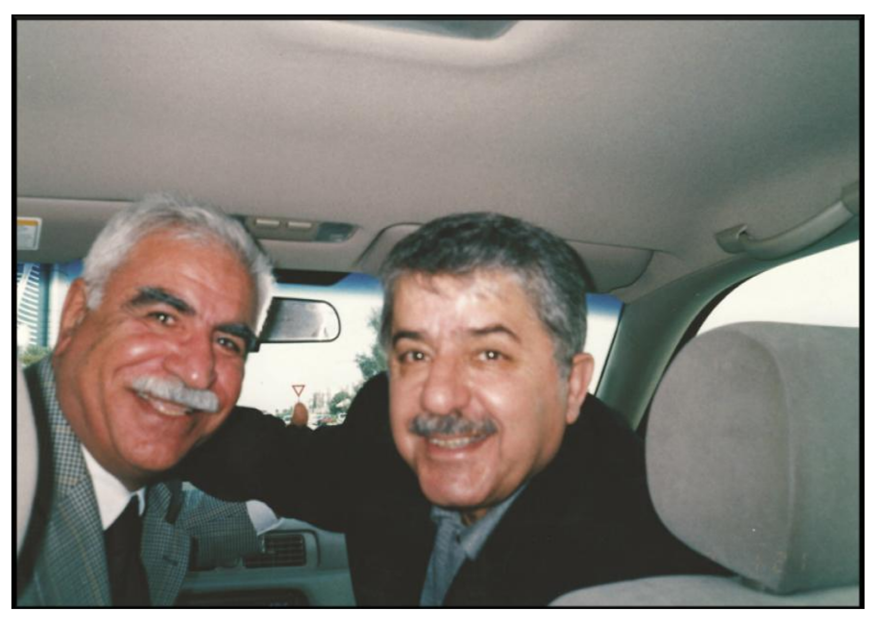
بَخشان مصطفى مفتي، فاروق مصطفى رسول



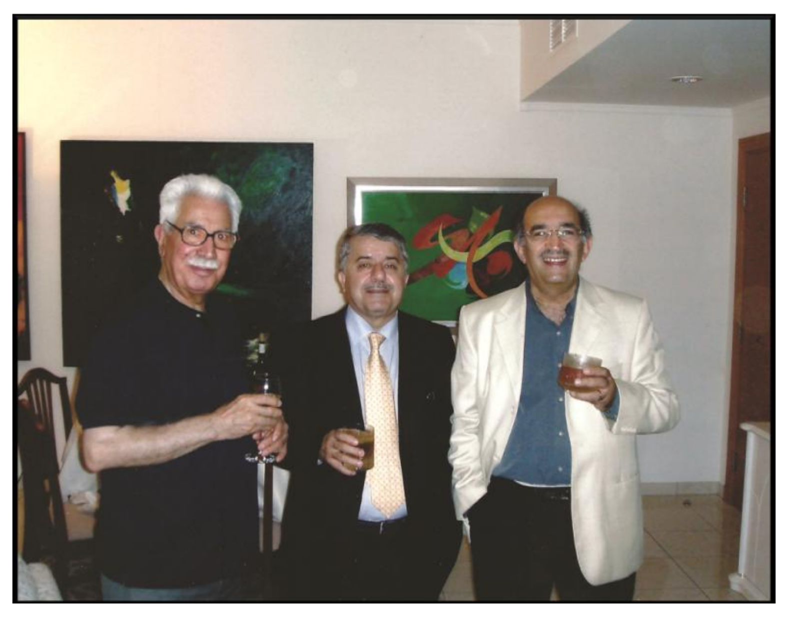
من اليمين: فاروق مصطفى رسول، د. برهم صالح، كوسرت رسول، مام جلال، ابراهيم علاوي، ماجد علاوي، ٢٠١٠/٩/٥



ابراهيم علاوي – ضريح الرفيق (فهد)، ٢٠٠٣/١٢/١٠



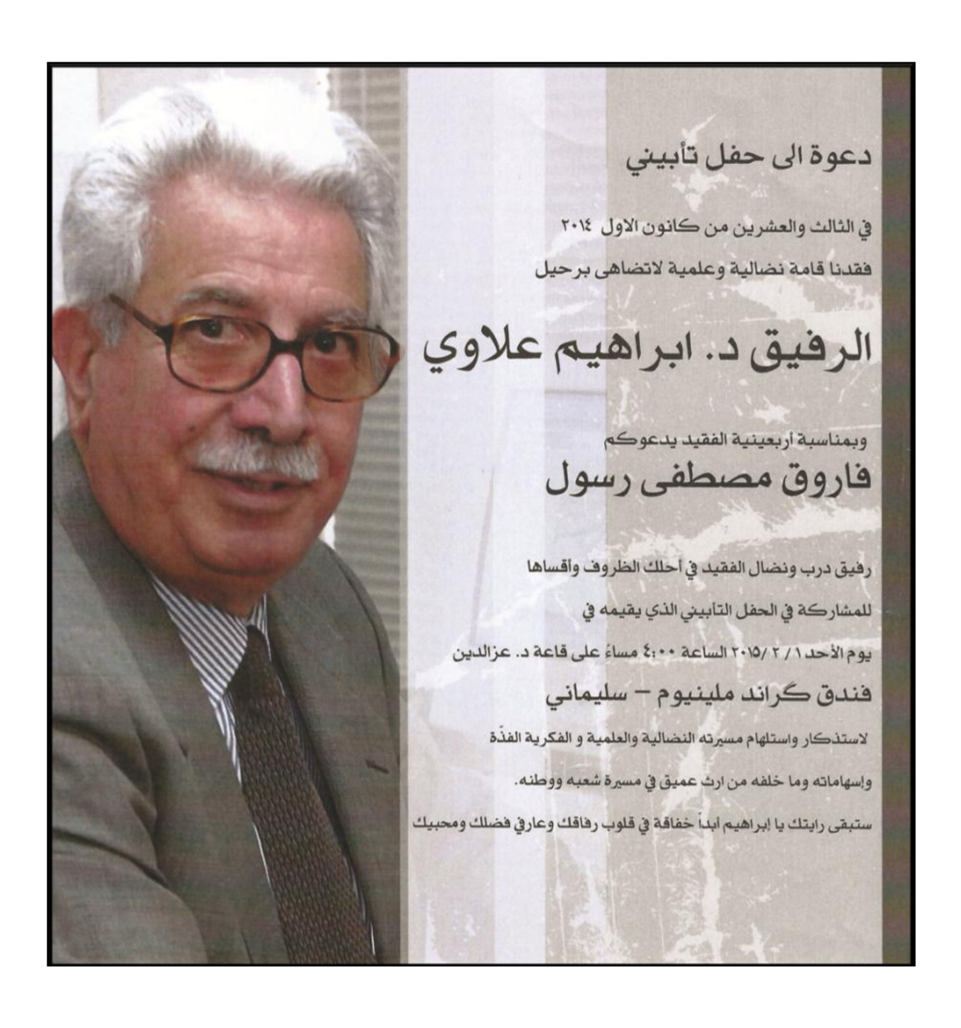
فاروق مصطفى رسول، ماجد علاوي



من اليمين: عزيز الجصاني، فاروق مصطفى رسول، ابراهيم علاوي،
دبي، في مناسبة تأسيس الحزب الشيوعي العربي، ٢٠٠٠/٣/٣١



فاروق مصطفى رسول، باسل مهدي الرحيم


دعوة الى حفل تأبيني
في الثالث والعشرين من كانون الاول ٢٠١٤
فقدنا قامة نضالية وعلمية لاتضاهى برحيل
الرفيق د. ابراهيم علاوي
وبمناسبة أربعينية الفقيد يدعوكم
فاروق مصطفى رسول
رفيق درب ونضال الفقيد في أحلك الظروف وأقساها
للمشاركة في الحفل التأبيني الذي يقيمه في
يوم الأحد ١ / ٢ /٢٠١٥ الساعة ٤:٠٠ مساءً على قاعة د. عزالدين
فندق گراند ملينيوم - سليماني
لاستذكار واستلهام مسيرته النضالية والعلمية و الفكرية الفذّة
وإسهاماته وما خلفه من ارث عميق في مسيرة شعبه ووطنه.
ستبقى رايتك يا إبراهيم أبداً خفاقة في قلوب رفاقك وعارفي فضلك ومحبيك



هيرو ابراهيم أحمد، عمر فتاح، فاروق مصطفى رسول (صاحب المشروع)

وضع حجر الأساس لمشروع فندق كراند ملينيوم – المدينة الجميلة، ٢٠٠٥/٦/١٥



فاروق مصطفى رسول، بَخشان مصطفى مفتي، مام جلال، ٢٠٠٩



مام جلال، زَريا فاروق، زرنك فاروق، ٢٠٠٩



مام جلال، فاروق مصطفى رسول، منى سالين – رئيسة حزب العمال الأشتراكي الديمقراطي السويدي، ٢٠١٠/٦/١



د. برهم صالح، فاروق مصطفى رسول، ٢٠١٠/٦/١



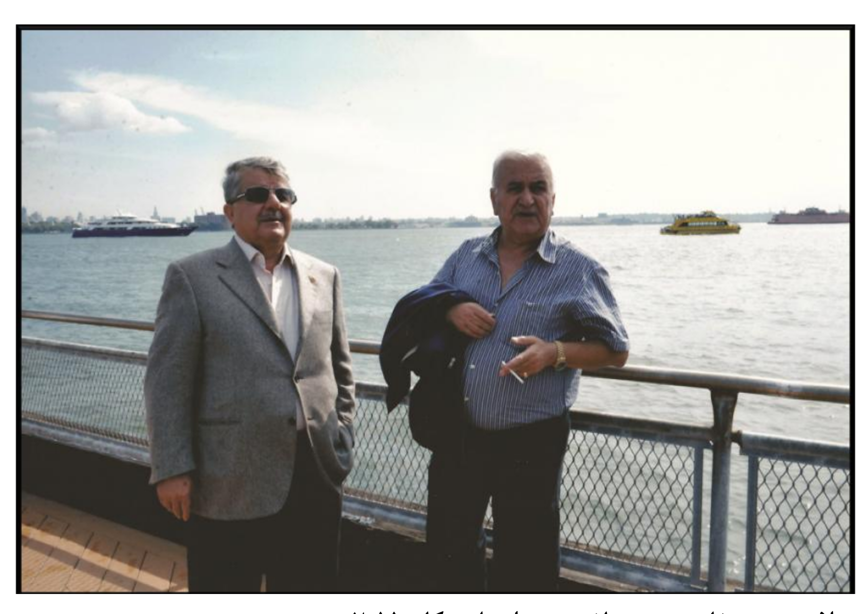
فاروق مصطفى رسول، مام جلال ، ٢٠١١ – صداقة الى الأبد



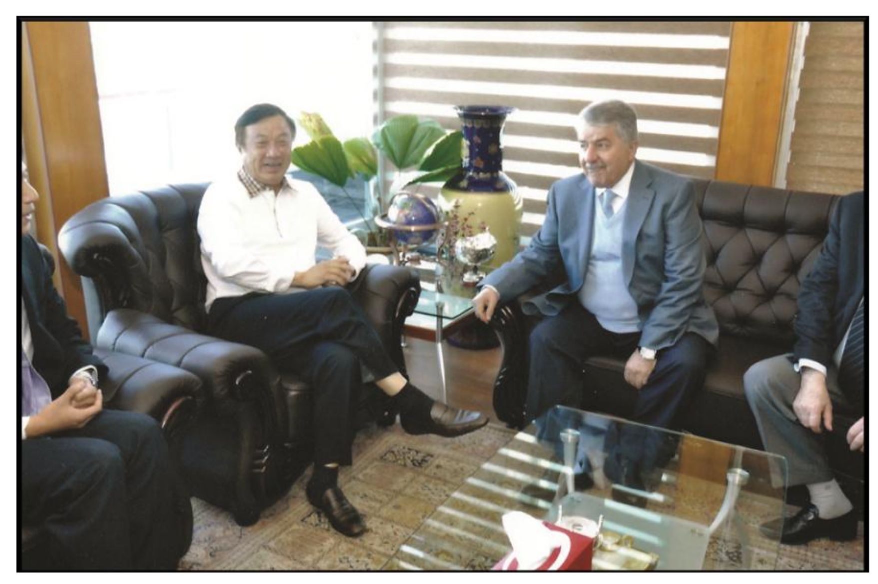
آراس شيخ جنكي، فاروق مصطفى رسول، لندن



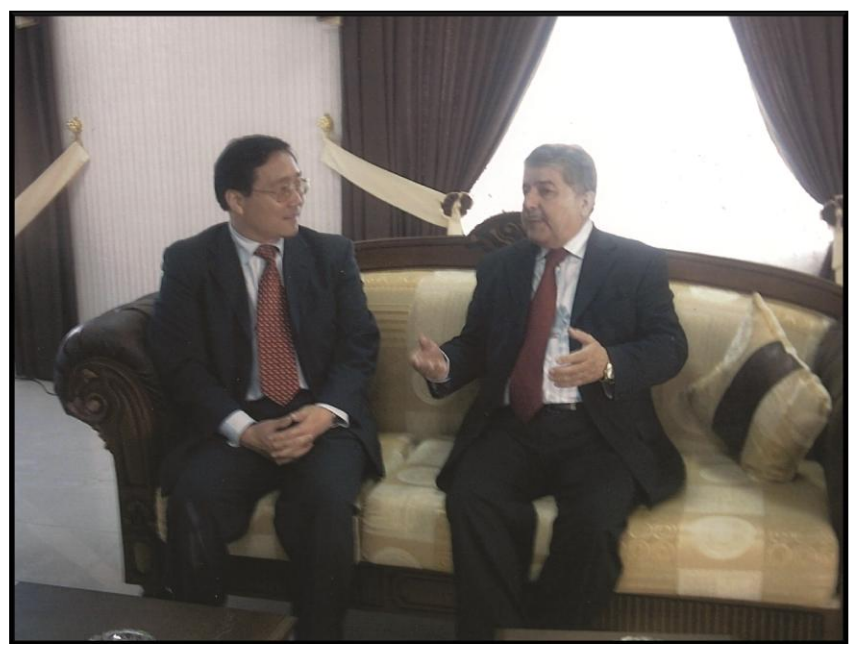
من اليمين: ملازم عمر، مام جلال، فاروق مصطفى رسول، المانيا



ملازم عمر، فاروق مصطفى رسول، امريكا، ٢٠١١



فاروق مصطفى رسول مع الرفيق Rein (رئيس شركة هواوي العالمية)



فاروق مصطفى رسول مع السفير الصيني



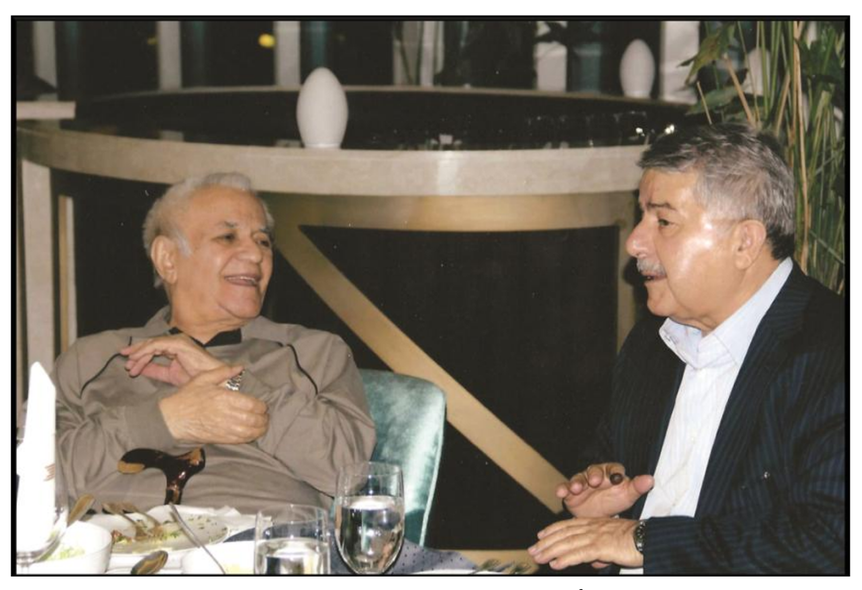
من اليسار: برونو لافونت (رئيس شركة لافارج العالمية)، فاروق مصطفى رسول، ناصف ساويرس (اقتصادي ورجل أعمال)، زريا فاروق



فاروق مصطفى رسول مع لويس ايالا (سكرتير الأشتراكية الدولية)



من اليمين: عدنان مفتي، فاروق مصطفى رسول، فخري كريم، ٢٠١٤



فاروق مصطفى رسول، الأديب الكردي محمد الملا كريم، ٢٠١٦



بخشان مصطفى مفتي، فاروق مصطفى رسول، مع حفيدايَ راسان و نارة، ٢٠١٤



من اليمين: تحسين قادر، سرور قادر، فاروق مصـطفى رسـول، زَنـوير، زينـو، سردار قادر، بخشان مصطفى مفتي، زريا، زرنك — عيد نوروز ٢٠١٥



من اليمين: شوان، زينو، بخشان مصطفى مفتي، فاروق مصـطفى رسـول، زريا، زَنوير، زرنك

كوكبة من شهداء الحزب الشيوعي العراقي

١- مطشر حواس - طالب جامعي - المحمودية

عضو الحزب الشيوعي العراقي (القيادة المركزية) اعدم في ١٩٦٩/١/٥ بعد محاكمة صورية.

٢- احمد محمود الحلاق - عامل - السليمانية

عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي العراقي (القيادة المركزية) اختطف من بغداد في ١٩٦٩/١/١٦ واستشهد تحت التعذيب في قصر النهاية.

٣- متي الهندو - عامل - بغداد

عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي العراقي (القيادة المركزية) اختطف في ١٩٦٩/١/١٦ واستشهد تحت التعذيب في قصر النهاية.

٤- سامي محمد علي الجصاني - موظف مفصول - بغداد

عضو الحزب الشيوعي العراقي (القيادة المركزية) استشهد تحت التعذيب في قصر النهاية في شباط ١٩٦٩.

٥- هاشم شمس الالوسي - معلم - بغداد

عضو الحزب الشيوعي العراقي (القيادة المركزية) استشهد تحت التعذيب في قصر النهاية في شباط ١٩٦٩.

٦- نوري كمال العاني - عامل - بغداد

عضو الحزب الشيوعي العراقي (القيادة المركزية استشهد تحت التعذيب في قصر النهاية في شباط ١٩٦٩.

٧- جبار محمد علي الربيعي - محاسب - خانقين

عضو الحزب الشيوعي العراقي (القيادة المركزية) استشهد تحت التعذيب في قصر النهاية في شباط ١٩٦٩.

٨- شعبان كريم - عامل - بغداد

عضو الحزب الشيوعي العراقي (القيادة المركزية) استشهد تحت التعذيب في قصر النهاية في شباط ١٩٦٩.

٩- مام عبدالله - عامل - السليمانية

عضو الحزب الشيوعي العراقي (القيادة المركزية) استشهد تحت التعذيب في قصر النهاية في شباط ١٩٦٩.

١٠- كشاش مكور - عامل - النجف

عضو الحزب الشيوعي العراقي (القيادة المركزية) استشهد تحت التعذيب في قصر النهاية في شباط ١٩٦٩.

١١- صبري موسى عطية - طالب جامعي - بغداد

عضو الحزب الشيوعي العراقي (القيادة المركزية) استشهد تحت التعذيب في قصر النهاية في شباط ١٩٦٩.

١٢- فائق الياس - عامل بغداد

عضو الحزب الشيوعي العراقي (القيادة المركزية) استشهد تحت التعذيب في قصر النهاية في شباط ١٩٦٩.

١٣- وردة داود - طالب - بغداد

عضو الحزب الشيوعي العراقي (القيادة المركزية) استشهد تحت التعذيب في قصر النهاية في شباط ١٩٦٩.

١٤- عادل كريم التميمي - مهندس - بغداد

عضو الحزب الشيوعي العراقي (القيادة المركزية) استشهد تحت التعذيب في قصر النهاية في شباط ١٩٦٩.

١٥- عزيز فعل ضمد - عامل - بغداد

عضو الحزب الشيوعي العراقي (القيادة المركزية) استشهد تحت التعذيب في قصر النهاية في شباط ١٩٦٩.

١٦- صالح رضا العسكري - معلم - كركوك

عضو القيادة المركزية للحزب الشيوعي العراقي، استشهد تحت التعذيب في قصر النهاية في نيسان ١٩٦٩ ورميت جثته الممثل بها في دجلة.

١٧- كمال نامق - كادح - السليمانية

عضو الحزب الشيوعي العراقي (القيادة المركزية) استشهد تحت التعذيب في قصر النهاية في نيسان ١٩٦٩.

١٨- محيسن العكبي - فلاح - الحي

اغتيل في ناحية المنارة في ١٩٦٩/٥/٩ وهو عضو في الحزب الشيوعي العراقي (القيادة المركزية)

١٩- حاتم سرجان - عامل - بغداد

عضو الحزب الشيوعي العراقي (القيادة المركزية) استشهد في قصر النهاية في تموز ١٩٦٩.

٢٠- لطيف محمد مراد - طالب - السليمانية

عضو الحزب الشيوعي العراقي (القيادة المركزية) استشهد تحت التعذيب في قصر النهاية في حزيران ١٩٦٩.

٢١- وليد الخالدي - عامل - بغداد

من جماعة اللجنة المركزية، اغتيل في ساحة السباع ببغداد في تشرين ثاني ١٩٦٩.

٢٢- ادور عبدالنور - عامل - بغداد

من جماعة اللجنة المركزية، اغتيل في ساحة السباع ببغداد في تشرين ثاني ١٩٦٩.

٢٣- محمد الخضري - مدرس - الشامية

من جماعة اللجنة المركزية (عضو قيادي)، اغتيل في ١٩٧٠/٣/٢١ ورميت جثته المشوهة قرب قناة الجيش ببغداد.

٢٤- عزيز ابو نجم - فلاح - الكوت

عضو الحزب الشيوعي العراقي (القيادة المركزية) اغتيل في ريف الكوت في نيسان ١٩٧٠.

٢٥– ناجي عبود العقابي – معلم مفصول – الكوت

عضـو القيـادة المركزيـة للحـزب الشـيوعي العراقـي، اغتيـل في ريـف العمـارة في نيسان ١٩٧٠.

٢٦– موسى عطية – فلاح – الكوت

عضـو الحـزب الشـيوعي العراقـي (القيـادة المركزيـة) اغتيـل في ريـف العمـارة في نيسان ١٩٧٠.

٢٧– ستار خضير – معلم – بغداد

من جماعة اللجنة المركزية (عضو قيادي)، اغتيل عام ١٩٧٠.

٢٨– عبد الامير سعيد – عامل – بغداد

من جماعـة اللجنـة المركزيـة (عضـو قيـادي)، استشـهد تحـت التعـذيب في قصـر النهاية في ١٩٧٠.

٢٩– مصطفى ظاهر – فلاح – الناصرية

من جماعة اللجنة المركزية (عضو قيادي)، اغتيل في ريف الناصرية عام ١٩٧٠.

٣٠– كاظم الجاسم – فلاح – الحلة

من جماعـة اللجنـة المركزيـة (عضـو قيـادي)، استشـهد تحـت التعـذيب في قصـر النهاية في ١٩٧٠.

٣١– عزيز حميد – عامل – بغداد

من جماعة اللجنة المركزية، استشهد تحت التعذيب في قصر النهاية في ١٩٧٠.

٣٢– ماجد العبايجي – ضابط متقاعد – بغداد

من جماعة اللجنة المركزية، استشهد عام ١٩٧٠.

٣٣– مشكور مطرود – عامل – بغداد

من جماعة اللجنة المركزية، استشهد عام ١٩٧٠.

٣٤– جواد العطية – كاسب – الحلة

من جماعة اللجنة المركزية، استشهد عام ١٩٧٠.

٣٥- يوسف خليفة المندلاوي - موظف - مندلي

عضو الحزب الشيوعي العراقي (القيادة المركزية)، اغتيل في مندلي ليلة ١٩٧١/١/١٤.

٣٦- عدنان طه الكاكەيی - عامل - كركوك

عضو الحزب الشيوعي العراقي (القيادة المركزية) استشهد تحت التعذيب في قصر النهاية في كانون الثاني ١٩٧١.

٣٧- سعيد بجاي - فلاح - الناصرية

عضو الحزب الشيوعي العراقي (القيادة المركزية) اغتيل في ريف الناصرية في ١٩٧١/٢/١٠.

٣٨- محمود ناصر الخفاجي - عامل - الديوانية

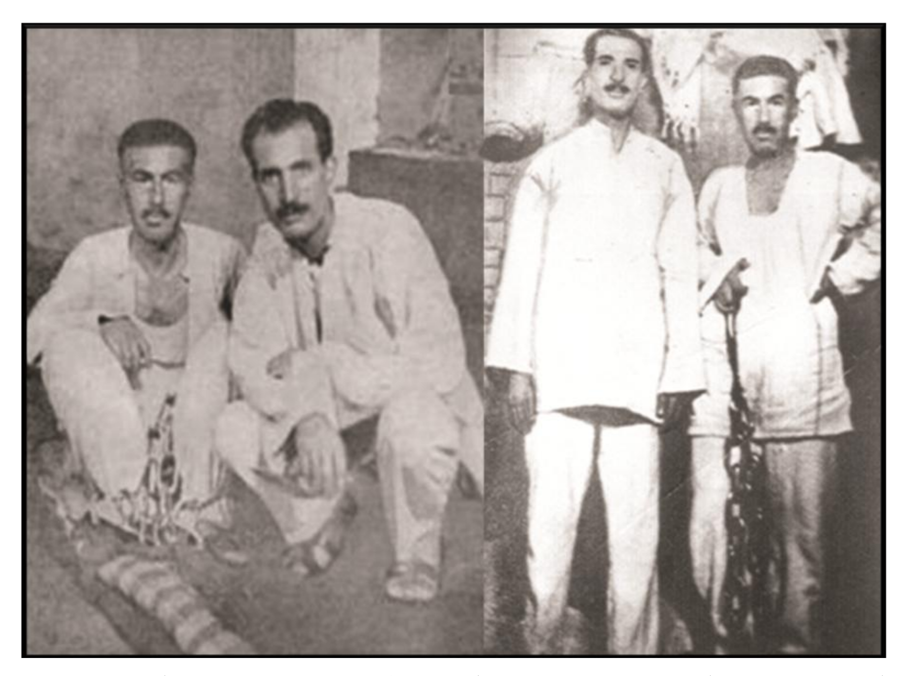
عضو الحزب الشيوعي العراقي (القيادة المركزية) اغتيل في الديوانية في ١٩٧١/٤/٢٨.

٣٩- محمد كريم - عامل - بغداد

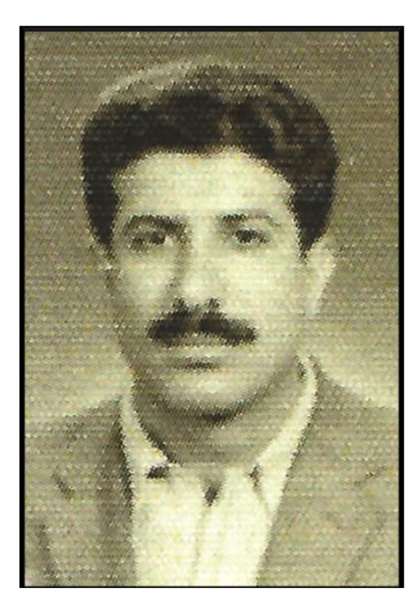
عضو سابق في الحزب الشيوعي العراقي (القيادة المركزية) اختطف من أحد شوارع بغداد في ١٩٧١/٥/٢٣ ورميت جثته المشوهة قرب داره في بغداد.

٤٠- معين حسن النهر - طالب - بغداد

امين عام منظمة جيش التحرير الشعبي، استشهد في صدام مع جلاوزة السلطة اثناء محاولة اعتقاله في ١٩٧١/٥/٢٢.



الشهيد يوسف سلمان يوسف (فهد) و الشهيد زكي بسيم (حازم) و الشهيد حسين الشبيبي (صارم) – سجن الكوت



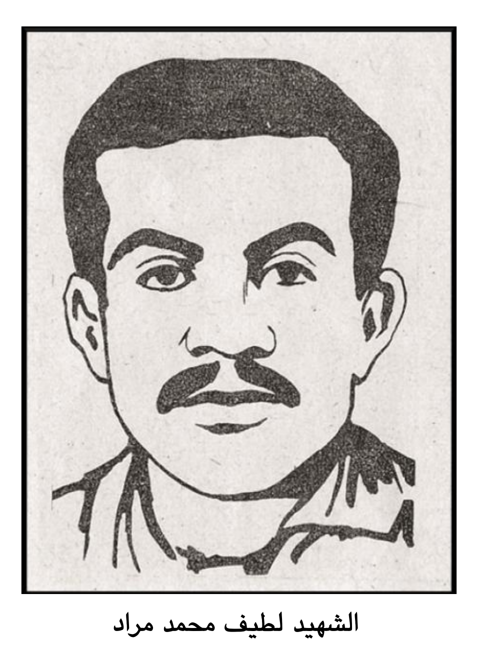
الشهيد زهير علاوي



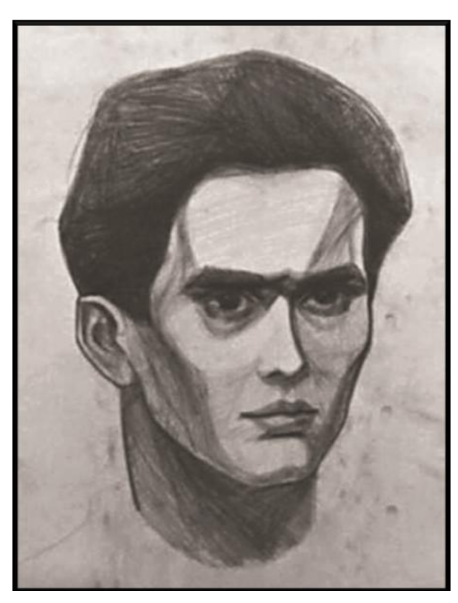
الشهيد أمين خيون



الشهيد مطشر حواس



الشهيد لطيف محمد مراد



الشهيد محمد صالح العبلي



الشهيد خالص عبدالمجيد (ابو سميرة)



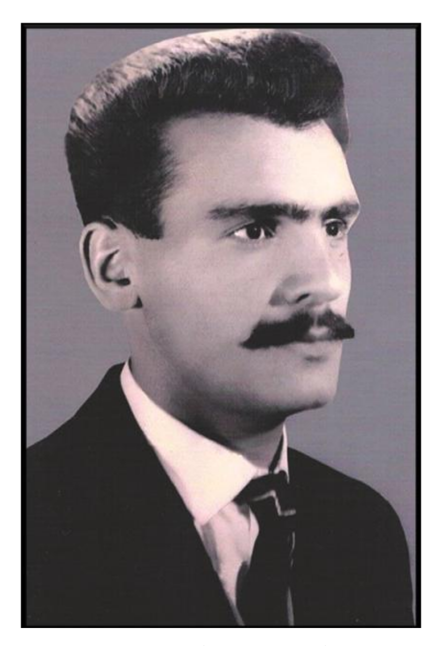
الشهيد ستار خضير



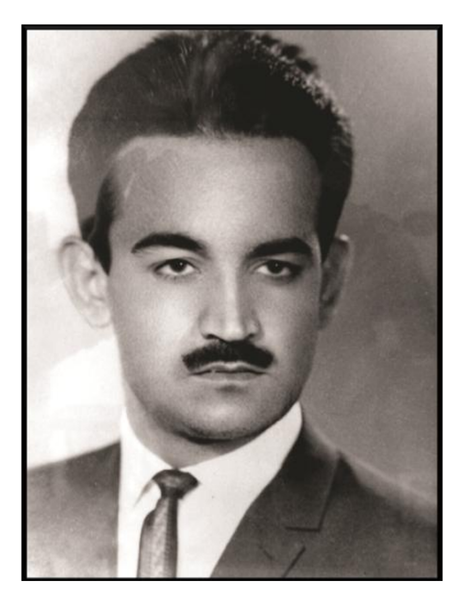
الشهيد متي الهندو



الشهيد جمال الحيدري



الشهيد نصرالدين مجيد



الشهيد صالح رضا العسكري



نكرة السلمان



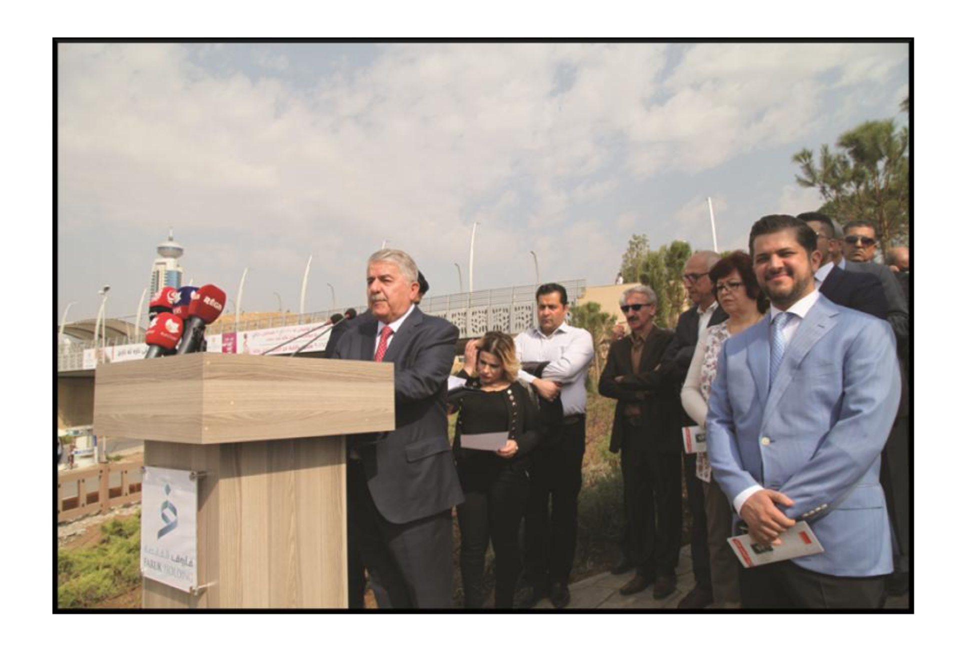
صورة معروفة تضم قادة الحزب في مظاهرة عام ١٩٥٩

من اليمين: الشهيد جمال الحيدري، الراحل عامر عبدالله، عبدالقادر إسماعيل، الشهيد محمد حسين أبو العيس، بهاءالدين نوري، الراحل زكي خيري، كريم أحمد





حديقة الشهيد أحمد الحلاق في السليمانية – مناسبة إفتتاح الحديقة يوم ٢٠١٦/١٠/٢٩



من مطبوعات الحزب الشيوعي العراقي – القيادة المركزية



ياعمال العالم اتحدوا — وطن حر وشعب سعيد

الحزب الشيوعي العراقي
(القيادة المركزية)

أنتفاضة الأهوار المسلحة
في العراق
١٩٦٨

الثمن (٥٠٠ دينار) - ٢٠٠٣

<u>انتفاضة الأهوار المسلحة في العراق</u>

((حزيران ١٩٦٨))

مرت منذ فترة الذكرى السنوية لانتفاضة الاهوار عام ١٩٦٨ ومعركة ٢ حزيران التي فقد فيها الشعب العراقي شهيدهُ البار ((خالد أحمد زكي)) .
وقد نشرت نشرة النصير – وهي نشرة دورية يصدرها التجمع الثوري العراقي في بريطانيا– أهم وثيقة عن الانتفاضة ظهرت حتى الأن، وهي رسالة من القيادة المركزية للحزب الشيوعي العراقي ..
والرسالة مؤرخة في أواخر مايس ١٩٧٠ ، وتكتسب أهميتها من عرضها التحليلي التاريخي لتجربة الكفاح المسلح ، كانعطافه في مسيرة الشعب العراقي من أجل التحرر الوطني والديمقراطية الشعبية. ولانتفاضة الاهوار كدرس من دروس الحرب الأهلية التي خاضتها جميع الشعوب في خلال تلك المسيرة.
تستعرض الرسالة تاريخ الشعب العراقي في نصف قرن، من قبيل ثورة العشرين (ثورة النجف ١٩١٨) مرورا بالإضراب العام ١٩٣٣، وولادة الحزب، وأحداث ١٩٣٦ والأربعينات وانتفاضات ونهضات ٤٨, ٥٢, ٥٤, ١٩٥٦. مثبتاً بوضوح ان المسألة الأساسية في الثورة العراقية – وهي حلف العمال والفلاحين – ظلت غير محلوله ، وان الانفصال الجزئي بين النضال في الريف والمدينة كان السبب الرئيسي لعدم انتصار الثورة الوطنية والديمقراطية بشكل نهائي .
وتستعرض الرسالة الأحداث بعد تموز ١٩٥٨، وردة البورجوازية في السلطة، المقترنة بالردة التحريفية في قيادة الحزب الشيوعي العراقي، الذي

١



الشهداء عبدالكريم قاسم وعلى يساره الشهداء وصفي طـاهر و فاضـل المهـداوي وماجـد محمد امين اعضاء محكمة الشعب، ١٩٥٩



د. شيركو عبدالله، باسار شيركو — مؤسسة دواروژ للثقافة، ٢٠١٧

شكر وعرفان

أشكر وأقدر من صميم قلبي الدكتور شيركو عبدالله وابنه باسار اللذين أعاناني أثناء كتابة وإعداد هذه الذكريات والسيرَ في طبعتها الكوردية. أثمن جهدهما في هذه الرحلة معي.

فاروق

"... حين أتفوه بهذه الكلمات يكاد قلبي يقطر دماً من الألم وينقبض حسرةً على أيام عظيمة ناضلنا فيها بغية إعادة العلاقات والارتباطات المفككة وتأسيس المنظمات الحزبية مجدداً في وضع عويص كان الموت يهددنا في كل خطوة وفي كل منعطف تلك أيام أفتخر بها وأتذكرها ما حييت."

